

شَجَائِعُ الصَّحَابَةِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَحُبُّهُمْ لِبِحَارِ وَلاَ سِتْهُارِ

تأليف

الشَّيْخُ الدُّكْتُورُ

عَبْدُ السَّاتَرِ بْنِ جَبَّارٍ بْنِ شُكْرِ الْجَنَابِيِّ

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

③ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنابي ، عبد الستار جبار شكر
شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وحبهم للجهاد والاستشهاد / عبد الستار جبار شكر الجنابي
ط ٢ ، ج ١٤٤٢ هـ
٤٢٤ ص ؛ ٢٤ * ١٧ سم
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٨١١٣-٤٠-٠

١- الصحابة والتابعون أ.العنوان
ديوي ٢٣٩,٩ ٦٠٢٢ / ١٤٣٦

رقم الإيداع : ٦٠٢٢ / ١٤٣٦
ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٨١١٣-٤٠-٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ١٤٠٨ هـ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلِيٌّ الْكَافِي الْعِلْمُ بِلَيْسِهِ

رَزَقَهُمْ رُكْعًا مَبْجُودًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
 وُجُوهِهِمْ مَنْ أَشْرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
 كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ
 الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سورة الفتح ، الآية : ٢٩

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 سَنَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ ذَلِكَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَنَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ ذَلِكَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

سورة التوبة ، الآية : ١٠٠

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،
ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»

أُخْرِجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِتْنَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيَقُولُونَ : فَيْكُمْ
مَنْ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، ثُمَّ
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِتْنَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيَقَالُ هَلْ فَيْكُمْ
مَنْ صَاحِبَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ
لَهُمْ ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِتْنَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيَقَالُ
هَلْ فَيْكُمْ مَنْ صَاحِبَ مَنْ صَاحِبَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟
فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ»

أُخْرِجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ

ثَنَاءٌ وَدُعَاءٌ

أَحْمَدُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ ، وَأَشْكُرُهُ وَأُثْنِي عَلَيْهِ
الْخَيْرَ كُلَّهُ عَلَى مَا يَسَّرَ لِي مِنْ جَهْدٍ ، وَوَقْتٍ ، وَعَمَلٍ ، وَتَوْفِيقٍ .

ثُمَّ أَدْعُوهُ تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ لِرِوَادِي رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَنْ يُعَلِّيَ
مَنَازِلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا ، وَأَدْعُوهُ تَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ مِنِّي هَذَا الْعَمَلَ ، وَيَجْعَلَهُ خَالِصًا لِرُوحِهِ الْكَرِيمِ ،
إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الْمُؤَفِّقُ وَالْمُعِينُ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعَمَ الْوَكِيلُ .

وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَطِئٍ فَمِنْ نَفْسِي وَالشَّيْطَانِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَعُذْرُكَ
وَنُصْحُكَ وَتَقْوِيمُكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ مَحَلُّ احْتِرَامِي وَتَقْدِيرِي وَشُكْرِي .

وَأَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ

إِنَّهُ هُوَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ .

بِحَمْدِ السَّتَّارِ بْنِ هَبَّارٍ بْنِ مُسْلِمٍ الْجَنَابِيِّ

المُقَدِّمَةُ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا ﷺ فِي خَيْرِ الْقُرُونِ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنَ الْأَصْحَابِ أَكْمَلَ النَّاسِ عُقُولًا ، وَأَقْوَمَهُمْ دِينًا ، وَأَشَجَعَهُمْ قُلُوبًا ، وَأَعَمَقَهُمْ عِلْمًا ، وَأَقْلَهُمْ تَكَلُّفًا ، وَأَكْثَرَهُمْ أَجْرًا ، وَأَفْصَحَهُمْ لِسَانًا ، وَأَحْسَنَهُمْ أَخْلَاقًا . قَوْمٌ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، فَأَقَامَ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ ، وَأَظْهَرَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصِفِيهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَخَلِيلِهِ مِنْ عِبَادِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ .

أَمَّا بَعْدُ :

أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلِمُوا أَنَّ لِلْجِهَادِ فَضْلًا لَا يُضَاهِي ، وَخَيْرًا لَا يَتَنَاهَى ، وَأَيَّنُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ ، وَأَنَّ الرِّيَّ الْأَعْظَمَ فِي شُرْبِ كُؤُوسِ الْحَتُوفِ ، فَشَمَّرُوا لِلْجِهَادِ عَنْ سَاقِ الاجْتِهَادِ ، وَنَفَرُوا إِلَى ذَوِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ مِنْ شَتَّى أَصْنَافِ الْعِبَادِ ، وَجَهَّزُوا الْجُيُوشَ وَالسَّرَايَا ، وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْعَطَايَا ، وَأَقْرَضُوا الْأَمْوَالَ لِمَنْ يُضَاعِفُهَا وَيُزَكِّيها ، وَدَفَعُوا سِلْعَ الثُّنُوسِ مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ لِمُشْتَرِيهَا ، وَضَرَبُوا الْكَافِرِينَ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ، وَاسْتَعَذَّبُوا مِنَ الْمَنِيِّ الْمَذَاقَ وَبَاعُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ بِالْعَيْشِ الْبَاقِي وَنَشَرُوا أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ فِي الْآفَاقِ .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « فَلَا يَنْتَصِرُ لِشَخْصٍ انْتِصَارًا مُطْلَقًا عَامًّا ، إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا لِلطَّائِفَةِ انْتِصَارًا مُطْلَقًا إِلَّا لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . فَإِنَّ الْهَدْيَ يَدُورُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ دَارَ وَمَعَ أَصْحَابِهِ دُونَ أَصْحَابِ غَيْرِهِ » (١) .

(١) «منهاج السنة النبوية» : (٥/ ٢٦٢) .

وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمُ عُذُولٌ ، وَهُمْ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَالشَّهَادَةُ لَهُمْ
بِالْإِيمَانِ وَالْفَضْلِ أَصْلٌ قَطْعِيٌّ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ .

الصَّحَابِيُّ : هُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ .

قَالَ ابْنُ حَبْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَأَصَحُّ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ مَنْ
لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَيَدْخُلُ فِيْمَنْ لَقِيَهُ مَنْ طَالَتْ مُجَالَسَتُهُ
لَهُ أَوْ قُصِّرَتْ ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ أَوْ لَمْ يَرَوْهُ ، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْزُ ، وَمَنْ رَأَاهُ رُؤْيًى وَلَوْ
لَمْ يُجَالِسْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضٍ كَالْعَمَى » (١) .

إِلَى أَنْ قَالَ : « وَهَذَا التَّعْرِيفُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَصَحِّ الْمُخْتَارِ عَنِ الْمُحَقِّقِينَ كَالْبُخَارِيِّ ،
وَشَيْخِهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَمَنْ تَبِعَهُمَا ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ أَقْوَالُ أُخْرَى شَاذَّةٌ » (٢) .

وَمَنْ ثَبَتَ لَهُ شَرَفُ الصُّحْبَةِ لَا يَتَطَلَّبُ شَرَطَ التَّعْدِيلِ ، بَلْ يَكْتَفَى بِشَرَطِ الصُّحْبَةِ
تَعْدِيلًا .

إِنَّ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَيْنَا مَعْرِفَةَ أَحْوَالِ الصَّحَابَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَحَيَاتِهِمْ ، وَمَا
اتَّصَفُوا بِهِ مِنْ أَخْلَاقٍ سَامِيَةٍ ، وَصِفَاتٍ جَلِيلَةٍ ؛ لِيُضِيَّءَ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَرْغَبُونَ فِي الْاِقْتِدَاءِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، وَالَّذِي لَا يَشُكُّ فِيهِ عَاقِلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ رَبًّا ،
وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا . إِنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ هُمْ خَيْرُ
الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَكَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَأَفْضَلُهُمْ ، فَكَذَلِكَ
أَصْحَابُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ .

(١) «الإصابة» ، (١٠ / ١) .

(٢) «الإصابة» ، (١٢ / ١) .

كما قال ابنُ قدامة رحمه الله: «وَمِنَ السُّنَّةِ تَوَلَّى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَبَّبَتْهُمْ، وَذَكَرُوا مُحَاسِنَهُمْ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ» (١).

وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ الْمُخْتَارَةُ وَالطَّبَقَةُ الْمُتَمَازَةُ فِي تَلَقِّي السُّنَّةِ وَرَوَايَتِهَا وَالْعِنَايَةِ بِهَا، وَالْحَرِصِ عَلَى تَبْلِيغِهَا. وَإِنَّمَا نَالَتِ السُّنَّةُ هَذِهِ الْمَكَانَةَ الرَّفِيعَةَ، وَلَقِيتْ ذَلِكَ الْاهْتِمَامَ الْبَالِغَ حِينَ عَلِمُوا أَنَّهَا الرُّكْنُ الثَّانِي فِي بِنَاءِ الدِّينِ الْقَوِيمِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَالصَّحَابَةُ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذَا الدِّينَ كَامِلًا صَحِيحًا، وَهُمْ الَّذِينَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى اجْتَبَاهُمُ اللَّهُ وَرَفَعَهُمْ مَكَانًا عَلِيًّا.

لَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذَا الرَّسُولِ الْقَائِدِ صَحَابَةً مُجَاهِدِينَ صَادِقِينَ؛ كِرَامًا وَأَنْصَارًا، عُذُولًا وَأُتَمَّةً ثِقَاتًا، رُهْبَانًا فِي اللَّيْلِ فُرْسَانًا فِي النَّهَارِ. نَصَرُوهُ، وَعَزَّرُوهُ، وَأَيَّدُوهُ، وَنَصَرُوا دِينَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَكَانُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خَيْرَ صَحْبٍ لَخَيْرِ مَنْ مَشَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ: رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

كَانُوا حَقًّا خِيَارًا عُذُولًا، ثِقَاءً أَثْبَاتًا، أُمَّةً هُدَاةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَرْضَاهُمْ. فَأَنْعِمَ بِهِمْ وَأَكْرَمَ؛ أَنْعَمَ بِهِمْ مَا أَعْلَى قَدَرِهِمْ! وَمَا أَجَلَ مَكَانَتِهِمْ! وَمَا أَشْرَفَ وَأَعْظَمَ الْجَهْدَ الَّذِي قَامُوا بِهِ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

* رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصْطَفَى مِنَ اللَّهِ، وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ الصَّفْوَةُ الْمُخْتَارَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

* قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَلِمَاتٍ لَوْ خُطَّتْ بِهَاءِ الذَّهَبِ لَمَا كَانَ كَثِيرًا: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ.

ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ عليهم السلام خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَائِهِ ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ ^(١) .

* وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِعِلْمِهِ لِلْغَيْبِ اخْتَارَ أَصْحَابَ رَسُولِهِ عليه السلام عَنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ . اخْتَارَ لَهُ خِيَاراً عُذُولاً ، كَانُوا بِشَهَادَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَشَهَادَةِ الرَّسُولِ الْحَبِيبِ عليه السلام : خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٢) . وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : صَحَابَةُ النَّبِيِّ عليه السلام ؛ فَهَمَّ يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الشَّانِ الْعَاطِرِ دُخُولاً أَوَّلِيّاً . جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ عليه السلام : « خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ » ^(٣) .

* فَهَذِهِ خَيْرِيَّةٌ لِلصَّحَابَةِ شَهِدَ لَهُمْ بِهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَشَهِدَ لَهُمْ بِهَا رَسُولُهُ الْكَرِيمُ عليه السلام . فَالصَّحَابَةُ خَيْرُ الْقُرُونِ ، وَصَفْوَةُ الْأُمَّةِ ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ . وَهُمْ أَفْضَلُ جِيلٍ ، وَأَقْوَمُ رَعِيلٍ ؛ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ عليه السلام ، وَتَبْلِيغِ شَرِيعَتِهِ ؛ فَكَانُوا حَقّاً خِيَاراً عُذُولاً ، أَثْبَاتاً ، أُمَّةً هُدَاةً ، شُجْعَاناً أَفْذَاداً . هُمْ عِبَادُ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ؛ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ رحمته الله : « اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَلَى الثَّقَلَيْنِ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ . كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ أَبْرَهَا قُلُوباً ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْماً ، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفاً » .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رحمته الله : « وَمِنَ السُّنَّةِ ذِكْرُ مُحَاسِنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام ، كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ » .

* عليهم السلام صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا .

(١) «مسند الإمام أحمد» : (٣/ ١٣٣٥) ، (٣٤٥٠) ، الحاكم «المستدرک» : (٣/ ٧٨) ، ووافقه الذهبي . قال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وقال الشيخ الألباني : حسن موقوفاً . تخريج الطحاوية : (٤٧٠) .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١١٠

(٣) متفق عليه ، «صحيح البخاري» (١٣/ ٣٣٥) ، (٣٤٥٠) ، «صحيح مسلم» (٧/ ١٨٥) ، (٢٥٣٢) .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ الْجِيلُ الْقُرْآنِيُّ الْفَرِيدُ الَّذِي لَا يُجُودُ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ أَبَدًا .
* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ الَّذِينَ أَقَامُوا دِينَ اللَّهِ ، وَفَتَحُوا الْبُلْدَانَ
وَالْأَمْصَارَ بِدِمَائِهِمْ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ أَعْلَمُ الْخَلْقِ وَأَنْصَحُهُمْ ، حَيْثُ بَرَزَ مِنْهُمْ مَنْ
كَانُوا «مِنْ عُلَمَاءِ الْعَالَمِ ، يَنْفَجِرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِمْ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ عَلَى لِسَانِهِمْ ،
أَبَرُّ النَّاسِ قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقُهُمْ عِلْمًا ، وَأَقْلَهُهُمْ تَكَلُّفًا ، يَتَكَلَّمُونَ فَيُنِصِتُ الزَّمَنُ وَيَخْطُبُونَ
فَيُسَجِّلُ قَلَمُ التَّارِيخِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** رَبَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَيْنِهِ ، وَتَعَهَّدَهُمْ
بِنَفْسِهِ ، وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مُوجِّهًا حَيَاتِهِمْ ، وَمُصَوِّبًا أخطاءَهُمْ ، فَتَوَفَّرَ لَهُمْ مِنْ
مُقَوِّمَاتِ التَّرْبِيَةِ مَا لَمْ يَتَوَفَّرْ لِغَيْرِهِمْ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ الَّذِينَ حَفِظُوا الْوَحْيَ (الْكِتَابَ ، وَالسُّنَّةَ) ،
وَبَلَّغُوهُمَا بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ الْجِيلُ الْمُبَارَكُ الْمُزَكَّى مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ حَلَقَةُ الْوَصْلِ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَبَيْنَ نَبِيِّهَا ﷺ وَأَنَّ
قَطَعَ هَذِهِ الْحَلَقَةُ يَعْنِي قَطَعَ صَلَةَ الْأُمَّةِ بِنَبِيِّهَا .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** حُبُّهُمْ فَرِيضَةٌ ، وَالِدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ ، وَالْاِقْتِدَاءُ بِهِمْ
وَسِيلَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِثَارِهِمْ فَضِيلَةٌ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَوْلَاهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** وَجُودُهُمْ فِي أَرْضِ الْجِهَادِ سَبَبٌ لِلنَّصْرِ وَالْفَتْحِ .

- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** أَمَانٌ لِلأُمَّةِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ .
- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثَنَاءً عَاطِراً قَبْلَ أَنْ يُوجَدُوا ، وَمَدَحَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقُوا ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فِي كِتَابِهِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .
- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ إِيْمَاناً وَفَهْماً وَعِلْماً وَعَمَلاً بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، وَكُلُّ فَهْمٍ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مُخَالَفٌ لِفَهْمِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الَّذِي جَاءَ عَنْهُمْ ، وَمَا لَمْ يَحِجَّ عَنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ .
- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** مِنَ السُّنَّةِ ذِكْرٌ مُحَاسِنُهُمْ كُلُّهُمْ أَجْمَعِينَ .
- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ ، هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ ، وَعَقْلٍ ، وَدِينٍ ، وَفَضْلِ ، وَكُلِّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ الْهُدَى ، وَرَأْيِهِمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لَأَنْفُسِنَا .
- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ يُقْتَدَى بِهِ ، وَمَنَارٌ يُسْتَفَادُ بِآثَارِهِ ، فَكَانُوا بِحَقِّ هُدَاةٍ ، تُقَاةٍ ، هُمُّهُمْ رَفْعُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَبْعَدِ بَقَاعِ الْعَالَمِ ، فَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا .
- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كُلُّ خَيْرٍ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّمَا هُوَ بَبْرَكَةِ الصَّحَابَةِ ، الَّذِينَ بَلَّغُوا دِينَ اللَّهِ ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللَّهِ ، فَلِلصَّحَابَةِ ﷺ الْفَضْلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** عَلَى أَكْثَانِهِمْ وَصَلَتْنَا الشَّرِيعَةُ غَرَاءَ صَافِيَةٍ لَيْلِهَا كَنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ .
- * **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كُلُّهُمْ خَرِيْجُو مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَنَحْبُو حَبِيبٍ وَاحِدٍ ، فَالْمَدْرَسَةُ هِيَ : الْمَدْرَسَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، وَالْحَبِيبُ هُوَ : الْقَائِدُ الْمُعَلِّمُ ، إِمَامُ الْمُتَّقِينَ ، وَإِمَامُ الْمَجَاهِدِينَ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ .

- * ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عاشوا حياتهم مُوحِّدين مِنْ أَجْلِ الْجِهَادِ ،
وَمُجَاهِدِينَ مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ .
 - * ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ بَيْنَ صَلِيلِ السُّيُوفِ ، وَصَهِيلِ
الْخِيُولِ ، وَصِيَاكِ الْفُرْسَانِ ، وَدَوِيِّ التَّكْبِيرِ .
 - * ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا عَرَفُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ، فَنَالُوا
بَسَنَامِ الْإِسْلَامِ حَيَاةَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ يَقِينًا أَنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ
سَبَبٌ لِلذُّلِّ وَالْهَوَانِ وَالذَّنْسِ وَالْعَارِ .
 - * ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يُبَالُونَ أَوْقَعُوا عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِمْ ،
مَا دَامَ جِهَادُهُمْ خَالِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ نَيْلُ الشَّهَادَةِ .
 - * ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَرَصُوا عَلَى طَلَبِ الشَّهَادَةِ وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ نَيْلُ الشَّهَادَةِ .
 - * ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ أَعْظَمَ أَمَانِيهِمْ أَنْ يَمُوتُوا شُهَدَاءَ فَوْقَ أَرْضِ
مَعْرَكَةٍ مَجِيدَةٍ مِنْ مَعَارِكِ الْإِسْلَامِ شَوْقًا لِلشَّهَادَةِ ، شَوْقُهُمْ إِلَى بَذْلِ أَرْوَاحِهِمْ رَخِيصَةً
فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
 - * ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَشْهَدْ التَّارِيخُ رَجُلًا عَقَدُوا عَزْمَهُمْ وَنَوَايَاهُمْ
عَلَى غَايَةِ تَنَاهِتِ فِي الْعِظَمَةِ وَالشُّمُوءِ وَالْبَذْلِ ثُمَّ نَذَرُوا حَيَاتَهُمْ عَلَى نَسَقِ تَنَاهِى فِي
الْجَسَارَةِ وَالتَّضَحِّيَةِ وَالْبَذْلِ ، كَمَا شَهِدَ قَادَةُ الْجِهَادِ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي الْقُرُونِ الْخَيْرِيَّةِ ،
لَقَدْ جَاؤُوا الْحَيَاةَ فِي أَوَانِهِمُ الْمُرْتَقِبِ ، وَيَوْمِهِمُ الْمَوْعُودِ .
 - * ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَزَمُوا الْفُرْسَ بِأَرْضِ فَارِسَ ، وَالرُّومَ بِأَرْضِ
الرُّومِ ، وَأَدَبُوا الطَّوَاغِيتَ ، وَرَفَعُوا رَايَاتِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، بَطُولًا لَتَهُمْ سَجَلُهَا
التَّارِيخُ فِي سَطُورِ أَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ
- عَلَى تَرَانِيمِ تَكْبِيرَاتِنَا سَقَطَتْ رَا
يَا تُكْسِرُ وَيَذَاقُ الْمَوْتَ سَاسَانُ

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** تَمَنَّوْا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ نَبِيَّهُمْ وَقَائِدَهُمْ وَمُعَلِّمَهُمْ **ﷺ** تَمَنَّاها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ يَقُولُ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلَ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلَ» (١) .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** :

هُمُ الرِّجَالُ وَعَيْبُ أَنْ يُقَالَ
لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي زِيهِمْ رَجُلٌ
أَسْوَدُ غَابٍ وَلَكِنْ لَا تُثُوبُ لَهُمْ
إِلَّا الْأَسِنَّةُ وَالْهِنْدِيَّةُ الْقُضْبُ

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كُلُّهُمْ شُجْعَانٌ أَبْطَالُ أَفْذَاذُ ، هُمُ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَقَطَعُوا أَسْبَابَ التَّعَلُّقِ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَكَانَ الْاِقْتِحَامُ ، وَكَانَتِ الشَّهَادَةُ ، وَكَانَ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ الَّذِينَ أَقَامَهُمُ اللَّهُ لِهَذَا الدِّينِ قَادَةً وَفُرْسَانًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبَعْدَهُ بِالسَّيْفِ وَالسَّهْمِ وَالسِّنَانِ ، وَتَتَصَاوَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَيَادِينِ السَّبَاقِ تَصَاوُلُ الْأَفْرَانِ ، وَتُبْدَلُ فِي نُصْرَتِهِ مِنْ نَفْسِهَا وَأَمْوَالِهَا نَفَائِسُ الْأَثْمَانِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** طَلَبُوا الْمَعَالِي وَالْأَمْجَادَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، وَسَالَتْ دِمَاؤُهُمُ الزَّكِيَّةَ طَلَبًا لِلشَّهَادَةِ وَشَوْقًا إِلَيْهَا ، حَتَّى يَنْعَمُوا بِجَوَارِ الرَّحْمَنِ ، أَعَالِي الْعُرْفِ وَفَرَادِيسِ الْجَنَّةِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** كَانُوا بِحَقِّ سَادَاتِ الْمُجَاهِدِينَ الصَّادِقِينَ ، الْأَبْرَارِ الْمُخْلِصِينَ ، الْفَاتِحِينَ ، دَمَدَمُوا عَلَى إِمْبَرَاطُورِيَّاتِ الشَّرِكِ الْوَثْنِيَّةِ ، وَحَوَّلُوهَا

إِلَى كَثِيبٍ سَهِيلٍ ، يَقُولُ قَائِلُهُمْ : « إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الْآخِرَةِ ، وَمِنْ ظُلْمِ الْكُفَّانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ » (١) .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ قُدَوْتُنَا فِي دِينِنَا ، وَهُمْ حَمَلَةُ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ وَالسُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، الَّذِينَ حَمَلُوا عَنْهُمْ أَمَانَاتِهِمْ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْنَا ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ هَذِهِ الْأَمَانَاتِ عَلَى أَمْثَالِنَا أَنْ نَدْرَأَ عَنْ سِيرَتِهِمْ كُلَّ مَا أُلْصِقَ بِهِمْ مِنْ إِفْكٍ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا حَتَّى تَكُونَ صُورَتِهِمْ الَّتِي تُعْرَضُ عَلَى أَنْظَارِ النَّاسِ هِيَ الصُّورَةُ النَّقِيَّةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، فَحُسِّنَ الْاِقْتِدَاءُ بِهِمْ وَتَطْمَئِنُّ النُّفُوسُ إِلَى الْخَيْرِ الَّذِي سَاقَهُ اللَّهُ لِلْبَشَرِ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَالطَّعْنُ فِيهِمْ طَعْنٌ فِي الدِّينِ الَّذِينَ هُمْ وَرَاءَهُ ، وَتَشْوِيهِ سِيرَتِهِمْ لِلْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلُوهَا وَتَشْكِيكٌ فِي جَمِيعِ الْأُسُسِ الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا كِيَانُ التَّشْرِيعِ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ (٢) .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** زَادَهُمُ التَّقْوَى ، وَشَعَارُهُمُ الْجِهَادُ ، وَحَصْنُهُمُ الْإِيمَانُ ، وَخُلُقُهُمُ الْقُرْآنُ ، وَقُدَوْتُهُمْ سَيِّدُ الْأَنَامِ ﷺ ، وَأُمِّيَّتُهُمُ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ الَّذِينَ مَلَأُوا الْأَعْيْنَ قَدْرًا وَجَلَالًا ، وَالنُّفُوسَ تَقْدِيرًا وَاجْتِلَالًا ، وَالْقُلُوبَ أُسُوءَةً وَمِثَالًا ، حَيَّا اللَّهُ دِينًا أَنْجَبَكُمْ ، وَرَسُولًا عَلَّمَكُمْ ، وَأُمًّا وَلَدَتْكُمْ ، وَاللَّهُ مَا عَقَمَتْ أُمَّةٌ وَلَدَتْ أَمْثَالَكُمْ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ لَقَدْ أَعْتَبْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، نَدَعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْمَعَنَا بِكُمْ وَمَعَكُمْ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ وَحُبِّهِمُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، كَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِمُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ﷺ ، وَيَرَوْنَ السَّعَادَةَ فِي فِدَاءِ نَفْسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

(١) من مقولة للصحابي الجليل ربي بن عامر **رضي الله عنه** قالها لرستم قائد الفرس قبل معركة القادسية .

ينظر : « تاريخ الطبري » (٥٢٠ / ٣) ، « البداية والنهاية » (٦٢٢ / ٩) .

(٢) أبو بكر بن العربي ، « العواصم من القواصم » ، ص : ٤٩ .

دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَحَرِّصُوا أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى صُحْبَتِهِ ، وَاخْتَارِهِمْ صُحْبَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَفَرَّحَهُمْ بِمُرافَقَتِهِ ، وَخَشِيتَهُمْ عَلَى فِرَاقِهِ ، وَبُكَائِهِمْ عَلَى فِرَاقِهِ ﷺ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يُسَارِعُونَ إِلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَإِنَّهُمْ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمُ الْغَالِيَةَ رَخِيصَةً ، نُصْرَةً لِسُنَّتِهِ وَذَبًّا عَنِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُدْرِكُونَ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ أَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْأَسَاسِ فِي الْحُبِّ أَنْ يَكُونَ هَوَى الْمُحِبِّ تَابِعًا لِأَمْرِ الْحَبِيبِ ، لِأَنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ ، إِنَّهُ يَسْعَى إِلَى فِعْلِ مَا يُحِبُّهُ حَبِيبُهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَبْغُضُهُ ، وَيَجِدُ فِي ذَلِكَ حَلَاوَةً وَلَذَّةً لَا تُوصَفَانِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ الْحَبِيبَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ ، وَالْقَائِدَ الْقُدْوَةَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزَكَى التَّسْلِيمِ يَحْرِصُ أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَيُسَارِعُ إِلَى تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ ، وَيُبَادِرُ إِلَى اجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى اتِّبَاعِهِ الْمُتَابِعَةِ الْحَقِيقَةِ الشَّامِلَةِ ، وَالتَّائِسِي بِهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ ، فِي جِهَادِهِ ، وَأَقْوَالِهِ ، وَأَفْعَالِهِ ، وَفِي صَبْرِهِ ، وَمُصَابَرَتِهِ ، وَمُرابَطَتِهِ ، وَفِي جَمِيعِ شُؤْنِهِ ﷺ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ شَتَمَهُمْ وَطَعَنَ فِيهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ مُلْحِدٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، دَوَّاهُ السَّيْفِ إِنْ لَمْ يَتُبْ ، عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ .

* ﷺ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَبَّهَمْ فَهُوَ زَنْدِيقٌ بَاطِنِيٌّ مَجُوسِيٌّ ، رَافِضِيٌّ حَيْثُ ، مَرَضَ قَلْبُهُ ، وَزَاغَ بَصَرُهُ ، وَتَلَاَعَبَتْ بِهِ إِخْوَانُهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** السَّبُّ والطَّعنُ فِيهِمْ تكذيبٌ لِمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ الرِّضَا عَنْهُمْ والثناءِ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ الْحَاصِلِ مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ ، والأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِهِمْ هِيَ قَطْعِيَّةُ الثُّبُوتِ ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا هُوَ قَطْعِيٌّ الثُّبُوتِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** الطَّعنُ فِيهِمْ إِنَّمَا هُوَ طَعْنٌ فِي حِكْمَتِهِ تَعَالَى ، وَطَعْنٌ فِي الرَّسُولِ ﷺ ، وَطَعْنٌ فِي الدِّينِ نَفْسِهِ ، وَكَمَا هُوَ ثَابِتٌ مُقَرَّرٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ : «الطَّعنُ فِي النَّاقِلِ طَعْنٌ فِي الْمَنْقُولِ» ، وَهَذَا بِلاَ شَكٍّ كُفْرٌ بِالْإِجْمَاعِ ، وَهَذَا هُوَ الْهَدَفُ الْحَقِيقِيُّ لِهَؤُلَاءِ الزَّنادِقَةِ الْبَاطِنِيَّةِ الصَّفَوِيَّةِ فِي طَعْنِهِمْ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** السَّبُّ والطَّعنُ فِيهِمْ إِذَاءٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، لَأَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ وَخَاصَّتُهُ ، وَالطَّعنُ فِيهِمْ يُؤْذِيهِ وَلَا شَكَّ ، وَأَذْيَةُ الرَّسُولِ ﷺ كُفْرٌ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** مَنْ أَحَبَّهُمْ ، وَتَوَلَّاهُمْ ، وَدَعَا لَهُمْ ، وَرَعَى حَقَّهُمْ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُمْ ، فَازَ فِي الْفَائِزِينَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ ، وَنَسَبَ إِلَيْهِمْ مَا نَسَبَهُ الرِّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، فَقَدْ هَلَكَ فِي الْهَالِكِينَ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** حَقُّهُمْ عَلَيْنَا : حُبُّهُمْ وَالتَّرَضِّي عَنْهُمْ ، وَاعْتِقَادُ عَدَالَتِهِمْ ، وَالشَّهَادَةُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَالاعْتِرَافُ بِسَابِقَتِهِمْ ، وَالْحِرْصُ عَلَى نَشْرِ فَضَائِلِهِمْ وَجِهَادِهِمْ ، وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وَنَجْعُهُمْ قُدُوةً تَتَّخِذُ فِي حَيَاتِنَا ، وَأَنْ نَدْرَأَ عَنْ سِيرَتِهِمْ كُلَّ مَا أُلْصِقَ بِهِمْ مِنْ إِفْكٍ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ، فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ حُسْرُنَا مَعَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَأَفْضَلُ تَابِعٍ لْخَيْرِ مَبْتُوعٍ ، وَهُمْ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ بِالسِّنَانِ وَالْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ . وَلَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ الْبَشَرِيُّ تَارِيحًا أَعْظَمَ مِنْ تَارِيحِهِمْ ، وَلَا رِجَالًا دُونَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلَ مِنْهُمْ وَلَا أَشْجَعَ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ أَساسُ الْمُجْتَمَعِ ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِـ «السَّابِقِينَ» .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** هُمُ أَفْضَلُ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛ فَأَدْنَاهُمْ صُحْبَةً هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةٍ أَحَدِنَا دَهْرُهُ كُلُّهُ .

* **صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ أَفْضَلِ رُسُلِهِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي أَفْضَلِ كُتُبِهِ ؛ فَكُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِيهَا مَدِيحٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، الْمَقْصُودُ بِهَا أَوَّلًا الصَّحَابَةُ **ﷺ** ، ثُمَّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ .

لِذَلِكَ كَانَ مِنْ أَسْسِ وَصْلِبِ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ : حُسْنُ الْإِعْتِقَادِ ، وَحُبُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ **ﷺ** . فَمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَمَنْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ .

فَالصَّحَابَةُ حُبُّهُمْ دِينٌ ، وَإِيمَانٌ ، وَإِحْسَانٌ . وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ ، وَنِفَاقٌ ، وَطُغْيَانٌ ^(١) .

* وَمِنْ أَصْدَقِ الْكَلِمَاتِ فِي وَصْفِ حَالِ الصَّحَابَةِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ **ﷺ** فَقَالَ : «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًّا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ **ﷺ** ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا ، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا ، وَأَحْسَنَهَا حَالًا . قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ **ﷺ** ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ» ^(٢) .

* وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ فِي الْإِصَابَةِ لِلْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ ، وَالْهَدْيِ الْمَتَّبِعِ ؛ فَهُمْ أَحَقُّ الْأُمَّةِ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، وَأَجْدَرُ الْخَلْقِ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ . وَلَوْ لَمْ

(١) ينظر «شرح العقيدة الطحاوية» . ص : ٤٦٧ .

(٢) «مسند الإمام أحمد» ١/ ٣٧٩ . «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر ، (٢/ ٩٤٧) ، «الحجة في بيان المحجة» : (٢/ ٥١٩) .

يَأْتِ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَكَانَتْ سِيرَتُهُمْ وَهَجَرَتُهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ كَافِيَةً فِي مَعْرِفَةِ قَدْرِهِمْ ، وَعِظَمِ مَنَزَلَتِهِمْ .

* قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ : «عَلَىٰ إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ لَأَوْجَبَتْ الْحَالُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنَ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ ، وَبَذْلِ الْمُهْجِ وَالْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ، وَالْمُنَاصَحَةِ فِي الدِّينِ ، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، الْقَطْعِ عَلَىٰ عَدَالَتِهِمْ ، وَالْإِعْتِقَادِ بِنَزَاهَتِهِمْ» (١) .

* وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْمُفَضَّلَةَ عَلَىٰ سَائِرِ الْأُمَمِ كَالصَّحَابَةِ الْكِرَامِ الَّذِينَ فَازُوا بِصُحْبَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ ؛ فَمُعْتَمِدُ الْقَوْلِ عَنْ أَيْمَةِ السُّنَنِ : أَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ عُذُولٌ . قَالَ تَعَالَى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (٢) . فَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مِثْلُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ فِي الْفَضْلِ ؛ بِشَاهِدِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه : «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (٣) .

* وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَغْفَلٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «يُبْلَغُ الْحَاضِرُ الْغَائِبَ : اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي !! لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ، وَمَنْ يَأْخُذَهُ اللَّهُ فَيُوشِكُ أَنْ لَا يُفْلِتَهُ» (٤) .

فَمَنْ أَحَبَّهُمْ ، وَتَوَلَّاهُمْ ، وَدَعَا لَهُمْ ، وَرَعَى حَقَّهُمْ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُمْ ، فَازَ فِي الْفَائِزِينَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّاهُمْ ، وَنَسَبَ إِلَيْهِمْ مَا نَسَبَهُ الرُّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ لَعْنَةُ اللَّهِ ، فَقَدْ هَلَكَ فِي الْهَالِكِينَ .

(١) «الكفاية» : (ص ٤٩) .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ٢٩

(٣) متفق عليه ، «صحيح البخاري» : (١٣٤٣/٣) ، (٣٤٧٠) ، «صحيح مسلم» : (١٩٦٧/٤) ، (٢٥٤١) .

(٤) «المسند» : (٥٤/٥) ، (٢٠٥٨٦) .

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (١) كَلَامًا نَفِيسًا فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

هَذَا الْحَدِيثُ وَأَمْثَالُهُ بَيَانُ حَالَةِ مَنْ جَعَلَهُمْ غَرَضًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَبَّهِمْ وَافْتَرَى عَلَيْهِمْ وَعَابَهُمْ وَكَفَّرَهُمْ وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمْ ، وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : «اللَّهُ ... اللَّهُ» كَلِمَةٌ تَحْذِيرٌ وَإِنْذَارٌ كَمَا يَقُولُ الْمُحَذَّرُ : «النَّارَ ... النَّارَ» ، وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : «لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي» أَيِ لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا لِلْسَّبِّ وَالطَّعْنِ ، كَمَا يُقَالُ : «اتَّخَذَ فُلَانًا غَرَضًا لِسَبِّهِ» أَيِ هَدَفًا لِلْسَّبِّ ، وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : «فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبُحِبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ» ، فَهَذَا مِنْ أَجْلِ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ لِأَنَّ مُحَبَّةَ الصَّحَابَةِ لَكُونِهِمْ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَنَصَرُوهُ وَأَمَّنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوهُ وَوَأَسَّوْهُ بِالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَإِنَّمَا أَحَبَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فَحُبُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْوَانُ مُحَبَّتِهِ ، وَبُغْضُهُمْ عَنْوَانُ بُغْضِهِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : «حُبُّ الْأَنْصَارِ مِنَ الْإِيمَانِ وَبُغْضُهُمْ مِنَ النِّفَاقِ» ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِسَابِقَتِهِمْ وَمُجَاهَدَتِهِمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَذَلِكَ حُبُّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَبُغْضُهُ مِنَ النِّفَاقِ .

وَأِنَّمَا تُعْرَفُ فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي تَدَبُّرِ أَحْوَالِهِمْ وَسِيرِهِمْ وَأَثَارِهِمْ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَعْدَ مَوْتِهِ مِنَ الْمُسَابَقَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْمُجَاهَدَةِ لِلْكَفَّارِ ، وَنَشْرِ الدِّينِ ، وَإِظْهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَعْلِيمِ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ، وَلَوْلَاهُمْ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الدِّينِ أَصْلٌ وَلَا فَرْعٌ ، وَلَا عَلِمْنَا مِنَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ سُنَّةً وَلَا فَرَضًا ، وَلَا عَلِمْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ شَيْئًا .

الفصل الأول

شَجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ

وَشَجَاعَةُ أَصْحَابِهِ ﷺ

تَمْهِيدٌ :

المَبْحَثُ الأوَّلُ : شَجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ

المَبْحَثُ الثَّانِي : شَجَاعَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : شَجَاعَةُ الْفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : شَجَاعَةُ ذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ﷺ

المَبْحَثُ الْخَامِسُ : شَجَاعَةُ فَارِسِ الْفُرسَانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ

تمهيد

كَانَ الْمَوْرُوثُ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ ، فَكَذَلِكَ كَانَ وَارِثُهُ وَخَلِيفَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَشْجَعَ الْأُمَّةِ بِالْقِيَاسِ ، وَيَكْفِي أَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ سَهَّمُ مِنْ كِنَانَتِهِ ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ﷺ سِلَاحٌ مِنْ أَسْلِحَتِهِ ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ أَهْلُ بَيْعَتِهِ وَشُوكَّتِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ أَنَّهُ يَسْتَمِدُّ مِنْ ثَبَاتِهِ وَشَجَاعَتِهِ . (١)

شَجَاعَةُ الصَّحَابَةِ ﷺ شَجَاعَةُ فِطْرِيَّةٍ وَصَرَاحَتُهُمْ صَرَاحَةُ طَبِيعِيَّةٍ ؛ نَشَأُوا عَلَيْهَا مِنْذُ حَدَاتِهِمْ وَطُعُوا عَلَيْهَا بِفِطْرَتِهِمْ وَبَيْتَتِهِمْ ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ فَحَرَّرَ فِيهِمْ هَذَا الْخُلُقَ الْفَاضِلَ وَزَادَهُمْ مِنْهُ وَبَنَى حَضَارَتَهُ الصَّحِيحَةَ وَمَدِينَتَهُ الطَّاهِرَةَ .

لَقَدْ كَانَ حُبُّ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَخْصَصِ خِصَائِصِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ بَلْ كَانَ دَيْدَنًا وَمَنْهَجًا ثَابِتًا فِي حَيَاتِهِمْ مِنْذُ نُعُومَةِ أَطَافِرِهِمْ .

عَلِمَ الصَّحَابَةُ أَنَّ لِلْجِهَادِ فَضْلًا لَا يُضَاهَى وَلَا يَتَنَاهَى وَأَيَقِنُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ وَأَنَّ الرِّيَّ الْأَعْظَمَ فِي شُرْبِ كُؤُوسِ الْحُتُوفِ فَشَمَّرُوا لِلْجِهَادِ عَنْ سَاقِ الْاجْتِهَادِ وَنَفَرُوا إِلَى دَوِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ مِنْ شَتَّى أَصْنَافِ الْعِبَادِ وَجَهَّزُوا الْجُيُوشَ وَالسَّرَايَا وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْعَطَايَا ، وَأَقْرَضُوا الْأَمْوَالَ لِمَنْ يُضَاعِفُهَا وَيُزَكِّيْهَا وَدَفَعُوا سِلَاحَ النَّفُوسِ مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ لِمُشْتَرِيهَا وَضَرَبُوا الْكَافِرِينَ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاسْتَعَذَّبُوا مِنَ الْمَنِيَّةِ مُرَّ الْمَذَاقِ وَبَاعُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَّةَ بِالْعَيْشِ الْبَاقِي وَنَشَرُوا أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ فِي الْآفَاقِ .

* مَا أَرَوَعَ مَا قَالَهُ سَيْفُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ﷺ ، مُبَيِّنًا حُبَّ الصَّحَابَةِ لِلْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَيْثُ قَالَ مُحَاطِبًا الْفُرْسَ : « قَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ » .

(١) «الفروسيَّة» ، ابن القيم (١/٥٠٢) .

* وَقَالَ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «نَحْنُ أُمَّةٌ لَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا» ، فَمَالِي أَرَى الْفُرْشَ قَدْ كَثُرَ عَلَيْهَا الْأَمْوَاتُ ؟ !! .

* وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِلْيَهُودِ : «وَاللَّهِ لَنَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَوْ لَنَفْتَحَنَّ عَلَيْهِمْ حِصْنَهُمْ» .

* وَهَذَا عِبَادَةُ بَنِي الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُخَاطَبُ الْمُقَوِّسَ عَظِيمَ مِصْرَ ، مُوضِحًا اشْتِيَاقَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «وَمَا مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ ، وَأَلَّا يَرُدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ وَلَا إِلَى أَرْضِهِ وَلَا إِلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا هَمٌّ فِي مَا خَلَفَهُ ، وَقَدْ اسْتَوَدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا رَبَّهُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ ، وَإِنَّمَا هَمُّنَا مَا أَمَانَا» (١) .

* وَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الْمَجْدَعُ فِي اللَّهِ دَعَا يَوْمَ أُحُدٍ فِي قَلْبِ الْمَعْرَكَةِ بِكَلِمَاتٍ تَبْقَى خَالِدَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ : «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدَ حَرْدِهِ ، شَدِيدَ بَأْسِهِ ، أَقَاتِلُهُ فِيكَ وَيَقْتُلْنِي ، ثُمَّ يَأْخُذْنِي فَيَجِدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي ، فَإِذَا لَقَيْتَكَ غَدًا قُلْتَ : مَنْ جَدَعُ أَنْفِكَ وَأُذُنَكَ ؟ ، فَأَقُولُ : فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ ﷺ ، فَتَقُولُ : صَدَقْتَ» ، قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا بُنَيَّ كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ وَأَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقَانِ» (٢) .

* وَهَذَا حِرَامُ بْنُ مَلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَعِنَ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ يُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى أَنْفَذَهُ الرُّمْحُ ، وَبَقِيَتْ لَدَيْهِ فُرْصَةٌ لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا يَدُورُ فِي نَفْسِهِ مِنْ غِبْطَةٍ بِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، فَقَامَ يَنْضَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَجَسَدِهِ ، وَيَقُولُ : «اللَّهُ أَكْبَرُ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !!» (٣) ، فَهَزَّ الْمَوْقِفُ قَاتِلَهُ ، فَأَسْلَمَ وَحَالَهُ : وَرَبَّ الْكَعْبَةِ إِنَّهُ لِلْفَوْزُ !!

(١) «فتوح مصر وأخبارها» ، ص (٥٤) .

(٢) «الإصابة» (٤٦/٤) ، «أسد الغابة» (١٣١/٣) ، «جوامع السيرة» ، ص (١٦٧) .

(٣) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٢٨٠١) ، «صحيح مسلم» (٥٠٢٦) ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

لِلَّهِ دَرُّهُمْ ، وَحَيَّا اللَّهَ دِينًا أَنْجَبَهُمْ ، وَرَسُولًا عَلَّمَهُمْ وَأَدَّبَهُمْ .

بَعْضُ النَّمَاذِجِ الرَّائِعَةِ لَصُغَارِ الصَّحَابَةِ وَكَيْفَ كَانَ حُبُّهُمْ لِلْجِهَادِ وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَانَ وَاحِدُهُمْ بِأُمَّةٍ ، كَانُوا طِرَازًا فَرِيدًا مِنَ الشُّجْعَانِ الْأَفْذَادِ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ :

* مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَةِ عَشْرَةَ ، وَمُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَةِ عَشْرَةَ هَمَّهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ يَقْتُلُوا قَائِدَ الْمُشْرِكِينَ ، أَبُو جَهْلٍ ، لِأَنَّهُ يَسِبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى جَنَدَلُوهُ .

* وَفِي أَحَدٍ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسَامَةَ وَزَيْدَ الْبَرَاءِ وَابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ أُجِيزُوا فِي الْخَنْدَقِ وَهُمْ أَبْنَاءُ خَمْسَةِ عَشْرَةَ .

* زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ التَّاسِعَةِ ، وَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ مَهَاجِرًا وَهُوَ فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ ، كَتَبَ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ فِي عَهْدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، يَتَوَارَى فِي يَوْمِ بَدْرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، خَشِيَ أَنْ يُسْتَصْعَرَ وَيُرَدَّ ، وَرَدَّهُ لِصِغَرِهِ فَبَكَى ، فَأَجَازَهُ لِيُكْرِِمَهُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ وَهُوَ ابْنُ سِتَّةِ عَشْرَةَ .

* الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، أَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ لِلَّهِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ حَوَارِيُّ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ عَشْرَةَ .

* طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَكْرَمَ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَفِي غَزْوَةِ أَحَدٍ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَوْتِ وَحِمَاةٍ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَاتَّقَى عَنْهُ النَّبَلُ بِيَدِهِ حَتَّى شَلَّتْ يَدَهُ ، وَوَقَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ عَشْرَةَ .

* أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، قَادَ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ وَجُودِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ لِيُوَاجِهَ أَعْظَمَ جِيُوشِ الْأَرْضِ حِينَهَا ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ عَشْرَةَ .

* الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ ، جعل بيته مقراً للرَّسُولِ ﷺ ، والإسلام ، ثلاثة عشرة سنة متتابعة وهو ابن ستة عشرة .

* عُتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ ، وَلَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وهو في السَّابِعَةِ عَشْرَةَ .

* عَمْرُو بْنُ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ ، استعمله رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وهو في السَّابِعَةِ عَشْرَةَ .

* ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَتَى الْكُھُولِ ، تُرْجِمَانُ الْقُرْآنِ ، وَحَبْرُ الْأُمَّةِ ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وهو ابن ثلاثة عشرة سنة ، وقد جمع المَفْصَلُ كُلَّهُ .

هَؤُلَاءِ غِيضٌ مِنْ فَيْضٍ ، وَاللَّهُ مَا عَقِمَتْ أُمَّةٌ وَلَدَتْ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الْأَفْذَاذِ الْأَبْطَالِ ، هَؤُلَاءِ تَخْرُجُوا مِنْ مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ ، هِيَ الْمَدْرَسَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، مُعَلِّمُهُمْ وَمُرَبِّيهِمْ ، هُوَ الْقَائِدُ الْقُدُوءُ ، إِمَامُ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ .

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (١) : «فَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ عَذَّبَهُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً بِالذُّلِّ وَغَيْرِهِ ، وَنَزَعَ الْأَمْرَ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ لْغَيْرِهِ ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ لِمَنْ ذَبَّ عَنْهُ» .

وفي الحديثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفٍ مِنْ قِلَّةٍ وَقِتَالٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (٢) .

وأضاف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في هَذَا الْمَقَامِ كَلَاماً نَفِيساً مُوَضَّحاً أَهْمِيَّةَ الْجِهَادِ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ : «وَمَتَى جَاهَدَتِ الْأُمَّةُ عَدُوَّهَا أَلْفَ اللَّهِ بَيْنَ قُلُوبِهَا ، وَإِنْ تَرَكْتَ الْجِهَادَ شَغَلَ بَعْضُهَا بَعْضًا» .

(١) «جامع الرسائل والمسائل» ، (٥/ ٣٠٠) .

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٩٩) ، «سنن أبي داود» (٢١١١) ، «سنن الترمذي» (١٥٥٥) ، وصححه «ابن خزيمة» (٢٩٤) ، وصححه «ابن حبان» (٤٧١٧) ، والحاكم في مستدركه على شرط الشيخين .

فَدِينُ الْإِسْلَامِ قَامَ بِالْكِتَابِ الْهَادِي وَنَفَذَهُ السَّيْفُ الْمَاضِي . وَلَنْ يَقُومَ الدِّينُ إِلَّا
بِالْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَدِيدِ ، كِتَابٌ يُهْدَى بِهِ ، وَحَدِيدٌ يَنْصُرُهُ .
قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «إِعْلَمُوا أَنَّ الْجِهَادَ فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَفِي تَرْكِهِ خَسَارَةٌ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (١) .

«وَالْمُقَامُ بِالتُّغُورِ لِلْجِهَادِ أَفْضَلُ مِنْ سَكَنِ الْحَرَمَيْنِ ، بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ» (٢) .
وَسَنَوْضِحُ لَاحِقًا فَضْلَ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي الْإِسْلَامِ .

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/١٥٢) .

(٢) يُنْظَرُ : «مجموع الفتاوى» ، و «جامع الرسائل» .

المَبَحْثُ الأوَّل

شَجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَائِدَ الصَّحَابَةِ ﷺ فِي الشَّجَاعَةِ ، وَقُدُوتِهِمْ ، وَرَائِدَهُمِ الأوَّلَ فِي ذَلِكَ ؛ بَلْ كَانَ ذَلِكَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؛ إِنَّهُ خَيْرٌ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى ﷺ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدًا لِلْمُجَاهِدِينَ ، وَقَائِدًا لِلْغُرِّ الْمِيَامِينَ ، كَانَ ﷺ أَعْلَى الْبَشَرِ هِمَّةً عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَكَانَ أَشَجَعَ النَّاسِ ، وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا ، وَأَثْبَتَهُمْ جَنَانًا . كَانَ شُجَاعًا أَشَجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْحَقِّ فِي الشَّدَّةِ . وَقَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ الْمَشْهُورَةَ ، الَّتِي فَرَّ الْكِبَاءُ وَالْأَبْطَالُ عَنْ غَيْرِ مَرَّةٍ ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ ، وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَرَحَّزُحُ ، وَمَا مِنْ شُجَاعٍ إِلَّا وَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُ فَرَّةٌ أَوْ فِتْرَةٌ سِوَاهُ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَفِرَّ قَطُّ ، وَحَاشَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ حَاشَاهُ . قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

كَانَ ﷺ أَشَجَعَ النَّاسِ ، خَاضَ غِمَارَ الْحُرُوبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ ؛ حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ وَكَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ .

مَا وَقَعَتْ هَيْعَةٌ أَوْ صَيْحَةٌ أَوْ فَرَعٌ إِلَّا تَقَلَّدَ السَّيْفَ فِي عُنُقِهِ ، وَبَادَرَ ظَهَرَ الْفَرَسِ يَسْبِقُ إِلَى الْعَدُوِّ وَيَسْتَبْرِئُ الْخَبَرَ وَيُطْمَئِنُّ أَصْحَابَهُ بِشِعَارِهِ : «لَنْ تُرَاعُوا .. لَنْ تُرَاعُوا» (٣) .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .

(٣) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٦٠٣٣) ، «صحيح مسلم» (٢٣٠٧) .

* كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ كُلُّهَا جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ بَلْ كَانَتْ أُمْنِيَّتُهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ أَنْ مَنَزَلَتْهُ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَوْلُهُ ﷺ : «وَلَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ وَلَوْدِدْتُ أَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ» (١) .

* هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، وَاللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ ، وَالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى ، وَصَاحِبِ أَعْلَى مَنَزَلَةٍ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى فِي الْجَنَّةِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، حُبًّا فِي كَرَامَةِ الشُّهَدَاءِ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» : قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : «هَذَا الْحَدِيثُ أَجَلُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الشُّهَدَاءِ» .

* كَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ قَائِدُ أَصْحَابِهِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْغَزَوَاتِ ، وَهِيَ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً ، نَشَبَ الْقِتَالُ فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ مِنْهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْدَائِهِمْ ، وَحَقَّقَتْ تِسْعُ عَشْرَةَ غَزْوَةً مِنْ غَزَوَاتِهِ ﷺ أَهْدَاهَا الْمَرْسُومَةُ بِدُونِ قِتَالٍ .

وَاسْتَعْرَقَ جِهَادُ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ كَافَّةً سَبْعَ سِنِينَ مِنْ سِنِي مَا بَعْدَ الْهَجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ . فَقَدْ خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ (وَدَّانَ) - وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ قَادَهَا النَّبِيُّ ﷺ - فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ (تَبُوكَ) وَهِيَ آخِرُ غَزَوَاتِهِ ﷺ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ .

وَلَكِنَّ جِهَادَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الْغَزَوَاتِ فَحَسْبَ ؛ بَلْ شَمِلَ الْغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا أَيْضًا .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْغَزْوَةِ وَالسَّرِيَّةِ ؛ هُوَ : أَنَّ الْغَزْوَةَ تَكُونُ بِقِيَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالسَّرِيَّةُ تَكُونُ بِقِيَادَةِ أَحَدِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* وَكَانَ عَدْدُ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً ، وَقَدْ اسْتَعْرَقَ بَعَثُ هَذِهِ السَّرَايَا تِسْعَ سِنِينَ . وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ أَوْ يُرْسِلُ سَرِيَّةً كُلَّ شَهْرَيْنِ أَوْ أَقَلَّ .

وَكَانَتْ أَوَّلُ سَرِيَّةٍ هِيَ سَرِيَّةُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ (الْعِيص) فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى الْهَجْرِيَّةِ .

وَكَانَتْ آخِرُ سَرِيَّةٍ هِيَ سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِلَى بِلَادِ (مُذَحِج) فِي الْيَمَنِ ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ الْهَجْرِيَّةِ .

وَكَانَ مِنْ بَعْضِ ثَمَرَاتِ جِهَادِ سَبْعِ سِنِينَ فِي الْغَزَوَاتِ وَتِسْعِ سِنِينَ فِي السَّرَايَا : تَوْحِيدُ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَوَّلَ مَرَّةٍ فِي التَّارِيخِ تَحْتَ لُؤَاءِ الْإِسْلَامِ .

* وَكَانَ عَدْدُ قَادَةِ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ قَائِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ ، قَادُوا سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ مَنْ قَادَ سَرِيَّةً وَاحِدَةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَادَ أَكْثَرَ مِنْ سَرِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ عُمُرِ الزَّمَنِ ^(١) .

* كَانَ ﷺ شَجَاعًا أَشْجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشَدَّ فِي الْحَقِّ مِنَ الشَّدَةِ . شَجَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَتَنَاقَلُهَا الْأَخْبَارُ ، وَسَارَتْ مَسِيرَةَ الشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ ؛ حَدَّثَ عَنْهَا وَلَا حَرَجَ ! هِيَ بِمَكَانٍ لَا يُجْهَلُ ، وَمَنْزِلَةٌ لَا تُدْفَعُ . وَحَسْبُهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَّهُ أَبُو الشُّجْعَانِ ، وَصَانِعُهُمْ عَلَى عَيْنِهِ .

* وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ ، مَا شَهِدَتْ الْغُبَرَاءُ أَشْجَعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَثْبَتَ مِنْهُ قَلْبًا . كَانَ طَوْدًا لَا يَتَزَعَرُّ ، شَاخًا لَا يَتَزَلْزَلُ ، لَا تُرْهِبُهُ الْأَزْمَاتُ ، وَلَا تَهْزُهُ الْحَوَادِثُ وَالْمَلَمَّاتُ .

(١) «جيش النبي ﷺ» ، اللواء الركن / محمود شيت خطاب رَحِمَهُ اللَّهُ .

يَجْتَمِعُونَ عَلَى حَرْبِهِ ، وَيُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْوُقُوفِ فِي وَجْهِهِ ، وَعَدَمِ التَّقْصِيرِ فِي عِدَاوَتِهِ ، وَيَتَطَاوَلُونَ عَلَيْهِ بِالشَّخَرِيَّةِ وَهُوَ صَامِدٌ كَالْجَبَلِ الشَّاهِقِ فِي عُلْيَائِهِ ، يُقَرَّرُ أَنْ مَا جَاءَ بِهِ سَيَنْفُذُ وَلَوْ كَانَ الثَّمَنُ إِهْلَاكَ هَؤُلَاءِ الصَّنَادِيدِ . وَحَالُهُ :

إِنَّ قَوْمِي تَجَمَّعُوا ، وَيَقْتُلِي تَحَدَّثُوا لَا أَبَالِي بِجَمْعِهِمْ ؛ كُلُّ جَمْعٍ مُؤَنَّثٌ

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه : «اجتمع أشراف قريش في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ ، قالوا : «ما رأينا مثل صبرنا على هذا الرجل ؛ سفة أحلامنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا» . فبينما هم كذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم وهو يطوف بالبيت ، فغمزوه ببعض ما يقول وأشاروا بأعينهم وحواجبهم . قال ابن عمرو : «فعرفت ذلك في وجهه ؛ إذ تغير ، وظهرت عليه علامات الغضب . ثم مضى ، فغمزوه بمثلها ، ثم مضى ، فغمزوه بمثلها» . قال : «أتسمعون يا معشر قريش؟! أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح» ^(١) .

* في الصحيح : عن أنس رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس . ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة عري ، وفي عنقه السيف وهو يقول : «لن ترأعوا! لن ترأعوا!» ^(٢) .

وَبَتَّ رضي الله عنه يَوْمَ أُحُدٍ ، وَرَكِبَ أَبِي بْنُ خَلْفٍ فَرَسَهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَقْتُلَهُ ، وَاعْتَرَضَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُخْلَوْا عَنْهُ . وَتَنَاولَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَرْبَةَ ، وَطَعَنَ أَبِي بْنُ خَلْفٍ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً أَسْقَطَتْهَا عَنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ ،

(١) «صحيح السيرة» ، الألباني (ص : ١٤٨) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٦٠٣٣) ، «صحيح مسلم» (٢٣٠٧) .

فَرَجَعَ أَبِي بَنْ خَلْفٍ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَهُوَ خَائِفٌ مَدْعُورٌ ، وَهُوَ يَقُولُ : « قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ » . فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : « لَا بَأْسَ بِكَ ! وَلَا نَرَى فِيكَ شَيْئًا » . قَالَ : « لَقَدْ قَالَ لِي : « أَنَا أَقْتُلُكَ » . وَهُوَ صَادِقٌ ! وَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي ^(١) » . وَمَاتَ أَبِي بَنْ خَلْفٍ فِي الطَّرِيقِ أَثْنَاءَ عَوْدَةِ قُرَيْشٍ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ إِلَى مَكَّةَ .

وَيَوْمَ (حُنَيْنٍ) اخْتَلَّ نِظَامُ جَيْشِهِ ، وَانْفَضَّ عَنْهُ مُعَظَّمُهُ ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي الْمِيدَانِ لَا يَبْرَحُ ؛ مُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ ، ظَاهِرٌ لَا يَتَوَارَى . وَكَيْفَ يَتَوَارَى عَنِ الْمَوْتِ مَنْ يُوقِنُ أَنَّ مَوْتَهُ انْتِقَالَ مِنْ حَيَاةٍ نَصَبٍ وَمَشَقَّةٍ إِلَى مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَلَذَّتْ عَيْنُهُ . يَرْكُضُ بِنِغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ ، وَيَتَرَجَّلُ عَنْهَا حِينًا ؛ فَلَا يُرَى أَحَدٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ؛ كَالسَّيْلِ فِي دَفْعَاتِهِ ، وَالسَّيْفِ فِي عَزَمَاتِهِ ، وَالْمَوْتِ فِي ثَبَاتِهِ . يُشْهَرُ نَفْسُهُ وَهُوَ هَدَفُ الْعَدُوِّ الْأَعْلَى ، وَيَزَارُ : « هَلُمُّوا إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا بْنُ عَبْدِ إِلَيَّ الْمُطْلَبُ

وَمُنَادِيهِ يُنَادِي : « يَا أَصْحَابَ السُّمَرَةِ ! يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ! » .

فَجَرَ النَّدَاءَ مَكَامِنَ الْإِبَاءِ ، وَثَابَ الْفَارُّ مِنْهُمْ وَلَبَّى ، وَأَمَّ الصَّوْتِ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَا أَنَا ذَا !

أَنَا بَعْضُ مِنْكَ وَالْكَفُّ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا تُضِيعُ الْمِعْصَمَا

وَحِمَى الْوَطِيسُ ، وَبُذِلَ النَّفِيسُ ، وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجُوهَ الْقَوْمِ بِقَبْضَةٍ مِنْ

(١) « السيرة النبوية » لابن هشام ، ص ٨٤ ، « السيرة الحلبية » غزوة أحد .

ثُرَابٍ ، قَائِلًا : « شَاهَتْ الْوُجُوهُ » ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ إِنْسَانًا مِنْهُمْ إِلَّا مُلِئَتْ عَيْنَاهُ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَنَزَلَتْ السَّكِينَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (١) ، (٢) .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخِيرَ ، وَلَا أَجْوَدَ ، وَلَا أَشَجَعَ ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (٣) .

وَحَسْبُكَ فِي شَجَاعَتِهِ ﷺ ثَبَاتُ قَلْبِهِ ، وَسُكُونُ جَأَشِهِ ، وَطَلَاقُهُ لِسَانَهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ، فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْجَلِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ .

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَجَعَ النَّاسِ ، يَحْقِرُ كُلَّ مَا يُسَمِّيهِ النَّاسُ خَطَرًا ، وَيَثْبُتُ حِينَ تُزَلْزَلُ أقدامُ الْأَبْطَالِ رَهْبًا ، مَوْقِفُهُ أَقْرَبُ مَوْقِفٍ مِنْ عَدُوِّهِ ، إِذَا اتَّقَدَّتْ حَرَّةُ الْحَرْبِ آوَى النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَاحْتَمَوْا بِظِلِّهِ . يَشْهَدُ بِذَلِكَ غُصْنٌ مِنْ دَوْحَتِهِ ، وَجُزْءٌ مِنْ لُحْمَتِهِ ، يُؤَكِّدُ الْعَيَانَ بِالْبَيَانِ ، وَيُؤَيِّدُ الْإِصْبَاحَ بِالْمَصْبَاحِ .. إِنَّهُ عَلِيُّ رضي الله عنه فَارِسُ الْفَرَسَانِ ، وَفَتَى الْفِتْيَانِ ، الْبَطْلُ الْمَقْدَامُ ، الْهُمَامُ الْهُمَامُ ، اللَّيْثُ الْكَرَّارُ ، مُفَرِّقُ كِتَابِ الْكُفَّارِ ، مِنْ رُؤْيَى فِي شَجَاعَتِهِ مَشْهُورُ الْأَخْبَارِ : « مَا أَمْسَكَ بِذِرَاعٍ عِلْجٍ إِلَّا حَارَ ، وَانْقَطَعَ نَفْسُهُ وَخَارَ » .

لَوْ عَايَنَ الْأَسَدُ الضَّرْعَامُ لِمَتَهُ مَا لِيَمِ إِنْ ظَنَّ رُعْبًا أَنَّهُ الْأَسَدُ

يَقُولُ عَلِيُّ رضي الله عنه : « وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ حَمِيَ الْبَاسُ ، وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ ، وَنَحْنُ نَلُودُ وَنَتَّقِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ، وَأَشَدُّنَا بَأْسًا ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُجَادِي بِهِ » (٤) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٤٥ .

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/٤٥) .

(٣) «سنن الدارمي» (١/٤٤) .

(٤) «صحيح مسلم» (٣/١٤٠٠ ، ١٧٧٦) .

هَذِهِ شَهَادَةٌ عَلَى ﷺ ، وَحَسْبُهُ أَنَّهُ رَسُولُ نَبِيِّ .

لَا تَسْأَلَنَّ الْقَوَافِي عَنْ شَجَاعَتِهِ إِنَّ شِئْتَ فَاسْتَنْطِقِ الْقُرْآنَ وَالصُّحُفَا

كَانَ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ ، لَمْ يَمَلَأْ صَدْرَهُ هَوْلٌ قَطُّ . فَمَنْ رَامَ شَجَاعَةَ الْمُخْتَارِ مِنْ كُلِّ الْأَخْيَارِ ، فَدُونَهُ نَزْحُ الْبِحَارِ . وَمَا هَذِهِ كُلُّهَا إِلَّا إِيْمَاضُ بَرْقٍ بِاخْتِصَارِ ^(١) .

وَسَارَ الصَّحَابَةُ وَالْقَادَةُ الشُّجْعَانُ الْأَفْذَاذُ عَلَى سُنَّتِهِ وَهَدْيِهِ فِي حُبِّهِ لِلْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُرَبِّي هَذَا الْجِيلَ تَرْبِيَّةً جِهَادِيَّةً ، وَيَحْمِيهِمْ مِنْ أَنْ يَنْعَمُوا فِي الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِي أَحَدُنَا مَرِيضُهُ مِنَ الْمَاءِ .

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ ، عَنْ أَسْلَمَ بْنِ عِمْرَانَ ، قَالَ : حَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى صَفِّ الْعَدُوِّ حَتَّى خَرَقَهُ ، وَمَعَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَقَالَ نَاسٌ : أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ . فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ : «فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهِلْزَةِ الْآيَةِ ، إِنَّمَا نَزَلَتْ فِيْنَا ، صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدْنَا مَعَهُ الْمَشَاهِدَ ، وَنَصَرْنَاهُ ، فَلَمَّا فَشَا الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ اجْتِمَاعُنَا مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ نَجِيًّا ، فَقُلْنَا : قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ حَتَّى فَشَا الْإِسْلَامُ وَكَثُرَ أَهْلُهُ ، وَكُنَّا قَدْ آثَرْنَاهُ عَلَى الْأَهْلِينَ ، وَالْأَمْوَالِ ، وَالْأَوْلَادِ . وَقَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ؛ فَتَرْجِعْ إِلَى أَهْلِنَا وَأَوْلَادِنَا ، فَتُقِيمْ فِيْهَا . فَتَزَلْ فِيْنَا : ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ^(٢) ، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ فِي الْإِقَامَةِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ ، وَتَرَكِ الْجِهَادَ ^(٣) .

(١) «قطرات البنايع» ، «إيْمَاضُ الْبَرْقِ فِي شَجَاعَةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ» ، عَلِي الْقُرْنِي (ص : ١٢٢-١٢٦) .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، الْآيَةُ : ١٩٥ .

(٣) «المستدرک علی الصحیحین» ، الْحَاكِمُ (٢/ ٢٧٥) .

الصَّحَابَةُ يُبَايِعُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْجِهَادِ أَبَدًا :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ عَنْ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ : «جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يُحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ ، وَيَقُولُونَ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُجِيبُهُمْ ، وَيَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ ^(١)

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا : كَانَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ تَقُولُ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا حَيِينَا أَبَدًا

فَأَجَابَهُمْ ﷺ :

اللَّهُمَّ لَا عِيشَ إِلَّا عِيشُ الْآخِرَةِ فَأَكْرِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ ^(٢)

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يُحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ ، فَقَالَ ﷺ :

اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ

فَأَجَابُوا :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا ^(٣)

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٣/١٠٤٣)، (٢٦٧٩). «صحيح مسلم» (١/١٧٣)، (١٢٠١).

(٢) «صحيح البخاري» مع الفتح (٦/٢٩٦١-٣٧٩٦).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٢٠١).

أَلَا إِنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَشْهَدْ رِجَالًا عَقَدُوا عَزْمَهُمْ وَنَوَايَاهُمْ عَلَى غَايَةِ تَنَاهَتْ فِي الْعِظَمَةِ
وَالشُّمُوءِ وَالبَدَلِ ، ثُمَّ نَذَرُوا حَيَاتِهِمْ عَلَى نَسَقٍ تَنَاهَى فِي الْجَسَارَةِ وَالتَّضَحِّيَةِ وَالبَدَلِ كَمَا
شَهِدَ فِي قَادَةِ الْجِهَادِ فِي الْقُرُونِ الْخَيْرِيَّةِ . لَقَدْ جَاءُوا الْحَيَاةَ فِي أَوَانِهِمِ الْمُرْتَقَبِ ، وَيَوْمِهِمِ
الْمَوْعُودِ .

أَنْجَزَ أَوْلَئِكَ الْأَبْرَارُ كُلَّ هَذَا الَّذِي أَنْجَزُوهُ فِي بَضْعِ سِنِينَ ؛ دَمَدُمُوا عَلَى إِمْبِرَاطُورِيَّاتِ
الشَّرِكِ وَالْوَنِيَّةِ ، وَحَوَّلُوهَا إِلَى كَثِيبٍ مَهِيلٍ ، يَقُولُ قَائِلُهُمْ : «إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ
شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنْ
ظُلْمِ الْكُفَّانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ» .

مَضَوْا كَيْفَ شَاءُوا بِقُرْآنِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ إِلَى مَيَادِينِ بَذَلٍ تَهْتَرُ نُضْرَةً ، وَتَتَأَلَّقُ عِظَمَةً ،
وَتَتَفَوَّقُ اقْتِدَارًا .

لَقَدْ أَقَامَ اللَّهُ لِهَذَا الدِّينِ قَادَةً وَفُرْسَانًا قَاتَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَعْدَهُ بِالسَّيْفِ
وَالسَّهْمِ وَالسِّنَانِ ، وَتَتَصَاوَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَيَادِينِ السَّبَاقِ تَصَاوُلَ الْأَقْرَانِ ، وَتَبَدَّلُ فِي
نُصْرَتِهِ مِنْ نَفُوسِهَا وَأَمْوَالِهَا نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ .

هَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ الْأَبْرَارُ الَّذِينَ صُنِعُوا عَلَى عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَرْبِيَةِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَتْ صُورُهُمْ لَا تَهْوَى مُضَاجَعَةَ أَغْمَادِهَا ، وَسِهَامُهُمْ تُحِبُّ
نُحُورَ الْأَعْدَاءِ ، وَهَمَمُهُمْ دَانَتْ لَهَا هِمَمُ الْآخَرِينَ ، وَعَزِيمَتُهُمْ قَدْ سَبَقَتْ مُرْهَفَاتِ
السُّيُوفِ . طَلَبُوا الْمَعَالِي وَالْأَنْجَادَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، وَسَالَتْ دِمَاؤُهُمُ الزَّكِيَّةُ
طَلَبًا لِلشَّهَادَةِ وَشَوْقًا إِلَيْهَا ؛ حَتَّى يَنْعَمُوا بِجَوَارِ الرَّحْمَنِ فِي أَعَالِي الْعُرْفِ وَفَرَادِيسِ
الْجَنَانِ . وَكَانَتْ حَيَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ صَلِيلِ السُّيُوفِ وَصَهِيلِ الْخِيُولِ ، وَخَفَقِ

البُؤد ، وصِيَّاحِ الْفَرَسَانِ ، ودَوِيَّ التَّكْبِيرِ . مَا عَرَفُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا ذِرْوَةَ سَنَامِ
الْإِسْلَامِ ؛ فَنَالُوا بِسَنَامِ الْإِسْلَامِ حَيَاةً ، وَأَرَوَّاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرُحٌ فِي
أَرْجَاءِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ .

الطَّالِعِينَ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ	مَوْتًا إِذَا نَشَرُوا الْجُنُودَ طَوَاهَا
الْخَائِفِينَ مِنَ الْخُطُوبِ غِمَارَهَا	الْمُضْطَلِّينَ مِنَ الْحُرُوبِ لَظَاهَا
الْبَازِلِينَ لَدَى الْفِدَاءِ نُفُوسَهُمْ	يَبْتَغُونَ عِنْدَ إِلَهِهِمْ مَحْيَاهَا
قَوْمٌ هُمْ اتَّخَذُوا الشَّهَادَةَ بُغْيَةً	لَا يَبْتَغُونَ لَدَى الْجِهَادِ سِوَاهَا
هُمْ فِي حِمَى الْإِيمَانِ أَوَّلُ صَخْرَةٍ	فَسَلِ الصُّخُورَ أَمَا عَرَفْنَ قَوَاهَا؟

فُرْسَانُ دِينِي أَنْتُمْ الْمَثَلُ الَّذِي	بَلَغَ الْمَدَى بَعْدَ الْمَدَى فَتَنَاهِي
عَلَّمْتُمْ النَّاسَ الْجِهَادَ فَأَقْبَلُوا	مِلءَ الْحَوَادِثِ يَدْفَعُونَ أَذَاهَا
أَمَّا الْفِدَاءُ فَقَدْ قَضَيْتُمْ حَقَّهُ	وَجَعَلْتُمُوهُ شَرِيعَةً نَرَضَاهَا
مَنْ رَامَ تَفْسِيرَ الْحَيَاةِ لِقَوْمِهِ	فَدَمُ الشَّهِيدِ يُبَيِّنُ عَنْ مَعْنَاهَا
مَا أَكْرَمَ الْأَبْطَالَ يَوْمَ تَفَيَّؤُوا	ظِلَّالَ الْمَنَايَا يَبْتَغُونَ جَنَاهَا

وَلَمَّا التَّحَقَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، خَلَّفَ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ قَادَةً ،
وَأَمْرَاءَ ، وَوُلَاةً ، وَقُضَاةً ، وَعُلَمَاءَ ، وَفُقَهَاءَ ، وَمُحَدِّثِينَ - قَادُوا الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ

عَسْكَرِيًّا ، وَسِيَاسِيًّا ، وَإِدَارِيًّا ، وَفِكْرِيًّا إِلَى التَّصَرُّ وَالتَّجَاحِ وَالْخَيْرِ ، وَإِلَى السُّؤْدَدِ
وَالْمَجْدِ وَالتَّوْفِيقِ ؛ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَسَبِيلِ الرَّشَادِ .

وَكَانَ أُولَئِكَ الْقَادَةُ هُمْ مِنْ خَرِيجِي مَدْرَسَةِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ .

وَأُسْلُوبُ اخْتِيَارِ الْقَادَةِ هُوَ الدَّرْسُ الْحَيَوِيُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ
فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا (قَادَةً ، وَشُعُوبًا ، وَحُكَّامًا ، وَمَحْكُومِينَ) ، أَنْ يَسْتَفِيدُوا
مِنَ الْكِفَايَاتِ وَلَا يُعْطِلُوهَا ، وَأَنْ يَضَعُوا الْإِنْسَانَ الْمُنَاسِبَ فِي الْمَوْقِعِ الْمُنَاسِبِ .

وَلَيْسَ كُلُّ حَاكِمٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ الْكِفَاءَاتِ وَيَسْتَقْطِبَهَا ، وَيَضَعَهَا فِي الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ . وَلَقَدْ
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قِمَّةَ الْقِمَمِ نَسِيَانًا لِدَاثِهِ ، وَتَفَكِيرًا فِي صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِخْلَاصًا لِمَصَالِحِهِمْ
الْعُلْيَا ؛ لَذَلِكَ خَرَجَ فِي مَدْرَسَتِهِ الْقِمَمِ مِنْ جَمِيعِ الْكِفَاءَاتِ لِمُخْتَلَفِ الْمَنَاصِبِ وَالْوَاجِبَاتِ .

لَقَدْ اخْتُصَّ الرَّسُولُ ﷺ بِصَحَابَةٍ يَتِمَّتَعُونَ بِكِفَاءَاتٍ قِيَادِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ . وَأَقْوَى الْأَدِلَّةِ
عَلَى هَذَا : تِلْكَ الْإِنْتِصَارَاتِ الْبَاهِرَةِ عَلَى أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَفَوِّقِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَدَدًا
وَعُدَّةً ؛ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ خَاضُوهَا .

وَكَانَتْ الشَّجَاعَةُ الْفَائِقَةُ هِيَ الْقَاسِمُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَ مَزَايَا قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ إِحْدَى
الْمَزَايَا الْوَاجِبُ تَوْفُّرُهَا فِي الْكِفَاءَةِ الْقِيَادِيَّةِ .

* وَالدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى الشَّجَاعَةِ الْفَائِقَةِ لِقَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ : حَقِيقَةُ فَرِيدَةٍ ، مَا جَاءَ
التَّارِيخُ بِهَا أَبَدًا إِلَّا لَهْؤَلَاءِ الْقَادَةِ ؛ قَادَةُ الْجَيْلِ الْقُرْآنِيِّ الْفَرِيدِ . هَذِهِ الْحَقِيقَةُ : أَنَّ اثْنَيْنِ
وَعِشْرِينَ قَائِدًا مِنْهُمْ قُضِيَ نَحْبُهُ شَهِيدًا ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ قَائِدًا مِنْهُمْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، أَيْ
إِنَّ سِتِينَ بِالنِّسْبَةِ (٦٠٪) مِنَ الْقَادَةِ اسْتُشْهِدُوا ، وَأَرْبَعِينَ بِالنِّسْبَةِ (٤٠٪) مِنْهُمْ مَاتُوا خَارِجَ
سَاحَاتِ الْقِتَالِ .

ولا أعرفُ في تاريخِ الحُرُوبِ القَدِيمِ والحَدِيثِ نِسْبَةً عَالِيَةً مِنَ الشُّهَدَاءِ فِي الْقَادَةِ كَنَسْبَةِ الشُّهَدَاءِ فِي قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فالحَسَائِرُ فِي الْقَادَةِ اعْتِيَادِيًّا أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَسَائِرِ فِي غَيْرِ الْقَادَةِ مِنَ الْجُنُودِ وَضُبَّاطِ الصَّفِّ وَالضُّبَّاطِ . وقد لا تُكُونُ وَاحِدًا بِالمِئَةِ (١٪) فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ وَفِي أَعْلَى تَقْدِيرٍ .

* وَالْقَوْلُ بِأَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ الْعَالِيَةَ فِي الشُّهَدَاءِ بَيْنَ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ سَبَبُهَا شَجَاعَتُهُمُ الْفَائِقَةُ : جَوَابٌ صَحِيحٌ ، وَمَنْطِقِيٌّ ، وَسَلِيمٌ . وَلَكِنَّهُ لَا يُقَرَّرُ الْوَقَعُ كَامِلًا . وَالْوَقَعُ الْكَامِلُ : أَنَّ سَبَبَهَا هُوَ : الشَّجَاعَةُ الْفَائِقَةُ ، وَالْإِيمَانُ الْعَمِيقُ . وَلَيْسَ كَالْإِيمَانِ الْعَمِيقِ حَافِزٌ مِنْ حَوَافِزِ الْإِقْدَامِ وَالِاسْتِيقْتَالِ فِي طَلَبِ الشَّهَادَةِ ؛ تَخَلُّصًا مِنَ الْحَيَاةِ الْمُؤَقَّتَةِ لِلْأَحْيَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْخَالِدَةِ لِلشُّهَدَاءِ (١) .

(١) يُنْظَرُ : كِتَابُ اللُّوَاءِ الرُّكْنُ مُحَمَّدُ شَيْتِ خُطَابُ ﷺ (الْمَجَاهِدُ الَّذِي يَحْمِلُ سَيْفَهُ فِي كِتَابِهِ) :-

- ١- «الرَّسُولُ الْقَائِدُ ﷺ» .
- ٢- «قَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ» .
- ٣- «الْفَارُوقُ الْقَائِدُ ﷺ» .
- ٤- «الْقَادَةُ الرَّاشِدُونَ ﷺ» .
- ٥- «قَادَةُ فَتَحِ الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارَسَ ﷺ» .

المبحث الثاني

شجاعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أبو بكر الصديق ، أفضل الأمة وخيرها على الإطلاق ، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها ، واحتمل في سبيل الله الشدائد وبذل الأموال . أشجع الصحابة - وكلهم رضي الله عنهم شجعان - بل أفضل البشر جميعاً بعد الأنبياء . خليفة رسول الله ﷺ . شهد له علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أشجع الناس . وصدق رضي الله عنه فقد كان أثبتهم قلباً ، وأقواهم جناناً . وحسبك من ذلك : ثبات قلبه يوم بدر ، ويوم أحد ، ويوم الخندق ، ويوم الحديبية ، ويوم حنين ...

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أيها الناس ، من أشجع الناس؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين . فقال : أما إنني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه . ولكن هو أبو بكر ؛ إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً ، فقلنا : من يكون مع الرسول ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله مادنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ ؛ لا يهوي إليه أحد من المشركين إلا أهوى إليه . فهذا أشجع الناس .^(١)

وظهرت شجاعة الصديق في ذروتها العليا وقمتها السامية يوم موت الرسول ﷺ ، فثبت الله به الأمة بأسرها . في تلك اللحظات الذاهلة ،

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٧١-٢٧٢) .

والفاجعة المزلزلة يكون مثل هذا الثبات؟! أنطق الله الصديق بكلمات نورانية أغلى من الذهب ، قالها صريحة مدوية : «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ» وقرأ قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١) . فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ .

يقول القرطبي : «هذه الآية أول دليل على شجاعة الصديق ، وجرائته ؛ فإن الشجاعة والجراءة حدُّها ثبوت القلب عند حلول المصائب ، ولا مُصيبة أعظم من موت النبي ﷺ ؛ فظهرت عندها شجاعته وعلمه» (٢) .

وعن شجاعة الصديق يحدثنا عروة بن الزبير رضي الله عنه ، قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ ، فقال : رأيت عتبة بن أبي مُعيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي ، فوضع رداءه في عنقه ، فخنقه خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ، وقال : ﴿انْقُتِلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣) ، (٤)

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

(٢) «تفسير القرطبي» (٤ / ١٤٤) .

(٣) سورة غافر ، الآية : ٢٨ .

(٤) «صحيح البخاري» (٣٤٤٩) .

شَجَاعَةُ الصَّدِيقِ فِي قِتَالِ مَانِعِي الزَّكَاةِ الْمُرتَدِّينَ :

ارتَدَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَامْتَنَعُوا عَنْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الزَّكَاةِ ؛ فَارْتَدَّتْ أَسَدٌ ، وَغَطَفَانٌ ، وَكِنْدَةُ ، وَمُذَحِجٌ ، وَبُنُو حَنْفَةَ ، وَبُنُو تَمِيمٍ . فَقَدْ تَقَدَّحَتِ الْأَرْضُ نَارًا فِي الْجِهَاتِ النَّائِيَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مُعْظَمُ أَهْلِهَا حَدِيثِي الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ . لَقَدْ سَقَطَ هَؤُلَاءِ تَحْتَ صِيَاكِ الْكَاذِبِينَ الْمَهْرَةِ ، الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِالْإِسْلَامِ كُلِّ سُوءٍ .

فَخِلَالَ هَذِهِ الْمِحْنَةِ الصَّاهِرَةِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِالْإِسْلَامِ هَبَّ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الْقَوِيُّ مِنْ فُورِهِ ، فَرَأَى الصَّدْعَ ، وَحَوَّلَ الضَّعْفَ إِلَى التَّمَأْسِكِ وَاقْتِدَارٍ .

ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ الصَّدِيقُ ﷺ بَعَزَمَ بَعْضَ الْقِبَائِلِ الْمُرتَدَّةِ مُهَاجِمَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ شَاهِرًا سَيْفَهُ ، وَيُفَصِّحُ عَنْ عَزَمِهِ الصَّحِيحِ ، وَقَرَارِهِ الثَّابِتِ ، بِقَوْلِهِ الْمَشْهُورِ : «وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا^(١) كَانُوا يُؤْذُونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»^(٢) .

نَقُولُ الصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «خَرَجَ أَبِي شَاهِرًا سَيْفَهُ ، رَاكِبًا رَاكِحَلَتَهُ إِلَى ذِي الْقُصَّةِ»^(٣) ،^(٤) .

(١) الْعَنَاقُ : الْأَنْثَى مِنْ وَلَدِ الْعَنْزِ .

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١١/٥٢-٣٢) .

(٣) ذُو الْقُصَّةِ : مَوْقِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ٢٤ مَيْلًا ، وَهُوَ طَرِيقُ الرَّبَذَةِ ، «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (٤/٤١٦) .

(٤) «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٦/٣٥٥) .

وَلَمَّا طُلِبَ مِنْهُ الْبَقَاءُ بِالْمَدِينَةِ ، وَبَعُثُ مَنْ يَنْوُبُ عَنْهُ ، رَدَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ :
« لا ، واللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، وَلَا وَأَسَيِّئُكُمْ بِنَفْسِي » ^(١) .

كَيْفَ يَجْلِسُ وَهُوَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ شَاهَدَ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي
جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الرَّسُولُ الْقَائِدُ ﷺ يُنَادِيهِ؟! وَكَيْفَ لَا يَخْرُجُ حَامِلًا سِلَاحَهُ ،
وَقَدْ سَمِعَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْغَرَائِ ، الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ
عَلَى حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى ﷺ؟!!

كَانَ مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي لَا هَوَادَةَ وَلَا مُسَاوَمَةَ فِيهِ ، وَلَا تَنَازُلَ :
مَوْقِفًا مُلْهِمًا مِنَ اللَّهِ ، يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفَضْلُ الْأَكْبَرُ - بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى - فِي سَلَامَةِ
هَذَا الدِّينِ ، وَبَقَائِهِ عَلَى نَقَائِهِ ، وَصَفَائِهِ ، وَأَصَالَتِهِ .

وَقَدْ أَقَرَّ الْجَمِيعُ وَشَهِدَ التَّارِيخُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ وَقَفَ فِي مُوَاجَهَةِ الرَّدَّةِ
الطَّاعِيَةِ الْكَافِرَةِ ، وَمُحَاوَلَةِ نَقْضِ الْإِسْلَامِ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ - مَوْقِفًا اقْتَدَى فِيهِ بِالْأَنْبِيَاءِ
وَالرُّسُلِ فِي عُصُورِهِمْ . وَهَذِهِ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَدَّى حَقَّهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَكَانَ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا .

لَيْتَ شِعْرِي .. وَنَحْنُ نَسْمَعُ وَنَرَى هَذَا الدِّينَ الْحَقَّ يَسْتَغِيثُ بِنَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبِهَا ، وَهَذِهِ الرَّدَّةُ الْجَمَاعِيَّةُ تَمُوجُ بِنَا مَوْجَ الْبَحَارِ ، وَلَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا!!؟!

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٥٥) ، «تاريخ الطبري» (٣/ ٧) .

الصَّديقُ عليه السلام يَبْعَثُ جَيْشَ أُسَامَةَ عَلَى الرَّعْمِ مِنْ وَفَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَالظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ :

لَمَّا أَشَارَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ عليه السلام بِأَلَّا يَبْعَثَ جَيْشَ أُسَامَةَ لِإِحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ ، قَالَ : «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ تَخَطَّفُنِي ، وَأَنَّ السَّبَاعَ مِنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ ، وَأَنَّ الْكِلَابَ جَرَّتْ بِأَرْجُلِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا رَدَدْتُ جَيْشاً وَجَّهَهُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وَلَا حَلَلْتُ لِوَاءِ عَقْدِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقُرَى غَيْرِي لَأَنْفَذْتُهُ ، أَفَأَطِيعُهُ حَيّاً وَأَعْصِيهِ مَيِّتاً؟ . فَأَنْفَذَهُ ، فَأَنْقَادَ كُرْهَا مَنْ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ .

انْتَفَضَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَفَضَتِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا تَبَعاً لَهُ ؛ فَهُوَ يُفْتِي وَيُوجِّهُ ، وَيَعْقِدُ الْأَلْوِيَةَ ، وَيُقَاتِلُ بِنَفْسِهِ ، وَيَقْدِفُ بِالْكَلِمِ كَالْحِمَمِ ، وَيَحْمِي بِيَضَةَ الْإِسْلَامِ بِالصَّارِمِ الصَّمْصَامِ ، يَقُولُ : «لَا رِدَّةَ بَعْدَ الْيَوْمِ» . وَلَا يُتِمُّ فِي الْيَقْظَةِ مَا تَمَّ فِي الْمَنَامِ ، عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدُ يَحْرُسُونَ أَنْقَابَ الْمَدِينَةِ ، وَآلُ مُقْرِنٍ فِي مَعْرَكَةِ مَعَ الْأَعْرَابِ ، وَأُسَامَةُ إِلَى الرُّومِ ، وَخَالِدٌ إِلَى الْبِطَاحِ ، وَعِكْرِمَةُ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَعَمْرُو إِلَى الشَّامِ ، وَالْعَلَاءُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَسُهَيْلٌ يُثَبِّتُ أَهْلَ مَكَّةَ ، وَآخَرُ يُثَبِّتُ أَهْلَ الطَّائِفِ . وَفِي سَتَيْنِ وَإِذَا بِالْأُمَّةِ تُحَاصِرُ أَعْظَمَ الْمَمَالِكِ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : «لَمَّا كَانَتِ الرِّدَّةُ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ : أَتُقَاتِلُهُمْ وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟! ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ لَا أَفْرُقُ

بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَلَا قَاتِلَنَ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا . وَقَالَ عُمَرُ : فَقَاتَلْنَا مَعَهُ ، فَرَأَيْنَا ذَلِكَ رَشَدًا» (١) .

وفي روايةٍ أُخْرَى : قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : «فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ» (٢) .

إِنَّهُ الصَّدِيقُ اتَّخَذَ اللَّهُ مَعْبُودَهُ ، وَرَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم دَلِيلَهُ وَإِمَامَهُ ، فَرَجَحَ إِيْمَانُهُ . إِنَّهُ أَبُو بَكْرٍ لِلَّهِ دَرُّهُ ! مَا أَشَدَّ غَيْرَتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ حِينَ يَقُولُ كَلِمَةً نُورَانِيَّةً فَاضَ بِهَا لِسَانُهُ ، وَنَطَقَ بِهَا جَنَانُهُ ، وَكَأَنَّمَا تَحَدَّثَتِ السَّكِينَةُ عَلَى لِسَانِهِ حِينَ قَالَ : «قَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ ، وَتَمَّ الدِّينُ ، أَيْنَقُصُ الدِّينُ وَأَنَا حَيٌّ ؟! أَقَاتِلُهُمْ وَحْدِي حَتَّى تَنْفَرَدَ سَالِفَتِي ...» (٣) .

وَقَالَ أَيْضًا : وَاللَّهِ لَوْ خَالَفَتْنِي شِمَالِي لَقَاتَلْتُهَا بِيَمِينِي .

أَيُّ مَصِيرٍ كَانَ يَنْتَظِرُ الْإِسْلَامَ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه هُنَاكَ ؟!

* لَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يُوضِّحُ الْحَقِيقَةَ الْكُبْرَى قَائِلًا : «لَقَدْ قُمْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم مَقَامًا كِدْنَا نَهْلِكُ فِيهِ ، لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِأَبِي بَكْرٍ» .

لَقَدْ كَانَ قَلْبُ الصَّدِيقِ رضي الله عنه فِي تِلْكَ النَّازِلَةِ الْعُظْمَى الَّتِي اهْتَزَّتْ لَهَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ، وَهِيَ مَوْتُ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، لَوْ وُزِنَ بِقُلُوبِ الْأُمَّةِ لَرَجَحَهَا . وَكَانَ

(١) «مسند أحمد» (١١ / ١) ، «النسائي» (٧٧ / ٧) ، إسناده صحيح .

(٢) «صحيح البخاري» ، (٧٢٨٤) .

(٣) ينظر : «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ، المحب الطبري .

عَزَمُهُ فِي قِتَالٍ مَنْ ارْتَدَّ لَوْ وُزِعَ عَلَى قُلُوبِ الْجُبْنَاءِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَشَجَّعَهُمْ ،
إِلَى أَنْ قَامَ بِمَهْمَةٍ قَنَاةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ إِعْوِجَاجِهَا ، وَجَرَتِ الْمِلَّةُ الشَّهْبَاءُ عَلَى سُتَّتِهَا
وَمِنْهَا جِهَا . كَانَتْ الرَّدَّةُ أَعْظَمَ فِتْنَةٍ مَرَّتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَتَصَدَّى الصَّدِيقُ لَهَا .

* عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعَطَارِدِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ ،
وَرَأَيْتُ رَجُلًا يَقْبَلُ رَأْسَ رَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا فِدَاؤُكَ لَوْلَا أَنْتَ لَهَلَكْنَا . فَقُلْتُ :
مَنْ الْمُقْبَلُ وَمَنْ الْمُقْبَلُ ؟ قَالُوا : عُمَرُ يَقْبَلُ رَأْسَ أَبِي بَكْرٍ فِي قِتَالِهِ أَهْلَ الرَّدَّةِ ؛
إِذْ مَنْعُوا الزَّكَاةَ حَتَّى أَتَوْا بِهَا صَاغِرِينَ ^(١) .

* وَمَا أَرَوَعَ مَا قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَيْدِ اللَّهُ الْأُمَّةَ بِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
يَوْمَ الرَّدَّةِ ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْمِحْنَةِ ^(٢) .

لَقَدْ ضَرَبَ الصَّدِيقُ أَرَوَعَ أَمْثَلَةٍ لِلْقِيَادَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالثَّبَاتِ فِي الْمِحْنِ . هَذَا
هُوَ الرَّدُّ الصَّارِمُ مِنَ الْبَطْلِ الْمُغَوَّرِ ، وَالْقَائِدِ الْفَذِّ ، وَرَجُلِ السَّاعَةِ ، الصَّدِيقِ الثَّانِي
فِي الْإِسْلَامِ ، وَفِي الصُّحْبَةِ ، وَفِي الشَّجَاعَةِ ، هَذَا هُوَ خَيْرُ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا بَعْدَ
النَّبِيِّ ﷺ . اسْمَعْ إِلَيْهِ يَوْمَ ارْتَدَّتِ الْجَزِيرَةُ ، وَظَهَرَ أَدْعِيَاءُ النُّبُوَّةِ ، وَأَحَاطَتْ
الْجُيُوشُ بِالْمَدِينَةِ ، وَهَدَّدَتْ أَهْلَهَا ، يَقُولُ بَعْضُ مَنْ كِنْدَةَ : « لَا طَاقَةَ لَنَا بِحَرْبِ
الْعَرَبِ جَمِيعًا يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِلْزَمِ بَيْتَكَ ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ . فَهَبَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَالْأَسَدِ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَا

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٩٢) ، «طبقات ابن سعد» .

(٢) «تاريخ الإسلام» (١٨/ ٧١) ، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٣٢) .

نُبَالِي مَنْ أَجْلَبَ عَلَيْنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، إِنَّ سُيُوفَ اللَّهِ لَمَسْلُوكَةٌ مَا وَضَعْنَاهَا بَعْدُ ،
وَاللَّهِ لَنُجَاهِدَنَّ مَنْ خَالَفَنَا ، كَمَا جَاهَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَا يَبْغِيَنَّ أَحَدٌ
إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ .

لَقَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ الْهُدَى بِمُحَمَّدٍ فَمَنْ يَرْتَدُّ فَالسَّيْفُ قَاضِي الْقَضِيَةِ

وَشَهِدَتْ الطَّبَاقُ السَّبْعُ ، وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَفِي لَدِينِ اللَّهِ ، وَقَامَ
مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، وَفِي أَقَلِّ مِنْ سَتَيْنِ يُدْمَرُ جُيُوشُ الْمُرتَدِّينَ . وَلَمْ يَمُتْ
الصِّدِّيقُ إِلَّا وَجُيُوشُهُ تُحَاصِرُ أعْظَمَ إِمْرَاطُورِيَّتَيْنِ (فَارِسَ ، وَالرُّومَ) ، وَتُنْزَلُ بِهِمَا
أَفْطَحَ الْهَزَائِمِ . وَأَنْجَزَ الصِّدِّيقُ مَا ظَنَّهُ النَّاسُ خَيَالًا لَا يُنْجَزُ :

سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فَتَى مُفْرَدًا بَلْ كُنْتَ جَيْشًا عَرْمَرَمًا

المَبَحْثُ الثَّالِثُ

شَجَاعَةُ الْفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

* إِنَّهُ عُمَرُ الْفَارُوقُ الشَّهِيدُ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَاصِرُ الدِّينِ ، الَّذِي بَلَغَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْهِمَّةِ الْكُبْرَى أَقْصَى الْغَايَاتِ ، وَأَعْلَى النِّهَايَاتِ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي هَاجَرَ جَهَاراً نَهَاراً ، وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الرَّجُلُ الثَّانِي فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه .

* إِنَّهُ عُمَرُ الرَّجُلُ الَّذِي قُرِنَ اسْمُهُ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ ، وَالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ ، وَالتَّقْوَى وَالْمُرَاقَبَةِ ، وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، وَالْبُكَاءِ مِنْ حَشِيَّتِهِ ، وَالْفِرَاسَةِ وَالذِّكَاةِ ، وَدِقَّةِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ ، وَيَقْظَةِ الضَّمِيرِ ، وَقَهْرِ النَّفْسِ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَأَذَلَّ بِهِ قَيْصَرَ الرُّومِ ، وَكَسَرَ كِسْرَى .

* إِنَّهُ عُمَرُ هَادِمِ دَوْلَةِ بَنِي سَاسَانَ ، وَهَازِمِ إِمْبْرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَبْطَالِ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهِمْ ، وَكَانَتْ إِلَيْهِ السَّفَارَةُ فِيهِمْ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي أَيْدَى اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَفَتَحَ بِهِ الْأَمْصَارَ ، وَكَانَ عَهْدُهُ عَهْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ الذَّهَبِيِّ .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «... فَلَمْ أَرْ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرْيَهُ» ^(١) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي أَذَلَّ مُلُوكَ بَنِي سَاسَانَ ، فِي عَهْدِهِ زَالَ مُلْكُ الْمَجُوسِ ، وَذَهَبَتْ إِمْبْرَاطُورِيَّةُ كِسْرَى . وَلَا يَزَالُ التَّارِيخُ يَذْكُرُ لـ (رُسْتَم) قَائِدَ قُوَّاتِ الْفُرسِ مَقُولَتَهُ الشَّهِيرَةَ : «أَكَلَ عُمَرُ كَبِدِي ، أَحْرَقَ اللَّهُ كَبِدَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ عُمَرُ الَّذِي يُكَلِّمُ الْكِلَابَ ، فَيُعَلِّمُهُمُ الْعَقْلَ ، كَلَّمَ هَؤُلَاءِ حَتَّى عَلِمُوا» .

يَا مَنْ رَأَى عُمَرًا تَكْسُوهُ بُرْدَتُهُ وَالزَّيْتُ أُذْمٌ لَهُ وَالْكُوحُ مَاوَاهُ
يَهْتَزُّ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ فَرَقًا مِنْ بَأْسِهِ وَمُلُوكُ الرُّومِ تَخْشَاهُ

* إِنَّهُ عُمَرُ الصَّادِقُ ، الْمُحَدِّثُ ، الْمُلْهَمُ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ : «لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَرُ» ^(٢) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ بِهِ ، فَقَالَ : «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَؤُلَاءِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ ، بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» . قَالَ : وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ ^(٣) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي قَالَ الرَّسُولُ ﷺ بِحَقِّهِ : «إِنَّمَا يَأْبَنُ الْخَطَّابُ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ ، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» ^(٤) .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٣٤٣٤) ، «صحيح مسلم» (٢٣٩٣) .

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٥٤ / ٤) ، «سنن الترمذي» (٦١٩ / ٥) ، الحاكم «المستدرک» (٨٥ / ٣) ، ووافقه الذهبي .

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٩٥ / ٢) ، «سنن الترمذي» (٦١٧ / ٥) .

(٤) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٣٦٨٣) ، «صحيح مسلم» (٢٣٩٦) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي قَالَ ﷺ بِحَقِّهِ وَحَقِّ الصَّدِيقِ : «إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدَرُ بَقَائِي فِيكُمْ ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي» ، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ^(١) .

* إِنَّهُ عُمَرُ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرَةِ بِالْجَنَّةِ ، وَقَالَ ﷺ بِحَقِّهِ أَيْضاً : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى قَلْبِ عُمَرَ وَلِسَانِهِ» ^(٢) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الشُّجَاعُ الْقَوِيُّ فِي الْحَقِّ . قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : «كَانَ عُمَرُ قَوِيًّا يَوْمَ هِجْرَتِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ ^(٣) : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، لَا يُرْغِمُ اللَّهَ إِلَّا هَذِهِ الْمَاعِطَسَ مَنْ أَرَادَ أَنْ تَشْكُلَهُ أُمُّهُ ، وَيُوتَمَ وَلَدُهُ ، وَيُرْمَلَ زَوْجُهُ ، فَلْيَلْقَنِي وَرَاءَ هَذَا الْوَادِي» . قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : «فَمَا تَبِعَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَوْمٌ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، عَلَّمَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ ، وَمَضَى لِوَجْهِهِ» .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : «قَوِيَتْ شِدَّةُ عُمَرَ فِي الدِّينِ ، فَصَلَّبَتْ عَزَائِمُهُ ، فَلَمَّا حَانَتْ الْهَجْرَةُ تَسَلَّلُوا تَسَلَّلَ الْقَطَا ، وَاخْتَالَ عُمَرُ فِي مِشْيَةِ الْأَسَدِ ، فَقَالَ عِنْدَ خُرُوجِهِ : «هَا أَنَا أَخْرُجُ إِلَى الْهَجْرَةِ ، فَمَنْ أَرَادَ لِقَائِي ، فَلْيَلْقَنِي فِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي» ^(٤) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٩٩/٥) ، «صحيح سنن الترمذي» ، «الألباني» (٣/٢٠٠) .

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٠١/٢) ، وإسناده صحيح .

(٣) أي : لقريش .

(٤) «تاريخ دمشق» (٤٥/٢) ، «أسد الغابة» (١٥٢/٤) ، «كنز العمال» (٣٥٧٩٦) .

وما نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَنُصَلِّيَ ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَهُمْ حَتَّى تَرَكُونَا ، فَصَلَّيْنَا وَطُفْنَا» (١) .

وَقَالَ أَيْضاً : «كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فَتَحاً ، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ نَصْراً ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ رَحْمَةً ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُصَلِّيَ وَنَطُوفَ بِالْبَيْتِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَهُمْ حَتَّى تَرَكُونَا نُصَلِّيَ» (٢) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَيْضاً : لَقَدْ أَحْبَبْتُ عُمَرَ حُبًّا ، حَتَّى لَقَدْ خِفْتُ اللَّهَ ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ كَلْبًا يُحِبُّهُ عُمَرُ لِأَحَبِّتُهُ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ خَادِمًا لِعُمَرَ حَتَّى أَمُوتَ ، وَلَقَدْ وَجَدَ فَقْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْعِضَاهُ ، وَإِنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ فَتْحًا ، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْراً ، وَإِنَّ سُلْطَانَهُ كَانَ رَحْمَةً» (٣) .

وَقَالَ صُهَيْبٌ رضي الله عنه : «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، وَدُعِيَ إِلَيْهِ عَلَانِيَةً ، وَجَلَسْنَا حَوْلَ الْبَيْتِ حِلَقًا ، وَطُفْنَا بِالْبَيْتِ ، وَانْتَصَفْنَا مِمَّنْ غَلُظَ عَلَيْنَا ، وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ» (٤) .

* إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي تَفَرَّقَ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْهُ :

أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقُ فَرَّقَ عُنُوَّةً بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ

(١) «صحيح البخاري» (٤١ / ٧) ، (١٧٧) .

(٢) «مجمع الزوائد» ، (٦٠ / ٩) . «طبقات ابن سعد» ، (٢٧٠ / ٣) .

(٣) رواه أحمد ، «فضائل الصحابة» (٢٤٧ / ١) .

(٤) «طبقات ابن سعد» (٢٦٩ / ٣) ، «صفة الصفوة» (٢٧٤ / ١) .

هُوَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ وَمَحَا الظَّلَامَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ (١)

إِنَّ حَيَاةَ الْفَارُوقِ (رضي الله عنه) صَفْحَةٌ مُشْرِقَةٌ مِنَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ ، الَّذِي بَهَرَ كُلَّ تَارِيخٍ وَفَاقَهُ ، وَالَّذِي لَمْ تَحْوِ تَوَارِيخُ الْأُمَمِ مُجْتَمِعَةً بَعْضَ مَا حَوَى مِنَ الشَّرَفِ وَالْمَجْدِ ، وَالْإِخْلَاصِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْجِهَادِ ، وَالِدَّعْوَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

أَمِثْلَةٌ مِنْ شَجَاعَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) :

كَانَ عُمَرُ (رضي الله عنه) شُجَاعًا يَوْمَ هِجْرَتِهِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) : « مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا هَاجَرَ مُخْتَفِيًا ، إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِالْهِجْرَةِ تَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ ، وَانْتَضَى فِي يَدِهِ أَسْهُمًا ، وَمَضَى قِبَلَ الْكَعْبَةِ ، وَالْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ بِفَنَائِهَا ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا مُتَمَكِّنًا ، ثُمَّ أَتَى الْمَقَامَ ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى الْحَلْقِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، وَقَالَ لَهُمْ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، لَا يُرْغِمُ اللَّهُ إِلَّا هَذِهِ الْمَعَاطِسَ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ تَشْكُلَهُ أُمُّهُ ، وَيُؤْتَمَ وَلَدُهُ ، وَيُرْمَلَ زَوْجُهُ ، فَلْيَلْقَنِي وَرَاءَ هَذَا الْوَادِي . قَالَ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) : « فَمَا تَبِعَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَوْمٌ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، عَلَّمَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ ، وَمَضَى لِوَجْهِهِ » (٢) .

وَفِي بَدْرِ يَوْمِ الْفُرْقَانِ : قَتَلَ عُمَرُ خَالَهَ الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ . وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ لِلَّهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ .

(١) «نونية القحطاني» (ص ٢٢) .

(٢) «تاريخ ابن عساكر» (٤٥/٥٢) ، «أسد الغابة» (١٥٢/٤) .

شَهِدَ الْفَارُوقُ بَدْرًا ، وَأُحَدًا ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ^(١) ، لَمْ يَغِبْ
عَنْ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَخَرَجَ فِي عِدَّةٍ سَرَايَا ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى
بَعْضِهَا ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى الْكُفَّارِ . ثَبَتَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَلِجِدَارَةِ عُمَرَ وَفُرُوسِيَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَائِدًا عَلَى سَرِيَّةٍ إِلَى
(تَرْبَةِ) فِي شَعْبَانَ مِنْ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، إِلَى عُجْزِ هَوَازِنَ بِتَرْبَةٍ ،
وَهِيَ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاحِلَ مِنْ مَكَّةَ ، فَكَانَ عُمَرُ يَسِيرُ بِاللَّيْلِ وَيَكْمُنُ بِالنَّهَارِ ، فَاتَى الْخَبَرَ
هَوَازِنُ فَهَرَبُوا ، وَجَاءَ عُمَرُ مُحَالِّمٌ فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ .

شِجَاعَةُ الْفَارُوقِ يَوْمَ حُنَيْنٍ :

فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ كُفِّنَتْ هَوَازِنُ فِي وَادِي حُنَيْنٍ ، وَذَلِكَ فِي عَمَاةِ الصُّبْحِ ،
فَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَمَلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَوَلَّى الْمُنْهَرِمُونَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى
أَحَدٍ ، وَثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةٌ فَقَطْ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، كَانَ
أَبْرَزُهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

غَيْرَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى تَطْهِيرِ الْجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنْ مَخَاطِرِ الْمُنَافِقِينَ :

مَوْقِفٌ آخَرٌ مُتَمَيِّزٌ يُضَافُ إِلَى سِجْلِ شَجَاعَةِ وَغَيْرَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى دِينِ
الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّ الْإِسْلَامِ . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : « كُنَّا فِي غَزَاةٍ ،

(١) ابن الجوزي ، « مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » (ص ٨٩) .

فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لَلْأَنْصَارِ !
وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ! فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « مَا
بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا
مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ » . فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ أَبِي فَقَالَ : « فَعَلُوهَا ؟ ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
مِنْهَا الْأَذَلَ » ^(١) . فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « دَعُهُ ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ
أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » ^(٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مُرْ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ . فَقَالَ
لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ
أَصْحَابَهُ ؟ . لَا ، وَلَكِنْ أَدْنُ بِالرَّحِيلِ » ^(٣) .

كَانَ عَقْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي تَشَبَّعَ بآيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ
يَعْمَلُ طِيلَةَ الْوَقْتِ فِي تَحْلِيلِ سُلُوكِيَّاتِ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَرَصْدِهِمْ لَا
لِمُرَاقَبَتِهِمْ ، وَلَكِنْ لِلْحَذَرِ عَلَى الْجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنْ مَخَاطِرِهِمْ وَشُرُورِهِمْ .
كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْهَمَ لَوْجُودِهِمْ فِي الدَّاخِلِ ، وَأَنَّهُمْ يُشَكِّلُونَ خَطَرًا أَكْبَرَ مِنَ الْعَدُوِّ

(١) «السيرة الحلبية» (٧٦/٢) ، والحديث صحَّحه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٠٩١/٢٠) رقم (٣٦٩٤) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» (١٢٩٦/٣) ، (٣٣٣٠) ، «صحيح مسلم» (١٩٩٤/٤) ، (٢٥٨٤) .

(٣) متفق عليه : «صحيح البخاري» (١٢٩٦/٣) ، (٣٣٣٠) . «صحيح مسلم» (١٩٩٤/٤) ، (٢٥٨٤) .

الخَارِجِيَّ ؛ لِأَنَّ الْعَدُوَّ الْخَارِجِيَّ وَاضِحٌ مِثْلُ كُفَّارِ مَكَّةَ ، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ خَطَرُهُمْ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١) .

وَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ شُجَاعٍ يُسَجِّلُهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِقَوْلِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ : « لَا ضَرِبَنَّ عُتْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ » ، مُسْتَأْذِنًا الرَّسُولَ ﷺ فِي أَنْ يَقْتُلَ مَنْ تَأَكَّدَ لِعُمَرَ نِفَاقُهُ .

الْفُتُوحَاتُ الْعُمَرِيَّةُ هِيَ الْعَهْدُ الذَّهَبِيُّ لِلْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ :

* تُعَدُّ خِلَافَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَجْمَلِ السَّنَوَاتِ فِي عُمَرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَبَعْدَ حَيَاةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فِي أَيَّامِهِ تَمَّ فَتْحُ الشَّامِ ، وَالْعِرَاقِ ، وَبِلَادِ فَارِسَ ، وَالْقُدْسِ ، وَالْمَدَائِنِ ، وَمِصْرَ ، وَالْجَزِيرَةِ . وَكَانَ عَهْدُهُ عَهْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ الذَّهَبِيِّ ؛ فَقَدْ حَالَفَ النَّصْرُ فِيهِ أَعْلَامَ الْمُسْلِمِينَ ، فَامْتَدَّتِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي عَهْدِ عُمَرَ حَتَّى جَاوَزَتْ أَفْغَانِسْتَانَ إِلَى حُدُودِ الصِّينِ شَرْقًا ، وَالْأَنْاضُولَ وَبَحَرَ قَزْوِينَ شِمَالًا ، وَتُونِسَ وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ أَفْرِيقِيَا الشِّمَالِيَّةِ غَرْبًا ، وَبِلَادِ الثُّبَةِ جَنُوبًا .

* وَخَاضَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْبَعَ مَعَارِكَ كُبْرَى وَحَاسِمَةً مِنْ مَعَارِكِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ ؛ مَعْرَكَةُ الْقَادِسِيَّةِ : الَّتِي فَتَحَتْ لِلْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ أَبْوَابَ الْعِرَاقِ وَالْأَهْوَازِ ، وَمَعْرَكَةُ بَابِلْيُونَ : الَّتِي فَتَحَتْ لَهُمْ

(١) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ ، الْآيَةُ : ٤ .

أَبْوَابَ مِصْرَ وَلِيبَا وَالثُّوبَةَ ، وَمَعْرَكَةَ نَهَاوَنْدَ (فَتْحُ الْفُتُوحِ) : الَّتِي فَتَحَتْ لَهُمْ أَبْوَابَ فَارِسَ كُلَّهَا . وَمِنْ الْمَعَارِكِ الْفَاصِلَةِ مَعَ الرُّومِ : مَوْقَعَةُ أَجْنَادِينَ ، وَقَائِدُهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، وَقَائِدُ الرُّومِ الْأَرْطَبُونُ ، وَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : «لَقَدْ رَمَيْنَا أَرْطَبُونَ الرُّومَ بِأَرْطَبُونَ الْعَرَبِ ، فَانْتَظِرُوا عَمَّا تَنْفَرُجُ» . وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ الْقِتَالُ بِأَجْنَادِينَ ، وَكَتَبَ اللَّهُ النَّصَرَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَخَرَجَ الْأَرْطَبُونَ إِلَى إِيلِيَا وَتَحَصَّنَ بِهَا ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ ^(١) وَفِي عَهْدِ الْفَارُوقِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فُتِحَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ (١٦هـ) ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَمِينُ الْأُمَّةِ قَائِدَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ .

* كُلُّ هَذِهِ الْفُتُوحَاتِ الْعَظِيمَةِ أَنْجَزَتْ خِلَالَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ مِنْ سَنَةِ (١٣هـ) إِلَى (٢٣هـ) ؛ فَلَا عَجَبَ أَنْ يُذْهَلَ هَذَا الْفَتْحُ الْعَالَمَ يَوْمَئِذٍ ، وَيُدهِشُ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ فَصَّلُوا حَوَادِثَهُ ، وَحَاوَلُوا اسْتِقْصَاءَ أَسْبَابِهِ ^(٢) .

* وَعَنْ تِلْكَ السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ يَقُولُ مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : اسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ فِي ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَةِ كِسْرَى ، وَكُرْسِيِّ مَمْلَكَةِ قَيْصَرَ ، وَعَلَى أُمِّيِّ بِلَادِهِمَا ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا قَطُّ مِنَ الذَّهَبِ ، وَالْجَوْهَرِ ، وَالْحَرِيرِ ، وَالرَّقِيقِ ، وَالْمَدَائِنِ ، وَالْقُصُورِ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْفَتَّاحِ ^(٣) .

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٢٦٥) ، «أسد الغابة» (٣/٢٠) .

(٢) محمود شيت خطاب ، «الفاروق القائد» (ص ٩٣-٩٤) .

(٣) «تاريخ الإسلام» (٤/١٥٩) .

فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ عُمَرَ؟ بَلْ مِنْ شِشْعِ نَعْلِ عُمَرَ؟ فُرْسٌ مَجُوسٌ وَلَا عُمَرَ!! فِي
الْقُدْسِ قَدْ نَطَقَ الْحَجَرُ : لَا مُؤْتَمَر ... لَا مُؤْتَمَر! لَا أُرِيدُ سِوَى عُمَرَ!

أَهْلِهِ الْقُدْسُ وَالْأَقْصَى يُزَيِّنُهَا مَسْرَى النَّبِيِّ أَفِيهَا سَاجِدٌ عُمَرُ؟!
أَمْ أُورَشَلِيمُ يَهُودًا بَاتَ يَحْكُمُهَا وَهَيْكَلُ الظُّلَمِ فِي أَحْضَانِهَا نَضْرُ؟!

لَقَدْ كَانَ عُمَرُ قَائِدًا فَذًا لَا يَتَكَرَّرُ عَلَى تَعَاقِبِ الْأَيَّامِ وَالْعُصُورِ إِلَّا نَادِرًا ؛ بَلْ
لَا يَتَكَرَّرُ أَبَدًا . كَانَ عُمَرُ جُنْدِيًّا مُتَمَازًا ، وَقَائِدًا مُجَرَّبًا ، يَعْرِفُ تَفَاصِيلَ التَّعْبِئَةِ
الصُّغْرَى ، وَيَتَحَلَّى بِمَزِيَّةِ الضَّبِطِ الْمَتِينِ ، وَيَعْرِفُ مَزَايَا رِجَالِهِ ، وَيُوَلِّيهِمُ
الْمَنَاصِبَ اسْتِنَادًا لِتِلْكَ الْمَزَايَا فَقَطْ ، وَيُطَبِّقُ جَمِيعَ مَبَادِي الْحَرْبِ الْمَعْرُوفَةِ بِكُلِّ
حِرْصٍ بِشَكْلِ مِثَالِي . لَقَدْ أَنْجَزَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كُلَّ وَاجِبَاتِهِ قَائِدًا أَعْلَى بِشَكْلِ
يَدْعُو إِلَى التَّقْدِيرِ الْعَمِيقِ وَالْإِعْجَابِ الشَّدِيدِ .

كَانَ ﷺ يَتَّسِمُ بِالْحِرْصِ الشَّدِيدِ عَلَى الْأَرْوَاحِ ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ الزَّجِّ
بِجُيُوشِهِ فِي الْمَهَالِكِ دُونَ مُسَوِّغٍ ، وَكَانَ فِطْنًا ، عَالِمًا ، بَعِيدَ النَّظَرِ . كَانَ شُجَاعًا
يُعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتَهُ ، ثُمَّ لَا يُحْجِمُ عَلَى تَنْفِيدِ خُطَطِهِ ، وَلَا يَتَرَدَّدُ وَلَا يَتَرَاوَعُ .

وكَانَتْ لَهُ قَابِلِيَّةٌ بَدَنِيَّةٌ مُتَمَازَةٌ ، تُعِينُهُ عَلَى تَحْمِيلِ الْمَشَاقِّ وَالصَّعَابِ بِصَبْرٍ
وَحَزْمٍ وَإِقْدَامٍ . وَكَانَتْ لَهُ تَجَارِبُ طَوِيلَةٌ فِي الْحَرْبِ . كَانَ قَائِدًا مَرُؤُوسًا ،
وَمُسْتَشَارًا خَيْرًا لِلرَّسُولِ ﷺ الْقَائِدِ ﷺ ، وَلِخَلِيفَتِهِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ
مِنْ بَعْدِهِ ، كَمَا كَانَ خَيْرًا بِمَبَادِي الْحَرْبِ ، مُطَبِّقًا لَهَا ، عَالِمًا بِتَفَاصِيلِهَا ،
حَرِيصًا عَلَى مُرَاعَاتِهَا .

تِلْكَ هِيَ الْأُسُسُ الْمَوْضُوعِيَّةُ الَّتِي تُهَيِّئُ لِكُلِّ قَائِدٍ أَنْسَبَ فُرْصَةٍ لِلنَّجَاحِ فِي
إِعْدَادِ الْخُطَطِ ، الَّتِي تَهَيِّئُ لِعُمَرٍ بِشَكْلِ وَاضِحٍ وَمَلْمُوسٍ ، قَلَّ أَنْ تَجِدَ لَهُ مَثِيلاً
فِي تَارِيخِ الْحُرُوبِ بِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .

فَلَا عَجَبَ - بَعْدَ ذَلِكَ - أَنْ تَكُونَ خُطَطُهُ دَقِيقَةً مُتَكَامِلَةً عَمَلِيَّةً ، بَعِيدَةً عَنِ
الْمَخَاطِرِ ، وَلَا عَجَبَ أَنْ تَكُونَ نَتَائِجُهَا فَتْحاً مُسْتَدَاماً ، لَمْ تَتَرَجَعَ رَايَاتُهُ مُنْذُ
أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا حَتَّى الْيَوْمِ .

لَقَدْ كَانَ عَهْدُ عُمَرَ عَهْداً ذَهَبِيّاً لِّلْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ .

لَقَدْ كَانَ عُمَرُ قَائِداً بَارِعاً يُعِدُّ الْخُطَطَ ، وَيُصْدِرُ أَوَامِرَهُ وَوَصَايَاهُ إِلَى قَادَتِهِ
الْعَامِّينَ ، وَقَادَتِهِ الْمَرْؤُوسِينَ ، مُبَيِّناً لَهُمُ السِّيَاسَةَ الْعَامَّةَ لِلْحَرْبِ ، ثُمَّ لَا يَتْرُكُ
لِهَؤُلَاءِ الْقَادَةِ تَحْمُلُ أَعْيَاءِ كُلِّ التَّفَاصِيلِ التَّنْفِيزِيَّةِ .

إِنَّ التَّارِيخَ لَيَذْكُرُ لَنَا نَمَازِجَ حَيَّةٍ رَائِعَةٍ مِنْ خُطَطِ عُمَرَ الْحَرْبِيَّةِ ، أَصْدَرَهَا
إِلَى قَادَتِهِ ، بِأَوَامِرَ جازِمةٍ صَرِيحَةٍ ، وَوَصَايَا حَاسِمَةٍ وَاضِحَةٍ ، كَانَ مِنْ نَتَائِجِهَا
الْعَصْرُ الذَّهَبِيُّ لِّلْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَيَّامِ عُمَرَ الْفَارُوقِ (رضي الله عنه) .

وَهُنَاكَ كِتَابٌ فَرِيدٌ فِي بَابِهِ عَالِجُ جَوَانِبِ عَبَقَرِيَّةِ عُمَرَ (رضي الله عنه) فِي الْحَرْبِ
وَالْفُتُوحَاتِ (١) .

(١) محمود شيت خطاب ، «الفاروق القائد (رضي الله عنه)» .

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ الرَّائِعَةِ عَلَى تَطْيِيقِ عُمَرَ مَبْدَأَ (التَّحْشُدِ) :

أَمَرَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ بِالتَّقَدُّمِ إِلَى أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمَرَ بِاسْتِنْفَارِ مَنْ حَسَنَ إِسْلَامُهُ مِنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ ^(١) ، فَكَانَ بَعَثُ أَبِي عُبَيْدٍ أَوَّلَ جَيْشٍ سَيَّرَهُ عُمَرُ وَكَانَ عُمَرُ قَدْ قَالَ لِأَبِي عُبَيْدٍ : «إِنَّكَ تُقَدِّمُ عَلَى أَرْضِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ ، وَالْخِيَانَةِ وَالْجَبْرِيتَةِ ، تُقَدِّمُ عَلَى قَوْمٍ تَجَرَّؤُوا عَلَى الشَّرِّ فَعَمِلُوهُ ، وَتَنَاسَوْا الْخَيْرَ فَجَهَلُوهُ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ ، وَأَحْرِزْ لِسَانَكَ ، وَلَا تُفْشِئَنَّ سِرَّكَ ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ السَّرِّ مَا يَضِبُّهُ مُتَحَصِّنٌ ، وَلَا يُؤْتَى مِنْ وَجْهِ يَكْرَهُهُ ، وَإِذَا ضَيَّعَهُ كَانَ بِمَضِيعَةٍ» ^(٢) .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَعْرِفُ تَفَاصِيلَ دَقِيقَةٍ عَنِ الْحَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لَعَدُوِّهِ ؛ لِذَلِكَ أَوْصَى قَائِدَهُ بِالْحَذَرِ وَالْيَقَظَةِ ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى مِفْتَاحِ كُلِّ ذَلِكَ ، وَهُوَ (كِتْمَانُ السَّرِّ) ؛ حَتَّى لَا يَعْرِفَ عَدُوُّهُ نَوَايَاهُ قَبْلَ الْأَوَانِ ، فَيُبَاغِتَهُ عَدُوُّهُ قَبْلَ أَنْ يُبَاغِتَ هُوَ عَدُوَّهُ .

وَقَبْلَ مَعْرَكَةِ الْبُؤَيْبِ ^(٣) نَدَبَ عُمَرُ النَّاسَ إِلَى الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ ، وَكَانَ فِي مَنْ نَدَبَ قَبِيلَةَ (بَجِيلَةَ) ^(٤) ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَتَحَامَوْنَ الْعِرَاقَ وَيَتَثَاقَلُونَ عَنْهُ ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يَغْزَوْا بِنَفْسِهِ . وَقَدِمَ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنَ الْأَزْدِ يُرِيدُونَ غَزَا الشَّامِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ ، فَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ إِلَّا رَمَى بِهِ الْمُثَنَّى .

(١) ابن الأثير (١٦٦/٢) .

(٢) ابن الأثير (١٦٦/٢) .

(٣) نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات ، «معجم البلدان» (٢/ ٣١٠) .

(٤) «جهرة أنساب العرب» (ص ٣٨٧) .

وَقَدْ عَزَلَ عُمَرُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ عَنِ (الْبَحْرَيْنِ) ؛ لِمُخَالَفَةِ الْأَمْرِ .

لَقَدْ طَبَّقَ مَبْدَأَ (الْأَمْنِ) فِي مَنْعِهِ الْعَلَاءَ مِنَ الْعُبُورِ إِلَى فَارِسَ بَحْرًا ، وَطَبَّقَ مَبْدَأَ (التَّحْشُدِ) فِي إِرسَالِ الْمَدَدِ إِلَيْهِ ؛ لِإِنْقَاذِ جَيْشِهِ مِنَ الْوَرَطَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا . وَكَانَ عَزْلُ الْعَلَاءِ دَلِيلًا عَلَى تَمَسُّكِ عُمَرَ بِتَنْفِيدِ أَوَامِرِهِ ، وَعَدَمِ إِفْسَاحِ الْمَجَالِ لِمُخَالَفَتِهَا ، وَعَدَمِ الشُّكُوتِ عَلَى الْمُخَالِفِينَ .

وَفِي (الْأَهْوَازِ) اسْتِطَاعَ (يَزْدَجَرْدُ) أَنْ يَحْشُدَ جَيْشًا ضَخْمًا ، فَجَاءَتْ الْأَخْبَارُ حُرْقُوبَ بْنَ زُهَيْرٍ وَصَحْبَهُ ، فَكَتَبُوا إِلَى عُمَرَ بِالْخَبَرِ ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : «أَنْ ابْعَثْ إِلَى الْأَهْوَازِ جُنْدًا كَثِيفًا مَعَ التُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّرِ بْنِ الْمَزْنِيِّ ، وَعَجِّلْ ، فَلْيَنْزِلُوا بِإِزَاءِ (الْهَرْمُزَانِ) ، وَيَتَحَقَّقُوا أَمْرَهُ» . وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ : «أَنْ ابْعَثْ إِلَى (الْأَهْوَازِ) جُنْدًا كَثِيفًا ، وَأَمُرْ عَلَيْهِمْ سَعْدَ بْنَ عَدِيٍّ أَخَا سَهِيلٍ ، فَابْعَثْ مَعَهُ الْبَرَاءَ بْنَ مَالِكٍ ، وَمَجْزَأَةَ بْنَ ثَوْرٍ ، وَعَرْفَجَةَ بْنَ هِرْثَمَةَ ، وَغَيْرَهُمْ . وَعَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ جَمِيعًا أَبُو سَبْرَةَ بْنَ أَبِي رَهْمٍ» ^(١) . وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَعْرِفُ رِجَالَهُ وَمَزَايَاهُمْ مَعْرِفَةً دَقِيقَةً ، وَأَنَّهُ طَبَّقَ مَبْدَأَ (التَّحْشُدِ) تَطْبِيقًا رَائِعًا .

ذَلِكَ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْقَائِدُ الْأَعْلَى لِلْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، يُعِدُّ الْخُطَطَ لْجُيُوشِهِ ، وَيَسْهَرُ عَلَى مُرَاقَبَةِ تَنْفِيدِ تِلْكَ الْخُطَطِ ، وَيَحْشُدُ لَهَا أَكْبَرَ عَدَدٍ مُمَكِّنٍ مِنَ الرِّجَالِ .

(١) ابن الأثير (٢/ ٢١١) ، «قادة فتح بلاد فارس» ، (ص ١٧٨) ، محمود شيت خطاب .

كَانَ الْفَارُوقُ قَبْلَ إِسْلَامِهِ كَأَيِّ عَرَبِيٍّ ، لَيْسَ غَرِيباً عَلَى سَاحَاتِ الْوَعْيِ
وَأَخْبَارِ الْحُرُوبِ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ عَنِ الْمَعَارِكِ صَقَلَهَا
وَهَذَّبَهَا بِالْمُمَارَسَةِ الْفِعْلِيَّةِ ، وَبِالتَّوَجُّهِ الْعَمَلِيِّ وَالنَّظَرِيِّ لِسَيِّدِ الْقَادَةِ ، وَقَائِدِ
السَّادَاتِ : مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَقَدْ كَانَ لِعُمَرَ طَبِيعَةٌ مَوْهُوبَةٌ لِلْجُنْدِيِّ الْمُتَمَازِ ، فَاجْتَمَعَ لَدَيْهِ بَعْدَ تَجَارِبِهِ
الطَّوِيلَةِ لِلْحَرْبِ بَعْدَ إِسْلَامِهِ الطَّبْعُ الْمَوْهُوبُ ، وَالْعِلْمُ الْمَكْتَسَبُ . وَبِذَلِكَ
أَصْبَحَ قَائِداً مِثَالِيّاً ، لَهُ مَزَايَا الْقَائِدِ الْمِثَالِيِّ عِلْماً وَعَمَلاً .

وَأَصْبَحَ عُمَرُ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ الْقَائِدَ الْأَعْلَى لِقُوَاتِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَكَانَ
أَوَّلَ مَا عَمِلَ أَنْ نَدَبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ إِلَى أَهْلِ فَارِسَ ،
وَذَلِكَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ بَعْدَهَا الصِّدِّيقُ ﷺ ، ثُمَّ أَصْبَحَ
تُبَايَعُهُ النَّاسُ ، فَعَادَ فَنَدَبَ النَّاسَ لِقِتَالِ الْفَرَسِ ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ ؛ كُلَّ يَوْمٍ يَنْدَبُهُمْ فَلَا يَنْتَدِبُ أَحَدٌ إِلَى فَارِسَ . وَكَانَ وَجْهُ فَارِسَ مِنْ أَكْرَهٍ
الْوُجُوهِ إِلَيْهِمْ وَأَثْقَلُهَا ؛ لِشِدَّةِ سُلْطَانِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ ، وَعِزِّهِمْ وَقَهْرِهِمُ الْأُمَمَ .
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعُ عَادَ فَنَدَبَ النَّاسَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مُتَدَبِّبٍ أَبُو عُبَيْدٍ
بِنْ مَسْعُودٍ ، فَأَمَرَهُ عَلَى الْجَيْشِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ النَّاسِ انْتِدَاباً ^(١) .

وَأَمَرَ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ بِالتَّقَدُّمِ إِلَى أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمَرَ

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٣١) ، «أسد الغابة» (١/ ٦٢٢) .

بِاسْتِيفَارٍ مَنْ حَسَنَ إِسْلَامُهُ مِنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ ، فَكَانَ بَعَثَ أَبِي عُبَيْدٍ أَوَّلَ جَيْشٍ
سَيَرَهُ عُمَرُ .

لَقَدْ طَبَّقَ عُمَرُ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (التَّحَشُّدِ) تَطْبِيقاً رَائِعاً .

عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوصِي بِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ :

كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَهُوَ بِالشَّامِ قَائِلاً : «لَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ
بَصِيرِهِمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦) وَمَا كَانَ
قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) فَكَانَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۖ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٤٨) (١)

فَأَمَّا ثَوَابُ الدُّنْيَا فَالْغَنِيمَةُ وَالْفَتْحُ ، وَأَمَّا ثَوَابُ الْآخِرَةِ فَالْمَغْفِرَةُ وَالْجَنَّةُ .
وَافْرَأْ كِتَابِي هَذَا عَلَى النَّاسِ ، وَمُرْهُمْ فَلْيُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلْيَصْبِرُوا ؛ كَيْ
مَا يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ (٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ١٤٦ - ١٤٨ .

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٠٦) .

عُمَرُ يَأْمُرُ غِلْمَانَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّدْرِيبِ وَالْإِعْدَادِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ :

كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَكْتُبُ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِتَعْلِيمِ أَوْلَادِهِمُ الْفُرُوسِيَّةَ ،
وَالسَّبَاحَةَ ، وَالرَّمْيَ . وَقَدْ أُصِيبَ أَحَدُ الْغِلْمَانِ أَثْنَاءَ التَّعْلِيمِ فِي الشَّامِ وَمَاتَ ،
فَكَتَبُوا إِلَى عُمَرَ فِي ذَلِكَ ، فَلَمْ يَشْنِهِ عَنْ أَمْرِهِ بِتَعْلِيمِ الْأَوْلَادِ الرَّمْيَ ^(١) .

عُمَرُ الْقَائِدُ الْمُجَاهِدُ الْفَاتِحُ يَفْتَحُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَيُلْقِي الدَّرَرَ عَلَى
مَسَامِعِ جُنْدِهِ :

فِي عَهْدِ الْفَارُوقِ رضي الله عنه فُتِحَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ (سنة ١٦هـ) : «خَرَجَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ ، وَعُمَرُ عَلَى
نَاقَةٍ ، فَنَزَلَ عَنْهَا ، وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَأَخَذَ بِرِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ
بِهَا الْمَخَاضَةَ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا؟! تَخْلَعُ خُفَّيْكَ
وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ ، وَتَأْخُذُ بِرِمَامِ نَاقَتِكَ وَتُخَوِّضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟! مَا يَسْرُنِي
أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ! فَقَالَ عُمَرُ : أَوْهَ! لَوْ يَقُلْ ذَا غَيْرِكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ
نِكَالًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه ! إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ
الْعِزَّ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ» ^(٢) .

(١) «الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» ، (ص ٤٨٦) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (ص ٢٠٧) ، وقال الذهبي : صحيح . وذكره الألباني في «الصحيحة» ، رقم (٥١) .

فَارُوقُ الْأُمَّةِ ﷺ فَارِسُ الْإِسْلَامِ يُنْفِذُ وَصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ وَيُخْرِجُ
الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ :

كَانَ مِمَّا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، فَقَالَ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ : « أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ » ^(١) . وَقَالَ ﷺ أَيْضاً : « لَا يَجْتَمِعُ بِلَادِ الْعَرَبِ دِينَانٍ » ^(٢) . وَقَالَ
عُمَرُ ﷺ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا تُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدْعُ إِلَّا مُسْلِمًا » ^(٣) .

وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ هِيَ : مَكَّةُ ، وَالْمَدِينَةُ ، وَالْيَمَامَةُ ، وَالْيَمَنُ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
جَزِيرَةُ الْعَرَبِ مِنْ أَقْصَى عَدَنٍ أَيْنَ إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ فِي الطُّولِ ، وَأَمَّا فِي الْعَرْضِ
فَمِنْ جُدَّةَ وَمَا وَآلَهَا مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ ^(٤) .

قَامَ فَارُوقُ الْأُمَّةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ بِتَنْفِيزِ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ الْغَالِيَةِ ،
فَقَدْ كَانَ عُمَرُ يَخَافُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ
بَعْدَ أَنْ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ أَصَابُوا الرِّبَا وَكَثُرُوا ، فَخَافَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَجْلَاهُمْ .
وَلَكِنَّ عُمَرَ ﷺ أَمَرَ عُمَّالَهُ بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ أَنْ يُعَوِّضُوهُمْ عَنْ أَرْضِهِمْ ،

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » (٤/ ٨٥ - ١٢١) ، « صحيح مسلم » (١٦٣٧) .

(٢) « مسند الإمام أحمد » ، (٢٦٣٥٢) . الطبراني في الأوسط (١٠٦٦) ، « سنن الدارقطني » (٤٥٤ / ٣) .

(٣) « صحيح مسلم » (١٧٦٦) ، « سنن أبي داود » (٣٠٣٠) .

(٤) « شرح السنة » ، للبغوي (١٨١ / ١١) .

وَأَنْ يُحْسِنُوا مُعَامَلَتَهُمْ . وَلَوْ أَنَّهُ أَجْلَاهُمْ لَأَنَّهُمْ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ لَمَّا لَطَفَ بِهِمْ كُلَّ هَذَا اللَّطْفِ ، وَلَمَّا أَحْسَنَ مُعَامَلَتَهُمْ كُلَّ هَذَا الْإِحْسَانِ .

* سَأَلَ الشَّيْخُ ابْنَ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ حُكْمِ اسْتِقْدَامِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ؟ ، فَأَجَابَ :

اسْتِقْدَامُ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَشَاقَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَيْثُ صَحَّ عَنْهُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ : «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»

* وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : «لَا تُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدْعَ إِلَّا مُسْلِمًا» ، لَكِنْ اسْتِقْدَامُهُمْ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ بِحَيْثُ لَا نَجْدُ مُسْلِمًا يَقُومُ بِتِلْكَ الْحَاجَةِ بِشَرَطٍ أَنْ لَا يُمْنَحُوا إِقَامَةً مُطْلَقَةً .

وَحَيْثُ قُلْنَا : جَائِزٌ ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرْتَّبَ عَلَى اسْتِقْدَامِهِمْ مَفَاسِدُ دِينِيَّةٍ فِي الْعَقِيدَةِ أَوْ فِي الْأَخْلَاقِ ، صَارَ حَرَامًا ، لِأَنَّ الْجَائِزَ إِذَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ صَارَ مُحَرَّمًا تَحْرِيمَ الْوَسَائِلِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ .

وَمِنَ الْمَفَاسِدِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى ذَلِكَ : مَا يُخْشَى مِنْ مَحَبَّتِهِمْ ، وَالرِّضَا بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَذَهَابِ الْغَيْرَةِ الدِّينِيَّةِ بِمُخَالَطَتِهِمْ ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ خَيْرٌ وَكَفَايَةٌ ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْهُدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ ، إِنَّهُى كَلَامَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ . (١)

مُؤَامَرَةُ قَتْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه)، والمُؤَامَرَةُ مُسْتَمِرَّةٌ :

* قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ^(١) : إِنَّ عُمَرَ (رضي الله عنه) لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْحَجِّ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، وَكَانَ مَعَهُ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَزَلَ بِالْأَبْطَحِ ، دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ كَبُرَتْ سِنُّهُ ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتُهُ ، وَخَافَ مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِالشَّهَادَةِ فِي بَلَدِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) .

* ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ (رضي الله عنه) كَانَ يَقُولُ : «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ» ^(٢) . قَالَتْ لَهُ حَفْصَةُ ابْنَتُهُ : أَنَّى يَكُونُ هَذَا؟ .. كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَنَالَ الْمَرْءُ الشَّهَادَةَ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَهَذَا عَزِيزٌ جِدًّا . وَلَكِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِمَا يَشَاءُ . تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

وَفِي صَبِيحَةِ الْأَرْبَعَاءِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ طُعِنَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ، طَعَنَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ فَيَرُوزُ الْمَجُوسِيَّ الْأَصْلَ ، بِخِنْجَرٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ ، فَضْرَبَهُ ثَلَاثَ ضَرْبَاتٍ - وَقِيلَ : سِتُّ ضَرْبَاتٍ - ، إِحْدَاهُنَّ تَحْتَ سُرَّتِهِ ، فَخَرَّ مِنْ قَامَتِهِ ، وَرَجَعَ الْعِلْجُ بِخِنْجَرِهِ ، لَا يَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا ضْرَبَهُ ؛ حَتَّى ضْرَبَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، مَاتَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ ^(٣) .

(١) «البداية والنهاية» ، (١١ / ١٨٩) .

(٢) «صحيح البخاري» (١٨٩٠) .

(٣) «صحيح البخاري» (٣٧٠) .

لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ شَخْصِيًّا ضِدَّ الْخَلِيفَةِ الَّذِي يُفْتَرَضُ أَنَّهُ سَيَقْتُلُ أَشْخَاصًا مِنْ مُسَاعِدِي عُمَرَ أَوْ مِنْ مُرَشِّحِيهِ الْمُحْتَمَلِينَ . وَلَكِنَّ الْأَعْدَاءَ أَرَادُوا أَنْ يُشِيعُوا الْفَوْضَى ' الْمُحْتَمَلَةَ النَّاتِجَةَ عَنْ نَجَاحِ خُطَّةِ قَتْلِهِ ، وَالتِّي ابْتَغَوْا أَنْ تَكُونَ ضَرْبَةً مُفَكِّكَةً لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

كَانَتْ الْإِضَاءَةُ خَافِئَةً حَتْمًا ، وَلَمْ يَكُنْ فَيْرُوزُ يَعْلَمُ مَنْ يَطْعُنُ حَقًّا ، كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ جَرَى بِسُرْعَةٍ ، وَالنَّاسُ لَا تَزَالُ تَنْتَظِرُ أَنْ يَأْتِيَهَا صَوْتُ عُمَرَ لِيَقُولَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، لَمْ يَعْرِفْ مَا كَانَ يَجْرِي إِلَّا مَنْ كَانَ قَرِيبًا جِدًّا مِنْ عُمَرَ .

وَلَعَلَّ فَيْرُوزَ الْمُجُوسِيِّ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَهْرَبَ ، مُسْتَعِلاً الْفَوْضَى ' النَّاتِجَةَ لِيَنْفِذَ بِجَرِيمَتِهِ ، وَيَزَرَعَ الْفُرْقَةَ وَالشَّكَّ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، تَمَامًا كَمَا يَفْعَلُهُ أَتْبَاعُهُ فِي يَوْمِنَا هَذَا .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْفٍ) طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْئُسًا ، فَلَمَّا أَتَقَنَ الْعِلْجَ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ . نَعَمْ ؛ انْتَحَرَ كَيْ يَبْقَى مُتَسَتِّرًا عَلَى الْخُطَّةِ ، وَكَيْ لَا يَقُولَ عَنْ شُرَكَائِهِ فِي الْجَرِيمَةِ ، وَكَيْ لَا يَقُولَ : إِنَّ الْجَرِيمَةَ سَتَبْقَى مُسْتَمِرَّةً ، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ مُسْتَهْدَفٌ مِنَ الْفَرَسِ الْمُجُوسِ (الصَّفَوِيِّينَ) ، وَإِنَّ عُمَرَ بِالذَّاتِ سَيَكُونُ مُسْتَهْدَفًا دَوْمًا . لِمَ إِذَا؟ لِأَنَّ عُمَرَ رَمَزُ عِزِّ الْإِسْلَامِ ، وَأَحَدُ أَهَمِّ مُؤَسَّسِي حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ . أَعْنِي : أَتْبَاعَ عُمَرَ سَيَكُونُونَ هَدَفًا لِتِلْكَ الطَّعْنَاتِ الْمُجُوسِيَّةِ ، وَبِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمِنْ أَيْدٍ مُخْتَلِفَةٍ .

انْتَحَرُ فَيَرُوزُ الْمَجُوسِيَّ كَيْ لَا تُكْشَفَ الْمُوَامِرَةُ ؛ نَعَمْ ، هَذِهِ الْمُوَامِرَةُ فَضَحَهَا اللَّهُ ،
وَشَهِدَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عَبْدَ
الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، قَالَ : «مَرَرْتُ بِالْبَقِيعِ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ عُمَرُ ، فَوَجَدْتُ أَبَا
لُؤْلُؤَةَ ، وَالْهُرْمُزَانَ وَجُمُيَّةَ^(١) يَتَنَاجُونَ ، فَلَمَّا رَأَوْنِي ثَارُوا ، فَسَقَطَ مِنْهُمْ خِنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ ،
وَنَصَابُهُ وَسْطُهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ رَأَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، فَإِذَا هُوَ الْخِنْجَرُ الَّذِي وَصَفَهُ لَهُ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ ، فَاَنْطَلَقَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَمَعَهُ السَّيْفُ ، فَقَتَلَ الْهُرْمُزَانَ ...»^(٢) .

مُوَامِرَةٌ حَبِيبَةٌ بَيْنَ الْمَقَابِرِ تُحَاكُّ مِنَ الْمَجُوسِ الَّذِينَ كَانُوا - وَمَا زَالُوا - يَتَرَبَّصُونَ
بِالْإِسْلَامِ ، وَيُرْمُوزُ الْمُسْلِمِينَ . لِمَ إِذَا فِي الْمَقَابِرِ؟! لَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ يُقْبَرَ
الْإِسْلَامُ كُلُّهُ . لَكِنْ هَيْهَاتَ .. هَيْهَاتَ!! الْإِسْلَامُ دَيْنُ اللَّهِ .. نُورُ اللَّهِ .. الْقَائِلُ :
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)

مَاذَا يَعْنِي :

عِنْدَمَا تَكُونُ هُنَالِكَ مُوَامِرَةً ، عِنْدَمَا يَكُونُ هُنَاكَ لِقَاءٌ مَشْبُوهٌ ، وَفِي الْبَقِيعِ؟!!!
وَمُعَايِنَةٌ لِسِلَاحِ الْجَرِيمَةِ وَالْغَدْرِ ، مَاذَا يَعْنِي كُلُّ هَذَا؟! ، يَعْنِي : أَنَّ الْأَمْرَ أَكْبَرُ
مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ . قَدْ يَبْدُو لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى أَنَّ الْمُوَامِرَةَ قَدْ أَحْبَطَتْ فِي سِيَاقِهَا
الْعَامَ ، وَنَجَحَ جُزُؤُهَا الْخَاصُّ بِاغْتِيَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ الْفَارُوقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، لَكِنَّ

(١) نصراني من الحيرة .

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (٩٧٧٥) .

(٣) سورة الصف ، الآية : ٨ .

المُؤَامَرَةُ مُسْتَمِرَّةٌ ، وَبَنُو صُهَيْوْنَ وَالصَّفَوِيُّوْنَ يُخَطِّطُونَ وَيَتَأَمَّرُونَ ، وَالْوَاقِعُ يَشْهَدُ بِمَا يَجْرِي فِي يَوْمِنَا هَذَا فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَالْيَمَنِ ، وَالْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ .. وَبُرُوتُوكُولَاتِ آلِ صُهَيْوْنَ وَآلِ فَارِسَ وَجَهَانَ لِعُمَلَةٍ وَاحِدَةٍ . وَكَمْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِرَاقِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، فَقَطْ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ اسْمَ عُمَرَ !! .

قُلُوبٌ لَا تُضْمِرُ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا الْحِقْدَ وَالْحَسَدَ وَالْبَغْضَاءَ ، وَنُفُوسٌ لَا تُكِنُّ لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا الشَّرَّ وَالْهَلَكَ وَالتَّلَفَ ، وَلَا يَتَمَنَّوْنَ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ رِدَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ ، وَكُفْرِهِمْ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ .

وَحَمِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ (رضي الله عنه) وَالدَّمُ يَسِيلُ مِنْ جُرْحِهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، فَجَعَلَ يُفَيْقُ ثُمَّ يُغْمَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُذَكِّرُونَهُ الصَّلَاةَ فَيُفَيْقُ ، وَيَقُولُ : نَعَمْ ، لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَهَا .

وَلَمَّا حُضِرَ أُغْمِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي الْأَرْضِ ، فَوَضَعَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ : ضَعْ رَأْسِي عَلَى الْأَرْضِ . ففَعَلَ ، فَمَسَحَ خَدَّيْهِ بِالتُّرَابِ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلٌ لِعُمَرَ ! وَيْلٌ لِعُمَرَ ! وَيْلٌ لَأُمِّ عُمَرَ ! لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لِعُمَرَ ! .

فَلَمَّا مَاتَ بَكَى سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ (رضي الله عنه) ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ . فَقَالَ : عَلَى الْإِسْلَامِ أَبْكِي ، إِنَّهُ بِمَوْتِ عُمَرَ ثَلِمَ الْإِسْلَامُ ثَلَمَةً لَا تُرْتَقَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) .

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٨٤) .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه : كَانَ الْإِسْلَامُ فِي زَمَانِ عُمَرَ كَالرَّجُلِ الْمُقْبِلِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ كَانَ كَالرَّجُلِ الْمُدْبِرِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا بُعْدًا .

* نَعَمْ ؛ مَاتَ عُمَرُ رضي الله عنه قُتِلَ طَعْنًا ، قُتِلَ غَدْرًا ، لَكِنْ أَتْبَاعَ عُمَرَ الَّذِينَ تَرَبَّوْا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم لَمْ يَمُوتُوا ، سَيَحْمِلُونَ الرَّايَةَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَيُواصِلُونَ كَسَرَ رَأْسِ أَتْبَاعِ كَسَرَى الْفَرَسِ ، وَأَتْبَاعِ قَيْصَرَ الرُّومِ .

* رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَأَرْضَاهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَسَائِرِ صَحَابَةِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ .

* قَالَ الْأَسْتَاذُ مُحِبُّ الدِّينِ الْخَطِيبُ رحمہ اللہ : وَقَدْ بَلَغَ مِنْ حَقْدِهِمْ عَلَى مُطْفِئِ نَارِ الْمَجُوسِيَّةِ فِي إِيْرَانٍ ، وَالسَّبَبُ فِي دُخُولِ أَسْلَافِ أَهْلِهَا فِي الْإِسْلَامِ (سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه) أَنْ سَمَّوْا قَاتِلَهُ أَبَا لَوْلُؤَةَ الْمَجُوسِيَّ (أَبَا شُجَاعِ الدِّينِ) . رَوَى عَلِيُّ بْنُ مَظَاهِرٍ (مِنْ رِجَالِهِمْ) ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَمِّيِّ الْأَحْوَصِ ، شَيْخِهِمْ وَوَاثِقِهِمْ : «أَنَّ يَوْمَ قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمَ الْعِيدِ الْأَكْبَرِ ، وَيَوْمَ الْمَفَاخِرَةِ ، وَيَوْمَ التَّبْجِيلِ ، وَيَوْمَ الزَّكَاةِ الْعُظْمَى ، وَيَوْمَ الْبَرَكَةِ وَيَوْمَ التَّسْلِيَةِ» .

قَامَ أَحِبَابُ أَبِي لَوْلُؤَةَ الْمَجُوسِيِّ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِنَاءَ مَشْهَدٍ تَذْكَارِيٍّ لَهُ عَلَى غِرَارِ الْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ فِي إِيْرَانِ . يَقُولُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ الْمُوسَوِيِّ مِنْ عُلَمَاءِ النَّجَفِ : «وَعَلِمَ أَنَّ فِي مَدِينَةِ كَاشَانَ الْإِيْرَانِيَّةِ ، فِي مَنْطِقَةٍ تُسَمَّى (يَاغِي فِين) مَشْهَدًا عَلَى غِرَارِ الْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ ، فِيهِ قَبْرٌ لِأَبِي لَوْلُؤَةَ فَيُرْوَزُ الْفَارِسِيُّ الْمَجُوسِيُّ ، قَاتِلُ الْخَلِيفَةِ الثَّانِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ حَيْثُ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ مَا مَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ (مَرْقَدُ بَابَا شُجَاعِ الدِّينِ) . وَبَابَا شُجَاعِ الدِّينِ هُوَ لَقَبُ أَطْلَقُوهُ عَلَى أَبِي لَوْلُؤَةَ لِقَتْلِهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقَدْ كُتِبَ عَلَى جُدْرَانِ هَذَا الْمَشْهَدِ بِالْفَارِسِيِّ : (مَرْكَ بَر أَبُوبَكْرَ ، مَرْكَ بَر عُمَرَ ، مَرْكَ بَر عُثْمَانَ) ، وَمَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ : الْمَوْتُ لِأَبِي بَكْرَ ، الْمَوْتُ لِعُمَرَ ، الْمَوْتُ لِعُثْمَانَ . وَهَذَا الْمَشْهَدُ يُزَارُ مِنْ قِبَلِ الشَّيْعَةِ الْإِيْرَانِيِّينَ ، وَتُلْقَى فِيهِ الْأَمْوَالُ ، وَالتَّبَرُّعَاتُ . وَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْمَشْهَدَ بِنَفْسِي ، وَكَانَتْ وَزَارَةُ الْإِيْرشَادِ الْإِيْرَانِيَّةِ قَدْ بَاشَرَتْ بِتَوْسِيْعِهِ وَتَجْدِيدِهِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ قَامُوا بِطَبْعِ صُورَةٍ عَلَى الْمَشْهَدِ عَلَى كَارَتَاتٍ تُسْتَخْدَمُ لِإِرْسَالِ الرِّسَالِ وَالْمَكَاتِيْبِ» (١) .

هَذَا يَدُلُّ عَلَى الْحَقِّ الدِّينِ الَّذِي اِمْتَلَأَتْ بِهِ صُدُورُ هَؤُلَاءِ الْمَجُوسِ .

(١) «لِلَّهِ نَمُّ لِلتَّارِيخِ» ، «كَشَفُ الْأَسْرَارِ وَتَبْرِئَةُ الْأُتَمَّةِ الْأَطْهَارِ» (ص ٩٤) .

المبحث الرابع

شجاعة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

الرجل الثالث في الإسلام، مصباح من مصابيح الهدى الحبي الكريم، صاحب المروءة والشرف، القرشي الأموي. هاجر الهجرتين إلى الحبشة الأولى، والثانية إلى المدينة. لا يعرف أحد تزوج ابنتي رسول الله ﷺ غيره: (رقيّة وأمّ كلثوم)، ولذا سمي (ذا النورين) .. جامع القرآن، شهيد الدار، من السابقين الأولين، وأول مهاجر، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفّي الرسول ﷺ وهو راض عنهم.

ذو النورين المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله؛ لقد جهّز جيش العسرة بأكمله في زمان القيظ، وقلة الماء، والحاجة إلى العدد والعتاد؛ حتى لم يتركه بحاجة إلى خطام أو عقال. قال الزهري: «قدّم عثمان رضي الله عنه لجيش العسرة في غزوة تبوك تسع مائة وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتم بها الألف».

* عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أنّ عثمان بن عفان جاء إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهّز جيش العسرة، فنثرها في حجره، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم!! ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم!!»^(١).

(١) «سنن الترمذي» (ص ٣٧٨٥)، «أحمد» (٦٣/٥)، «الحاكم» (١٠٢/٣)، ووافقة الذهبي.

يَسَّرَتْ لِلْعُسْرَةِ الْعَشَوَاءَ غَزَوَتَهَا بِالْخَيْلِ وَالْعِيرِ فِيهَا كُلُّ قَرْحَانٍ
وَجِئَتْ بِالْمَالِ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ وَلَمْ تَكُنْ عَلَى الْمِلَّةِ الْكُبْرَى بِمَنَانٍ
وَمَنْ يُعِينِ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ فِي حَرْجٍ يَكُنْ لَهُ اللَّهُ حَسْبًا غَيْرَ مِعْوَانٍ
كَأَنَّ مَالَكَ مَالُ الْمُسْلِمِينَ مَتَى شَاءُوا فَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ بِخَزَّانٍ
فَكُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ نَاصِرُهُ يُجِلُّكَ الْعُرْبُ مِنْ قَاصٍ وَمِنْ دَانٍ

هَذَا هُوَ عُثْمَانُ ، هَذَا هُوَ ذُو الثَّوَرَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

* عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعَدَ أَحَدًا ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ،
وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ ﷺ : « أَتُبْتُ أَحَدٌ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ،
وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ » ^(١) .

* عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ ، أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ
عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : « أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَلَا أَنْشِدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، أَلَسْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ » ،
فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ » ،
فَجَهَّزْتُه؟ قَالَ : فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ ^(٢) .

إِنَّهُ عُثْمَانُ ، الْمُجَاهِدُ ، الشَّهِيدُ ، الْمُهَاجِرُ مِنْ مَالِهِ .

(١) متفق عليه : « صحيح البخاري » (٣٦٧٥) ، « صحيح مسلم » (٢٤١٧) .

(٢) « صحيح البخاري » (٢٧٧٨) .

وَمِنْ حَدِيثِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ : «أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَقَالَ : «مَنْ جَهَّزَ هَؤُلَاءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ» ؟ . يَعْنِي : جَيْشَ الْعُسْرَةِ . فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا عَقَالاً وَلَا خِطَاماً ! قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ^(١) .

إِنَّهُ عُثْمَانُ ؛ شَهِدَ أَحَدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَالْحُدَيْبِيَّةَ ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِإِحْدَى يَدَيْهِ ، وَقَالَ : «هَذِهِ بَيْعَةُ عُثْمَانَ» . وَشَهِدَ خَيْبَرَ ، وَعُمَرَةَ الْقَضَاءِ ، وَحَضَرَ الْفَتْحَ ، وَهَوَازِنَ ، وَالطَّائِفَ ، وَغَزْوَةَ تَبُوكَ ، وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، وَاشْتَرَى بِثَرٍّ رُومَةَ .

إِنَّهُ عُثْمَانُ صِهرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَتِهِ ، هَاجَرَ مَعَ زَوْجَتِهِ رُقَيْيَةَ ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِلَاهُمَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهَجْرَتَيْنِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتَزَوَّجَ بَعْدَ رُقَيْيَةَ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا تُوفِّيَتْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَوْ أَنَّ لَنَا ثَلَاثَةَ لَزَوَّجْنَاكَ» .

إِنَّهُ عُثْمَانُ الَّذِي أَتَمَّ جَمَعَ الْقُرْآنِ وَجَمَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ . وَقَامَ عُثْمَانُ بِتَوْسِيعَةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَفِي خِلَافَتِهِ كَانَتْ الْغَزْوَةُ الْعَظِيمَةُ (ذَاتِ الصَّوَارِي) .

إِنَّهُ عُثْمَانُ كَانَتْ خِلَافَتُهُ تُعَدُّ الْعَصْرَ الذَّهَبِيَّ لِلْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ ؛ عَلَى

(١) «مُصَنَّفُ بَنِي أَبِي شَيْبَةَ» (٤٨٦/٧) ، ابْنُ حِبَّانَ (٦٨٨١) .

الرَّغْمِ مِنْ تَشْوِيهِهَا مِنْ قِبَلِ الْمُفْتَرِينَ ، وَالْمُبْطِلِينَ ، وَالْبَاطِنِينَ ، وَالصَّفَوِيِّينَ ،
وَالْمُنَافِقِينَ .

فَفِي زَمَنِهِ امْتَدَّتْ رُقْعَةُ الْإِسْلَامِ امْتِدَادًا عَظِيمًا ، وَكَانَتْ الْفُتُوحَاتِ فِي عَصْرِهِ
كَالْمَاءِ الْمُنْهَمِرِ ، وَعَمَّ الرَّخَاءُ وَالْأَمْنُ ، وَازْدَادَتْ الْأَعْطِيَاثُ . وَاسْتَمَرَّ هَذَا
الرَّخَاءُ وَهَذِهِ الْفُتُوحَاتُ مُدَّةَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ زُهَاءً اثْنَيْ عَشَرَ سَنَةً ، ثُمَّ كَانَتْ
الْفِتْنَةُ سَنَةَ ٣٥ هـ ؛ حَيْثُ خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَجْرِمِينَ أَتْبَاعُ ابْنِ سَبَأٍ ، فَقَتَلُوهُ فِي
بَيْتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ (١) .

بَعْضُ بَشَارَاتِ النَّبِيِّ ﷺ تَحَقَّقُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ كَثِيرًا مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْأَمْصَارِ ، وَتَوَسَّعَتِ الْخِلَافَةُ
الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَامْتَدَّتِ الدَّوْلَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، وَبَلَغَتِ الرِّسَالَةُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ مَشَارِقَ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؛ حَتَّى كَانَتْ الْفُتُوحَاتُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ كَمَا مِنْهُمْ .

إِنَّهُ عُثْمَانُ - لِلَّهِ دَرُّهُ - ؛ هَذَا الْخَلِيفَةُ الْعَظِيمُ الْكَهْلُ الَّذِي بَلَغَ السَّابِعَةَ
وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمرِهِ وَكَأَنَّمَا قَدْ حَلَّ دَاخِلَ إِهَابِهِ شَبَابُ التَّارِيخِ ! حَتَّى يُجَهِّزَ
الْجُيُوشَ لِلْبَحْرِ ، وَرَكِبَ جُنُودَهُ ثَبَجَ الْبَحْرِ ؛ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ - كَمَا
أَخْبَرَنَا ﷺ - فِي غَزْوَةِ قُبْرُصَ ، وَغَزْوَةِ ذَاتِ الصَّوَارِي . قَالَ ﷺ : «أَوَّلُ
جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ ، وَأَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةً قَيْصَرَ ،
مَغْفُورٌ لَهُمْ» (٢) .

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ١٤٥) ، «الإصابة» (٢/ ٤٢) ، «أسد الغابة» (٣/ ٣٧٦) ، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٨) .

(٢) «صحيح البخاري» ، (٢٧٦٦) .

قَالَ ﷺ : «عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ ؛ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ» (١) .

وَقَالَ ﷺ : «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَى غَزَاةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ تَبَجَّ هَذَا الْبَحْرَ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ» (٢) .

وَقَالَ ﷺ : «غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ ، وَمَنْ أَجَازَ الْبَحْرَ فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا ، وَالْمَائِدُ فِيهِ كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ» (٣) .

وَفِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَوَعَّلَتِ الْجِيُوشُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي بِلَادِ الرُّومِ بِقِيَادَةِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ حَتَّى قَرَعَتْ أَبْوَابَ (الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ) ذَاتَهَا . وَإِلَى فَارِسَ ، وَكِرْمَانَ ، وَبَاكِسْتَانَ ، يَزْحَفُ ابْنُ عَامِرٍ ، وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ . وَمُهِدَتِ الْأَرْضُ لَزَحْفِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى بَلَغُوا السُّودَانَ وَالْحَبَشَةَ فِي الْجَنُوبِ ، وَالْهِنْدَ وَالصِّينَ فِي الشَّرْقِ . وَخِلَالَ عَهْدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلَغَتِ الْفَتْوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَبْعَدَ الْأَمْصَارِ وَأَوْسَعَ الْآفَاقِ .

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» ، (٢٦٣٦) ، «صحيح مسلم» (٦٢٨٢) .

(٢) «صحيح البخاري» ، (٦٦٠٠) .

(٣) «صحيح الجامع» (٤١٥٤) ، «المستدرک» الحاكم .

سِجْلُ مُوجَزِ الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عَهْدِ الشَّهِيدِ ذِي النُّورَيْنِ (١) :

١ - سَنَةِ ٢٤ هـ : فِيهَا فَتَحَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ الرَّيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ فُتِحَتْ عَلَى يَدِ حُذَيْفَةَ ، وَسُوَيْدِ بْنِ مُقَرَّنٍ ، فَانْتَقَضُوا . وَفِيهَا غَزَا الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَأَرْمَنِيَةَ ؛ لِمَنْعِ أَهْلِهَا مَا كَانُوا صَالِحُوا عَلَيْهِ ، فَسَبَى وَغَنِمَ وَرَجَعَ . وَفِيهَا اسْتَمَدَّ أَمْرَاءُ الشَّامِ مِنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَدَدًا ، فَأَمَدَّهُمْ بِثَمَانِيَةِ آلَافٍ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَمَضَوْا حَتَّى دَخَلُوا إِلَى أَرْضِ الرُّومِ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ . وَعَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ سَلْمَانَ بْنَ رَبِيعٍ الْبَاهِلِيَّ ، وَعَلَى أَهْلِ الشَّامِ حَبِيبَ بْنَ مُسْلِمٍ الْفَهْرِيَّ ، فَشَنُّوا الْغَارَاتِ ، وَسَبَّوْا ، وَافْتَحُوا حُصُونًا كَثِيرَةً .

٢ - سَنَةِ ٢٥ هـ : فِيهَا سَارَ الْجَيْشُ مِنَ الْكُوفَةِ عَلَيْهِمْ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ إِلَى بَرْدَغَةَ فَقَتَلَ وَسَبَى . وَفِيهَا انْتَقَضَ أَهْلُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ فَعَزَّاهُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَمِيرُ مِصْرَ وَسَبَّاهُمْ ، فَرَدَّ عُثْمَانُ السَّبْيَ إِلَى ذِمَّتِهِمْ ، وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْوِيلَ الْخَصِيِّ فِي مَرَائِبٍ فَانْتَقَضَ أَهْلُهَا - غَيْرُ الْمُقَوْسِ - ، فَعَزَّاهُمْ عَمْرُو بْنُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، فَافْتَتَحَهَا عَنَوَةً ؛ غَيْرَ الْمَدِينَةِ فَإِنَّهَا صُلِحَ . وَفِيهَا اسْتَأْذَنَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ عُثْمَانَ فِي غَزْوِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَأَذِنَ لَهُ .

٣ - سَنَةِ ٢٦ هـ : فِيهَا افْتُتِحَتْ سَابُورَ ، وَأَمِيرُهَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ .

(١) «تاريخ الطبري» (٤/٢٤٦-٢٤٧-٢٣) ، «تاريخ خليفة بن خياط» (١٥٧-١٥٨-١٤-٣) ، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/٣٠٩-٣١٢) .

٤ - سَنَةِ ٢٧هـ : فِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قُبْرُصَ ، فَرَكَبَ الْبَحْرَ بِالْجِيُوشِ .
وَأَكْمَلَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ غَزَا إِفْرِيقِيَّةَ .

٥ - سَنَةِ ٢٨هـ : فِيهَا غَزَا حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَرْضَ الرُّومِ . وَفِيهَا غَزَا الْوَلِيدُ بْنُ
عُقْبَةَ أَذْرَبِيْجَانَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَصَالَحَ أَهْلَهَا مِثْلَ صُلْحِ حُذَيْفَةَ .

٦ - سَنَةِ ٢٩هـ : فِيهَا افْتَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ إِصْطَخَرَ فَقَتَلَ ، وَسَبَى كَثِيرًا .
وَفِيهَا انْتَفَضَتْ أَذْرَبِيْجَانُ ، فَعَزَاهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فَافْتَتَحَهَا . وَفِيهَا غَزَا
عَامِرُ وَابْنُ بَدِيلِ الْخَزَاعِيُّ أَصْبَهَانَ .

٧ - سَنَةِ ٣٠هـ : فِيهَا فُتِحَتْ أَرْضٌ مِنْ فَارِسَ عَلَى يَدِ ابْنِ عَامِرٍ ، فَعَنِمَ كَثِيرًا .
وَفِيهَا افْتَتَحَ ابْنُ عَامِرٍ بِلَادًا كَثِيرَةً مِنْ أَرْضِ خُرَاسَانَ ، وَسَارَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ
فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَجَمَعَ لَهُ أَهْلُ طَخَارِسْتَانَ ، وَأَهْلُ الْجَوْزَجَانِ ، وَالْفَارِيَابِ ،
فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ النَّصْرُ . ثُمَّ سَارَ الْأَحْنَفُ
بُنْ قَيْسٍ عَلَى بَلْخَ ، فَصَالَحُوهُ ، ثُمَّ خَوَارَزَمَ فَلَمْ يُطَقِّهَا ، وَرَجَعَ . وَفُتِحَتْ
هَرَاقُ ، وَفَتَحَ ابْنُ عَامِرٍ مَرَوْ صُلْحًا .

٨ - سَنَةِ ٣١هـ : فِيهَا فُتِحَتْ نِيسَابُورُ صُلْحًا . وَفِيهَا مَعْرَكَةُ الْأَسَاوِرَ . وَغَزَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ مِنْ مِصْرَ فِي الْبَحْرِ وَسَارَ فِيهِ إِلَى نَاحِيَةِ مَصِيصَةَ .

٩ - سَنَةِ ٣٢هـ : وَفِيهَا وَقْعَةُ «الْمَطْبَقِ» بِالْقُرْبِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَأَمِيرُهَا
مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١٠ - سَنَةَ ٣٣هـ : فِيهَا غَزَا مُعَاوِيَةُ مَلْطِيَّةَ ، وَحِصْنَ الْمَرَّةِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ .
وَفِيهَا غَزَا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ الْحَبَشَةَ .

١١ - سَنَةَ ٣٤هـ : فِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الصَّوَارِي فِي الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ
الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَأَمِيرُهَا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ .

١٢ - سَنَةَ ٣٥هـ : فِيهَا غَزْوَةُ ذِي حُشْبٍ ، وَأَمِيرُهَا مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَفِيهَا
اسْتُشْهِدَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ لِيَنَالَ أَجْرَ
الشَّهَادَةِ .

المَبْحَثُ الخَامِسُ

فَارِسُ الْفُرْسَانِ وَفَتَى الْفُتَيَانِ

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

* هو رابعُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ والأُئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ، وأحدُ العَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وابنُ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ ، وزَوْجُ الْبَتُولِ ، وبَطْلُ الْأَبْطَالِ ، اللَّيْثُ الْحَصَّارُ ، والغَيْثُ الْمِدْرَارُ ، وفَارِسُ الْفُرْسَانِ ، ومُجَنِّدُ الشُّجْعَانِ ، وَحَامِلُ الرَّايَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ لِتَأْدِيبِ كُلِّ جَبَانٍ .

* كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ، كَانَ دِرْعُهُ صَدْرًا لَا ظَهَرَ لَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : «أَلَا تَخَافُ أَنْ تُؤْتَى مِنْ قِبَلِ ظَهْرِكَ؟» فَقَالَ : «إِنْ أُمَكَنْتُ عَدُوِّي مِنْ ظَهْرِي فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ أَبْقَى عَلَيَّ» ^(١) .

* وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَمْسَكَ بِذِرَاعِ رَجُلٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَنَفَّسَ ^(٢) .

* قِيلَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إِذَا جَالَتِ الْخَيْلُ يَا أَبَا الْحَسَنِ فَأَيْنَ نَطْلُبُكَ؟» فَقَالَ : «حَيْثُ تَرَكَتُمُونِي» ^(٣) .

(١) رواه ابن عساكر .

(٢) رواه ابن عبد البر .

(٣) «المستطرف» ، (١/٤٧٣) .

* قَالَ الْأَبْشَيْهِيُّ وَهُوَ يُعَدُّ الشُّجْعَانَ : « مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، وَمُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مُؤَيَّدٌ بِالتَّيِيدِ الْإِلَهِيِّ ، مُثَبَّتٌ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَمُرْسِيهَا ، وَهُوَ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى ذَوِي الشَّجَاعَةِ كُلِّهِمْ ؛ بِلَا مَرِيَّةٍ وَلَا خِلَافٍ . وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَةٍ عَلَى فِرَاشِي . وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : مَا لَقِينَا كَتِيبَةً فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِلَّا أَوْصَى بَعْضُنَا بَعْضًا » ^(١) .

شَجَاعَةُ أَبِي الْحَسَنِ ﷺ وَثَبَاتُ قَلْبِهِ :

لَيْسَ أَدَلَّ عَلَى شَجَاعَةِ أَبِي الْحَسَنِ ﷺ وَثَبَاتِ قَلْبِهِ مِنْ أَنَّهُ حَمَى الدَّعْوَةَ فِي شَخْصِ نَبِيِّهَا ﷺ ، وَنَامَ فِي فِرَاشِهِ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ ، فِي أَصْعَبِ لَيْلَةٍ مَرَّتْ بِهَا الدَّعْوَةُ . رَجُلٌ يَنَامُ فِي الْفِرَاشِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ عَلَى الْبَابِ رِجَالًا مَعَهُمْ سُيُوفُهُمْ الصَّوَارِمُ ، لَا يُرِيدُونَ إِلَّا رَأْسَ النَّائِمِ فِي الْفِرَاشِ ، فَأَيُّ شَجَاعَةٍ وَرِبَاطَةٍ جَاشٍ يَفُوقُ هَذَا؟!

عَشِيَّةَ وَدَّعَ الْبَيْتَ الْحَرَامَا	فَلَنْ يَنْسَى النَّبِيُّ لَهُ صَنِيعَا
لَغَيْرِ اللَّهِ تَكْبُرُ أَنْ تُسَامَا	عَشِيَّةَ سَامَهُ فِي اللَّهِ نَفْسَا
وَلَمْ تُقْلِقْ بِجَفْنِيهِ مَنَامَا	فَلَمْ يَأْبَهُ لَهَا أَنْفَا عَلِيُّ

عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبُ الرَّايَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ :

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ : ثُمَّ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدٌ ،
فَقَالَ : «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» . قَالَ :
فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ فَأَجِئْتُ بِهِ أَقْوَدَهُ وَهُوَ أَرْمَدٌ ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَبَصَقَ
فِي عَيْنِهِ فَبَرَأَ ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ .

يَوْمَ خَيْبَرَ :

خَرَجَ مَرَحَبُ الْيَهُودِيِّ ، فَقَالَ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرَحَبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْهَبُ
شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبُ

فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهُ
كَلَيْثٍ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمُنْظَرَهُ

فَضْرَبَ عَلِيٌّ رَأْسَ مَرَحَبَ ، فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ ^(١)

(١) «صحيح مسلم» (١٨٠٧) .

شَهِدَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَدْرًا ، وَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا ، وَشَهِدَ أُحُدًا ، وَكَانَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَمَعَهُ الرَّايَةُ بَعْدَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ . وَشَهِدَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ فَارِسَ الْعَرَبِ ، وَأَحَدَ شُجْعَانِهِمُ الْمَشَاهِيرِ : عَمْرُو بْنُ وَدٍّ الْعَامِرِيِّ . وَشَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ ، وَبَيْعَةَ الرُّضْوَانِ . وَشَهِدَ خَيْبَرًا ، وَكَانَتْ لَهُ بِهَا مَوَاقِفُ هَائِلَةٌ . وَشَهِدَ الْفَتْحَ ، وَحُنَيْنًا ، وَالطَّائِفَ . وَقَاتَلَ فِي هَذِهِ الْمَشَاهِدِ قِتَالًا كَثِيرًا .

وَصِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَضُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِهَادِ :

«يَأَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِلسَّيْرِ إِلَى عَدُوِّكُمْ ، فِي جِهَادِهِ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ ، وَدَرْكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ . حَيَارَى فِي الْحَقِّ ، جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نُكْبٌ عَنِ الدِّينِ ، يَعْمَهُونَ فِي الطُّغْيَانِ ، وَيَرْكُسُونَ فِي غَمْرَةِ الضَّلَالِ ، فَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ، وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا» .

وَقَالَ أَيْضًا : «عِبَادَ اللَّهِ ! مَا لَكُمْ إِذَا أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؟ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؟ ، وَبِالذَّلِّ وَالْهَوَانِ مِنَ الْعِزِّ ؟ أَوْكُلَّمَا نَدَبْتُكُمْ إِلَى الْجِهَادِ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَكْرَةٍ ؟ !...» ^(١) .

الفصل الثاني

المبحث الأول : أمثلة من شجاعة الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثاني : الشهادة والاستشهاد في حياة الصحابة رضي الله عنهم ،
وأمثلة لشجاعة شهداء الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثالث : أهم الحقائق والتتائج من جهاد الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الرابع : أهم الوسائل الموجهة ضد الجهاد والمجاهدين ،
و ضد الإسلام والمسلمين .

المبحث الأول

أَمْثَلُهُ مِنْ شَجَاعَةِ الصَّحَابَةِ ﷺ

- ١ - شَجَاعَةُ أَسَدِ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ .
- ٢ - شَجَاعَةُ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ .
- ٣ - شَجَاعَةُ حَبِّ النَّبِيِّ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ﷺ .
- ٤ - شَجَاعَةُ الْمُقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ .
- ٥ - شَجَاعَةُ أَبِي قَتَادَةَ رُبْعِيِّ بْنِ عَامِرٍ ﷺ .
- ٦ - شَجَاعَةُ أَبِي بَصِيرٍ ﷺ .
- ٧ - شَجَاعَةُ سَالِمِ بْنِ عُمَيْرِ الْعُوفِيِّ ﷺ .
- ٨ - شَجَاعَةُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ .
- ٩ - شَجَاعَةُ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةِ الضُّمَرِيِّ ﷺ .
- ١٠ - شَجَاعَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ ﷺ .

- ١١ - شَجَاعَةُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه .
- ١٢ - شَجَاعَةُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه .
- ١٣ - شَجَاعَةُ أَبِي الْغَادِيَةِ رضي الله عنه .
- ١٤ - شَجَاعَةُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه .
- ١٥ - شَجَاعَةُ سَيِّدِ الْأَنْصَارِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه .
- ١٦ - شَجَاعَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه .
- ١٧ - شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ رضي الله عنه .
- ١٨ - شَجَاعَةُ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه .

(١) شَجَاعَةُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ أَسَدِ اللَّهِ وَأَسَدِ رَسُولِهِ

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

إنَّه حمزة بن عبد المطلب سيّد الشهداء، وأسدُّ الله وأسدُّ رسولِهِ ﷺ، والإمامُ البطلُ الضُّرغامُ، القُرشيُّ، الهاشميُّ، أبو عَمارة وأبو يَعلى عمُّ رسولِ الله ﷺ، وأخوه بالرِّضاعة.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حمزة بنُ عبدِ المطلبِ» (١).

وقالَ ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حمزة بنُ عبدِ المطلبِ ورجُلٌ قامَ إلى إمامٍ جائِرٍ فأمره ونهاهُ فقتله» (٢).

كانَ ﷺ فارساً مغواراً شجاعاً، مُغرماً بالصَّيْدِ والقَنصِ قبلَ إسلامِهِ؛ وهو دليلٌ على مَهَارَتِهِ في الفُروسِيَّةِ والتَّسْيِيدِ الدَّقِيقِ في الرَّميِّ، كما أنَّه تدرِيبٌ عمليٌّ على مُمارَسةِ هَذا الفنِّ العسْكريِّ.

أعزَّ اللهُ الإسلامَ بَحَمَزَةٍ، ووقفَ شامِخاً قوياً يردُّ عن رسولِ الله ﷺ وعن المُستَضْعَفِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ. ولَمَّا أسْلَمَ بَعْدَهُ عُمَرُ رضي الله عنه قَوِيَ الإسلامُ بِحمزة وبِهِ، وَعَلِمَ المُشْرِكُونَ أنَّهما سَيَمْنَعَانِ رسولَ الله ﷺ والمُسلمينَ (٣). فكانَ

(١) الحاكم «المستدرک»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٧٦)، والصحيحة (٣٧٤).

(٢) الحاكم «المستدرک»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٥)، والصحيحة (٣٧٤).

(٣) «أسد الغابة» (٢/ ٨٤).

حَمْزَةُ مِمَّنْ أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ ، سَرَتْ نَسَمَاتُ الْإِسْلَامِ فِي وَجْدَانِهِ ، وَرَاحَ عَيْنُ
نُورِ الْإِسْلَامِ يَشْعُ مِنْ أَغْوَارِهِ ، وَشَعُرَ بِالطَّمَأْنِينَةِ تُغْلَفُ قَلْبَهُ ، وَبِالسَّكِينَةِ
تَغْمُرُ رُوحَهُ .

إِنَّهُ حَمْزَةٌ .. أَوَّلُ لِوَاءٍ فِي الْإِسْلَامِ لِحَمْزَةٍ ، وَأَوَّلُ سَرِيَّةٍ أَمِيرُهَا حَمْزَةٌ ،
وَأَوَّلُ رَايَةٍ عَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَمْزَةٍ رَضِيَ عَنْهُ ، وَأَوَّلُ وَقُودٍ بَدَرَ ، وَأَوَّلُ
قَتِيلٍ لِلْمُشْرِكِينَ فِي يَوْمٍ بَدَرَ قَتْلَهُ حَمْزَةٌ .

أَوَّلُ لِوَاءٍ فِي الْإِسْلَامِ لِحَمْزَةٍ رَضِيَ عَنْهُ : سَرِيَّةُ حَمْزَةٍ إِلَى الْعِصِصِ فِي رَمَضَانَ
مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى لِهَجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ .

كَانَ أَوَّلُ لِوَاءٍ عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَمْزَةٍ رَضِيَ عَنْهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ،
عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ مُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِوَاءٌ أبيضُ ؛ فَكَانَ
الَّذِي حَمَلَهُ أَبُو مَرْثَدُ كِنَازُ الْغَنَوِيِّ حَلِيفُ حَمْزَةٍ . وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي
ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ .

وَخَرَجَ حَمْزَةُ يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ قَدْ جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ تُرِيدُ مَكَّةَ ، وَفِيهَا
أَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ فِي ثَلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ ، فَبَلَغُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ
(الْعِصِصِ) ، وَالتَقَى الْجَانِبَانِ حَتَّى اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ ، فَمَشَى مَجْدِيُّ بْنُ
عَمْرٍو الْجُهَنِيُّ ، وَكَانَ حَلِيفًا لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، إِلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً وَإِلَى هَؤُلَاءِ
مَرَّةً ، حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُمْ وَلَمْ يَقْتَتِلُوا . وَتَوَجَّهَ أَبُو جَهْلٍ فِي أَصْحَابِهِ وَعِيره
إِلَى مَكَّةَ ، وَانْصَرَفَ حَمْزَةُ فِي أَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وبِهَذِهِ السَّرِيَّةِ بَدَأَ فَرَضُ الْحِصَارِ الْاِقْتِصَادِيَّ عَلَى قُرَيْشٍ ؛ بِتَهْدِيدِ طَرِيقِ
مَكَّةَ الشَّامِ الْحَيَوِيِّ لِتِجَارَةِ قُرَيْشٍ ، تَهْدِيداً إِجْبَائِيّاً خَطِيراً .

أَوَّلُ غَزْوَةٍ : غَزْوَةُ وَدَّانَ (الْأَبْوَاءِ) فِي صَفَرِ ٢ هـ :

كَانَ لِوَأَى الْمُسْلِمِينَ فِيهَا لِوَاءٌ أَبْيَضٌ ، وَكَانَ اللَّوَاءُ مَعَ أَسَدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ ، وَعَدَدُ الْمُسْلِمِينَ مِائَتِي رَاكِبٍ ، وَتَمَلَّصَ الْمُشْرِكُونَ
مِنْ لِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ .

أَوَّلُ وَقُودٍ بِدْرِ أَوَّلِ قَتِيلٍ لِلْمُشْرِكِينَ فِي يَوْمِ بَدْرِ قَتَلَهُ حَمْزَةُ :

حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَطَلَ يَوْمَ بَدْرِ ، أَبْلَى بَلَاءً عَظِيماً ، وَقَاتَلَ بِسَيْفَيْنِ ؛ فَكَانَ
أَوَّلَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيِّ ؛ حَيْثُ كَانَ
رَجُلًا شَرِسًا سَيِّئَ الْخُلُقِ ، فَقَالَ : «أُعَاهِدُ اللَّهَ لَا أَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ ، أَوْ
لَأُهْدِمَنَّه ، أَوْ لَأَمُوتَنَّ دُونَهُ» . فَلَمَّا خَرَجَ ، خَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا
التَقِيَ ضَرْبَهُ حَمْزَةُ فَاطَنَ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ ، فَوَقَعَ عَلَى
ظَهْرِهِ تَشْخُبُ رِجْلُهُ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ ،
يُرِيدُ رَغْمًا أَنْ تَبْرَّ يَمِينُهُ ، وَاتَّبَعَهُ حَمْزَةُ فَضْرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ .

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ^(١) : عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ كَانَ يُقْسِمُ فِيهَا قَسَمًا أَنَّ هَذِهِ

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٤٣) ، «صحيح مسلم» (٣٠٣٣) .

الآية : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ ^(١) ، نَزَلَتْ فِي حَمْزَةَ وَصَاحِبَيْهِ ،
وَعُتْبَةَ وَصَاحِبَيْهِ ، يَوْمَ بَرَزُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ .

بَرَزَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، دَعَوْا إِلَى
الْبَرَّازِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ثَلَاثَةٌ ، وَهُمْ : عَوْفٌ وَمُعَاذُ ابْنَا الْحَارِثِ -
وَأُمُّهُمَا عَفْرَاءُ ، وَالثَّلَاثُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ - كَمَا قِيلَ - ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟
قَالُوا : رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . فَقَالُوا : مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ - وَفِي رِوَايَةٍ : قَالُوا :
أَكْفَاءُ كِرَامٌ ، وَلَكِنْ أَخْرِجُوا إِلَيْنَا مِنْ بَنِي عَمَّنَا . وَنَادَى مُنَادِيهِمْ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْرِجْ
إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قُمْ يَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقُمْ يَا
حَمْزَةُ ، وَقُمْ يَا عَلِيٌّ » . فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُمْ قَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ تَكَلَّمُوا نَعْرِفُكُمْ . فَقَالَ
حَمْزَةُ : « أَنَا أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ ، أَنَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » . فَقَالُوا : كُفُّوا
كَرِيمٌ . وَقَالَ عَلِيٌّ : « أَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَأَخُو رَسُولِ اللَّهِ » . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : « أَنَا
الَّذِي فِي الْحُلَفَاءِ » .

فَأَمَّا حَمْزَةُ فَلَمْ يُمَهِّلْ شَيْبَةَ أَنْ قَتَلَهُ ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَلَمْ يُمَهِّلِ الْوَلِيدَ أَنْ قَتَلَهُ ،
وَاخْتَلَفَ عَبْدُ اللَّهِ وَعُتْبَةُ بَيْنَهُمَا بِضَرْبَتَيْنِ ؛ كِلَاهُمَا أَثَبَتْ صَاحِبَهُ ، وَكَرَّ حَمْزَةُ
وَعَلِيٌّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ فَذَفَّافَا عَلَيْهِ ، وَاحْتَمَلَا صَاحِبَهُمَا فَحَازَاهُ إِلَى
أَصْحَابِهِمَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

لَقَدْ أَبْلَى حَمْزَةُ فِي بَدْرٍ بَلَاءً عَظِيمًا ، وَقَاتَلَ بِسَيْفَيْنِ . وَقَدْ سَأَلَ أُمِّيَّةُ بْنُ

خَلَفَ الَّذِي أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : مَنْ الرَّجُلُ الْمُعْلَمُ بِرِيشَةِ نِعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه : حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَقَالَ أُمَيَّةٌ : «هُوَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ» ^(١) .

لَقَدْ وَقَفَ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ عَلَى عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَقَتَلَ هُوَ وَعَلِيٌّ زَمْعَةَ بْنَ الْأَسْوَدِ ، وَقَتَلَ هُوَ وَعَلِيٌّ عَقِيلَ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَقَتَلَ أَسَدُ اللَّهِ أَبَا قَيْسَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنَ الْمُغِيرَةِ أَخَا خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَقَتَلَ الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِي ، وَجَرَحَ عَائِذَ بْنَ السَّائِبِ بْنِ عُوَيْمِرٍ ، ثُمَّ أُسِرَ فَافْتُدِيَ ، ثُمَّ مَاتَ مُتَأَثِّرًا بِجِرَاحِهِ . وَقَتَلَ هُوَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه نَبِيَةَ بْنَ الْحَجَّاجِ ، وَقَتَلَ حَمْزَةُ أَيْضًا طُعْمَةَ بْنَ عَدِي بْنِ الْخِيَارِ .

لَمْ يَكُنْ دَوْرُ حَمْزَةَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى اعْتِيَادِيًّا ؛ بَلْ كَانَ دَوْرًا بَارِزًا لِلْغَايَةِ ، فَقَدْ قَتَلَ أَشْجَعَ شُجْعَانَ قُرَيْشٍ وَأَكْثَرَهُمْ إِقْدَامًا ، الَّذِي تَحَدَّى الْمُسْلِمِينَ فِي مُحَاوَلَةِ الشُّرْبِ مِنْ حَوْضِهِمْ أَوْ هَدْمِهِ ، وَقَتَلَ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَشَارَكَ فِي قَتْلِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُمَا مِنْ أَبْرَزِ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَمِنْ أَشْجَعِ شُجْعَانِهَا ؛ وَبِذَلِكَ أَثَّرَ أَعَمَّقَ الْأَثَرَ فِي مَعْنَوِيَّاتِ قُرَيْشٍ ، فَانْهَارَتْ تِلْكَ الْمَعْنَوِيَّاتُ جَرَاءَ هَذِهِ الْبِدَايَةِ غَيْرِ الْمُوقَّعة . وَالْجَيْشُ الَّذِي يَخْسِرُ مَعْنَوِيَّاتِهِ لَا يَنْتَصِرُ أَبَدًا .

لَقَدْ كَانَ حَمْزَةُ بِحَقِّ بَطَلٍ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى ؛ فَلَا عَجَبَ أَنْ تَشْتَدَّ نَقْمَةُ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَهْدِفُونَ حَيَاتِهِ الْغَالِيَةَ إِذَا نَشَبَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَدِيدٍ .

(١) ابن الأثير (٢/ ١٢٧) .

غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ :

فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ كَانَ اللَّوَاءُ بِيَدِ أَشْجَعِ الشُّجْعَانِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه ،
فَبَعْدَ أَنْ نَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَظْهَرَتِ الْيَهُودُ الْحَسَدَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَنَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ قَدْ وَاذَعَهُمْ
عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلی اللہ علیہ وسلم حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ حَسَدُهُمْ وَتَأْمُرُهُمْ
جَمْعَهُمْ يَوْمَ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَقَالَ لَهُمْ : «إِحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ ! فَإِنَّكُمْ قَدْ
عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ» . فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، لَا يُغَرِّنُكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ
لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً . (١)

فَكَانُوا أَوَّلَ يَهُودٍ نَقَضُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ . وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى مُجَاهَرَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ
إِذْ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، فَجَلَسَتْ عِنْدَ صَائِغٍ لِأَجْلِ حُلِيِّهَا ،
فَحَلَّى دِرْعَهَا إِلَى ظَهْرِهَا ، وَهِيَ لَا تَشْعُرُ . فَلَمَّا قَامَتْ بَدَتْ عَوْرَتَهَا ، فَضَحِكُوا
مِنْهَا ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلَهُ . وَنَبَذُوا الْعَهْدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ،
وَتَحَصَّنُوا بِحُصُونِهِمْ ، فَغَزَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، وَحَاصَرَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ
لَيْلَةً ، فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ إِلَى (أَذْرُعَاتِ) (٢) .

وَكَانَ لِرِوَاءِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم مَعَ حَمْزَةَ ، وَكَانَ اللَّوَاءُ أَبْيَضَ ، وَكَانَتِ الْغَزْوَةُ يَوْمَ
السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ عِشْرِينَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجِرِهِ صلی اللہ علیہ وسلم .

(١) رواه أبو داود (٣٠٠١) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، وحسن إسناده ابن حجر «الفتح» (٧/٣٣٢) .

(٢) «صحيح البخاري» (٤٠٢٨) ، «صحيح مسلم» (١٧٦) . وأذرعات : موضعٌ يقع شرق الأردن حاليًا
وهو بين أجنادين والشام .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللِّوَاءَ يَحْمِلُهُ اعْتِيَادِيًّا أَشْجَعُ الشُّجْعَانِ ؛ لِأَنَّ الدَّفَاعَ عَنْهُ وَإِبْقَاءَهُ مَرْفُوعًا دُونَ أَنْ يَهْوِيَ إِلَى الْأَرْضِ أَوْ يُعْفَرُ بِالتُّرَابِ لَا يَتِمُّ إِلَّا لَشُّجْعَانٍ مَشْهُودٍ لَهُمْ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالثَّبَاتِ ، وَقُوَّةِ الْأَعْصَابِ ، وَالْأَلْمَعِيَّةِ ، وَالذِّكَاةِ . وَكَانَ حَمْزَةُ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ أَحَقُّ بِهِ وَأَهْلُهُ .

غَزْوَةُ أُحُدٍ :

كَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ فِي شَوَّالٍ فِي الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَقَدْ اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَتَرَكَ أُحُدًا خَلْفَ ظَهْرِهِ ، وَجَعَلَ وَرَاءَهُ الرُّمَامَةَ - وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا - ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَقَالَ لَهُ : «انْضَحْ عَنَّا الْخَيْلَ بِالنَّبْلِ ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِكَ ، وَاثْبُتْ مَكَانَكَ إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا» . وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ دِرْعَيْهِ ، وَأَعْطَى اللِّوَاءَ مُضْعَبَ بَنِ عُمَيْرٍ ، وَأَمَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ عَلَى الْخَيْلِ وَمَعَهُ الْمُقْدَادُ ، وَخَرَجَ حَمْزَةُ بِالْجَيْشِ بَيْنَ يَدَيْهِ ^(١) ، وَنَشَبَ الْقِتَالُ ، وَكَانَ أَوَّلُ الْوُقُودِ حِمْلَةُ اللِّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ . وَبَعْدَ أَنْ قَتَلَ الزُّبَيْرُ حَامِلَ لِيَوَاءِ الْمُشْرِكِينَ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ ، حَمَلَ اللِّوَاءَ بَعْدَهُ أَخُوهُ أَبُو شَيْبَةَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، وَتَقَدَّمَ لِلْقِتَالِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا أَنْ تُخَضَّبَ الصَّعْدَةُ أَوْ تُنَدَّقَا

فَحَمَلَ عَلَيْهِ حَمْزَةُ فَضْرَبَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ضَرْبَةً بَرَّتْ يَدُهُ مَعَ كِتْفِهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى سُرَّتِهِ ، فَبَانَتْ رِئْتُهُ . وَبَعْدَ أَنْ قَضَى عَلَيْهِ رَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) ابن الأثير (٢/ ١٥٢) .

أَنَا ابْنُ سَاقِي الْحَجِيجِ

واستمرَّ القتلُ في حملةِ اللّواءِ ، وكان من حملته أرطاةُ بنُ شَرَحِيلَ ، فلم يمهلهُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ أن يقتله . وقيل : قتله حمزة .

واقْتَلَ النَّاسُ اقْتِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَمَعَنَ فِي النَّاسِ حَمْزَةُ ، وَعَلِيٌّ ، وَأَبُو دُجَانَةَ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(١) .

وكان حمزةُ بنُ عبد المطلبِ وأبو دُجَانَةَ الأنصاريُّ كَفَرَسِي رِهَانٍ فِي سِبَاقِ الْبُطُولَةِ ؛ حَيْثُ انْطَلَقَا يَهْدَانِ صُفُوفَ الْمُشْرِكِينَ هَذَا .

أَمَّا حَمْزَةُ فَبَعْدَ أَنْ أَصْدَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَوَامِرَهُ بِالْقِتَالِ ، هَتَفَ بِكَلِمَةِ التَّعَارُفِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَهِيَ : (أَمْتُ ... أَمْتُ) ، ثُمَّ اندَفَعَ إِلَى قَلْبِ جَيْشِ الشُّرْكِ كَالصَّاعِقَةِ ، وَفِي يَدِهِ سَيْفَانِ لَا يَقِفُ لَهُ أَحَدٌ .

وبالإضافة إلى مُشَارَكَتِهِ الْفَعَّالَةَ فِي إِبَادَةِ حَمَلَةِ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ - فَعَلَ الْأَفَاعِيلَ بِأَبْطَاهِمِ الْآخَرِينَ - وَكَانَ يُجُولُ الْأَبْطَالُ أَمَامَهُ كَمَا تُجُولُ الرِّيحُ أَمَامَهَا الْوَرَقُ الْيَابِسَ ؛ لِأَنَّ لَهُ مِنْ هَيْبَةٍ فِي نَفُوسِ الْأَبْطَالِ .

وَأَبْلَى حَمْزَةُ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ فِي مَعْرَكَةِ أَحَدٍ بَلَاءً عَظِيمًا ، فَقَدْ قَتَلَ وَاحِدًا وَثَلَاثِينَ مِنَ الْكُفَّارِ .. قَالَ الضَّرْعَاغُمُ قَوْلًا صَدَقَ بِهِ ، وَمَضَى عَلَيْهِ : «وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَنَجَالِدَنَّهُمْ» .

(١) «قادة النبي ﷺ» اللّواء الركن محمود شيت خطاب (ص : ٥٨) .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ، قَالَ : «كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يُقَاتِلُ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم وَهُوَ يَقُولُ : «أَنَا أَسَدُ اللَّهِ» ^(١) .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ، قَالَ : فَقَدَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم يَوْمَ أُحُدٍ حَمْزَةَ حِينَ جَاءَ النَّاسُ مِنَ الْقِتَالِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : رَأَيْتُهُ عِنْدَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : «أَنَا أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ» ^(٢) .

كَانَ حَمْزَةُ رضي الله عنه مِنْ أَكْبَرِ سَوَاعِدِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم فِي الْمَلَا حِم ، كَانَ رَجُلًا يُعَدُّ بِالْآلَافِ . كَانَ حَمْزَةُ رضي الله عنه أَسَدًا أَيَّ أَسَدٍ ! كَانَ رَجُلًا فِي أُمَّةٍ وَأُمَّةٍ فِي رَجُلٍ ؛ لَا يَعِيشُ لِنَفْسِهِ بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا .

كَانَ رضي الله عنه فِي «أُحُدٍ» كَيَوْمِ «بَدْرٍ» نَجْمَ الْمَعْرَكَةِ اللَّامِعِ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ مَوْتُورِينَ مِنْ حَمْزَةَ ، وَقُلُوبُهُمْ تَغْلِي حَقْدًا ؛ لِأَنَّهُ صَرَعَ الْأَحَبَّةَ مِنْ فُرْسَانِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ الَّذِينَ وَتَرَهُمْ حَمْزَةُ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ذَوِيهِمْ يَوْدُونَ قَتْلَهُ ؛ انْتِقَامًا ، وَلَكِنَّهُمْ جَمِيعًا يَدْرِكُونَ أَنَّ مُوَاجَهَةَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَيْسَتْ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ أَفْشَهْرَتُهُ الْحَرِيَّةُ وَاسْتِفَاضَةُ ضَرَاوَتِهِ فِي الْقِتَالِ جَعَلَتْ فَرَائِصَ أَعْظَمِ الْأَبْطَالِ تَرْتَعِدُ لِمَجَرَّدِ التَّفَكِيرِ فِي مُلَاقَاةِ هَذَا الْبَطْلِ ؛ وَلِهَذَا لَجَأَ الْمَوْتُورُونَ مِنْ حَمْزَةَ إِلَى طَرِيقِ الْاِغْتِيَالِ ، وَنُفِذَتْ خُطَّةُ الْاِغْتِيَالِ الدَّنِيئَةِ ، وَصَرَعَ الْأَسَدُ حَمْزَةَ لَيْسَ كَمَا تُصَرِّعُ الْأَبْطَالُ وَجْهًا لَوَجْهِهِ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ ، وَإِنَّمَا كَمَا يُغْتَالُ الْكَرَامُ فِي أَحْلَاكِ الظَّلَامِ .

(١) الحاكم «المستدرک» (٣/ ١٩٩) ، صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٤٧) .

اسْتُشْهِدَ أَسَدُ اللَّهِ الْبَطْلُ الْمِغَوَارُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رضي الله عنه) فِي سُؤَالٍ مِنْ سَنَةِ ٣ هـ . وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ ، فَوَجَدَهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي وَقَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ ، وَمُثِّلَ بِهِ ، فَجُدَعَ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ . فَحَزَنَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ (ﷺ) حُزْنًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَغِيْظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِّهِ مَا فَعَلَ ، قَالُوا : «وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرْنَا اللَّهَ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ .

وَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى حَمْزَةَ قَالَ : «لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا ، مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغِيْظُ إِلَيَّ مِنْ هَذَا» (١) .

وَلَمْ يَرَ النَّبِيُّ (ﷺ) مَنْظَرًا أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْ مَنْظَرِ حَمْزَةَ مَقْتُولًا مُثَّلًّا بِهِ ، فَقَالَ : «رَحِمَكَ اللَّهُ يَا عَمُّ ! فَلَقَدْ كُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ ، فَعُولًا لِلْخَيْرَاتِ ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللَّهُ بِالْقَوْمِ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ» (٢) . فَمَا بَرَحَ حَتَّى نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٦) ﴿٣﴾ ، فَعَفَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، وَصَبَرَ ، وَنَهَى عَنِ التَّمَثِيلِ .

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَتَى بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا ، فَقَالَ : «قَتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ

(١) «سيرة ابن هشام» (٤٧/٣) .

(٢) «سيرة ابن هشام» (٤٥/٣ - ٤٦) .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٢٦ .

مَنِّي ، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَتْ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ - وَأَرَاهُ قَالَ : وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي - ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ - أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عَجَّلَتْ لَنَا . ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ ^(١) .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : نَظَرُوا ، فَإِذَا حَمْزَةُ بَقِرَ بَطْنُهُ وَأَخَذَتْ هِنْدُ كَبِدَهُ فَلَاكَتْهَا ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ هِنْدُ أَنْ تَأْكُلَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكَلْتُ مِنْهَا شَيْئًا ؟ » ، قَالُوا : لَا ، قَالَ : « مَا كَانَ لِلَّهِ لِيُدْخَلَ شَيْئًا مِنْ حَمْزَةِ النَّارِ » ^(٢) .

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَمْزَةَ فَدُفِنَ فِي أَحَدٍ ، وَدُفِنَ مَعَهُ ابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَأُمُّهُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ قَدْ مُثِّلَ بِهِ أَيْضًا ^(٣) ، وَقَبْرُهُمَا فِي أَحَدٍ حَتَّى الْيَوْمَ .

وَحَظِيَ حَمْزَةُ رضي الله عنه بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَرَاثِي ؛ لِإِعْجَابِ النَّاسِ بِهِ ، وَتَقْدِيرِهِمْ لِسَجَايَاهُ .

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه يَرِثِي حَمْزَةَ رضي الله عنه :

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

(١) «صحيح البخاري» (١٢٧٥) .

(٢) إسناده حسنٌ لغيره «طبقات ابن سعد» (١/٣) .

(٣) «البداية والنهاية» (٤/٤٢) .

عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً
أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا
رَسُولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ
أَلَا مِنْ مُبْلِغٍ عَنَّا لُؤْيَاً
أَلَا يَا هِنْدُ لَا تُبْدِي شِمَاتًا
أَحْمَزَةُ ذَاكُمْ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ!
هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوُصُولُ
مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
فَبَعْدَ الْيَوْمِ وَائِلَةُ تَدُولُ
بِحَمْزَةٍ إِنَّ عِزَّكُمْ ذَلِيلُ

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

صَاحِبُ السَّيْفَيْنِ مَاذَا صَنَعَا؟
غَابَ عَنْ أَصْحَابِهِ مَا عَلِمُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا حَمْزَةُ
إِنَّهُ عَمُّكَ إِلَّا أَذْنًا
إِنَّهُ عَمُّكَ فَانْظُرْ بَطْنَهُ
أَسَدُ اللَّهِ رَمَاهُ ثَغْلَبُ
وَدَّعَ الصَّفَّيْنِ وَالذُّنْيَا مَعَا
أَيَّ دَارٍ حَلَّ لَمَّا وَدَّعَا
أَتَرَى عَيْنَاكَ مِنْهُ الْمَضْرَعَا؟
قُطِعَتْ مِنْهُ، وَأَنْفَا جَدِعا
كَيْفَ شَقُّوهُ وَعَاثُوا فِي الْمَعَى
يَالَهُ مِنْ حَادِثٍ مَا أَبْدَعَا!

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ^(١) يَرِثِي حَمْزَةَ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ :

دَعَّ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا	وَابْنُكَ عَلَى حَمْزَةَ ذِي النَّائِلِ
وَاللَّائِسِ الْخَيْلَ إِذَا مَا أَحْبَمْتُ	كَالَلَيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ
أَبْيَضَ فِي الذَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ	يَمُرُّ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
مَالَ شَهِيدًا بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ	شُلَّتْ يَدَا وَخْشِيٍّ مِنْ قَاتِلِ
أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدَانِهِ	وَاسْوَدَّ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ فِي جَنَّةٍ	عَالِيَةٍ مُكْرَمَةٍ الدَّاخِلِ

لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ .. وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ لَا بَوَاكِي لَهُمْ :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : « سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) نِسَاءَ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى هَلَاكِهِنَّ ، فَقَالَ : « لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ ! » . يَالَهَا مِنْ كَلِمَةٍ تُثْمِلُ حُزْنَ النَّبِيِّ (ﷺ) الْبَالِغِ عَلَى فَقْدِ حَمْزَةَ ! يَبْكِي فِيهِ الْبُطُولَةُ ، وَالْفُرُوسِيَّةُ ، وَالْغَيْرَةُ ، وَحُبُّ الْجِهَادِ ، وَالْبَذَلِ ، وَالْعَطَاءِ . فَلَمَّا سَمِعْنَ قَوْلَهُ (ﷺ) جِئْنَ فَبَكَيْنَ عَلَى حَمْزَةَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ قَالَ (ﷺ) : « مُرُوهُنَّ لَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ » ^(٢) .

فَهَلْ مِنْ مُعْتَبَرٍ بِمُصَابِ الْإِسْلَامِ الْأَكْبَرِ فِي وَاقِعِنَا الْمَعَاصِرِ ؟ ، الْمُسْلِمُونَ يُحْرَقُونَ وَهُمْ أَحْيَاءُ فِي «بُورْمَا» و«إفريقيا» ، وَلَا بَوَاكِي لَهُمْ . أَهْلُ الشُّنَّةِ فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ يُقْتَلُونَ وَتُنْتَهَكُ أَعْرَاضُهُمْ جَهَارًا نَهَارًا مِنَ الصَّفَوِيِّينَ وَالنُّصَيْرِيِّينَ ، وَلَا بَوَاكِي لَهُمْ .

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ١٠٧-١١٠) .

(٢) «مسند أحمد» (٧/ ١٠٦-١٠٧) ، «صحيح ابن ماجه» (١٥٩١) .

يَا بِلَادًا عَزَّ الْفَوَارِسُ فِيهَا وَتَخَلَّى عَنْ سَاحَتِهَا الضَّرْعَامُ

وَمَا أَرَوَعَ مَا وَصَفَ بِهِ الشَّاعِرُ يُوسُفَ الْعَظْمَ حَالِ أَمْتِنَا ^(١) :

كَسَرْنَا قُوسَ حَمْرَةٍ عَنْ جَهَالِهِ	وَحَطَّمْنَا بِلَا وَغِي نِبَالِهِ
فَمَزَقْنَا الْعَدُوَّ وَلَا جِهَادٍ	وَشَرَدْنَا الطُّغَاةَ وَلَا عَدَالِهِ
وَبَاتَتْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ حَيْرِي	وَبَاتَ رُعَاتُهَا فِي شَرِّ حَالِهِ
فَلَا الصَّدِيقُ يَرْعَاهَا بِحَزْمٍ	وَلَا الْفَارُوقُ يُورِثُهَا فِعَالِهِ
وَلَا عُثْمَانُ يَمْنَحُهَا عَطَاءً	وَيُرْخِصُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالَهُ
وَلَا سَيْفٌ صَقِيلٌ مِنْ عَلِيٍّ	يُفَيِّئُنَا إِلَى (عَدْنٍ) ظِلَالِهِ
وَلَا زَيْدٌ يَقُودُ الْجَمْعَ فِيهَا	لِحَرْبٍ أَوْ يُعِدُّ لَهَا رِجَالَهُ
وَلَا الْقَعْقَاعُ يَهْتَفُ بِالسَّرَايَا	فَتَخْشَى سَاحَةَ الْهَيْجَانِ زَالَهُ
وَلَا حِطَّيْنُ يُصْنَعُهَا صَلاَحُ	طَوَى الْجُبْنَاءُ فِي خَوَرٍ هِلَالَهُ
سَرَى صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ فِي حِمَانَا	وَقَدْ فَقَدَتْ مَا ذُنُنَا بِلَالَهُ
وَأَقْصَانَا يُدْنِسُهُ يَهُودٌ	وَيَعْبَثُ فِي مَرَابِعِهِ حُثَالَهُ
مُؤَامَرَةٌ يُدَبِّرُهَا يَهُودٌ	وَيَرْعَاهَا عَمِيلٌ لَا أَبَالَهُ

(١) ديوان «في رحاب الأقيص» (ص: ٢٠٧).

(٢) شَجَاعَةُ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه

أَبُو سُلَيْمَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ رضي الله عنه ، سَيْفُ اللَّهِ قَائِدُ الْمُجَاهِدِينَ ، وَفَارِسُ الْإِسْلَامِ ، وَلَيْثُ الْمُجَاهِدِينَ ، وَالْإِمَامُ الْكَبِيرُ ، السَّدَادُ لِنُحُورِ الْعَدُوِّ . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدٌ ، سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ» ^(١) .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ : «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ عَقَدَ لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ ، وَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ» ^(٢) .

شَهَادَةُ عَظِيمَةٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِحَقِّ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه :

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : «وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلُمُونَ خَالِدًا ، قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعُهُ وَأَعْتَدَتْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ^(٣) .

إِنَّهُ خَالِدٌ ، هَازِمُ الْفُرسِ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ ، إِنَّهُ خَالِدٌ الَّذِي فَتَحَ ثُلُثِي الْعِرَاقِ خِلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

لِلَّهِ دَرْكٌ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ! تَمَّتْ لِحْيُوشِهِ السَّيْطَرَةُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ثُلْثِي

(١) صحيح . رواه أحمد والترمذي ، والألباني «صحيح الجامع» (٦٧٧٦) ، و«السلسلة الصحيحة» (١٢٣٧) .

(٢) الحاكم «المستدرک» (٢٩٨ / ٣) ، صحيح الألباني «السلسلة الصحيحة» .

(٣) «صحيح البخاري» (١٤٦٨) ، «صحيح مسلم» (٩٨٣) .

العِراقِ خِلالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عامَ ١٢ هـ ، في ما بَيْنَ أواخرِ مُحَرَّمٍ وأوائلِ ربيعِ الأولِ . وهذا إنْجَازُ عَسْكَرِيٍّ عَظِيمٍ مُدْهِشٍ ، تَعَجُّزُ اليَوْمِ عَنِ تَحْقِيقِهِ أَغْتَى الجُيُوشِ المُدَجَّجَةُ بِالصَّواريخِ ، والطَّائِراتِ ، والأساطيلِ ، والدَّبَّابَاتِ . فُبُورِكَ زَنْدُكَ ، وَبُورِكَ سَيْفُكَ وَرُحْمُكَ ، وَبُورِكَ جِوَادُكَ ، وَبُورِكَ هِمَّتِكَ ؛ أَعْلَى الهِمَمِ وَأَشْرَفُهَا ، وَأَنْبَلُهَا ، وَأَعَزُّهَا ، وَأَغْلَاهَا !

لَقَدْ كَانَ خَالِدٌ قَائِدًا لَا يُجَارَى ، وَلَا يُبَارَى فِي خُطَطِهِ ، وَأُسْلُوبِ قِتَالِهِ وَشَجَاعَتِهِ . وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ أَنَّ مَعَارِكَهَ كَانَتْ أَغْرَبَ مِنَ الْخَيَالِ ، وَلَهُ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ ذِكْرٌ وَنَبَأٌ تَطِيرُ بِهِ الرُّكَبَانُ .

وَلِلَّهِ دُرُّ الصَّدِيقِ حِينَ قَالَ فِي خَالِدٍ وَهُوَ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ بَعْدَ انتِصَارَاتِ الْعِراقِ عَلَى الْفُرْسِ الْمَجُوسِ : « يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ ، عَدَا أَسَدُكُمْ عَلَى الْأَسَدِ فَغَلَبَهُ عَلَى خَرَادِيلِهِ ، أَعَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يُنْشِئْنَ مِثْلَ خَالِدٍ ؟ ! » ، أَوْ : « عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ خَالِدٍ » ^(١) . وَقَالَ أَيْضًا : « مَا كُنْتُ لِأَشِيمَ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ » .

إِنَّهُ خَالِدٌ رضي الله عنه هَازِمُ الرُّومِ فِي أَرْضِ الشَّامِ ، إِنَّهُ خَالِدٌ يَشْرَبُ مِنْ دِمَاءِ الرُّومِ ، وَيَسْحَقُهُمْ :

اجْتَمَعَ خَالِدٌ قَائِدُ الْمُسْلِمِينَ مَعَ (بَاهَانِ) قَائِدِ الرُّومِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، فَقَالَ بَاهَانُ : « إِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ الْجَهْدُ وَالْجُوعُ ، فَهَلُمُّوا إِلَيَّ أَنْ أُعْطِيَ

(١) ابن الأثير (٢/ ١٤٩) .

كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ، وَكِسْوَةً، وَطَعَامًا، وَتَرْجِعُونَ إِلَى بِلَادِكُمْ، فَإِذَا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ بَعَثْنَا لَكُمْ بِمِثْلِهَا؟!». فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه: «إِنَّهُ لَمْ يُخْرِجْنَا مِنْ بِلَادِنَا مَا ذَكَرْتَ، غَيْرَ أَنَّا قَوْمٌ نَشْرَبُ الدِّمَاءَ؛ وَإِنَّهُ بَلَّغَنَا أَنَّهُ لَا دَمَ أَطْيَبَ مِنْ دَمِ الرُّومِ، فَجِئْنَا لِدَلِّكَ». فَقَالَ أَصْحَابُ بَاهَانَ: «هَذَا وَاللَّهِ مَا كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِهِ عَنِ الْعَرَبِ!».

قَالَ أَهْلُ التَّارِيخِ عَنْ خَالِدٍ: كَانَ الْفَرَسُ قَدْ هَابُوهُ هَيْبَةً شَدِيدَةً، وَكَانَ خَالِدٌ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ، كَانَ عَذَابًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَيْثًا مِنَ اللَّيْثِ.

وَقَالَ مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه: «تَأَمَّرَ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه، وَاحْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَلَا مَتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحَارَبَ أَهْلَ الرَّدَّةِ وَمُسَيْلِمَةَ، وَغَزَا الْعِرَاقَ، وَاسْتَظْهَرَ، ثُمَّ اخْتَرَقَ الْبَرِّيَّةَ السَّامَوِيَّةَ؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ قَطَعَ الْمَفَازَةَ مِنْ حَدِّ الْعِرَاقِ إِلَى أَوَّلِ الشَّامِ فِي خَمْسِ لَيَالٍ فِي عَسْكَرٍ مَعَهُ، وَشَهِدَ حُرُوبَ الشَّامِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي جَسَدِهِ قَذْرٌ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ» (١).

فَعُدَّ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَأَعْمَالِهِ: قَطَعَ الْبَرِّيَّةَ السَّامَوِيَّةَ وَالْمَفَازَةَ مِنَ الْعِرَاقِ فِي خَمْسِ لَيَالٍ. لَقَدْ كَانَتْ قِيَادَةُ خَالِدٍ هَذِهِ الْفِتْرَةَ قِيَادَةً عَبْقَرِيَّةً حَقًّا. وَمَا أَصْدَقَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عِنْدَمَا وَصَفَهَا قَائِلًا عَنْ خَالِدٍ: «لَهُ أَنَاةُ الْقَطَاةِ وَوُثُوبُ الْأَسَدِ». وَقَدْ كَانَ لَخَالِدٍ وَثُوبُ الْأَسَدِ مِنْ قَبْلُ، فَجَمَعَ فِي أَيَّامِ فَتْحِ الْعِرَاقِ أَنَاةَ الْقَطَاةِ وَوُثُوبَ الْأَسَدِ؛ وَبِذَلِكَ جَمَعَ مِيزَتَيْنِ مِنْ أَبْرَزِ مَزَايَا الْقِيَادَةِ الْعَبْقَرِيَّةِ.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/١٠٨).

كَانَ خَالِدٌ يَهْوَى مِهْنَةَ الْجُنْدِيَّةِ ، وَيُفَضِّلُهَا عَلَى كُلِّ مِهْنَةٍ أُخْرَى ، وَكَانَ عَسْكَرِيًّا بِالْفِطْرَةِ مِنْ أَحْصَصِ قَدَمِيهِ إِلَى قِمَّةِ رَأْسِهِ . وَمَا أَصْدَقَهُ حِينَ وَصَفَ هَوَاهُ بِالْجُنْدِيَّةِ بِقَوْلِهِ : « مَا لَيْلَةٌ يُهْدَى إِلَيَّ فِيهَا عَرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ أَوْ أُبَشِّرُ فِيهَا بِغُلَامٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْجَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، أَصْبَحُ بِهِمُ الْعَدُوَّ . فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ ! » (١) .

لَقَدْ نَصَّ خَالِدٌ بِكَلِمَتِهِ هَذِهِ « سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ » ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَقْدَمَ الْمُسْلِمِينَ إِسْلَامًا ، فَهُمْ أَرْسَخُ الْمُسْلِمِينَ عَقِيدَةً ، وَأَشَدُّهُمْ ضَبْطًا وَطَاعَةً ؛ لِذَلِكَ آثَرَهُمْ خَالِدٌ بِالذِّكْرِ ؛ فَهُوَ يَصِفُ بِقَوْلِهِ هَذَا هَوَاهُ الْعَمِيقَ بِالْجُنْدِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَرَغْبَتِهِ الْمُلْحَاحَةَ فِي قِيَادَةِ جُنُودِ ذَوِي عَقِيدَةٍ رَاسِخَةٍ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ؛ إِذِ إِنَّ الْقَائِدَ الْمُتَمَازِ بِدُونِ جُنُودٍ مُتَمَازِينَ مَضِيعَةً لِلْجُهْدِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ .

لَقَدْ جَمَعَ خَالِدٌ الطَّبَعَ الْمَوْهُوبَ وَالْعِلْمَ الْمُكَتَسَبَ ، فَجَمَعَ بِذَلِكَ كُلَّ عَوَامِلِ تَكْوِينِ الْعَسْكَرِيِّ الْمُتَمَازِ . كَانَتْ ثِقَتُهُ بِنَصْرِ اللَّهِ ثِقَةً لَا حُدُودَ لَهَا ، وَيُؤْمِنُ بِهَا إِيْمَانًا رَاسِخًا ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِأَهْلِ « قِنْسَرِينَ » (٢) : « إِنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ فِي السَّحَابِ لَحَمَلْنَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ ، أَوْ لَأَنْزَلَكُمْ اللَّهُ إِلَيْنَا » (٣) .

وَبَلَغَ عُمَرُ رضي الله عنه مَا فَعَلَ خَالِدٌ بـ « قِنْسَرِينَ » ، فَقَالَ مَقُولَتَهُ الْعَظِيمَةَ : « أَمَرَ خَالِدٌ نَفْسَهُ ! يَرْحَمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، هُوَ كَانَ أَعْلَمَ بِالرَّجَالِ مِنِّي ، إِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ رَيْبٍ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ عَظَّمُوهُ ، فَخَشِيتُ أَنْ يُوَكَّلُوا إِلَيْهِ » .

(١) « المصنف » ، ابن أبي شيبة (٣١٧/٥) ، « الإصابة » (٤١٤/١٢) ، وبتهديب ابن باز (١٠٧/٥) ، ابن حبان « الثقات » (١١١/٣) .

(٢) قنسرين : بلدٌ في أرض الشام ، جنوب حلب .

(٣) الطبري (٩٨/٣) ، ابن الأثير (١٩١/٢) .

خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ قَادَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ :

قَالَ الْجِنَرَالُ الْأَلْمَانِيُّ (فُونْ غُولْتِر) صَاحِبُ كِتَابِ «الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ» :
«خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ؛ إِنَّهُ أُسْتَاذِي فِي فَنِّ الْحَرْبِ» .

وَقَالَ (دِرْمِنْغَهَام) : «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ؛ إِنَّهُ قَائِدٌ كَبِيرٌ ، لَمْ يُغْلَبْ أَوْ يُقَهَّرْ ،
ذَكِيٌّ وَمُمْتَازٌ فِي قِيَادَتِهِ» .

وَقَالَ (مُولَر) : «نَابِلْيُون شَبِيهُ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَلَمْ يَأْبَهُ لَشَيْءٍ إِلَّا
الْحَرْبَ ، وَلَمْ يَرْغَبْ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئًا سِوَى الْحَرْبِ ^(١) ، وَشَتَّانَ شَتَّانَ مَا بَيْنَ
الرَّجُلَيْنِ !!» .

يَكْفِي أَنْ تَذْكُرَ مَاضِيَهُ الْعَسْكَرِيَّ فَقَطْ ، فَقَدْ شَهِدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَ مَعَارِكٍ
ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَهِدَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَعْرَكَةً ، وَشَهِدَ فِي
حُرُوبِ الرَّدَّةِ ثَلَاثَ مَعَارِكٍ ، هِيَ أَهَمُّ وَأَخْطَرُ وَأَكْبَرُ مَعَارِكِ أَهْلِ الرَّدَّةِ ، وَقَاتَلَ
الْفُرْسَ وَحُلَفَاءَهُمْ فِي خَمْسِ عَشْرَةَ مَعْرَكَةً ، وَخَاضَ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى
أَرْضِ الشَّامِ غِمَارَ أَرْبَعِ مَعَارِكٍ ، وَقَادَ سَبْعَ مَعَارِكٍ فِي أَرْضِ الشَّامِ ؛ فَكَانَ
عَدَدُ مَا شَهِدَ مِنْ مَعَارِكٍ فِي حَيَاتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ مَشْهُدًا ، كَانَتْ
نَتَائِجُهَا بَاهِرَةً جِدًّا فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ، وَفِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ .

فَأَيُّ قَائِدٍ قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ شَهِدَ هَذَا الْعَدَدَ الضَّخْمَ مِنَ الْمَعَارِكِ فِي فِتْرَةٍ
قَصِيرَةٍ جِدًّا مِنْ عُمُرِ الزَّمَنِ وَعُمُرِ الرَّجَالِ دُونَ أَنْ يُهْزَمَ لَهُ لَوَاءٌ ، أَوْ تُنْكَسَ لَهُ

(١) بِسَامِ الْحَلْبِيِّ ، «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ» (ص : ١٠) .

رَايَةً؟!! ، وَأَيُّ قَائِدٍ قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ بَقِيَتْ آثَارُ فُتُوحَاتِهِ مِنَ الْيَمَنِ جَنُوبًا إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ شَمَالًا كُلَّ هَذِهِ الْقُرُونِ الطُّوَالِ؟!! ، ذَلِكَ هُوَ مَاضٍ خَالِدٌ يَزْدَادُ بِحَاضِرِهِ كُلَّ يَوْمٍ عُلوًّا .

لَقَدْ جَمَعَ خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَجْدَ مِنْ أَطْرَافِهِ ؛ مَجْدَ الْمَنْبَتِ الطَّيِّبِ ، وَمَجْدَ النَّشْأَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَمَجْدَ التَّارِيخِ . فَلَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مَفَاخِرِ أَصْحَابِ الْإِيَّامِ أَنْ يَقُولُوا : « قَاتَلْنَا تَحْتَ لَوَاءِ خَالِدٍ » ؛ لِيَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّهُمْ أَبْلَوْا فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ وَفِي خِدْمَةِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ أَعْظَمَ الْبَلَاءِ .

وللمزيد عن هَذَا الْقَائِدِ الْعَظِيمِ ، نُحِيلُ الْقَارِئَ إِلَى مَا كَتَبَهُ عَنْهُ اللَّوَاءُ الرُّكْنُ «مَحْمُودُ شَيْتِ خَطَّاب» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) .

خَالِدٌ قَائِدٌ عَبْقَرِيٌّ :

تَحْتَ هَذَا الْعُنْوَانِ كَتَبَ اللَّوَاءُ الرُّكْنُ مَحْمُودُ شَيْتِ خَطَّابُ قَائِلًا : لَا أَعْرِفُ قَائِدًا عَبْقَرِيًّا فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ غَيْرَ الرَّسُولِ الْقَائِدِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَتَسْلِيمُهُ عَلَيْهِ - يُمَكِّنُ أَنْ نُطْلَقَ عَلَيْهِ الْقَائِدُ الْعَبْقَرِيُّ ، إِلَّا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ .

وَلَسْتُ أَفْضَلُ عَبْقَرِيَّةَ قِيَادَةِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ عَلَى عَبْقَرِيَّةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ خُضُوعًا لِعَاطِفَتِي ، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ؛ وَلَكِنِّي مُقْتَنِعٌ بِذَلِكَ بَعْدَ دِرَاسَةٍ مُسْتَفِيزَةٍ لِمَزَايَا قِيَادَةِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ سَيِّدِ الْقَادَاتِ ، وَقَائِدِ السَّادَاتِ ، رَجُلِ الرِّجَالِ ، بَطْلِ الْأَبْطَالِ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) «قادة فتح العراق والجزيرة» (ص : ١٩٣-١٩٤) .

مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٍ مِنْ شَجَاعَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خَالِدٌ يُنْقِذُ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ فَنَاءٍ أَكِيدٍ يَوْمَ «مُوتَةِ» :

لَقَدْ أَتَنَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ . فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَرِوِي مَا حَدَّثَ فِي «مُوتَةِ» : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ ، فَقَالَ : «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ؛ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» ^(١) .

هَنِيئًا لـ «سَيْفِ اللَّهِ» اسْمُ أَطْلَقَهُ أَصْدَقُ النَّاسِ ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ ، وَأَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فِي مَعْرَكَةِ «مُوتَةِ» اسْتَطَاعَ خَالِدٌ بِحِكْمَتِهِ وَمَهَارَتِهِ أَنْ يُعِيدَ الثَّقَةَ إِلَى أَنْفُسِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ أَعَادَ تَنْظِيمَ صُفُوفِهِمْ ، وَقَدْ أَبْلَى خَالِدٌ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ بَلَاءً حَسَنًا ، فَقَدْ اندَفَعَ إِلَى صُفُوفِ الْعَدُوِّ يُعْمَلُ فِيهِمْ سَيْفُهُ قَتْلًا وَجَرَحًا حَتَّى تَكَسَّرَتْ فِي يَدِهِ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ . فَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، قَالَ : «سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ : لَقَدْ تَقَطَّعَتْ فِي يَدَيَّ يَوْمَ مُوتَةِ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدَيَّ إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ» ^(٢) .

(١) «صحيح البخاري» (٧/٥١٢، ٤٢٦٢) .

(٢) «الإصابة» (٢/٩٩) .

وَلَمَّا بَاتَ خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ جَعَلَ مُقَدِّمَةَ الْجَيْشِ سَاقَتَهُ ، وَسَاقَتَهُ مُقَدِّمَتَهُ ، وَمَيْمَنَتَهُ مَيْسِرَتَهُ ، وَمَيْسِرَتَهُ مَيْمَنَتَهُ ، فَأَنْكَرَ الْأَعْدَاءُ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ مِنْ رَايَاتٍ وَهَيْئَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالُوا : قَدْ جَاءَهُمْ مَدَدٌ . فَرُعِبُوا !! .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ضَرَاوَةِ الْمَعْرَكَةِ وَكَثْرَةِ أَعْدَادِ جَيْشِ الْعَدُوِّ ^(١) ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا دُونَ الْعَشْرَةِ . أَمَّا الْأَعْدَاءُ فَلَمْ يُعْرِفْ عَدَدُ قَتْلَاهُمْ ، غَيْرَ أَنَّ وَصَفَ الْمَعْرَكَةِ يُدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَثِيرٌ ، فَقَدْ اُنْدَقَّتْ عَلَى يَدِ خَالِدٍ بِمُفْرَدِهِ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ فِي صُفُوفِ الْعَدُوِّ .

وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ ظَافِرِينَ ، وَدَلِيلُهُ : قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ حِينَمَا نَعَى زَيْدًا ، وَجَعَفَرًا ، وَعَبَدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ؛ إِذْ قَالَ فِي نِهَايَةِ الْحَدِيثِ : « حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ؛ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ » . ففِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْفَتْحَ وَالنَّصْرَ كَانَ بِجَانِبِ الْمُسْلِمِينَ .

خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى مَيْمَنَةِ قُوَّاتِ الْمُسْلِمِينَ :

لَقَدْ جَاهَدَ أَبُو سُلَيْمَانَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَحْتَ لِوَاءِ الرَّسُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ . كَانَ خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى مَيْمَنَةِ قُوَّاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتِ الْمَيْمَنَةُ مُؤَلَّفَةً مِنْ : أَسْلَمَ ، وَغِفَارَ ، وَمُزَيْنَةَ ، وَجُهَيْنَةَ . وَكَانَ وَاجِبُهُ دُخُولُ مَكَّةَ مِنْ أَسْفَلِهَا مِنْ «الَلِيثِ» . وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ أَمَرَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَالِدًا . كَانَتْ نَوَايَا الرَّسُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَرِيحَةً جَدًّا ، فَقَدْ قَالَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَخَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(١) ثلاثة آلاف مسلم يواجهون هجمات جيش متلاطم يبلغ عدده مائتي ألف مقاتل .

«لَا تُقَاتِلَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَكُمَا» ^(١) ، إِلَّا بَعْضَ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ جَمَعُوا نَاسًا بِالْخَنْدَمَةِ ^(٢) أَسْفَلَ مَكَّةَ لِيُقَاتِلُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَيَصُدُّوهُمْ عَنْ فَتْحِ مَكَّةَ . قَاتَلَهُمْ خَالِدٌ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ رَجُلًا ، ثُمَّ انْهَزَمُوا ، وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلَانِ ^(٣) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَمْ أَنُحِمْ عَنْ الْقِتَالِ؟» ، فَقِيلَ لَهُ : خَالِدٌ قُوتِلَ ، فَقَاتَلَ .

قَالَ خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «بَدَّوْنَا بِالْقِتَالِ ، وَرَمَوْنَا بِالنَّبْلِ ، وَوَضَعُوا فِيْنَا بِالسَّلَاحِ ، وَقَدْ كَفَفْتُ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا ، حَتَّى إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ أُقَاتِلَهُمْ ، فَظَفَرْنَا بِاللَّهِ بِهِمْ ، فَهَرَبُوا مِنْ كُلِّ وَجْهِ . وَقُتِلَ ٢٨ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ انْهَزَمُوا .

يَقُولُ ابْنُ حَمَاسٍ الدَّيْلِيُّ (فَارِسُ مَكَّةَ) لَمَّا عَاتَبَتْهُ زَوْجُهُ عَلَى فِرَارِهِ فِي الْخَنْدَمَةِ :

وَأَنْتِ لَوْ شَهِدْتِنَا بِالْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ

وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَكَّةَ عَلَى صَهَوَاتِ جِيَادِهِمُ الصَّاهِلَةِ ، وَتَحْتَ رَايَاتِ الْإِسْلَامِ الْخَافِقَةِ ، وَتَكْبِيرَاتِهِمُ الصَّادِعَةِ الرَّائِعَةِ تَرْجُحُ مَكَّةَ رَجَاءً ، وَتَهْلِيلَاتِهِمُ الْبَاهِرَةِ الظَّافِرَةُ ؛ يَبْدُو الْكَوْنُ مَعَهَا كَأَنَّهُ كُلُّهُ فِي عِيدٍ .

(١) «تاريخ الطبري» (٢/٢٣٢) ، «أسد الغابة» (٢/٩٤) ، «سيرة ابن هشام» (٤/٤٧٠) .

(٢) الخندمة : جبل بأسفل مكة ، «معجم البلدان» (٣/٤٧٠) .

(٣) «فتح الباري» (٨/٨) .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ فِي ذَلِكَ :

دِيَارُ مَكَّةَ هَذَا خَالِدٌ دَلَفَا طَوْدٌ مِنَ الشَّرْكِ خَانَتْهُ جَوَانِبُهُ
فَمَا احْتِيَالُكَ فِي الطُّورِ الَّذِي رَجَفَا لَمَّا مَشَى نَحْوَهُ الطُّورُ الَّذِي زَحَفَا

خَالِدٌ يَهْدُمُ الْعُزَّى وَلَا عُزَّى بَعْدَ الْيَوْمِ :

بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ﷺ
فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا لِهَدْمِ الْعُزَّى ، وَهِيَ : هَيْكَلٌ بـ «نَخْلَةٍ» تُعَظَّمُهُ قُرَيْشٌ ، وَكِنَانَةٌ ،
وَمُضَرٌّ . وَهِيَ أَكْبَرُ أَصْنَامِ قُرَيْشٍ وَأَعْظَمُهَا . وَكَانَ ذَلِكَ خَمْسَ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ .

يَا عَزُّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ذَهَبَتِ الْعُزَّى وَلَا عُزَّى بَعْدَ الْيَوْمِ !

إِنَّ تَوَلَّى خَالِدٌ ﷺ وَاجِبَ الْقَائِدِ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ دَلِيلُ ثِقَةِ الرَّسُولِ ﷺ
بِكِفَاءَةِ قِيَادَتِهِ ، وَتَوَلَّيْهِ مَهْمَةً (هَدْمِ الْعُزَّى) دَلِيلٌ عَلَى ثِقَةِ الرَّسُولِ ﷺ
بِرُسُوخِ عَقِيدَتِهِ .

وَمِنْ شَجَاعَتِهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ :

كَانَ خَالِدٌ ﷺ عَلَى مُقَدِّمَةِ خَيْلِ (بَنِي سُلَيْمٍ) فِي نَحْوِ مِائَةِ فَارِسٍ خَرَجُوا
لِقِتَالِ قَبِيلَةِ (هَوَازِنَ) فِي شَوَّالِ (سَنَةِ ٨ هـ) ، وَقَدْ أَبْلَى خَالِدٌ فِيهَا كِعَادَتَهُ

بَلَاءٌ حَسَنًا ، وَقَاتَلَ بِشَجَاعَةٍ ، وَثَبَّتَ فِي الْمَعْرَكَةِ بَعْدَ أَنْ فَرَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَظَلَّ يُقَاتِلُ بِنِسَالَةٍ وَبُطُولَةٍ حَتَّى أَثْنَتَهُ الْجِرَاحُ الْبَلِيغَةُ . فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا أَصَابَهُ سَأَلَ عَنْ رَحْلِهِ لِيُعَوِّدَهُ .

وَمِنْ شَجَاعَتِهِ ﷺ أَسْرُ «أَكِيدَر» صَاحِبِ «دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ» (١)

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبُيُوتِكِ بَضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ؛ لِئَرِيَهُمْ أَنَّ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ لَا يَرْهَبُ أَحَدًا ، وَلِيُؤَمِّنَ الْحُدُودَ الشَّامِلِيَّةَ بِمُجَاهَدَةِ الْمَجَاوِرِينَ لَهُ ، فَعَاهَدَ ﷺ صَاحِبَ «أَيْلَةَ» ، وَأَهْلَ «جَرْبَاء» وَ«أَذْرَح» . وَبِهَذِهِ الْعُهُودِ أَمِنَ النَّبِيُّ ﷺ هَؤُلَاءِ ، وَأَمِنَ مَجِيءَ الرُّومِ مِنْ نَاحِيَتِهِمْ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا «أَكِيدَر» صَاحِبُ «دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ» ، فَيُخَشِئُ مِنْهُ انْتِفَاضَةً أَوْ مُعَاوَنَةً لْجُيُوشِ الرُّومِ ، إِذَا جَاءَتْ مِنْ نَاحِيَتِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي خَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ سَيَجِدُهُ يَصْطَادُ الْبَقَرَ . فَذَهَبَ إِلَيْهِ خَالِدٌ فَإِذَا أَكِيدَرٌ وَأَخُوهُ حَسَّانُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَصْطَادُونَ بَقَرَ الْوَحْشِ لَيْلًا ، فَلَمْ يَجِدُوا مُقَاوَمَةً تُذَكِّرُ ، فَقَتَلُوا أَخَاهُ وَأَسْرَوْا أَكِيدَرًا . وَكَانَ عَلَيْهِ قِبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ (٢) مُخَوَّصٌ بِالذَّهَبِ . فَاسْتَقْبَلَهُ خَالِدٌ مِنْهُ وَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ، فَصَارَ الصَّحَابَةُ يَلْمُسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ : «أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا» (٣) .

(١) دومة ؛ هي : المعروفة بـ(دومة الجندل) بين المدينة ، ودمشق . وأكيدر على صيغة المصغر هو ابن الملك الكندي الذي ملكها .

(٢) ديباج : حرير .

(٣) «صحيح البخاري» (٧/ ١٥٠) ، رقم الحديث : (٥٨٣٦) .

ثم قَدِمَ خَالِدٌ بِأَكِيدَرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَحَقَنَ دَمَهُ ، وَأَمَنَهُ ، وَصَالَحَهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ خَلَى سَبِيلَهُ . وَذَكَرَ بَعْضُ الْكَاتِبِينَ فِي السَّيَرَةِ أَنَّهُ أَسْلَمَ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْكَاتِبُونَ فِي تَارِيخِ الصَّحَابَةِ فِي إِسْلَامِهِ وَعَدَمِهِ ، وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ (١) .

لِلَّهِ دُرُكٌ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ! إِنَّ فِتْرَةَ إِسْلَامِكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ تَتَجَاوَزْ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ ، فَقَاتَلْتَ شِمَالًا عَلَى حُدُودِ أَرْضِ الشَّامِ ، وَجَنُوبًا فِي الْيَمَنِ ، وَشَهِدْتَ أَحَدَ عَشَرَ مَشْهَدًا ؛ قَاتَلْتَ فِي ثَلَاثَةِ مَشَاهِدَ مِنْهَا تَحْتَ لِوَاءِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ الْقُدْوَةِ ﷺ ، وَقَاتَلْتَ فِي ثَلَاثِ مَشَاهِدَ مِنْهَا قَائِدًا مُسْتَقِلًّا ، وَلَمْ يُقَاتِلْ فِي خَمْسَةِ مَشَاهِدَ مِنْهَا ؛ بَلْ أَنْجَزَ وَاجِبَهُ سِلْمًا . فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا الْبَطْلِ الْوَقْتُ الْكَافِي لِتَحْقِيقِ كُلِّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ ؟ لَقَدْ كَانَ خَالِدٌ مَوْضِعَ ثِقَةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَتْ لَهُ قَابِلِيَّاتٌ نَادِرَةٌ فِي الْقِيَادَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، لَا يُجُودُ بِهَا الزَّمَانُ إِلَّا نَادِرًا .

وَمِنْ شَجَاعَةِ سَيْفِ اللَّهِ :

لَمَّا التَقَى جَيْشُ الْإِسْلَامِ بِجَيْشِ الْفُرْسِ الْمَجُوسِ مَعَ نَصَارَى الْعَرَبِ ، قَالَ أَحَدُ نَصَارَى الْعَرَبِ لِمَهْرَانَ الْفَارِسِيِّ : «دَعْنَا وَخَالِدًا ، نَحْنُ الْعَرَبُ أَعْلَمُ بِقِتَالِ الْعَرَبِ» . فَقَدَّمَهُ مَهْرَانُ الْفَارِسِيِّ لِيَتَّقِيَ بِهِ . بَلَغَتْ الْمَقَالَةُ خَالِدًا فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُلَقِّنَ الْمَغْرُورَ دَرْسًا لِكُلِّ مَغْرُورٍ ، وَيُخْبِرَهُ أَيَّ رِجَالِ حَرْبٍ هُمْ الْمُسْلِمُونَ .

وفي أَنَاةِ القَطَاةِ ، وَوُثُوبِ الأَسَدِ ، قَامَ عاشِقُ المَفَاجَاتِ ، مَنْ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيْمُ ، وَلَا يُبَالِي أَوْقَعَ عَلَى المَوْتِ أَمْ وَقَعَ المَوْتُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : «إِنِّي حَامِلٌ عَلَيْهِ بَعِيْنِهِ وَمَيْنِهِ» .

فَمَا كَانَ إِلَّا اللَّيْثُ أَنَهَضَهُ الطَّوِيُّ وَمَا كَانَ إِلَّا سَيْفٌ فَارَقَهُ الغِمْدُ

خَرَجَ إِلَيْهِ فِي جَرِيْدَةٍ مِنَ الخَيْلِ ، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِتَسْوِيَةِ صُفُوفِ جَيْشِهِ ، وَجَيْشُهُ مُشْغِلٌ بِالتَّنْظَرِ إِلَى خَالِدٍ ، مَا عَسَى أَنْ يَفْعَلَ أَمَامَ عَشْرَاتِ الآلَافِ . وَبَيْنَمَا هُمْ غَارِقُونَ فِي دَهْشَتِهِمْ ، إِذْ انْقَضَ خَالِدٌ فِي أَسْلُوبٍ صَاعِقٍ مَفَاجِئٍ ؛ كَالْبَرْقِ الخَاطِفِ أَوِ الرِّعْدِ القَاصِفِ أَوِ الرِّيحِ العَاصِفِ - عَلَى المَغْرُورِ ، فَاخْتَطَفَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ جَيْشِهِ كَأَنَّهُ ذَبَابٌ .

ذُبَابٌ طَارَ فِي لَهَوَاتِ لَيْثٍ كَذَاكَ اللَّيْثُ يَلْتَهُمُ الذُّبَابَا

حَمَلَهُ عَلَى فَرَسِهِ كَمَا يُحْمَلُ الصَّبِيُّ الرَضِيعُ ؛ لِيَرْجِعَ بِهِ إِلَى المُسْلِمِينَ ، وَحَالَهُ :

فَلَوْ كُنْتُ حُرَّ العَرَضِ أَوْ ذَا حَفِيْظَةٍ غَلَبْتُ وَلَكِنْ لَمْ تَلِدْكَ الحَرَارِيُّ

ثُمَّ قَالَ لَهُ خَالِدٌ نَفْسَ مَقَالَتِهِ : «نَحْنُ العَرَبُ أَعْلَمُ بِقِتَالِ العَرَبِ» . ثُمَّ قَدَّهُ بِالسَّيْفِ ، وَرَمَاهُ عَلَى الجِسْرِ ، وَقَالَ : «هَكَذَا فَاصْنَعُوا بِهِمْ» .

لِلَّهِ دَرُّ أَبِي سُلَيْمَانَ ! انْتَضَحَ بَحْرُهُ فَأَغْرَقَ ، وَقَدَحَ زَنْدُهُ فَأَحْرَقَ ، فَصَارَ حَيْثُ هُمْ مَيِّتًا ، وَهَذَرُهُمْ صَمْتًا ، وَجِبَاهُهُمْ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ، لَمْ

يَتَحَمَّلُوا الصَّدَمَةَ ، فَلَاذُوا بِالْفِرَارِ ، فَرَكَبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ
وَيَسْبُونَ ، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى الْحِصْنِ ، ثُمَّ نَزَلُوا عَلَى رَأْيِهِ ، فَدَمَّرَ
جَيْشَهُمْ بِأَكْمَلِهِ ، وَلَمْ يَخْسِرُوا فَرْدًا مِنْ جَيْشِهِ .^(١)

وَخَالِدٌ رَجُلٌ حَرَبٍ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ ؛ فَبَيْتُهُ ، وَنَشَأَتُهُ ، وَتَرْبِيَّتُهُ ،
وَحَيَاتُهُ كُلُّهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ ، كَانَتْ كُلُّهَا وَعَاءً لِفَارِسٍ ، وَنَخَاصَ دَاهِيَةٍ .

كَانَ مَجْمُوعٌ مَا شَهِدَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَعَارِكٍ فِي حَيَاتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ
أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ مَعْرَكَةً ، كَانَتْ نَتَائِجُهَا كُلُّهَا بَاهِرَةً فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ، وَفِي
تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ حَسَمَ أَكْثَرَ مِنْ مَعْرَكَةٍ بِهُجُومِهِ شَخْصِيًّا عَلَى قَائِدِ الْعَدُوِّ وَقَتْلِهِ ؛ مِمَّا
أَدَّى إِلَى انْهِيارِ مَعْنَوِيَّاتِ رِجَالِهِ وَاسْتِسْلَامِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَانْتِصَارَاتُهُ الْبَاهِرَةُ جَعَلَتْهُ قَائِدًا مَشْهُورًا مُنْذُ كَانَ ، وَحَتَّى الْيَوْمَ ،
وَالِإِذَا مَا شَاءَ اللَّهُ ؛ لَيْسَ عَلَى النَّطَاقِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ وَحَسْبَ ، بَلْ عَلَى
النَّطَاقِ الْعَالَمِيِّ . وَمَعَارِكُهُ تُدْرَسُ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ
الْأَجْنَبِيَّةِ ، كَمَا تُدْرَسُ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِيَّةِ .

وَطَالَمَا سَمِعْنَا أَوْ قَرَأْنَا أَنَّ أَلَمَعَ قَادَةَ الْغَرْبِ يَفْخَرُونَ بِأَنَّهُمْ طَبَّقُوا خُطَّةَ
عَسْكَرِيَّةً تَعَلَّمُوهَا مِنْ خُطَّةِ خَالِدٍ ، وَطَالَمَا سَمِعْنَا وَقَرَأْنَا أَنَّ أَلَمَعَ الْقَادَةِ

(١) «إباض البرق في شجاعة سيد الخلق ﷺ» ، علي القرني (ص : ١٤٦-١٤٧) بإختصار .

الْأَجَانِبِ يُشَبِّهُهُمُ الَّذِينَ يَصِفُونَهُمْ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ وَالْكِتَابِ بَأَنَّهُمْ : كَخَالِدٍ!! وَلَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْهُمْ كَمِثْلِهِ أَبَدًا ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالصُّورَةِ . وَحَسْبُهُ قَوْلُهُ ﷺ فِيهِ : « خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ » (١) .

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ ﷺ : « شَهِدْتُ مِثَّةَ زَخْفٍ أَوْ زُهَاءَهَا ، وَمَا فِي جَسَمِي - جَسَدِي - مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ أَوْ طَعْنَةٌ أَوْ رَمِيَّةٌ ، ثُمَّ هَا أَنَذَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ!! فَعَلَيْكُمْ بِالْجَهَادِ » (٢) .

وَرَوَى عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدًا الْوَفَاةُ قَالَ : « لَقَدْ طَلَبْتُ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ ، فَلَمْ يَقْدَرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي ، وَمَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ التَّوْحِيدِ مِنْ لَيْلَةٍ بَثُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ ، وَالسَّمَاءُ تُهْلِنِي ، نَتَظَرُّ الصُّبْحَ حَتَّى نُغَيِّرَ عَلَى الْكُفَّارِ » . ثُمَّ قَالَ ﷺ : « إِذَا مِتُّ ، فَانْظُرُوا إِلَى سِلَاحِي وَفَرَسِي ، فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

فَلَمَّا تُوفِّيَ خَرَجَ عُمَرُ ﷺ عَلَى جَنَازَتِهِ ، فَقَالَ : « مَا عَلَى آلِ الْوَلِيدِ أَنْ يَسْفِخْنَ عَلَى خَالِدٍ مِنْ دُمُوعِهِنَّ مَا لَمْ يَكُنْ نَقْعًا أَوْ لَقْلَقَةً » .

تُوفِّيَ خَالِدٌ ﷺ سَنَةَ ٢١ هـ ، وَأَيُّ إِنْسَانٍ سَلِيمٍ الْقَلْبِ يَقْرَأُ سِيرَتَهُ سَيَرَى قَائِدًا عَظِيمًا نَفَعَ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ . وَمَنْ قَرَأَ قِيَادَتَهُ لِلْجُيُوشِ وَفَتْوحَاتِهِ الْعَظِيمَةَ ، عَلِمَ أَنَّ أَقْرَأَ نَقْفٍ أَمَامَ عِمْلَاقٍ عَرَفَتْهُ سَاحَاتُ

(١) «المستدرک» (٣/ ٢٩٨) ، صححه الألباني ، «الصحیحة» .

(٢) «الإصابة» (١/ ٤١٤) ، «تهذيب ابن عساکر» (٥/ ١٠٧) .

الْوَعَى . إِنَّ رُوحَ أَبِي سُلَيْمَانَ وَرِيحَانَهُ لَيُوجَدَانِ دَائِمًا وَأَبَدًا حَيْثُ تَصْهَلُ
الْخَيْلُ ، وَتَلْتَمِعُ الْأَسِنَّةُ ، وَتَخْفُقُ رَايَاتُ التَّوْحِيدِ فَوْقَ الْجُيُوشِ الْمُسْلِمَةِ ،
وَاللَّهِ لَا نَجِدُ خَيْرًا مِنْ كَلَامِ أُمِّهِ فِيهِ يَوْمَ دَفِنِهِ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
أَشْجَاعٌ؟ فَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ غَضَنْفَرٍ يَذُودُ عَنْ أَشْبَالِ
أَجَوَادٍ؟ فَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنْ سَيْلٍ غَامِرٍ يَسِيلُ بَيْنَ الْجِبَالِ

وَسَمِعَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) فَازْدَادَ قَلْبُهُ خَفَقًا ، وَدَمْعُهُ دَفَقًا وَقَالَ :
«صَدَقْتَ وَاللَّهِ !! إِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ» .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

حِصَانُكَ فِي الْيَرْمُوكِ يَشْرَبُ دَمْعَهُ وَيَا لَعَذَابِ الْخَيْلِ إِذْ تَتَذَكَّرُ
رِفَاقَكَ فِي الْأَنْبَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ لِفَقْدِ عُيُونِ الْفُرْسِ فَالْكَلُّ أَغْوَرُ
وَنَهَرُ الدَّمِ يَبْكِيكَ لَوْنُ دِمَائِهِ وَنَذْرَالَهُ الْأَضْيَافُ صَلُّوا وَكَبَّرُوا
وَقَوْلُ بـ «قَنْسَرِينَ» يَشْتَاقُ مَا جِدَا إِلَى السُّحُبِ مَرَقَانَا وَلِلشَّرِكِ نَدَحَرُ
سَلُّوا بِطُرْيَاقِ الرُّومِ : لِمَ لَفَّ وَجْهَهُ وَحَزَلَهُ الْأَخْنَفُ رَأْسًا يُنْدَرُ؟
مَقَالِكَ لِلرُّومَانِ عِزٌّ وَرِفْعَةٌ وَكَمْ صَيَّرَ الْعِمْلَاقُ (مَا هَانَ) أَحْقَرُ
وَأَنَا لَنَشْرَبُ الدَّمَ نَشْتَاقُ دَائِمًا وَطَعْمُ دِمَاءِ الرُّومِ أَشْهَى وَأَعْطَرُ
تُرَدِّدُهَا الْأَجْيَالُ دَوْمًا لِخَالِدٍ لَأَلِيٍّ عِزٌّ سَوْفَ تَبْقَى وَتُزْهَرُ

لَقَدْ خُلِقَ خَالِدٌ لِيَكُونَ قَائِداً ، فَعَاشَ قَائِداً ، فَإِنْ غَابَ جَسَدُهُ عَنِ الْوُجُودِ ،
لَكِنَّهُ بَقِيَ حَيًّا فِي النُّفُوسِ ، وَآثَارُهُ بَقِيَتْ خَالِدَةً فِي التَّارِيخِ ، وَانْتِصَارَاتُهُ كَانَتْ
وَلَا تَزَالُ وَسَتَبْقَى مُعْجِزَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ ؛ بَلْ تَارِيخِ
الْحُرُوبِ لِكُلِّ الْأُمَمِ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

إِيَّاهُ يَا بَطْلَ كُلِّ نَصْرٍ ، وَيَا فَجَرَ كُلِّ لَيْلٍ ، لَقَدْ كُنْتَ تَعْلُو بِرُوحِ جَيْشِكَ
عَلَى أَهْوَالِ الزَّحْفِ بِقَوْلِكَ لَجُنْدِكَ : «عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرِيَّ» حَتَّى
ذَهَبَتْ عَنْكَ مَثَلًا ، وَهِيَ أَنْتَ ذَا قَدْ أَتَمَمْتَ مَسْرَاكَ ، فَلْيُصَاحِبَكَ الْحَمْدُ أَبَا
سُلَيْمَانَ !! وَلِذِكْرَاكَ الْمَجْدُ ، وَالْعِطْرُ ، وَالْخُلْدُ يَا خَالِدُ !! .

وَمَا أَرْوَعَ كَلِمَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَهُوَ يَرِثِي أَبَا سُلَيْمَانَ : «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا
سُلَيْمَانَ ، مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا كَانَ فِيهِ ، وَلَقَدْ عَاشَ حَمِيدًا ، وَمَاتَ سَعِيدًا» .

(٣) شَجَاعَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْكَلْبِيِّ

القائدُ الشَّهِيدُ ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَكْثَرُ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ قِيَادَةً
لِسَرَايَاهُ ، وَالصَّحَابِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي ذَكَرَ اسْمُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَهُوَ أَوَّلُ
مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي بِاتِّفَاقٍ أَهْلِ الْعِلْمِ .

بُورِكَتَ يَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَمَا لَكَ فِي الْمَوَالِي الصَّالِحِينَ نَظِيرُ
إِيهِ أَمِيرَ الْجُنْدِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ جُنْدٌ وَلَا مِثْلَ الْأَمِيرِ أَمِيرُ

مَنْ هَذَا الَّذِي حَمَلَ دُونَ سِوَاهُ لَقَبَ «الْحَبِّ» ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟!!

هو : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنُ شُرَاحِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى . صَحَابِيُّ جَلِيلٌ ،
كَانَ أَوَّلَ النَّاسِ مِنَ الْمَوَالِي إِسْلَامًا ، وَكَانَ يُعْرَفُ بِـ «حَبِّ» رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَكَانَ طِفْلًا حِينَ سُبِّيَ وَوَقَعَ بِيَدِ حَكِيمِ بْنِ حُزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ حِينَ اشْتَرَاهُ مِنْ سُوقِ
عُكَازٍ مَعَ الرَّقِيقِ ، فَأَهْدَاهُ إِلَى عَمَّتِهِ خَدِيجَةَ ، فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَهَا
فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا ، فَوَهَبَتْهُ لَهُ ، فَأَعْتَقَهُ وَتَبَّنَاهُ ، وَصَارَ يُعْرَفُ فِي مَكَّةَ كُلِّهَا بِـ
«زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ» . وَذَلِكَ كُلُّهُ كَانَ قَبْلَ الْوَحْيِ .

هَذَا الصَّحَابِيُّ الْعَظِيمُ الَّذِي اخْتَارَ الْعُبُودِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحُرِّيَّةِ
مَعَ أَبِيهِ وَعَمَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَامَ أَبِيهِ وَعَمَّتِهِ : «أَنَا مَنْ قَدْ
عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ ، فَاخْتَرْنِي أَوْ اخْتَرْتَهُمَا» . فَقَالَ أَبُوهُ وَعَمَّتُهُ : «وَيْحَاكَ
يَا زَيْدُ! أَلْتَخَارَ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ ، وَعَلَى أَيْكَ ، وَعَمَّكَ ، وَأَهْلَ بَيْتِكَ؟»

قَالَ ﷺ: «نَعَمْ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا». فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ أَخْرَجَهُ إِلَى «الْحِجْرِ»، فَقَالَ: «يَا مَنْ حَضَرَ، أَشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا أَرِثُهُ وَيَرِثُنِي». فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ، طَابَت أَنْفُسُهُمَا، وَانْصَرَفَا، فَدُعِيَ: «زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ»، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ.

أَحَبَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُبًّا عَظِيمًا، وَكَانَ بِهَذَا الْحُبِّ خَلِيقًا وَجَدِيرًا، فَوْفَاؤُهُ لَا نَظِيرَ لَهُ، وَعَظَمَةُ رُوحِهِ، وَعِفَّةُ ضَمِيرِهِ، وَلِسَانِهِ، وَيَدِهِ شَمَائِلُ تُضْرَبُ بِهَا الْأَمْثَالُ.

كُلُّ ذَلِكَ - وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ - كَانَ يُزَيِّنُ خِصَالَ «زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ»، أَوْ «زَيْدِ الْحَبِّ»؛ كَمَا كَانَ يُلقَّبُهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَآخَى الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَبَيْنَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (١).

شَهِدَ النَّبِيُّ ﷺ لَزَيْدٍ بَأَنَّهُ خَلِيقٌ بِالْإِمَارَةِ. وَتَقْوِيمُ النَّبِيِّ ﷺ لِكِفَاءَةِ زَيْدٍ الْقِيَادِيَّةَ لَا يُعَادِلُهُ وَلَا يُقَارِبُهُ أَيُّ تَقْوِيمٍ، وَهُوَ يُفَوِّقُ أَيُّ تَقْوِيمٍ. وَهَذَا التَّقْوِيمُ لِكِفَاءَةِ زَيْدٍ الْقِيَادِيَّةَ يَدُلُّ عَلَى ثِقَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْكَامِلَةِ بِزَيْدٍ وَاعْتِمَادِهِ الْمُطْلَقِ عَلَيْهِ. وَهُوَ تَقْدِيرٌ عَظِيمٌ، وَثِقَةٌ بِالِغَةِ، وَاعْتِمَادٌ هَائِلٌ اسْتَحَقَّه زَيْدٌ بِمَزَايَاهُ الْقِيَادِيَّةِ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤَلِّي ثِقَتَهُ الْكَامِلَةَ إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا بِجِدَارَةٍ.

(١) يُنْظَرُ: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٤١-٤٢)، «الإصابة» (٣/ ٢٥)، «الاستيعاب» (١/ ٥٧)، «أسد الغابة» (١/ ٦٤).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبْنِي الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ بِالْعَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ ، وَالْأُسُوءَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يَضْرِبُهَا لِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً بِشَخْصِهِ الْكَرِيمِ ، وَتَوَلِيَةِ الرَّجُلِ الْمُنَاسِبِ لِلْعَمَلِ الْمُنَاسِبِ ؛ لِيَقُودَ الْأُمَّةَ أَفْضَلَ رِجَالِهَا عَقِيدَةً وَشَجَاعَةً وَاقْتِدَارًا ؛ بِالنِّسْبَةِ لِلْوَاجِبَاتِ وَالْمَسْئُولِيَّاتِ الَّتِي يَتَقَلَّدُونَهَا .

كَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الرُّمَّةِ الْمَعْدُودِينَ الْمَذْكُورِينَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَيِ إِنَّهُ كَانَ قَنَاصًا ، كَمَا نُطْلِقُ عَلَى أَمْثَالِهِ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْحَدِيثَةِ . وَقَدْ اسْتَغَلَّ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى ، فَقَتَلَ عَدَدًا مِنْ أَبْرَزِ سَادَاتِ قُرَيْشٍ ، كَمَا اسْتَغَلَّ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ فِي الْغَزَوَاتِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا : غَزْوَةُ بَدْرٍ ، الْخَنْدَقُ ، الْحُدَيْبِيَّةُ ، وَخَيْبَرُ ، وَغَيْرُهَا . كَمَا اسْتَغَلَّهَا فِي السَّرَايَا الَّتِي قَادَهَا بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ تِسْعُ سَرَايَا سَيَأْتِي ذِكْرُهَا .

كَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْكَلْبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْفُرْسَانِ الْمَاهِرِينَ ، وَتَدَرَّبَ عَلَى الْفُرُوسِيَّةِ كَأَيِّ عَرَبِيٍّ آخَرَ فِي مُحِيطِهِ ، فَبَرَعَ بِهَا ، وَأَتَقَنَهَا إِتْقَانًا مُتَمَيِّزًا .

وَقَدْ نَشَأَ زَيْدٌ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ أَوْ مَعَ أَوَّلِ مَنْ آمَنَ ، وَأَصْبَحَ مُسْتَعَدًّا لِلتَّضَحِّيَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ الَّتِي آمَنَ بِهَا .

أَمَّا عَقْلِيَّتُهُ الرَّاجِحَةُ فَقَدْ ظَهَرَتْ بِوَادِرُهَا مُنْذُ نُعُومَةِ أَظَافِرِهِ ، وَمَا تَفْضِيلُهُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ وَعَمِّهِ وَآلِ بَيْتِهِ إِلَّا نُمُودَ جِ عَقْلِيَّتِهِ الرَّاجِحَةِ الْحَصِيفَةِ ، وَطَالَمَا اسْتَشَارَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مُعْضَلَاتِ الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ .

وَهَذِهِ بِاخْتِصَارٍ سَرَايَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ كَمَا ذَكَرَهَا أَهْلُ الْمَغَازِي :

أولاً : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةِ الْقَرَدَةِ ^(١) :

وهي أَوَّلُ سَرِيَّةٍ خَرَجَ فِيهَا زَيْدٌ أَمِيرًا . وَخَرَجَ لِهَلَالِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، عَلَى رَأْسِ سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْرًا ^(٢) ، مِنْ مُهَاجَرِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ أَيِ : فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ .

ثانياً : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةٍ إِلَى سُلَيْمٍ بِالْجُمُومِ ^(٣) :

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْدًا إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ بِالْجُمُومِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ الْهِجْرِيَّةِ ، فَسَارَ عَلَى رَأْسِ سَرِيَّتِهِ الَّتِي لَا يُعْرَفُ تَعْدَادُ رِجَالِهَا ؛ حَتَّى وَرَدَ الْجُمُومَ نَاحِيَةَ «بَطْنِ نَخْلٍ» ^(٤) عَنْ يَسَارِهَا . وَ«بَطْنُ نَخْلٍ» مِنَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةُ بُرْدٍ .

ثالثاً : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةِ الْعَيْصِ ^(٥) :

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْدًا إِلَى الْعَيْصِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعُ لَيَالٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ذِي الْمَرْوَةِ لَيْلَةٌ ، فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ هِجْرِيَّةٍ . فَقَدْ بَلَغَ النَّبِيُّ أَنَّ

(١) الْقَرَدَةُ : مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ ، بَيْنَ الرَّبَذَةِ وَالْغَمْرَةِ نَاحِيَةَ ذَاتِ عَرْقٍ . يُنْظَرُ : «طَبَقَاتُ أَبِي سَعْدٍ» (٣/٣٦) ، «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (٥/٧) .

(٢) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٣/٢) ، «مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ» (٥٠/٧) .

(٣) الْجُمُومُ : أَرْضُ بَنِي سُلَيْمٍ . يُنْظَرُ : «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (٣/١٤٠) .

(٤) بَطْنُ نَخْلٍ : جُمُعُ نَخْلَةٍ . قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ . يُنْظَرُ : «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (٢/٢١) .

(٥) الْعَيْصُ : مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ بَنِي سُلَيْمٍ بِهِ مَاءٌ ، يُقَالُ لَهُ : ذُبَابُ الْعَيْصِ . يُنْظَرُ : «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (٦/٢٤٨) .

عِيراً لِقْرِيشٍ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ ، فَبَعَثَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي سَبْعِينَ وَمِئَةِ رَاكِبٍ يَتَعَرَّضُ لَهَا ، فَأَخَذُوهَا وَمَا فِيهَا ، وَأَخَذُوا يَوْمَئِذٍ فِضَّةً كَثِيرَةً لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَأَسْرَوْا نَاساً مِمَّنْ كَانُوا فِي الْعِيرِ .

رابعاً : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةِ الطَّرَفِ ^(١) :

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْدًا عَلَى سَرِيَّةٍ إِلَى الطَّرَفِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ هَجْرِيَّةٍ . وَالطَّرَفُ : مَاءٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمِرَاضِ دُونَ النَّخِيلِ ، عَلَى (٣٦) مَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ طَرِيقَ الْبَصْرَةِ عَلَى الْمَحَجَّةِ . وَخَرَجَ زَيْدٌ إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا ، فَأَصَابَ نَعْمًا وَشَاءً ، وَهَرَبَتِ الْأَعْرَابُ ، وَصَبَحَ زَيْدٌ بِالنَّعَمِ الْمَدِينَةَ ، وَهِيَ عِشْرُونَ بَعِيرًا ، وَلَمْ يَلَقَ كَيْدًا . وَغَابَ أَرْبَعَ لَيَالٍ ، وَكَانَ شِعَارُهُمْ : «أَمِتْ .. أَمِتْ» ^(٢) .

وَكَانَ هَدَفُ هَذِهِ السَّرِيَّةِ : تَأْمِينُ الْمَدِينَةِ الْقَاعِدَةِ الْأَمْنِيَّةِ لِلْإِسْلَامِ ، وَفَرْضُ سَيْطَرَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقَبَائِلِ بِالْهُجُومِ عَلَيْهَا ؛ لِأَنَّ الْهُجُومَ أَنْجَحُ وَسَائِلِ الدَّفَاعِ ؛ إِذْ إِنَّ الْأَعْرَابَ إِذَا لَمْ يُهَاجَمُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاجَمُوا الْمُسْلِمِينَ ؛ كَمَا هُوَ دَأْبُهُمْ .

(١) الطَّرَفُ : مَاءٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمِرَاضِ دُونَ النَّخِيلِ ، وَهُوَ عَلَى ٣٦ مَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ بِاتِّجَاهِ الْعِرَاقِ . يَنْظُرُ : «مَعْجَم

الْبِلْدَانِ» (ص : ٤٣) .

(٢) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (٢ / ٨٧) .

خَامِساً : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةِ حِصْمَى ^(١) :

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْداً عَلَى سَرِيَّةٍ إِلَى حِصْمَى ، وَهِيَ وَرَاءَ وَادِي الْقُرَى ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ الْهَجْرِيَّةِ .

سَادِساً : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةِ وَادِي الْقُرَى ^(٢) :

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْداً عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ إِلَى وَادِي الْقُرَى ، فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ الْهَجْرِيَّةِ ؛ لِتَأْدِيبِ بَنِي فَزَارَةَ .

سَابِعاً : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةِ أُمِّ قَرْفَةَ بِوَادِي الْقُرَى :

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْداً عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ إِلَى أُمِّ قَرْفَةَ بِوَادِي الْقُرَى ، عَلَى سَبْعِ لَيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ الْهَجْرِيَّةِ . وَهِيَ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ مِنْ بَنِي بَدْر . وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا : «لَوْ كَانَتْ أَعَزَّ مِنْ أُمِّ قَرْفَةَ» ^(٣) ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ يُعَلَّقُ فِي بَيْتِهَا خَمْسُونَ سَيْفاً ، كُلُّهُمْ لَهَا ذُو مَحْرَمٍ .

وَعَادَ زَيْدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَرَعَ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُسْرِعاً وَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ ، فَأَخْبَرَ زَيْدٌ بِانْتِصَارِهِ وَغَنَائِمِهِ .

(١) حِصْمَى : أَرْضٌ بِيَادِيَّةٌ بِيَادِيَّةُ الشَّامِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَادِي الْقُرَى لَيْلَتَانِ ، وَبَيْنَ مَدِينَتَيْ سِتْ لَيَالٍ .

(٢) وَادِي الْقُرَى : وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ ، مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ ، كَثِيرُ الْقُرَى .

(٣) «عِيُونَ الْأَثَرِ» (٢/ ١١٠) .

وَهَكَذَا أَخَذَ زَيْدٌ بَشَارَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَتَلَتْهُمْ فَرَارَةٌ ، وَأَعَادَ هَيْمَنَةَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ ، وَلَقِّنَ فَرَارَةَ دَرْسًا لَا يَنْسَوْنَهُ أَبَدًا ؛ كَمَا لَقِّنَ غَيْرَهَا مِنْ الْقَبَائِلِ مِثْلَ هَذَا الدَّرْسِ .

ثَامِنًا : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةٍ إِلَى مَدِينِ :

كَانَتِ السَّرِيَّةُ إِلَى مَدِينِ قَرِيَّةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ تَجَاهُ بَبُوكَ . وَقَدْ أَصَابَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ سَبِيًّا عَادَتْ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

تَاسِعًا : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ سَرِيَّةٍ مُؤْتَةٍ (١) :

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْدًا عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ إِلَى مُؤْتَةٍ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ لِلْهِجْرَةِ .

كَانَتْ سَرَايَا زَيْدٍ كُلُّهَا تَعَرُّضِيَّةً ، تَشِيْعُ فِيهَا رُوحُ الْمُبَاغَةِ ؛ فَكَانَتْ جَمِيعُ سَرَايَاهُ ﷺ - عِدَا سَرِيَّةٍ مُؤْتَةٍ - مُبَاغَتَةً كَامِلَةً لِأَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِذَلِكَ اسْتَطَاعَ الْإِنْتِصَارَ عَلَيْهِمْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قِلَّةِ قُوَّاتِهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى كَثَرَةِ قُوَّاتِهِمْ ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ ، بَيْنَمَا كَانَتْ خُطُوطُ مُوَاصَلَاتِ زَيْدٍ بَعِيدَةً عَنِ الْمَدِينَةِ قَاعِدَةَ عَمَلِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ الرَّئِيسَةِ .

كَمَا أَنَّ زَيْدًا كَانَ يَحْشُرُ قُوَّاتِهِ قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَى خَوْضِ الْمَعْرَكَةِ ، وَكَانَ يُدِيمُ مَعْنَوِيَّاتِ تِلْكَ الْقُوَّاتِ . وَيُمْكِنُ اعْتِبَارُ سَرَايَاهُ فِي هَدَفِهَا الرَّئِيسِ

(١) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . ينظر : «معجم البلدان» (١ / ١٩٠) ، والبلقاء : هي الأردن الحالية .

سَرَايَا مَعْنَوِيَّاتٍ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى، وَكَانَ يُطَبِّقُ مَبْدَأَ الْأَمْنِ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَدُوُّ مُبَاغَتَهُ سَرَايَا زَيْدٍ فِي آيَةِ مَعْرَكَةٍ خَاضَهَا، وَحَتَّى سَرِيَّةٍ مُؤْتَةٍ لَمْ يُبَاغَتْ بِتَفَوُّقِ الْقُوَّاتِ الْمُعَادِيَةِ عَلَى قُوَّاتِ الْمُسْلِمِينَ عَدَدًا وَعُدَدًا، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ الشَّهَادَةَ، فَكَانَ لَهُ مَا أَرَادَ.

وَكَانَتْ سَرَايَاهُ تَحُلَّى بِالطَّاعَةِ الْمُطْلَقَةِ، وَهِيَ مَا نُسَمِّيهِ الْيَوْمَ: الضَّبْطَ الْمَتِينَ. كَمَا امْتَازَتْ سَرَايَاهُ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالْجَلْدِ وَالصَّبْرِ وَالْمُصَابِرَةِ، وَتَحْمُلِ الْمَشَاقِّ؛ وَهِيَ الصِّفَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ عَلَى الزَّمَانِ لِكُلِّ جَيْشٍ مُتَمَاسِكٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. وَكَانَ زَيْدٌ يَتَحَلَّى بِنَفْسِ مَزَايَا جَيْشِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَكَانَ مِثَالًا شَخْصِيًّا رَائِعًا لِسَرَايَاهُ فِي تِلْكَ الْمَزَايَا وَالصِّفَاتِ كُلِّهَا.

استِشْهَادُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فِي جُمَادَى الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ، خَرَجَ جَيْشُ الْإِسْلَامِ إِلَى أَرْضِ الْبَلْقَاءِ بِالشَّامِ، وَنَزَلَ جَيْشُ الْإِسْلَامِ بِجَوَارِ بَلَدَةٍ تُسَمَّى «مُؤْتَةَ»؛ حَيْثُ سُمِّيَتْ الْغَزْوَةُ بِاسْمِهَا. وَلِإِدْرَاكِ الرَّسُولِ ﷺ صُعُوبَةَ هَذِهِ الْغَزْوَةِ اخْتَارَ لَهَا ثَلَاثَةً مِنْ رُهْبَانِ اللَّيْلِ وَفُرْسَانِ النَّهَارِ، فَقَالَ ﷺ عِنْدَمَا وَدَّعَ الْجَيْشُ: «أَمِيرُ النَّاسِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ قُتِلَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ قُتِلَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ رَجُلًا، فَيَجْعَلُوهُ عَلَيْهِمْ»^(١).

(١) «مسند الإمام» (١٦٨٦)، «المستدرک علی الصحیحین» (٣/ ٢٩٥، ٥٢٥٩).

أَيُّ أَصْبَحَ زَيْدُ الْأَمِيرِ الْأَوَّلِ لَجِيْشِ الْمُسْلِمِينَ ، فَحَمَلَ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَقْتَحَمَ رِمَاحَ الرُّومِ وَنِبَاهَهُمْ وَسُيُوفَهُمْ ، فَفَتَحَ بَابَ دَارِ السَّلَامِ وَجَنَّتِ الْخُلْدُ
بِجَوَارِ رَبِّهِ . وَهَكَذَا ضَحَّى زَيْدٌ بِرُوحِهِ رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مُقْبِلًا غَيْرَ
مُدْبِرٍ ، رَافِعًا لُؤَاءَ الْإِسْلَامِ عَالِيًا ، لَمْ يُعَفِّرْهُ بِالثَّرَابِ فِي حَيَاتِهِ . فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ
لَمْ يُعَفِّرْ بِالثَّرَابِ الْمَجْبُولِ بِدَمِ الشَّهِيدِ ؛ بَلْ رَفَعَهُ فَوْرًا لِلْقَائِدِ الْجَدِيدِ ، وَعَانَقَ
زَيْدٌ مَصِيرَهُ ، لَكَأَنَّمَا كَانَتْ رُوحُهُ وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الْجَنَّةِ تَبْتَسِمُ مَجْبُورَةً
وَهِيَ تُبْصِرُ جُثْمَانَ صَاحِبِهَا ، لَا يَلْفُهُ الْحَرِيرُ النَّاعِمُ ؛ بَلْ يُضْمَخُهُ دَمٌ طَهُورٌ
سَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ تَتَسَّعُ ابْتِسَامُهَا الْمُطْمَئِنَّةُ الْهَانِئَةُ وَهِيَ تَرَى ثَانِي الْأَمْرَاءِ
«جَعْفَرًا» يَنْدَفِعُ كَالسَّهْمِ صَوْبَ الرَّايَةِ لِيَتَسَلَّمَهَا ، وَلِيَحْمِلَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَيَّبَ فِي
الثَّرَابِ .

سِرِّيَا ابْنَ حَارِثَةَ بِالْجِيْشِ تَقَدَّمَهُ هَذَا لِيَاوُوكَ فَابْعَثْنُهُ عَلَى عَجَلٍ
أَمَرَ النَّبِيُّ فِسْرِيَا زَيْدٌ مُّمْتَثِلًا وَالْجُنْدُ جُنْدُكَ مَا تَأْمُرُهُ يَمْتَثِلُ
فَإِنْ أَصِبتَ فَمَنْ سَمَى عَلَى قَدَرٍ وَلَيْسَ لِلنَّفْسِ إِلَّا غَايَةُ الْأَجَلِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَخَذَ الرَّايَةَ
زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ
فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ امْرَأَةٍ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَمَا
يَسُرُّنِي - أَوْ قَالَ : « مَا يَسُرُّهُمْ - أَنَّهُمْ عِنْدَنَا » . وَإِنْ عَيْنِيهِ لَتَذَرِفَان » (١) .

وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لَزَيْدٍ وَجَعْفَرَ وَابْنَ رَوَاحَةَ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِمْ ، فَقَالَ :
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَزَيْدٍ! اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَزَيْدٍ! اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَزَيْدٍ! اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لَجَعْفَرَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ» .

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَرِثِي زَيْدًا :

وَإِذْ كُرِّي فِي الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ	عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمَنْزُورِ
يَوْمَ وَلَّوْا فِي وَقْعَةِ التَّنْغِيرِ	وَإِذْ كُرِّي مُؤْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا
نِعَمَ مَأْوَى الصَّرِيكِ وَالْمَاسُورِ	حِينَ وَلَّوْا وَغَادَرُوا ثَمَّ زَيْدًا
سَيِّدِ النَّاسِ حُبُّهُ فِي الصُّدُورِ	حَبِّ خَيْرِ الْأَنْعَامِ طَرًّا جَمِيعًا
ذَاكَ حُزْنِي مَعَالَهُ وَسُرُورِي	ذَاكُمُ أَحْمَدُ الَّذِي لَا سِوَاهُ
لَيْسَ أَمْرَ الْمُكَذِّبِ الْمَغْرُورِ	إِنَّ زَيْدًا قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرِ

لَقَدْ كَانَ زَيْدًا قَائِدًا مُتَمَيِّزًا حَقًّا . رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْحَبِّ وَأَسْكَنَهُ أَعَالِي الْفِرْدَوْسِ .

بَعْضُ فَضَائِلِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

١ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : «إِنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنِ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ : ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ
أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ^(١) .

(١) سورة الأحزاب ، جزء من الآية : ٥ .

والحديث في «صحيح البخاري» (٤٧٨٢) ، «صحيح مسلم» (٢٤٢٥) .

٢ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَيْضاً قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثاً وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ تَطَعْنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُونَنِي فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَإِيَّامُ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيقاً لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ بَعْدَهُ » ^(١) .

٣ - قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لَزَيْدٍ : « أَنْتَ أَحْوَنَا وَمَوْلَانَا » ^(٢) .
وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَزَيْدٍ : « أَمَّا أَنْتَ يَا زَيْدُ فَأَحْوَنَا وَمَوْلَانَا » ، وَكَانَ ﷺ شَدِيدَ الثَّقَةِ بِأَمَانَةِ زَيْدٍ وَحُسْنِ تَصَرُّفِهِ ، وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ ، وَشَجَاعَتِهِ .

٤ - أَوْفَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ مَعَ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَاهُ ، فَحَمَلَا سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمَّ كُلثُومِ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدِمَ زَيْدٌ وَابْنُ رَافِعٍ بِزَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَابْنَتَيْهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ - الْمَدِينَةَ وَالْمَسْجِدَ يُبْنَى .

وَأَوْفَدَهُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى مَكَّةَ لِحَمْلِ زَيْنَبَ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ لَهَا : « كُونَا بِبَطْنِ يَأْجُجَ ، حَتَّى تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ ، فَتُصَحِّبَاهَا حَتَّى تَأْتِيَانِي بِهَا » . فَخَرَجَا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى بِشَهْرٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ ، فَاسْتَلَمَهَا زَيْدٌ وَصَاحِبُهُ ، وَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(١) «صحيح البخاري» (٧/٨٦، ٤٩٨)، «صحيح مسلم» (٤/١٨٨٤ - ١٨٨٥) .

(٢) «صحيح البخاري» (٤/١٥٥ - ٤٠٥) .

٥ - زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مِنَ الرُّمَّةِ الْمَذْكُورِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَهُوَ قَاتِلُ حَنْظَلَةَ

بَنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَ مِنْ مَشَاهِيرِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ . وَكَانَ لَهُؤُلَاءِ الرُّمَّةِ الْأَثَرُ الْعَظِيمُ فِي إِحْرَازِ الْمُسْلِمِينَ النَّصْرَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ الْحَاسِمَةِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ .

٦ - وَكَانَ زَيْدُ الْبَشِيرِ الَّذِي أَوْفَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بَفَتْحِ بَدْرِ ، فَقَدْ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ بِشِيرِينَ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي بَدْرِ .

٧ - زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ خَلِيقٌ بِالْإِمَارَةِ ، وَهُوَ أَمِيرُ تِسْعِ سَرَايَا مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَيْشٍ إِلَّا كَانَ أَمِيرَهُ .

٨ - عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : « مَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلَّا أَمَرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ بَقِيَ بَعْدَهُ اسْتَخْلَفَهُ » (١) .

٩ - وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزَوَاتٍ ، وَمَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ تِسْعَ غَزَوَاتٍ ، يُؤَمِّرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا » (٢) .

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ قَالَ : « غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعَ غَزَوَاتٍ ، وَغَزَوَاتٍ مَعَ ابْنِ حَارِثَةَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْنَا » (٣) .

هَذِهِ بِإِخْتِصَارِ سَرَايَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ كَمَا ذَكَرَهَا أَهْلُ الْمَغَازِي .

(١) «مسند أحمد» (٤٣/٤١٢) ، (٢٦٤١٠) .

(٢) «صحيح البخاري» (٤٢٧٢) .

(٣) «صحيح البخاري» (٤٢٧٢) ، «صحيح مسلم» (١٨١٥) .

شِجَاعَةُ جَعْفَرٍ ، وَزَيْدٍ ، وَابْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه فِي مَعْرَكَةِ مُؤْتَةِ :

تَجَلَّى أَرَوُّهُ صُورِ التَّضَحِّيَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْجِهَادِ وَحُبِّ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فِي مَعْرَكَةِ مُؤْتَةِ ، الَّتِي يَكْتُبُهَا التَّارِخُ بِحُرُوفٍ أَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ .

فِي مُؤْتَةِ خَرَجَ جَيْشُ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، وَعَلَيْهِ : زَيْدٌ ، وَجَعْفَرٌ ، وَابْنُ
رَوَاحَةَ رضي الله عنه هَدَفُهُمْ : «إِنْ هِيَ إِلَّا إِحْدَى الْجَنَّتَيْنِ : إِمَّا النَّصْرُ ، وَإِمَّا الشَّهَادَةُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ» . فَلَمَّا وَدَّعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا : «صَحِبَكُمْ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ ،
وَدَفَعَ عَنْكُمْ ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ» ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَقَالَ :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْعٍ تَقْدِفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدِي حَرَّانَ مُجْهِزَةٍ بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبَدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَيَّ جَدَّثِي : يَا أَرَشَدَ اللَّهِ مِنْ غَازٍ وَقَدَرَشَدَا!

وَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ جُمُوعَ الرُّومِ الْكَبِيرَةِ ^(١) فِي مَعْرَكَةِ عَجِيبَةٍ ، وَلِقَاءِ
غَيْرِ مُتَكَافِيٍّ عَدَدًا وَعُدَّةً ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم نُخْبِرُهُ
بِعَدَدِ عَدُوِّنَا . فَقَامَ ابْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لِلَّتِي خَرَجْتُمْ
تَطْلُبُونَ ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا عُدَّةٍ ، إِنَّمَا نُقَاتِلُهُمْ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي
أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَاَنْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ : إِمَّا ظُهُورٌ ، وَإِمَّا
شَهَادَةٌ .

(١) ثلاثة آلاف رجل من المسلمين يواجهون هجمات جيش متلاطم يبلغ عدده مائتي ألف مقاتل .

فَقَاتَلَ الْقَوْمَ وَعَلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ (رضي الله عنه) ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ ، وَخَرَّ صَرِيْعًا (رضي الله عنه) .

فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ (رضي الله عنه) وَكَانَ رَأْسُ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَعَقَرَهَا ؛ لِئَلَّا يَنْتَفِعَ بِهَا الْعَدُوُّ ، وَتَقَدَّمَ يُقَاتِلُ وَهُوَ يَحْمِلُ اللَّوَاءَ ، وَيَقُولُ :

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا

طَيِّبَةُ وَبَارِدُ شَرَابِهَا

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا

كَافِرَةٌ بَعِيدَةُ أَنْسَابِهَا

عَلَيَّ إِنْ لَأَقِيْتُهَا ضَرَابِهَا

فَقُطِعَتْ يَمِينُهُ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ بِشِمَالِهِ ، فَقُطِعَتْ ، فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ بَعْضُ صَدَيْهِ ، حَتَّى ضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ ضَرْبَةً فَقُطِعَتْ نِصْفَيْنِ ؛ حَتَّى قُتِلَ كَالْأَسَدِ . رَحِمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْجَسَدَ .

وَاسْتُشْهِدَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، بَعْدَ أَنْ خَطَّ فِي كِتَابِ الْبُطُولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ سُطُورًا مُشْرِقَةً ، وَكَانَ جَزَاؤُهُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ أَبْدَلَهُ اللَّهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ ^(١) ، وَلَمَّا التَّمَسَّ فِي الْقَتْلِ وَجَدَ بِهِ بَضْعٌ وَتَسْعُونَ جُرْحًا .

(١) «صحيح البخاري» ، مع الفتح (٧/ ٧٥ ، ٣٠٧٩) .

وكان ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إذا حَيَّا ابنَ جَعْفَرٍ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي
الْجَنَاحَيْنِ ^(١) .

وبَعْدَهُ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحِهِ ؛ كَاللَّيْثِ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا فِي جُمُوعِ
الرُّومِ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ ، وَهُوَ
يَقُولُ :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ
قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتُ مُطَمَّئِنَّةً
لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّ
مَالِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ
هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ

وَيَقُولُ :

يَا نَفْسُ إِنْ لَا تُثْقِلِي تَمُوتِي
وَمَا تَمَنَّيْتُ فَقَدْ أُعْطِيتِ
هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ
إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ٧٥، ٢٠٧٩) .

ثُمَّ قَاتَلَ ثَابِتًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفُ اللَّهِ خَالِدٌ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ .

نَعَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَمْرَاءَ ، وَأَطْلَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ عَلَى مَا جَرَى ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » ^(١) .

وَقَدْ أَبْلَى الْبَطْلُ خَالِدٌ وَأَصْحَابُهُ الْأَبْطَالُ بَلَاءً حَسَنًا فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ ، وَبِفَضْلِ ثَبَاتِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ تَبَدَّلَتْ هَزِيمَتُهُمْ نَصْرًا ، وَأَيُّ نَصْرٍ يُرْجَى أَكْثَرُ مِنْ صُمُودِ جَيْشٍ تَعْدَادُهُ ثَلَاثُ آلَافٍ أَمَامَ جَيْشٍ تَعْدَادُهُ مِائَتَا أَلْفٍ؟! وَانْسِحَابِهِمْ وَهُمْ مَوْفُورُوا الْعَدَدِ مُحْفُوظُو الْكَرَامَةِ .

وَإِنَّهُ لَشَيْءٌ نَادِرٌ فِي تَارِيخِ الْحُرُوبِ أَنْ يَقِفَ جُنْدِيٌّ وَاحِدٌ أَمَامَ سَبْعِينَ مِنَ الْجُنُودِ الْمُدَجَّجِينَ بِالسَّلَاحِ ، وَلَكِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي يُصَيِّرُ مِنَ الْجُبْنَاءِ شُجْعَانًا ، وَمِنَ الشُّجْعَانِ أَبْطَالًا . وَلَعَلَّ مِمَّا يُثِيرُ الْعَجَبَ : أَنَّ جَمِيعَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مُؤْتَةِ ثَمَانِيَّةٍ . وَقِيلَ : اثْنَا عَشْرَةَ .

وَفِي مَعْرَكَةِ مُؤْتَةِ تَتَجَلَّى بِوُضُوحٍ شَجَاعَةُ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَحِرْصُهُم الشَّدِيدِ عَلَى الْإِسْتِشْهَادِ فِي سَاحَاتِ الْوَعْيِ ؛ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ هِيَ أَعْلَى أُمْنِيَّاتِهِمْ ، فَكَانُوا بِحَقِّ سَادَاتِ الْمُجَاهِدِينَ الصَّادِقِينَ .

(١) «صحيح البخاري» (٧/٧٥، ٢٠٧٩) .

كَانَ قَادَةُ جَيْشِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُودُونَ جُنُودَهُمْ مِنَ الْأَمَامِ يَقُولُونَ لَهُمْ :
اتَّبِعُونَا . وَيَضْرِبُونَ أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ . وَهَكَذَا يَكُونُ الْقَادَةُ
الَّذِينَ يَحُوزُونَ عَلَى ثِقَةِ رِجَالِهِمْ عَنْ جِدَارَةٍ وَاسْتِحْقَاقٍ .

إِنَّ أَوْلِيكَ الْقَادَةَ لَمْ يَكُونُوا يَقُودُونَ رِجَالَهُمْ مِنَ (الْخَلْفِ) ، وَيَقُولُونَ
لِرِجَالِهِمْ : تَقَدَّمُوا ، ثُمَّ يَبْقُونَ قَابِعِينَ فِي مَوَاقِعَ أَمِينَةٍ ؛ كَمَا يَفْعَلُ الْقَادَةُ
أَوْ مَا يُسَمَّوْنَ أَمْرَاءَ الْفَصَائِلِ فِي يَوْمِنَا هَذَا ، يَقْبَعُونَ مُتَنَعِّمِينَ بِالْفَنَادِقِ ،
وَيَتْرَكُونَ الْمُجَاهِدِينَ يُقَاتِلُونَ فِي الْخَنَادِقِ . كَانَ شِعَارُ قَادَةِ جَيْشِ النَّبِيِّ ﷺ
فِي الْجِهَادِ : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴾ ^(١) : النَّصْرُ ، أَوْ
الشَّهَادَةُ .

(٤) شَجَاعَةُ الْمُقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه

شَجَاعَةُ الْمُقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه لَأَمْوَتَنَّ وَالْإِسْلَامُ عَزِيزٌ - أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

تَحَدَّثَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَرِفَاقُهُ فَقَالُوا : « الْمُقْدَادُ أَوَّلُ مَنْ غَدَا بِهِ فَرَسُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالُوا : أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ . وَقَالُوا : أَوَّلُ مَنْ اسْتَجَابَ لِدَاعِي غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ » .

كَانَ الْمُقْدَادُ رضي الله عنه مِنَ الْفُضَلَاءِ ، النَّجَبَاءِ ، الْكِبَارِ ، الْخِيَارِ ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَإِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

شَهِدَ الْمُقْدَادُ بَدْرًا ، وَأُحُدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَكَانَ رضي الله عنه مِنَ الْمُسَارِعِينَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَكَانَ لَهُ الْمَوْقِفُ الْمُشْرِفُ يَوْمَ غَزْوَةِ الْعَابَةِ « غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ » ؛ فَحِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : « الْفَزَعُ الْفَزَعُ !! يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي » ؛ كَانَ الْمُقْدَادُ أَوَّلُ مَنْ خَفَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه .

هُوَ الْمُقْدَادُ إِنْ دُعِيَتْ نِزَالٍ تَقَدَّمَ لَا يَهَابُ وَلَا يُبَالِي

مَوْقِفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ :

تَكْشِفُ مَعَادِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ التَّارِيخَ وَيَكْتُبُونَ بِأَحْرَفٍ مِنْ نُورٍ .

وَلَسَوْفَ يَظَلُّ مَوْقِفُهُ يَوْمَ بَدْرِ لَوْحَةً رَائِعَةً لَا يَفْضُلُ بِهَاؤُهَا مَوْقِفٌ شَامِخٌ ،
تَمَنَّى كُلُّ مَنْ رَأَاهُ لَوْ أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ . يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مَسْعُودٍ رضي الله عنه : «لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمَقْدَادِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبُهُ أَحَبَّ إِلَيَّ
مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، قَالَ : أَتَى النَّبِيُّ صلی الله علیه وسلم وَكَانَ رَجُلًا فَارِسًا ، قَالَ : أُنَبِّشُ
يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عليه السلام : اذْهَبْ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ . وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَكُونَنَّ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَمِنْ خَلْفِكَ ؛ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ» ^(١) .

وَزَادَ أَحْمَدُ : «... فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم يُشْرِقُ لِذَلِكَ ، وَسَرَّهُ
ذَلِكَ» ^(٢) .

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ : «فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتُ بِنَا إِلَى (بَرْكِ الْغِمَادِ) لَجَالَدْنَا
مَعَكَ مِنْ دُونِهِ ، حَتَّى نَبْلُغَهُ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ» ^(٣) .

انْطَلَقَتِ الْكَلِمَاتُ كَالرَّصَاصِ الْمَقْدُوفِ .. وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الرَّسُولِ صلی الله علیه وسلم ،
وَأَشْرَقَ فَمُهُ عَنْ دَعْوَةٍ صَالِحَةٍ دَعَاها لِلْمَقْدَادِ .. وَسَرَتْ فِي الْحَشْدِ الْمُؤْمِنِ
حِمَاسَةُ الْكَلِمَاتِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي أَطْلَقَهَا الْمَقْدَادُ ، وَالتِّي حَدَّدَتْ بِقُوَّتِهَا وَإِقْنَاعِهَا
نَوْعَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لِمَنْ أَرَادَ قَوْلًا .. وَطَرَّازَ الْحَدِيثِ لِمَنْ يُرِيدُ حَدِيثًا .

(١) «مسند أحمد» (٤٥٧/١) .

(٢) «مسند أحمد» (٣٩/١) .

(٣) «صحيح البخاري» : (٥١/٦) ، (٤٦٠٩) .

وفي فتح مكة :

كَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ عَلَى الْمَجْنَبَةِ الْيُسْرَى ، وَكَانَ الْمُقْدَادُ عَلَى الْمَجْنَبَةِ الْيُمْنَى ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَهَذَا النَّاسُ ، جَاءَا بِفَرَسَيْهِمَا ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسُحُ الْغُبَارَ عَنْ وَجْهَيْهِمَا بِثَوْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنِّي جَعَلْتُ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ ، وَلِلْفَارِسِ سَهْمًا ، فَمَنْ نَقَصَهُمَا نَقَصَهُ اللَّهُ » ^(١) .

وَكَانَ الْمُقْدَادُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَدَ الرُّمَةِ الْمَشْهُورِينَ الْمَذْكُورِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُمْ : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَالسَّائِبُ بْنُ عُثْمَانَ بْنُ مَطْعُونٍ ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَحَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، وَخِرَاشُ بْنُ الصُّمَّةِ ، وَأَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَبِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنُ مَعْرُورٍ ، وَأَبُو نَائِلَةَ سَلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ الظُّفَرِيُّ .

المِقْدَادُ رَجُلٌ يَقُومُ مَقَامَ أَلْفِ رَجُلٍ :

شَهِدَ الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَحَ مِصْرَ ^(٢) ، لَمَّا حَاصَرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حِصْنَ بَابِلْيُونَ أَرْسَلَ بِطَلَبِ الْمَدَدِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَمَدَّهُ بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ رَجُلٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ أَمَدْتُكَ بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ رَجُلٍ ، عَلَى كُلِّ أَلْفٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَقُومُ مَقَامَ الْأَلْفِ ، وَهُمْ : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَالْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَمَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ خَارِجَةٌ

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (٢٥/٢١٤) .

(٢) «تهذيب الأسماء واللغة» ، للنووي (١١/٢) .

بُنْ حُذَافَةَ الرَّابِعِ - لَا يُعَدُّونَ مَسْلَمَةً - ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : «إِنَّ مَعَكَ
إِثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، وَلَا يُغَلَّبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ» .

وَلِلْمَقْدَادِ فِي فَتْحِ مِصْرَ الْمَقَامَاتِ الْمَشْهُودَةُ ، وَالْبَلَاءُ الْمَحْمُودُ ، فِي بَدَايَةِ
إِحْدَى الْمَعَارِكِ أَرَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَنْهَضُوا إِلَى الْعُدَدِ ، فَأَخَذَ الْمَقْدَادُ يَقُولُ أَيْبَاتًا
تَبَعْتُ عَلَى الْحِمَاسَةِ فِي النُّفُوسِ وَتُشِيرُ إِلَى فُرُوسِيَّتِهِ :

أَنَا الْمَقْدَادُ فِي يَوْمِ النَّزَالِ أَيْدُ الضَّدِّ بِالسُّمْرِ الْعَوَالِي
وَسَيْفِي فِي الْوَعَى أَبَدًا صَقِيلُ طَلِيقُ الْحَدِّ فِي أَهْلِ الضَّلَالِ

وَمَنَاقِبُ الْمَقْدَادِ وَمَوَاقِعُهُ الْبُطُولِيَّةُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ
مِنْ أَنْ تُحْصَى

وَمِنْ جَلِيلِ مَآثِرِهِ ﷺ :

أَنَّهُ شَهِدَ مَعْرَكَةَ الْيَرْمُوكِ ، وَأَبْلَى فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا ، وَكَانَ هُوَ الْقَارِئُ لِسُورَةِ
الْجِهَادِ (سُورَةِ الْأَنْفَالِ) بَيْنَ الصُّفُوفِ .

وَشَهِدَ الْمَقْدَادُ كَذَلِكَ الْجَائِبَةَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَحَظِيَ بِدَعْوَةِ مُبَارَكَةٍ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ : «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي ، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي» ^(١) .

كَانَ الْمَقْدَادُ كَثِيرًا مَا يَنْشُدُ :

أَنَا الْفَارِسُ الْمَشْهُورُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَنَاصِرُ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

(١) رواه مسلم من حديث المقداد بن الأسود ﷺ ، (٣/ ١٦٢٥) ، (٢٠٥٥) .

«لَأَمُوتَنَّ وَالْإِسْلَامُ عَزِيزٌ» :

تِلْكَ كَانَتْ أُمْنِيَّتُهُ : أَنْ يَمُوتَ وَالْإِسْلَامُ عَزِيزٌ .. أَجَلٌ ؛ تِلْكَ كَانَتْ أُمْنِيَّتُهُ ، أَنْ يَمُوتَ وَالْإِسْلَامُ عَزِيزٌ .. كَانَ حُبُّ الْمَقْدَادِ لِلْإِسْلَامِ عَظِيمًا ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ وَاعِيًا وَحَكِيمًا . وَالْحُبُّ حِينَ يَكُونُ عَظِيمًا حَكِيمًا ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ مِنْ صَاحِبِهِ إِنْسَانًا عَظِيمًا ، لَا يَجِدُ غِبْطَةَ هَذَا الْحُبِّ فِي ذَاتِهِ ؛ بَلْ فِي مَسْئُلِيَّاتِهِ .

فَحُبُّ الْمَقْدَادِ لِلرَّسُولِ ﷺ مَلَأَ قَلْبَهُ ، وَشَعُورَهُ بِمَسْئُلِيَّاتِهِ عَنْ سَلَامَةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَلَمْ يَكُنْ تُسْمَعُ فِي الْمَدِينَةِ فَرْعَةٌ إِلَّا وَيَكُونُ الْمَقْدَادُ فِي مِثْلِ لَمَحِ الْبَصَرِ وَاقِفًا عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَمَطِّيًا صَهْوَةً فَرَسِهِ ، مُتَمَشِّقًا مُهَنَّدَةً وَحُسَامَةً .

حُبُّهُ لِلْإِسْلَامِ مَلَأَ قَلْبَهُ بِمَسْئُلِيَّاتِهِ عَنْ حِمَايَةِ الْإِسْلَامِ :

خَرَجَ يَوْمًا فِي سَرِيَّةٍ ، تَمَكَّنَ الْعَدُوُّ فِيهَا مِنْ حِصَارِهِمْ ، فَأَصْدَرَ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ أَمْرَهُ بِالْأَنْ يَرْعَى أَحَدٌ دَابَّتَهُ ، وَلَكِنْ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُحِطْ بِالْأَمْرِ خَبْرًا ، فَخَالَفَهُ ، فَتَلَقَّى مِنَ الْأَمِيرِ عُقُوبَةً أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَمَرَّ الْمَقْدَادُ بِالرَّجُلِ يَبْكِي وَيَصِيحُ ، فَأَنْبَأَهُ مَا حَدَثَ ، فَتَقَلَّدَ الْمَقْدَادُ السَّيْفَ ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَمِيرِ ، فَقَالَ لَهُ : «أَقْدَهُ مِنْ نَفْسِكَ» . فَأَقَادَهُ الْأَمِيرُ ، فَعَفَا الرَّجُلُ ، فَرَجَعَ الْمَقْدَادُ وَهُوَ يَقُولُ : لَأَمُوتَنَّ وَالْإِسْلَامُ عَزِيزٌ ^(١) .

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (٢٥/٢٠٩) .

لَلَّهِ دَرْكٌ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَهَذِهِ هِيَ عِزَّةُ الْمُسْلِمِ الْغَيُورِ عَلَى دِينِهِ وَنَبِيِّهِ ﷺ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْ فَارِسِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ - الْحَكِيمِ - صَاحِبِ الْكَلِمَاتِ النَّيِّرَةِ ، كَحَدِّ سَيْفِهِ وَحُسَامِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ، وَالْبَاطِلِ الْمَقْدَامِ ، وَالْغَيُورِ الشُّجَاعِ ، الْمَقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو .

لَقَدْ كَانَ الْمَقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو أَحَدَ اللَّبَنَاتِ الْقَوِيَّةِ الْمَتِينَةِ الَّتِي تُشِيدُ عَلَيْهَا صَرْحُ الْإِسْلَامِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ .

وَلَيْسَ كَالشُّهَدَاءِ مِنْ أَجْلِ عَقِيدَتِهِمْ لِبَنَاتٍ تُشِيدُ عَلَيْهَا صُرُوحُ الْعَقِيدَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُقَهَّرَ أَبَدًا .

رُئِيَ الْمَقْدَادُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَجْلِسُ عَلَى صُنْدُوقٍ مِنْ صَنَادِيقِ الصَّيَارِفَةِ فِي أَحَدِ أَسْوَاقِ «حِمَصَ» ، وَقَدْ كَبُرَتْ سِنُّهُ حَتَّى قَارَبَتْ عَلَى السَّبْعِينَ ، وَتَرَهَّلَ جَسَدُهُ حَتَّى فَاضَ عَلَى الصُّنْدُوقِ ، وَكَانَ سَيْفُهُ فِي حِجْرِهِ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : «مَا تَفْعَلُ هُنَا يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟» ! . فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أَنْتَظِرُ خُرُوجَ الْغَزَاةِ إِلَى الثُّغُورِ لِأَكُونُ مَعَهُمْ» . فَقَالَ لَهُ : «هَلَّا عُدْتَ إِلَى بَيْتِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكَ بَعْدَ أَنْ بَلَغْتَ مِنَ السِّنِّ مَا بَلَغْتَ» . فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «هَيْهَاتَ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ آبَتْ عَلَيْنَا سُورَةُ الْبُعُوثِ ^(١) ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ^(٢) ، أَتَجِدُ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ اسْتَثْنَانِي ؟» ^(٣) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ فَارِسِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ - الْحَكِيمِ - صَاحِبِ الْكَلِمَاتِ النَّيِّرَةِ كَحَدِّ سَيْفِهِ وَحُسَامِهِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ .

(١) يعني سورة التَّوْبَةِ .

(٢) سورة التوبة ، جزء من الآية : ٤١ .

(٣) ينظر : «الجهاد» ، عبد الله بن المبارك ، ص (٨٨) .

(٥) شَجَاعَةُ أَبِي قَتَادَةَ رِبْعِيِّ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه

أَبُو قَتَادَةَ ، رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - الصَّحَابِيُّ - شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ : « خَيْرُ فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ » ^(١) .

لَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ رضي الله عنهم فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبُطُولَةِ ، شَجَاعَةُ الصَّحَابَةِ شَجَاعَةٌ غِطْرِيَّةٌ ، وَصَرَاحَتُهُمْ صَرَاحَةٌ طَبِيعِيَّةٌ نَشَأُوا عَلَيْهَا مِنْذُ حَدَاتِهِمْ ، وَطُبِعُوا عَلَيْهَا بِفِطْرَتِهِمْ وَبِئْتَتِهِمْ ، ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ فَعَزَّزَ فِيهِمْ هَذَا الْخُلُقَ الْفَاضِلَ ، وَزَادَهُمْ مِنْهُ ، فَبَنَى حَضَارَتَهُ الصَّحِيحَةَ ، وَمَدِينَتَهُ الطَّاهِرَةَ ؛ فَقَدْ كَانَ قَائِدُهُمْ وَمُعَلِّمُهُمْ وَمُرَبِّيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْحَقِّ فِي الشَّدَّةِ .

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَصْحَابِ الشُّجْعَانِ الْأَفْذَاذِ : أَبُو قَتَادَةَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ ، جُنْدِيٌّ مِنْ جُنُودِ أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ : الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ .

شَهِدَ أَبُو قَتَادَةَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه غَزْوَةَ أُحُدٍ وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ تَحْتَ لِوَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ، كَمَا شَهِدَ كَثِيرًا مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَادَ سَرِيَّتَيْنِ مِنْ سَرَايَاهُ ، وَأَبْلَى فِي قِيَادَتِهِمَا أَعْظَمَ الْبَلَاءِ . وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَا عَنْ سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَاهُ ، وَأَبْلَى أَحْسَنَ الْبَلَاءِ فِي عَشْرِ غَزَوَاتٍ ، وَثَلَاثِ سَرَايَا ، مُجَاهِدًا صَادِقًا ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى السَّرِيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَادَهُمَا مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ قَائِدًا مُتَمَيِّزًا مُتَنَصِّرًا .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» : (١٤٣٣/٣) ، (١٨٠٧) مِنْ حَدِيثِ إِيَّاسِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ ، وَالْإِمَامِ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ إِيَّاسِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ .

كَانَ أَبُو قَتَادَةَ أَسَدًا مِنْ أَسَدِ اللَّهِ ، كَمَا شَهِدَ لَهُ الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ
وَالْفَارُوقُ عُمَرُ ، وَمَا أَحْلَاهَا مِنْ شَهَادَةٍ!! ، وَشَهِدَ حُرُوبَ الرَّدَّةِ بَعْدَ التَّحَاقِ
النَّبِيِّ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى تَحْتَ لِوَاءِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ ، فَقَاتَلَ الْمُرْتَدِّينَ
قِتَالَ الْأَبْطَالِ .

وَكَانَ أَبُو قَتَادَةَ ﷺ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مُجَاهِدًا تَارَةً ، وَقَائِدًا تَارَةً
أُخْرَى ، وَوَالِيًا تَارَةً عَلَى مَكَّةَ الْمُكْرَّمَةِ ، وَمُسْتَشَارًا مُقْرَبًا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . وَيُذَكَّرُ
أَنَّهُ كَانَ لَا يَخْشَى فِي الْحَقِّ لَوْمَةً لَائِمًا ، وَكَانَ دَائِمًا مَعَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ .

وَمِنْ دِرَاسَةِ سِيرَتِهِ الْمُفْصَّلَةِ ، نَجِدُ أَنَّ حَيَاتِهِ فِي الْجِهَادِ اقْتَطَعَتِ الْجَانِبَ الْأَكْبَرَ
مِنْ سِنِيِّ حَيَاتِهِ ، وَبَقِيَ الْجَانِبُ الْأَقْلُّ مِنْهَا لِشُؤُونِهِ الْحَيَاتِيَّةِ الْأُخْرَى ؛ مِمَّا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ كَانَتْ لَهُ تَجَارِبُ عَمَلِيَّةٍ فِي الْجِهَادِ قَائِدًا وَجُنْدِيًّا ^(١) .

شَهَادَةُ عَظِيمَةٌ لِأَبِي قَتَادَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

حَسِبُهُ أَنَّهُ نَالَ شَرَفَ الصُّحْبَةِ ، وَشَرَفِ الْجِهَادِ تَحْتَ لِوَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ،
وَشَرَفِ قِيَادَةِ قِسْمٍ مِنْ سَرَايَاهُ ﷺ ، وَقَدْ نَوَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِفَضْلِهِ
وَشَجَاعَتِهِ الْمُتَمَيِّزَةِ . عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « خَيْرُ
فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرُ رِجَالِنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ » ^(٢) .

(١) ينظر : «الإصابة» (١٥٦/٧) ، «الاستيعاب» (١٧٣١-١٧٣٢) ، «أسد الغابة» (٢٧٤/٥) .

(٢) «صحيح مسلم» (١٤٣٣/٣) ، (١٨٠٧) ، و«مسند أحمد» .

مِنْ شَجَاعَةِ الْفَارِسِ الْبَطْل :

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رضي الله عنه : «إِنِّي لَأَغْسِلُ رَأْسِي ، قَدْ غَسَلْتُ أَحَدَ شِقَّيْهِ ، إِذْ سَمِعْتُ فَرَسِي «جَرَوَةَ» تَصْهَلُ وَتَبْحَثُ بِحَافِرِهَا ، فَقُلْتُ : هَلْذِهِ حَرْبٌ قَدْ حَضَرْتَ ! فُقِمْتُ وَلَمْ أَغْسِلْ شِقَّ رَأْسِي الْآخَرَ ، فَرَكِبْتُ وَعَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِيحُ : «الْفَرَعُ ! الْفَرَعُ !» . قَالَ : وَأَدْرَكْتُ الْمُقْدَادَ بْنَ عَمْرُو ، فَسَايَرْتُهُ سَاعَةً ، ثُمَّ تَقَدَّمَهُ فَرَسِي ، وَكَانَتْ أَجُودَ مِنْ فَرَسِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْمُقْدَادُ - وَكَانَ سَبْقَنِي - بِقَتْلِ مَسْعَدَةَ مُحْرِزًا . فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ لِلْمُقْدَادِ : «يَا أَبَا مَعْبُدٍ أَنَا أَمُوتُ أَوْ أَقْتُلُ قَاتِلَ مُحْرِزٍ» . فَضْرَبَ فَرَسَهُ فَلَحِقَهُمْ أَبُو قَتَادَةَ ، وَوَقَفَ لَهُ مَسْعَدَةُ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ أَبُو قَتَادَةَ بِالْقَنَاءِ ، فَدَقَّ صُلْبَهُ وَهُوَ يَقُولُ : «خُذْهَا وَأَنَا الْخَزْرَجِيُّ» ، وَوَقَعَ مَسْعَدَةُ مَيِّتًا ، وَنَزَلَ أَبُو قَتَادَةَ ، فَسَجَّاهُ بِبُرْدَتِهِ ، وَجَنَّبَ فَرَسَهُ مَعَهُ ، وَخَرَجَ يُخْصِرُ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ ، حَتَّى تَلَا حَقَّ النَّاسِ . فَلَمَّا مَرَّ النَّاسُ وَنَظَرُوا إِلَى بُرْدَةِ أَبِي قَتَادَةَ عَرَفُوهَا فَقَالُوا : هَذَا أَبُو قَتَادَةَ قَتِيلٌ ! وَاسْتَرْجَعَ أَحَدُهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا وَلَكِنَّهُ قَتِيلُ أَبِي قَتَادَةَ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ بُرْدَتُهُ لِيَتَعَرَّفُوا أَنَّهُ قَتِيلُهُ ، فَخَلُّوا بَيْنَ أَبِي قَتَادَةَ وَبَيْنَ قَتِيلِهِ وَسَلْبِهِ وَفَرَسِهِ» ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ قَدْ أَخَذَ سَلْبَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَا وَاللَّهِ أَبُو قَتَادَةَ قَتَلَهُ اذْفَعُهُ إِلَيْهِ» ^(١) .

وَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : لَمَّا أَدْرَكَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ وَنَظَرَ إِلَيَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ» . وَقَالَ : «أَفْلَحَ وَجْهُكَ !» ، قُلْتُ : وَوَجْهُكَ يَا

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٣) ، «مغازي الواقدي» (٣/ ٥٤٤) .

رَسُولَ اللَّهِ! . قَالَ ﷺ : «قَتَلْتَ مَسْعَدَةَ؟» قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَعْطَانِي يَوْمَئِذٍ
فَرَسَ مَسْعَدَةَ وَسِلَاحَهُ ، وَقَالَ ﷺ : «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ» (١) .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ «ذِي قَرْدٍ» : «خَيْرُ فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ» (٢) .
وَمِنْ يَوْمِهَا أَصْبَحَ فَارِسَ النَّبِيِّ ﷺ (٣) .

شَفَيْتَ أَبَا قَتَادَةَ كُلَّ صَادٍّ لَهَيْفَ الصَّدْرِ حَرَّانَ الْفُؤَادِ
يَبِيتُ عَلَى أَسَى مِمَّنْ يُعَادِي رَسُولَ اللَّهِ فِي دِينِ الْجِهَادِ
وَفِي دُنْيَا الْمُرُوءَةِ وَالصَّلَاحِ

وَفِي غَزْوَةِ «ذِي قَرْدٍ» نُودِيَ : «يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي» ، وَلَمْ يُقَلْ ذَلِكَ
قَبْلَهَا (٤) .

فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ شَهَادَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَبِي قَتَادَةَ «أَسَدٌ مِنْ أُسْدِ اللَّهِ» :

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ عَامَ «حُنَيْنٍ» ، فَلَمَّا التَقَيْنَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَدْ عَلَا الْمُسْلِمِينَ ،
فَاسْتَدْرْتُ لَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِيهِ ضَرْبَةً قَطَعَتْ
مِنْهَا الدَّرْعَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي

(١) «مغازي الواقدي» (٣/ ٥٤٤) .

(٢) «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٣٣) (١٨٠٧) .

(٣) «الاستيعاب» (٢/ ١٤٦) .

(٤) «جوامع السيرة» (ص ٢٨) ، «طبقات ابن سعد» (٢/ ٨٤) .

وَمَاتَ ، إِلَى أَنْ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ» . فَقُمْتُ فَقُلْتُ : «مَنْ يَشْهَدُ لِي؟» وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَسَلَبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي ، فَأَرْضِهِ مِنْهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا هَا لِلَّهِ ! إِذْ لَا يُعَمَدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَيُعْطِيكَ سَلْبَهُ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «صَدَقَ» . فَأَعْطَانِيهِ ، فَبِعْتُ الدَّرَعَ وَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَقًا فِي بَنِي سَلَمَةَ ، فَإِنَّهُ لَا أَوَّلَ مَالٍ تَأْتَلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ» ^(١) .

وَعِنْدَ أَحْمَدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ : فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يُفِيئُهَا اللَّهُ عَلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِهِ أَوْ يُعْطِيكَهَا . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : «صَدَقَ عُمَرُ» .

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذْ تَأَخَّرَ عَنِ الرَّاحِلَةِ ، فَدَعَمْتُهُ بِيَدِي حَتَّى اسْتَيْقِظَ ، فَقَالَ : «اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبَا قَتَادَةَ كَمَا حَفِظَنِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ . مَا أَرَانَا إِلَّا قَدْ شَقَقْنَا عَلَيْكَ» ^(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَرَ : «أَنَّ عُمَرَ بَعَثَ أَبَا قَتَادَةَ ، فَقَتَلَ مَالِكَ فَارِسٍ بِيَدِهِ ، وَعَلَيْهِ مِنْطَقَةٌ قِيمَتُهَا خَمْسَةُ عَشَرَ أَلْفًا ، فَنَفَلَهُ إِيَّاهَا» .

حَيَّاكَ اللَّهُ يَا فَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَحَيَّا دِينَا أَنْجَبَكَ ، وَرَسُولَنَا ، عَلَّمَكَ ، وَأَمَّا وَلَدْتُكَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا فَارِسَ الْإِسْلَامِ وَنَبِيَّ الْإِسْلَامِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ .

(١) «صحيح البخاري» (٣١٤٢/٩٢/٤) ، و «صحيح مسلم» (١٧٥١/١٣٧/٣) .

(٢) الطبراني : «المعجم الكبير» ، (٣٢٧١/٢٣٩/٣) .

(٦) شِجَاعَةُ أَبِي بَصِيرٍ رضي الله عنه

أَبُو بَصِيرٍ ، بَطَلُ حَرْبِ الْعَصَابَاتِ
«وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ»

مِنْ الْمَوَاقِفِ الْبُطُولِيَّةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي حَفِظَهَا لَنَا التَّارِيخُ : مَوْقِفُ الْمَجَاهِدِ
الْمُغَوَّارِ ، وَالْبَطَلِ الصَّبَّارِ ، فَتَى قُرَيْشٍ «عُتْبَةُ بْنُ أَسِيدِ الزُّهْرِيِّ» .

بَعْدَ صَلَاحِ الْحَدِيثِيَّةِ وَمَا اشْتَرَطَتْهُ قُرَيْشٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ : «أَنْ لَا يَأْتِيَكَ مِنَّا
رَجُلٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا» ، رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَهُ
أَبُو بَصِيرٍ ^(١) ، أَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ ، فَقَالُوا : الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا . فَدَفَعَهُ
إِلَى الرَّجُلَيْنِ فَخَرَجَا بِهِ ، حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ ، فَزَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرٍ لَهُمْ ، فَقَالَ
أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا . فَاسْتَلَّهُ
الْآخَرُ ، فَقَالَ : أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ ، لَقَدْ جَرَبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَبْتُ . فَقَالَ
أَبُو بَصِيرٍ : أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ . فَأَمَكَنَهُ مِنْهُ فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ ، وَفَرَ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى
الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْذُو ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ : «لَقَدْ رَأَى هَذَا
ذُغْرًا» ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي ، وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ» .
فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ : «يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ ، قَدْ رَدَدْتَنِي
إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ» . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ
مَعَهُ أَحَدٌ!» ^(٢) .

(١) رجل من قريش وهو مسلم .

(٢) «صحيح البخاري» (٢٥٨٣) .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيْرُهُ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ ،
قَالَ : وَيَنْفَلَتْ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سُهَيْلٍ ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ
مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ ،
فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ خَرَجَتْ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا ، فَقَتَلُوهُمْ
وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ . فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَادِيهِ اللَّهُ وَالرَّحِمَ لَمَّا
أَرْسَلَ ، فَمَنْ أَنَا هُوَ آمِنْ . فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ
الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (١) ،
حَتَّى بَلَغَ : ﴿الْحِمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ . وَكَانَتْ حِمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْرَأُوا أَنَّهُ نَبِيُّ
اللَّهِ ، وَلَمْ يَقْرَأُوا بِ«إِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ (٢) .

لَلَّهِ دَرْكٌ حِينَ قَتَلْتَ حَارِسَكَ الْعَامِرِيَّ ، لِلَّهِ دَرْكٌ حِينَ تَحْمِلُ سَيْفَ الْقَتِيلِ
الْمُشْرِكِ ، وَتَسْتَوِي عَلَى بَعِيرِهِ الَّذِي غَنِمْتَهُ مِنْهُ ، وَتَتَّجُهُ نَحْوَ «الْعَيْصِ» ؛ حَيْثُ
تَكْثُرُ الْأَحْرَاشُ وَالْأَشْجَارُ لَتَبْدَأَ مِنْهَا حَرْبَ الْعِصَابَاتِ ، وَتُعْلِنُ الثَّوْرَةَ عَلَى
قَوْمِكَ قُرَيْشٍ . وَلَلَّهِ دَرْكٌ يَا بَطْلُ حِينَ أَخَفَّتْ قُرَيْشًا إِخَافَةً شَدِيدَةً ، فَصَارَتْ
لَا تُرْسِلُ قَوَافِلَهَا إِلَى الشَّامِ إِلَّا تَحْتَ حِرَاسَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَنْجُ
هَذِهِ الْقَوَافِلُ مِنْكَ أَهْيَا الثَّائِرُ الْبَطْلُ ! .

لَلَّهِ دَرْكٌ حِينَ يَفِرُّ إِلَيْكَ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ شَبَابِ مَكَّةَ ، يَفِرُّونَ مِنْ سُجُونِ
أَهْلِيهِمْ ، يَجْتَمِعُ إِلَيْكَ مِنْ شَبَابِ قُرَيْشٍ - وَحَدَهُمْ - سَبْعُونَ شَابًا ، وَيَنْضَمُّ
إِلَيْكَ رِجَالٌ مِنْ غِفَارٍ وَجُهَيْنَةَ ، حَتَّى بَلَغْتُمْ ثَلَاثِمِائَةَ .

(١) سورة الفتح ، الآيات من ٢٤ - ٢٦ .

(٢) «صحيح البخاري» (٣/ ١٩٣ / ٢٧٣١) .

لَلَّهِ دَرْكَ وَدَرْ نَائِبِكَ أَبِي جَنْدَلٍ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو .

لَلَّهِ دَرْكَ حِينَ يَجْتَمِعُ رِجَالُ قُرَيْشٍ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، يَرْتَجِفُونَ فِرْعَاءَ مِنْكَ ،
وَيُرْسِلُونَ أَبَا سُفْيَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ يَسْتَعْطِفُونَهُ وَيَسْتَرْحِمُونَهُ : إِنَّا قَدْ أَسْقَطْنَا
هَذَا الشَّرْطَ مِنَ الشُّرُوطِ ، مَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إِلَيْكَ فَأَمْسِكْهُ مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ فَهُوَ آمِنٌ ،
إِنَّ هَؤُلَاءِ الرِّكْبُ - يَعْنِي ثَوَارَ الْعِيصِ - قَدْ فَتَحُوا عَلَيْنَا بَابًا لَا يَصْلُحُ إِقْرَارُهُ ^(١) .
إِنَّا نَسْأَلُكَ بِالْأَرْحَامِ إِلَّا مَا أَوْيَتْهُمْ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِمْ .

لَلَّهِ دَرْكَ وَدَرْ إِخْوَانِكَ حِينَ تَقْضَى مَضَاجِعُ قُرَيْشِ الْكُفْرِ ، فَجَعَلْتَهُمْ يَطْلُبُونَ
صَاغِرِينَ ، مُسْتَرْحِمِينَ ، مُنَاشِدِينَ نَبِيَّكَ ﷺ الرَّحِيمِ أَنْ يُسْقِطَ الشَّرْطَ الَّذِي
أَمْلَوْهُ صُلْفَاءً وَكِبْرِيَاءً وَغُرُورًا وَبَغْيًا وَبَطْرًا ، يَأْتِي الزَّبَانِيَةُ مُقَرَّرِينَ أَنْ لَا طَاقَةَ
لَهُمْ بِمُسْعَرِ الْحَرْبِ .

وَمَا يَأْتِيكَ كِتَابُ نَبِيِّكَ إِلَّا وَأَنْتَ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ ، فَتَفْضُهُ وَتَشْرَعُ فِي
قِرَاءَتِهِ ، إِلَّا أَنْ رُوحَكَ الطَّاهِرَةَ فَاضَتْ إِلَى بَارِيهَا ، وَكِتَابُ الرَّسُولِ ﷺ فِي
يَدِكَ ، فَسَلَامٌ عَلَيْكَ مَعَ الْأَبْرَارِ .

وَاللَّهُ مَا عَقِمَتْ أُمَّةٌ وَلَدَتْ مِثْلَكَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ
أَبِي بَصِيرٍ ، وَعَنْ أَخِيهِ أَبِي جَنْدَلٍ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ
أَجْمَعِينَ .

(٧) شَجَاعَةُ سَالِمِ بْنِ عُمَيْرِ الْعُوفِيِّ رضي الله عنه

الصَّحَابِيُّ الْفِدَائِيُّ الْمُجَاهِدُ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرِ الْعُوفِيِّ الْأَوْسِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ،
قَاتِلُ أَبِي عَفْكَ عَدُوَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

هُوَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرِ الْعُوفِيِّ الْأَوْسِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، مِنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ
فِي الْإِسْلَامِ ، شَهِدَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ ، كَمَا شَهِدَ بَدْرًا ، وَأُحُدًا ، وَالْخَنْدَقَ ،
وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(١) .

وسَالِمٌ هُوَ أَحَدُ الْبَكَائِنَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ
إِلَى 'تَبُوكَ' ، فَقَالُوا : «إِحْمِلْنَا» ، وَكَانُوا فَقَرَاءً ، فَقَالَ ﷺ : «لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ
عَلَيْهِ» ، فَتَوَلَّوْا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ ^(٢)
وَهُمْ سَبْعَةٌ : مِنْ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ : سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ . وَمِنْ بَنِي وَاقِفٍ : هَرَمِيُّ
بْنُ عَمْرُو . وَمِنْ بَنِي حَارِثَةَ : عُلبَةُ بْنُ زَيْدٍ . وَمِنْ بَنِي مَارِ بْنِ النَّجَّارِ : أَبُو
لَيْلَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ . وَمِنْ بَنِي سَلَمَةَ : عَمْرُو بْنُ عُثْبَةَ . وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ :
سَلَمَةُ بْنُ صَخْرٍ . وَمِنْ بَنِي سُلَيْمٍ : عَرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ السُّلَمِيُّ ^(٣) .

وَفِي هَؤُلَاءِ الْبَكَائِنَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ ^(٤)

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٤٨٠) ، «الاستيعاب» (٢/ ٥٦٧) .

(٢) سورة التوبة ، جزء من الآية : ٩٢ .

(٣) «مغازي الواقدي» (٣/ ٩٩٣-٩٩٤) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٩٢ .

الْأَزْمَةُ كَانَتْ أَزْمَةً خُيُولٍ لَا أَزْمَةَ فُرْسَانٍ ؛ كُلُّ الصَّحَابَةِ فُرْسَانٌ أَبْطَالٌ ، أَمَّا الْيَوْمَ الْأَزْمَةُ وَجُودُ الْخُيُولِ وَفُقْدَانُ الْفُرْسَانِ .

وَفِي غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ قَتَلَ سَالِمٌ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَحَدَ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ ^(١) .

سَالِمٌ قَائِدُ سَرِيَّةٍ اغْتِيَالٍ أَبِي عَفْكَ :

لَعَلَّ أَبْرَزَ أَعْمَالِ سَالِمٍ قَتْلُهُ أَبَا عَفْكَ ، أَحَدَ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ ، ثُمَّ بَنِي عُبَيْدَةَ ، وَكَانَ قَدْ نَجَّمَ ^(٢) نِفَاقَهُ حِينَ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدِ بْنِ صَامِتٍ ، فَقَالَ :

لَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَمَا إِنِ ارَى مِنْ النَّاسِ دَارًا وَلَا مَجْمَعًا
أَبْرَّ عُهُودًا وَأَوْفَى لِمَنْ يُعَاقِدُ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا
مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةٍ فِي جَمْعِهِمْ يَهْدُ الْجِبَالَ وَلَنْ يَخْضَعَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ؟» ^(٣) . وَكَانَ أَبُو عَفْكَ شَيْخًا كَبِيرًا ، بَلَغَ عِشْرِينَ وَمِئَةَ سَنَةٍ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ يُحَرِّضُ عَلَى عِدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى «بَدْرٍ» وَرَجَعَ وَقَدْ انتَصَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، حَسَدَهُ أَبُو عَفْكَ وَبَغَى ، وَقَالَ فِي هِجَائِهِ وَهَجَاءِ الْمُسْلِمِينَ شِعْرًا ^(٤) .

(١) «مغازي الواقدي» (٢/ ٥١٦) .

(٢) نَجَّمَ : ظَهَرَ .

(٣) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣١٢) .

(٤) «مغازي الواقدي» (٢/ ٥١٦) .

وَقَالَ سَالِمٌ رضي الله عنه : «عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ أَقْتُلَ أَبَا عَفْكَ ، أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ» . وَأَمْهَلَ سَالِمٌ ، وَطَلَبَ لَهُ غُرَّةً ، حَتَّى كَانَتْ لَيْلَةُ صَائِفَةٍ ، فَنَامَ أَبُو عَفْكَ بِالْفِئَاءِ فِي الصَّيْفِ فِي بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ ، فَأَقْبَلَ سَالِمٌ فَوَضَعَ السَّيْفَ عَلَى كَبِدِهِ ، حَتَّى خَشَّ فِي الْفِرَاشِ . وَصَاحَ أَبُو عَفْكَ ، فَسَارَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِمَّنْ هُمْ عَلَى قَوْلِهِ ، فَأَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ وَقَبَرُوهُ ، وَقَالُوا : مَنْ قَتَلَهُ ؟ وَاللَّهِ لَوْ نَعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ لَقَتَلْنَاهُ بِهِ ! ، فَقَالَتْ أُمَامَةُ الْمُزَيَّرِيَّةُ ^(١) فِي ذَلِكَ :

تَكْذِبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدًا لَعَمْرُ الَّذِي أَمْنَاكَ إِذْ بُسَّ مَا يُمْنِي
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طُعْنَةً أَبَا عَفْكَ خُذَهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ
فَإِنِّي وَإِنْ أَعْلَمُ بِقَاتِلِكَ الَّذِي أَبَاتَكَ حِلْسَ اللَّيْلِ إِنْسٍ أَوْ جَنِّي

وَكَانَ قَتْلُ أَبِي عَفْكَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ الْهَجْرِيَّةِ .

يَذْكُرُ التَّارِيخُ لِبَطْنِنَا أَنَّهُ قَتَلَ أُخْتَهُ ؛ لِأَنَّهَا قَالَتْ فِي النَّبِيِّ ﷺ مَا لَا يَرْضَاهُ وَلَا يَرْضَاهُ الْمُسْلِمُونَ الصَّادِقُونَ .

وَيُذَكِّرُ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ الْبَكَّائِينَ الَّذِينَ نَزَلَ فِي أَمْرِهِمْ قُرْآنٌ يُتْلَى ، مِثْلًا لِلْإِخْلَاصِ لِلْعَقِيدَةِ فِي أَسْمَى مَظَاهِرِ الْإِخْلَاصِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ الصَّادِقِ الْبَطْلِ سَالِمِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَرَضِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ .

(١) «سيرة ابن هشام» (٣١٣/٤) ، أَمَّا فِي «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٥) فورد اسمُها : التَّهْدِيَّةُ .

(٨) شِجَاعَةُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه

شِجَاعَةُ الْقَائِدِ الْمُجَاهِدِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، هَازِمِ الْفُرْسِ بِأَرْضِ الْفُرْسِ ، فَاتِحِ «أَبْهَر» ، و«قَزْوِينَ» ، و«الدَّيْلَم» ، و«زَنْجَان» .

إِنَّ حَيَاةَ الصَّحَابَةِ فِي عَهْدِ النُّبُوَّةِ لَهَا أَوْجُهُ مُشْرِقَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، وَكُلُّ وَجْهِ فِيهَا يَعْكِسُ صُورَةً حَقِيقِيَّةً مُنْتَزَعَةً مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ ، فَعُرِفَتْ كُلُّ شَخْصِيَّةٍ بِأَوْصَافٍ مُثَلًى ، وَتَمَيَّزَتْ بَبَعْضِ الْخَصَائِصِ الَّتِي تَأَثَّرَتْ بِشَخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ الَّذِي صَنَعَهُ اللَّهُ عَلَى عَيْنِهِ وَرَعَاهُ بِرِعَايَتِهِ ، هِيَ شَخْصِيَّةُ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، وَالْقَائِدِ الْمُعَلِّمِ ﷺ ؛ فَكَانَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ كَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، تَلْمِيزًا ، وَجُنْدِيًّا شَجَاعًا مِنْ جُنُودِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ لِلْبَرَاءِ أَنَّهُ يَعِيشُ لِلْإِسْلَامِ ، وَيَمُوتُ دِفَاعًا عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ شَأْنُهُ شَأْنُ كُلِّ الصَّحَابِ الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَتَمَنَّاهُ رَسُولُهُمْ وَقَائِدُهُمْ ﷺ ، الْقَائِلُ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ...» (١) .

وَسَارَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عَلَى هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ ، وَأَمْنِيَّتُهُمْ كَأَمْنِيَّتِهِ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِكُلِّ بَشَرِيَّةٍ ، وَنُصْحِ الْأُمَّةِ وَالْجِهَادِ

(١) «صحيح البخاري» (٣/ ١٠٣٠) ، (٢٦٤٤) .

فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَسْمَىٰ أَمَانِيَّتِهِمْ ، فَأَصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَامًا وَقَائِدًا يُقْتَدَىٰ بِهِ ، وَمَنَارًا يُسْتَضَاءُ بِآثَارِهِ ، فَكَانُوا بِحَقِّ هُدَاةٍ ، ثِقَاءً ، هُمُّهُمْ رَفْعُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَبْعَدِ بَقَاعِ الْعَالَمِ ، فَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا .

تَمَنَّى الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه هَذِهِ الْأُمْنِيَّةَ ، أُمْنِيَّةَ الرَّسُولِ صلی اللہ علیہ وسلم ؛ وَهِيَ : «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» . يَقُولُ الْبَرَاءُ رضي الله عنه : «غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم خَمْسَ عَشْرَةَ غَزْوَةً» ^(١) .

لَقَدْ فَقَّهَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه مَغْزَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَعْنَى الدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ الَّذِي آمَنَ بِهِ ، وَقَدْ تَجَاوَزَ مَرَحَلَةَ الطُّفُولَةِ وَهُوَ فِي عُنْفُوَانِ الصَّبَا . رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ : «أُسْتُصِغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ» ^(٢) . مَعْنَى ذَلِكَ : أَنَّهُمَا لُقْنَا تَرْبِيَةً إِسْلَامِيَّةً حَبَّبَتْ إِلَيْهِمَا الْجِهَادَ ؛ بَحِثْ أَنَّهُمَا صَارَا يَتَطَلَّعَانِ إِلَيْهِ .

مَا أَحَوَجَنَا إِلَى هَذِهِ التَّرْبِيَةِ الْجِهَادِيَّةِ ، وَنَحْنُ نَعِيشُ زَمَنَ التَّحَدِّيِ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الَّذِي لَا يَكْبَحُ جَمَاحَهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ الرَّسُولُ الْقَائِدُ أَمَامَ الْمُجَاهِدِينَ «ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ» ؛ لِأَنَّ عِزَّةَ الْأُمَّةِ وَكَرَامَتَهَا فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ مِنْذُ أَوَّلِ الطَّرِيقِ ، فَنَحْنُ نَوْمِنُ تَمَامَ الْيَقِينِ أَنَّهُ لَا يُرْفَعُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ وَعَارٍ إِلَّا أَنْ تَحْيَا مَعَانِي الْجِهَادِ فِي نَفُوسِهِمْ ؛ فَحَيَاةُ الْمُسْلِمِينَ وَعِزُّهُمْ وَشَرَفُهُمْ

(١) «صحيح البخاري» (١٦٢١/٤) ، (٤٢٠٢) .

(٢) «صحيح البخاري» (١٤٥١/٢) ، (٣٧٣٩) .

وَكَرَّامَتُهُمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَوْقَ أَنَّهُ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ لَتَبْلِيغِ دِينِ اللَّهِ ،
وَالْقَضَاءِ عَلَى الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، وَتَعْبِيدِ النَّاسِ لِلَّهِ تَعَالَى .

وَلَمَّا جَاءَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ تَطَلَّعَ الشَّابُّ الْمُجَاهِدُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ لِلْقِتَالِ ،
فَخَرَجَ رَاغِبًا عَازِمًا عَلَى الْإِشْتِرَاكِ فِي الْجِهَادِ ، وَلَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ رَدَّهُ لِلْمَرَّةِ
الثَّانِيَةِ - كَمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ - : «رَدَّ الرَّسُولُ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ الْبَرَاءَ» (١) . وَكَذَلِكَ
ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَصْغَرَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَالْبَرَاءَ بْنَ
عَازِبٍ يَوْمَ أُحُدٍ» (٢) ، وَقَالَ الْبَرَاءُ : «اسْتَصْغَرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ» (٣) .

وَكَانَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْتَظِرُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يَحْمِلُ فِيهِ
السَّلَاحَ وَيُقَاتِلُ مَعَ جُنْدِ اللَّهِ ، لِيَقْوَضَ جُيُوشُ الشَّرِكِ ، وَيُدْكُ عُرُوشُ
الطُّغَاةِ . وَحَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِنَ الْعَامِ الْخَامِسِ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ ؛
حَيْثُ اجْتَمَعَتْ أَحْزَابُ الشَّرِكِ كُلُّهَا ، وَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَعِدُّونَ لِدَرِّ هَذَا الْخَطَرِ
الدَّاهِمِ عَلَى عَاصِمَةِ الْمُسْلِمِينَ «مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ» ، وَالْبَرَاءُ شَأْنُهُ شَأْنُ
إِخْوَانِهِ يَتَشَوَّقُ وَتَحْنُ نَفْسُهُ لِلإِشْتِرَاكِ الْفِعْلِيِّ فِي الْقِتَالِ ، وَسَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ ،
وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى بِالْإِنْضِمَامِ تَحْتَ لِيَاءِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ ، وَالْإِنْخِرَاطِ فِي صُفُوفِ
الْمُقَاتِلِينَ ، فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْهِجْرَةِ ، وَخَرَجَ الْبَرَاءُ مَعَ إِخْوَانِهِ
الْمُجَاهِدِينَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُحَقِّقًا بِذَلِكَ رَغْبَةً طَالَمَا جَاشَتْ بِنَفْسِهِ ، «فَأَجَازَهُ النَّبِيُّ ﷺ
يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً» (٤) .

(١) «تاريخ الطبري» (٢/٥٠٥) .

(٢) «الاستيعاب» (١/١٥٥) .

(٣) «صحيح البخاري» (٤/١٤٥٦ / ٣٧٤٠) .

(٤) «طبقات ابن سعد» (٢/٣٦٨) .

وانتهت هذه الغزوة بهزيمة شنيعة للأحزاب من المشركين واليهود .
ولما كان العام القادم سنة ست للهجرة كانت غزوة الحديبية ، وجاء دور
البراء ليبايع الرسول القائد ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان من
السابقين إليها . وفي محرم من سنة سبع للهجرة جاهد البراء مع الرسول ﷺ
في غزوة خيبر مع اليهود . وفي شوال سنة ثمان للهجرة كانت غزوة حنين ،
وذلك لما فرغ النبي ﷺ من فتح مكة ، وكان البراء رضي الله عنه من المقاتلين الذين
شهدوا هذه الغزوة .

وكان للبراء نصيب في مقاتلة المرتدين ، وشهد فتح «تستر» مع أبي موسى
الأشعري^(١) ، زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وفي زمن الخليفة الراشد
عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك سنة (٢٤هـ) ، سار البراء إلى «قزوين» ،
فأتى «أبهر» ، وكانت محصنة فحاصرها وقتله أهلها ، ولكنهم طلبوا الأمان
بعد ذلك ، فصالحهم ودخلها المسلمون .

بعد أن فتح الله على المسلمين «أبهر» بقيادة البراء بن عازب توجه إلى
«قزوين»^(٢) ، وهي الهدف الرئيس من الفتح الإسلامي ؛ لإنقاذها من
ظلمات الجوس وإدخالها في نور الإسلام العظيم ، فلما بلغهم قصد
المسلمين لهم طلبوا من حلفائهم الديلم معاونتهم ، فوعدوهم خيراً ،
ولكنهم لم يبرؤوا بوعدهم ، فلما رأى أهل «قزوين» ذلك طلبوا الصلح ،
فصالحهم البراء ، ودخلها المسلمون أيضاً .

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٧٣) .

(٢) «فتوح البلدان» ، البلاذري (ص ٣١٧-٣١٨) ، بتصرف .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَحَدُ رِجَالِ الْبَرَاءِ :

قَدْ عَلِمَ الدَّيْلَمُ إِذْ تَحَارَبَ حِينَ أَتَى فِي جَيْشِهِ بُنُ عَازِبٍ
بَأَنَّ ظَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَاذِبٌ فَكَمْ قَطَعْنَا فِي دُجَى الْغِيَاهِبِ^(١)

مِنْ جَبَلٍ وَعَرٍ وَمِنْ سَبَاسِبٍ

إِذْ كَانَتْ الْمَنْطَقَةُ جَبَلِيَّةً وَعَرَةً لَمْ يَأْلَفِ الْعَرَبُ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ
سُكَّانِ السُّهُولِ وَالصَّحَارِيِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا .

وَبَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِينَ بِقِيَادَةِ الْبَطْلِ الْمُجَاهِدِ الْبَرَاءِ
بْنِ عَازِبٍ «قَزَوِينَ» غَزَا الدَّيْلَمَ حَتَّى أَذُوا إِلَيْهِمُ الْإِتَاوَةَ ، وَغَزَا «جِيلَانَ»
وَالْبِيرَ ، وَ«الطَّلِسَانَ» ، وَفَتَحَ «زَنْجَانَ» عُنُوةً^(٢) . وَكَانَ لِلْبَرَاءِ بـ
«قَزَوِينَ» جُنُودٌ فِيهِمْ رُؤَاةٌ وَعُلَمَاءٌ ، وَبَقِيَ فِيهَا سَتَتَيْنِ .

عَاشَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيَاةً مَدِيدَةً جَاوَزَتْ الثَّمَانِينَ عَامًا ، مَلِيَّةً
بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْعِلْمِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى . ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ
أَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ (٧١ هـ)^(٣) .

وَهَكَذَا عَاشَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُجَاهِدًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَعَ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

(١) الغيهب : الظلمة ، والجمع : الغياهب . وهو الغيهبان . «لسان العرب» (١ / ٦٥١) .

(٢) «التدوين في أخبار قزوين» ، عبد الكريم الرافعي (١ / ٦١) .

(٣) «الإصابة» (١ / ٤٢) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ جَزَاءَ مَا قَدَّمْتَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ
تَضَحِيَّاتٍ وَفَتْوحَاتٍ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى . إِنَّ مَا تَرَكَهَ لَنَا الْبَرَاءُ
وغيرُهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُبْهِرُ الْعُقُولَ وَالْأَبْصَارَ ، وَيُنِيرُ لَنَا الطَّرِيقَ ،
وَيُعَرِّفُنَا السَّبِيلَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي نَكْسِبُ فِيهِ الْفَوْزَ وَالنَّجَاحَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ بِكُلِّ فَخْرٍ وَاعْتِرَاز :

أُولَئِكَ آبَائِي ، فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ ^(١)

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْقَائِدِ الْمُجَاهِدِ ، وَالْمُحَدِّثِ الْفَقِيهِ ، الَّذِي هَزَمَ الْفُرسَ
بَأَرْضِ الْفُرسِ ، الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ ، وَالشُّجَاعَ الْمِقْدَامَ ، وَالْبَطْلَ الْمِغْوَارَ :
الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ ^(٢) .

(١) «ديوان الفرزدق» (ص ٥١٧) .

(٢) يُنْظَرُ فِي سِيرَةِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ : «البراء بن عازب : سيرته ومروياته التاريخية في الكتب الستة» . للمؤلف .

(٩) شَجَاعَةُ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ الضُّمَرِيِّ رضي الله عنه

عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضُّمَرِيُّ رضي الله عنه كَانَ بَطْلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَبَطْلًا فِي الْإِسْلَامِ
كَانَ مِنْ أُنْجَادِ الْعَرَبِ وَرِجَالِهَا ، نَجْدَةً ، وَجُرَاءَةً ، وَجُودًا . تَوَلَّى الْقِيَادَةَ
لأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، مَوَاقِفُهُ الْبُطُولِيَّةُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ
الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى .

وَمِنْ شَجَاعَتِهِ الْمَشْهُودَةِ : أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ صَلَبُوا حُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ رضي الله عنه
بِالتَّنْعِيمِ - قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ - ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ حَرَسًا مِنْهُمْ ، فَاخْتَطَفَ عَمْرُو
جُثَّةَ حُبَيْبٍ وَعَادَ بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ قَدْ بَعَثَ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَغْيَالِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم ،
فَانْكَشَفَ أَمْرَ الْمُشْرِكِ وَأَسْلَمَ .

وَبَعَثَ النَّبِيُّ صلی اللہ علیہ وسلم عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ وَبَرَفَقَتِهِ مُسْلِمٌ آخَرُ اسْمُهُ : «سَلَمَةُ» ،
إِلَى أَبِي سُفْيَانَ ، وَقَالَ لَهُمَا : «إِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَأَقْتُلَاهُ» . وَدَخَلَ مَكَّةَ ،
وَمَضَى عَمْرُو يَطُوفُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَيْلًا ، فَرَأَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَعَرَفَهُ ،
فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَكَانِهِ ، فَخَافُوهُ وَطَلَبُوهُ ؟ وَكَانَ فَاتِكًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَهَرَبَ عَمْرُو
وَسَلَمَةُ ، فَلَقِيَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ مَالِكِ التَّمِيمِيِّ الَّذِي كَانَ مُشْرِكًا ، فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ
مُشْرِكًا آخَرَ يُغْنِي وَيَقُولُ :

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ الْمُسْلِمِينَ

وَلَقِيَ رَسُولَيْنِ لِقْرِيشٍ يَتَجَسَّسَانِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا وَأَسَرَ
الْآخَرَ ، وَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا وَقَدَّمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكُلِّ مَا مَعَهُ مِنْ أَسْرَارٍ
وَأَخْبَارٍ .

وَقَدَّمَ عَمْرُو الْمَدِينَةَ عَائِدًا مِنْ رِحْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ ، فَجَعَلَ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
خَبْرَهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ ^(١) .

وَمَوَاقِفُ عَمْرُو الْبُطُولِيَّةِ كَثِيرَةٌ ؛ فَكَانَ بَطَلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَبَطَلًا فِي الْإِسْلَامِ .
لَقَدْ كَانَ عَمْرُو بِحَقِّ بَطَلًا وَشُجَاعًا مُتَمَيِّزًا ، وَلَا عَجَبَ فَهُوَ أَحَدُ خَرِيجِي مَدْرَسَةِ
الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ أَجْمَعِينَ .

(١) يُنْظَرُ : «أَسَدُ الْغَابَةِ» ، و «الاستيعاب» ، و «الإصابة في تمييز الصحابة» ، و «معجم الصحابة» .

(١٠) شِجَاعَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه

هُوَ الصَّحَابِيُّ الْبَطْلُ قَاتِلُ هُرْمُزٍ ، غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه

عَلَى تَرَانِيمِ تَكْبِيرَاتِنَا سَقَطَتْ رَايَاتُ كِسْرَى وَذَاقَ الْمَوْتَ سَاسَانُ

تَوَلَّى الْقَائِدُ الْبَطْلُ الْقِيَادَةَ لَأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ
الْهِجْرِيَّةِ ، وَتَوَلَّى قِيَادَةَ أَكْثَرِ مِنْ سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ، حَقَّقَ بِهَا
انْتِصَارَاتٍ بَاهِرَةً بِقُوَّاتِهِ الْقَلِيلَةِ عَلَى قُوَّاتِ الْمُشْرِكِينَ الْكَثِيرَةِ ، فَكَانَ بِحَقِّ
قَائِدٍ أَفْذًا مِنْ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، كَمَا قَادَ مُقَدِّمَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ فَتْحِ
مَكَّةَ ، وَكَانَتْ قِيَادَتُهُ مُتَمَيِّزَةً لِلْغَايَةِ .

وَشَهِدَ غَالِبٌ مَعَارِكَ حُرُوبِ الرَّدَّةِ وَفَتْحِ الْعِرَاقِ ، فَكَانَ مِنْ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ
الْمَعْدُودِينَ . وَفِي مَعْرَكَةِ «الْيُوبِب» ، الَّتِي كَانَتْ سَنَةً ثَلَاثَ عَشْرَةِ الْهِجْرِيَّةِ
قَتَلَ وَحْدَهُ تِسْعَةً مِنَ الْفُرْسِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ وَحْدَهَا .

وَكَانَ لَهُ مَوْقِفٌ مُشْرِفٌ فِي مَعْرَكَةِ الْقَادِسيَّةِ الْحَاسِمَةِ ، الَّتِي كَانَتْ سَنَةً
أَرْبَعَ عَشْرَةَ الْهِجْرِيَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ هُرْمُزَ مَلِكِ مَدِينَةِ «الْبَاب» الَّتِي
تُسَمَّى الْيَوْمَ : «دِرِنْد» عَلَى بَحْرِ الْخَزَرِ ، وَكَانَ هُرْمُزُ يَوْمئِذٍ مِنْ أَكْبَرِ قَادَةِ
الْفُرْسِ ^(١) .

(١) يُنْظَرُ : «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» ، وَ«أُسْدُ الْغَابَةِ» ، وَ«الْإِسْتِيعَابُ» ، وَ«الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ» ، وَ«السِّيَرَةُ
الْحَلَبِيَّةُ» .

لَقَدْ كَانَ غَالِبٌ بَطْلاً مَغَوَّاراً ، يَتَحَلَّى بِالشَّجَاعَةِ النَّادِرَةِ .

لَلَّهِ دُرُّكَ يَا غَالِبُ! وَبُورَكَتْ يَمِينُكَ!!

وَبِأَمْثَالِ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ يُسْتَنْزَلُ النَّصْرُ ، وَبِتَضَحِّيَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ
وَشَجَاعَةِ أَمْثَالِهِ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِمْ أَحْرَزَ الْمُسْلِمُونَ النَّصْرَ ، وَارْتَفَعَتْ رَايَاتُ
الْإِسْلَامِ شَرْقاً وَغَرْباً .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَعَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَجْمَعِينَ .

(١١) شَجَاعَةُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه

كَانَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَأْسًا ، وَأَشَجَّعِهِمْ قَلْبًا ، وَيَسْبِقُ الْفَرَسَ عَدْوًا .

إِنَّهُ أَعْجُوبَةٌ مِنْ أَعَاجِبِ الدَّهْرِ ، وَنَادِرَةٌ مِنْ نَوَادِرِ الزَّمَانِ ، فَهُوَ عَدَاءٌ لَا يُسْبِقُ ، وَرَامٌ لَا يُخْطِئُ ، وَمَقْدَامٌ لَا يَهَابُ ، وَمُغَامِرٌ لَا تَنْتَهِي مُغَامِرَاتُهُ . تَقْرَأُ أَخْبَارَ بَطُولَاتِهِ فَيُخَيِّلُ إِلَيْكَ أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ الْأَسَاطِيرِ ، وَمَا هِيَ إِلَّا سَاطِيرٌ ، فَقَدْ رَوَاهَا الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، وَأَثْبَتَاهَا فِي صَحِيحَيْهِمَا .

قَالَ بِحَقِّهِ رضي الله عنه : « خَيْرُ فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرُ رِجَالِنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ » ^(١) ، يُطَارِدُ جَيْشًا بِمُفْرَدِهِ ، وَيَسْتَرِدُّ مِنْهُمْ مَا سَلَبُوهُ ، وَهُوَ رَاجِلٌ يَأْخُذُ السَّلْبَةَ وَالْغَنِيمَةَ .

إِنَّ التَّارِيخَ لَمْ وَلَنْ يَشْهَدَ رِجَالًا شُجْعَانًا كَصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ الشُّجْعَانِ الَّذِينَ جَاهَدُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه : سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ . كَانَ سَلَمَةُ رضي الله عنه جَبَلًا مِنْ فُرْسَانِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ حَلَقُوا عَالِيًا فِي سَمَاءِ الْفُرُوسِيَّةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَمَنْ تَرَكَوا آثَارًا وَضِيئَةً فِي مِيَادِينِ الْبَدَلِ وَالْجِهَادِ . كَانَتْ مَوَاقِفُهُ الْبُطُولِيَّةِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى . وَفِي مَا يَلِي بَعْضَ مَوَاقِفِهِ الْبُطُولِيَّةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي سَجَّلَهَا التَّارِيخُ فِي سُطُورِ أَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ .

(١) رِجَالُنَا : مُشَاتِنَا . وَالحديث في «صحيح مسلم» (٣/١٤٣٣) ١٨٠٧ ، و«مسند أحمد» .

كَانَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ مِنْ رُمَاءِ الْعَرَبِ الْمَعْدُودِينَ ، وَكَانَ كَذَلِكَ مِنَ الْمُبَرِّزِينَ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ، وَفَعَلَ الْخَيْرَاتِ ، وَحِينَ أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِلْإِسْلَامِ أَسْلَمَهَا صَادِقًا مُنِيبًا ، فَصَاغَهَا لِلْإِسْلَامِ عَلَى نَسَقِهِ الْعَظِيمِ .

وَسَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ مِنْ أَصْحَابِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ؛ حَيْثُ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ فِيهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فِي أَوَّلِ النَّاسِ ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ ، وَفِي آخِرِ النَّاسِ . وَلَقَدْ وَفَّى بِالْبَيْعَةِ خَيْرَ وَفَاءٍ ؛ بَلْ وَفَّى بِهَا قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهَا ، مُنْذُ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ مَوْلَاهُ يَزِيدُ : سَمِعْتُ سَلَمَةَ يَقُولُ : «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَوْتِ ، وَغَزَوْتُ مَعَهُ سَبْعَ غَزَوَاتٍ ، وَمَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ تِسْعَ غَزَوَاتٍ» .

كَانَ سَلَمَةُ مِنْ أَمَهَرِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ مُشَاةً ، وَيَرْمُونَ بِالنَّبَالِ وَالرَّمَاكِ ، وَكَانَتْ طَرِيقَتُهُ تُشَبِّهُ طَرِيقَةَ بَعْضِ حُرُوبِ الْعِصَابَاتِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تُتَّبَعُ الْيَوْمَ ، فَكَانَ إِذَا هَاجَمَهُ عَدُوُّهُ تَقَهَّقَر دُونَهُ ؛ فَإِذَا أَدْبَرَ الْعَدُوُّ أَوْ وَقَفَ يَسْتَرِيحُ هَاجِمُهُ بَغِيرَ هَوَادَةٍ ! .

وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ اسْتَطَاعَ أَنْ يُطَارِدَ وَحْدَهُ الْقُوَّةَ الَّتِي غَارَتْ عَلَى مَشَارِفِ الْمَدِينَةِ ، بِقِيَادَةِ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي الْغَزْوَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِغَزْوَةِ «ذِي قَرْدٍ» . خَرَجَ فِي أَثَرِهِمْ وَحْدَهُ ، وَظَلَّ يُقَاتِلُهُمْ وَيُرَاوِعُهُمْ ، وَيُبْعِدُهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى أَدْرَكَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي قُوَّةٍ وَافِرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكَرَامِ الشُّجْعَانِ . وَفِي هَذَا الْيَوْمِ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : «خَيْرُ فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرُ رِجَالِنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ» ^(١) .

(١) رِجَالُنَا : مُشَاتُنَا . وَالحديث في «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٣٣) ١٨٠٧ ، و«مسند أحمد» .

وَهَذِهِ قِصَّةٌ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ تُبَيِّنُ لَنَا شَجَاعَةَ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْمِغْوَارِ :

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَلَمَةَ : قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ أَرْبَعَةٌ عَشْرَةَ مِائَةً ، وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا ، قَالَ : فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبَا الرِّكْيَةِ ^(١) ، فِيمَا دَعَا وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا . قَالَ : فَجَاشَتْ فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ . قَالَ : فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ ، ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ النَّاسِ قَالَ : «بَايِعْ يَا سَلَمَةُ» . قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ ، قَالَ : «وَأَيْضًا» . قَالَ : وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَزَلًا ^(٢) ، قَالَ : فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً ، ثُمَّ بَايَعَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ قَالَ : «أَلَا تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةُ؟» ، قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ . قَالَ : «وَأَيْضًا» . قَالَ : فَبَايَعْتُهُ الثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : «يَا سَلَمَةُ ، أَتَيْنَ حَجَفَتِكَ الَّتِي أُعْطَيْتُكَ؟» . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقِينِي عَمِّي عَامِرٌ عَزَلًا فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ : اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي» . ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ ، حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا مَعَ بَعْضٍ وَاضْطَلَحْنَا . قَالَ : وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَسْقِي فَرَسَهُ وَأَحْسُهُ وَأَخْدِمُهُ ، وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ

(١) الجبا : ما حول البئر والحوض ، والركية : البئر ، وجاشت : ارتفعت .

(٢) يعني : ليس معه سلاح .

قَالَ : فَلَمَّا اضْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا ، فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا . قَالَ : فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَبْغَضْتُهُمْ ، فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى ، وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ قَتَلَ ابْنُ زُنَيْمٍ ! قَالَ : فَاخْتَرْتُ سَيْفِي ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ ، فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا فِي يَدِي . قَالَ : وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ . قَالَ : ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوفُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَجَاءَ عَمِّي عَامِرُ بَرْجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ ، يُقَالُ لَهُ : مِكَرَزٌ ، يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : «دَعُوهُمْ ، يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثَنَاهُ» . فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ^(١) ... الآية كلها .

قَالَ : ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لَحِيَانَ جَبَلٌ ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ ، فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ رَقِيَ هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ ، كَأَنَّهُ طَلِيعَةُ اللَّيْلِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَ سَلَمَةُ : فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِهِ مَعَ «رَبَاحٍ» غُلَامٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسٍ طَلْحَةَ ،

أُنْدِيهِ ^(١) مَعَ الظُّهْرِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْفَهُ أَجْمَعَ ، وَقَتَلَ رَاعِيَهُ ^(٢) . قَالَ : فَقُلْتُ يَا رَبَّاحُ ،
خُذْ هَذَا الْفَرَسَ ، فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِ . قَالَ : ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكْمَةٍ فَاسْتَقْبَلْتُ
الْمَدِينَةَ ، فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا : يَا صَبَاحَاهُ ! ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ ،
وَأَرْمِجْزُ أَقُولُ :

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَغِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأُصْكَ فِي رِجْلِهِ ، حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ .
قَالَ : قُلْتُ : خُذْهَا

وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَغِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ ، فَإِذَا رَجَعْتُ إِلَى فَارِسُ أَتَيْتُ شَجَرَةً
فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا ، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ ، حَتَّى إِذَا تَضَاقَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي
تَضَاقِقِهِ عُلُوْتُ الْجَبَلِ ، فَجَعَلْتُ أُرْدِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ ،
حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا خَلَفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي ،
وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ أَتْبَعْتُهُمْ ^(١) أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً ،

(١) هَلَكَذَا رَوَاهُ الْجُمْهُورُ بِالنُّونِ ، وَمَعْنَاهُ : أَنْ نَوْرُ الْمَاشِيَةِ ، فَتَسْقِي قَلَابِلًا ، ثُمَّ تَرُدُّ إِلَى الْمَرْعَى ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ
بِالْمُوَحَّدَةِ بَدَلَ النُّونِ ، أَيْ أَخْرَجَهُ إِلَى الْبَادِيَةِ ، وَأَبْرَزَهُ إِلَى مَوْضِعِ الْكَلَاءِ ، وَالصَّوَابُ : رَوَايَةُ الْجُمْهُورِ ، وَهِيَ
رَوَايَةُ جَمِيعِ الْمُحَدِّثِينَ .

(٢) قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ عَنِ الدِّمِيَاطِيِّ : إِنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : وَهُوَ غَرِيبٌ جَدًّا ،
وَذَكَرَ هَذَا أَبُو الْفَتْحِ الْيَعْمَرِيُّ فِي سِيرَتِهِ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، وَلَا أَعْرِفُ اسْمَهُ . «زَادَ الْمَعَادُ» (٣/ ٢٧٨) ، «عِيُونُ
الْأَثَرِ» (٢/ ١١٧) ، «تَنْبِيهِ الْمَعْلَمِ» (٧٤٥) .

وثلثين رُحماً ؛ يَسْتَحِفُّونَ ، ولا يَطْرَحُونَ شَيْئاً إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آراماً بِالْحِجَارَةِ ، يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابه . حَتَّى أَتَوْا مُتَضَائِقاً مِنْ ثَنِيَّةٍ ، فإذا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فُلَانٌ بْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيُّ ^(٢) ، فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ ^(٣) ، وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ . قَالَ الْفَزَارِيُّ : « مَا هَذَا الَّذِي أَرَى ؟ » قَالُوا : « لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرَحِ ، وَاللَّهِ مَا فَارَقْنَا مِنْذُ غَلَسَ يَرْمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا » . قَالَ : « فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ » . قَالَ : « فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ إِلَى الْجَبَلِ » . قَالَ : « فَلَمَّا أَمَكُنُونِي مِنَ الْكَلَامِ » ، قَالَ : قُلْتُ : « هَلْ تَعْرِفُونَنِي ؟ » قَالُوا : « لَا ، وَمَنْ أَنْتَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : « أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكُنِي » . قَالَ أَحَدُهُمْ : « أَنَا أَظُنُّ » . قَالَ : « فَارْجِعُوا ، فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَةَ » . قَالَ : « فَإِذَا أَوْهَمُ : الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ ، عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَعَلَى إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ » . قَالَ : « فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ » . قَالَ : « فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ » . قُلْتُ : « يَا أَخْرَمُ ، احْذَرْهُمْ ، لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ » . قَالَ : « يَا سَلَمَةُ ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ » .

(١) هَلَكَذَا فِي أَكْثَرِ النُّسخِ : « اتَّبَعْتُهُمْ » ، بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ ، وَشَدَّ التَّاءَ ، وَفِي نَسْخَةٍ : « اتَّبَعْتُهُمْ » ، بِهَمْزَةِ الْقَطْعِ ، وَهِيَ أَشْبَهُ بِالْكَلَامِ ، وَأَجُودُ مَوْقِعاً فِيهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ « تَبَعَ » الْمَجْرَدُ ، « وَاتَّبَعَ » الْمَشْدَدُ التَّاءَ ، بِمَعْنَى : مَشَى خَلْفَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَأَمَّا « اتَّبَعَ » الرَّبَاعِيُّ فَمَعْنَاهُ : لَحِقَ بِهِ بَعْدَ أَنْ سَبَقَهُ ، قِيلَ : وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاتَّبَعْتُهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ﴾ ، أَيْ لَحَقَهُمْ مَعَ جُنُودِهِ بَعْدَ أَنْ سَبَقُوهُ ، وَتَعْبِيرُهُ هُنَا بِـ « ثُمَّ » الْمَقِيدَةُ لِلتَّرَاخِي يُشْعِرُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَصَ مِنْهُمْ جَمِيعَ الْإِبِلِ تَوَقَّفَ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ رِيثَمًا جَمَعَ الْإِبِلَ وَأَقَامَهَا عَلَى طَرِيقِ يَأْمَنُ عَلَيْهَا فِيهِ ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا الْوَجْهِ : وَبَعْدَ أَنْ تَوَقَّفَ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ حَتَّى سَبَقُونِي تَبَعْتُهُمْ ، فَلَحَقْتُ بِهِمْ .

(٢) قِيلَ : هُوَ حَبِيبُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، « تَنْبِيهِ الْمَعْلَم » (٧٤٧) .

(٣) يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ .

قَالَ : «فَخَلَيْتُهُ ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ» ، قَالَ : «فَعَقَرَ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ ، وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ ، فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلِيَّ حَتَّى مَا أَرَى مَنْ وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا ، حَتَّى يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شُعْبٍ فِيهِ مَاءٌ ، يُقَالُ لَهُ : «ذُو قَرْد» ، لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ» . قَالَ : «فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ ، فَخَلَيْتُهُمْ عَنْهُ» ^(١) ، فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً» . قَالَ : «وَيَخْرُجُونَ فَيَسْتَدُونَ فِي ثَنِيَّةٍ» . قَالَ : «فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْصٍ كَرِيفِهِ» . قَالَ : قُلْتُ : خُذْهَا

وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

قَالَ : «يَا ثَكِلَتُهُ أُمُّهُ أَكْوَعُهُ؟» ^(٢) بُكْرَةً ، قَالَ : قُلْتُ : «نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ أَكْوَعُكَ بُكْرَةً» . قَالَ : «وَأَرَادُوا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ» ، قَالَ : «فَجِئْتُ بِهِمَا أَسَوْفُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذَقَةٌ مِنْ لَبَنٍ وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى

(١) يَعْنِي : أَجَلَيْتُهُمْ عَنْهُ .

(٢) قَوْلُهُ : «أَكْوَعُهُ بُكْرَةً» ، هَكَذَا فِي عَامَةِ النُّسخِ الَّتِي بَأْيَدِنَا : أَكْوَعُهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ ، وَمَعْنَاهُ : هَذَا الْأَكْوَعُ الَّتِي كَانَتْ يَرْتَجِزُ لَنَا بِهِ صَبَاحَ هَذَا النَّهَارِ ، وَقَدْ عَادَ يَرْتَجِزُ لَنَا فِي آخِرِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَا لَحِقَهُمْ صَاحِبُ بِهِمْ بِهَذَا الرَّجُلِ . وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْبَهْجَةِ : أَكْوَعُنَا بُكْرَةً ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، أَيْ أَنْتَ الْأَكْوَعُ الَّذِي كُنْتَ تَتْبَعُنَا بُكْرَةَ الْيَوْمِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا أَكْوَعُكَ بُكْرَةً ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ لِاتِّصَالِ آخِرِ الْكَلَامِ فِيهَا بِأَوَّلِهِ ، مُوَافَقَةً صَدْرُهُ لِعَجْزِهِ ، وَبُكْرَةً هُنَا مُنْصَوِّلَةٌ بِلَا تَنْوِينٍ ، لِأَنَّهُ يَرِيدُ بِهَا بُكْرَةَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، وَلَوْ أُرِيدَ بِهَا بُكْرَةَ يَوْمٍ غَيْرٍ مَعْنِي ، لَكَانَتْ مُنْصَوِّبَةً مَعَ التَّنْوِينِ .

الماءِ الَّذِي حَلَيْتُهُمْ عَنْهُ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ ، وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتَ مِنَ الْقَوْمِ ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا . قَالَ : قُلْتُ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلْنِي ، فَأَنْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتْبِعَ الْقَوْمَ ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ » .

قَالَ : « فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ » . فَقَالَ : « يَا سَلَمَةُ أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا ؟ » . قَالَ : قُلْتُ : « نَعَمْ ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ » . فَقَالَ : « إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُقْرُونَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ » . قَالَ : « فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ ، فَقَالَ : نَحَرَ لَهُمْ فَلَانٌ ^(١) جَزُورًا . فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا ، فَقَالُوا : « أَتَاكُمْ الْقَوْمُ » . فَخَرَجُوا هَارِبِينَ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَانَ خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرُ رِجَالِنَا سَلَمَةُ » . قَالَ : ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَيْنِ : سَهْمُ الْفَارِسِ ، وَسَهْمُ الرَّاجِلِ ؛ فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا ، ثُمَّ أَرَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَاءَهُ عَلَى الْعُضْبَاءِ ، رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ... » ^(٢) .

(١) قيل : هو حبيب المذكور ، كما وُجِدَ بخط بعض الفضلاء . « تنبيه المعلم » (٧٥٠) .

(٢) « صحيح مسلم » : (١٤٣٣ / ٣) / ١٨٠٧ .

(١٢) شِجَاعَةُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه

شاعر رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يُخَوِّفُ دَوْسًا بَيْتَ شِعْرٍ فُتْسِلِمُ
شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذين خَلَفُوا فِتَابَ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ . شَهِدَ الْعَقَبَةَ ، وفيها يَقُولُ : «لَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ ، وما أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ ،
وإنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرُ فِي النَّاسِ مِنْهَا» ^(١) .

قَالَ كَعْبٌ : لَمَّا انْكَشَفْنَا يَوْمَ أُحُدٍ ، كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،
وَبَشَّرْتُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ حَيًّا سَوِيًّا وَأَنَا فِي الشُّعْبِ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَعْبًا
بِلَا مَتِّهِ ^(٢) - وَكَانَتْ صَفْرَاءَ - فَلَبِسَهَا كَعْبٌ ، وَقَاتَلَ يَوْمَئِذٍ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى
جُرِحَ سَبْعَةَ عَشَرَ جُرْحًا .

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ : كَانَ شُعْرَاءُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : حَسَّانُ بْنُ
ثَابِتٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ . وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الشُّعْرَاءِ مَا أَنْزَلَ ، قَالَ : «إِنَّ الْمُجَاهِدَ مُجَاهِدٌ
بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّمَا تَرْمُوهُمْ نَضِجَ النَّبْلِ» .

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ : أَمَّا كَعْبٌ فَكَانَ يَذْكُرُ الْحَرْبَ ، يَقُولُ : فَعَلْنَا وَنَفَعَلُ ،
وَيَتَهَدَّدُهُمْ ، وَأَمَّا حَسَّانُ فَكَانَ يَذْكُرُ غُيُوبَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ ، وَأَمَّا ابْنُ رَوَاحَةَ فَكَانَ
يُعِيرُهُمْ بِالْكَفْرِ .

(١) «صحيح البخاري» : (٥/٣٨٩٩) ، و«مسلم» : (٤/٢١٢٠/٢٧٦٩) .

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/٤٣) ، «المستدرک» (٣/٤٤١) .

وَلَقَدْ أَسْلَمَتْ دَوْسًا فَرَقًا وَهَلَعًا مِنْ بَيْتٍ قَالَهُ كَعْبٌ :

نَخِيرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُمْ دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا

وَالْبَيْتُ مَعَ الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ :

قَضَيْنَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْرٌ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَا

نَخِيرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُمْ دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا (١)

قَالُوا حِينَ بَلَغَهُمْ ذَلِكَ : انْطَلِقُوا فَخُذُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، لَا يَنْزِلُ بِكُمْ مَا نَزَلَ
بِثَقِيفٍ .

هَذِهِ صُورَةٌ مُضِيئَةٌ مُخْتَصِرَةٌ مِنَ الْبَيَانِ الْحَقِّ ، تُنْقَلُ لِأَصْحَابِ الْأَقْلَامِ
وَالْأَلْسِنَةِ الْعَيَّيَةِ فِي الْحَقِّ ، الَّتِي تَحْمِلُ الْمَوْتَ وَأَسْبَابَ الْمَوْتِ ، مِنْ ثُلُبُسِ الْقَاتِلِ
لِبَاسِ النَّاسِكِ ، وَتَسْمُ الْخَلِيَّ بِسِمَةِ الْوَلِيِّ ، وَتُؤْزِرُ أَبْنَاءَ الْحَرَامِ بِإِزَارِ الْإِحْرَامِ ،
وَتَخْلَعُ عَلَى الصُّعْلُوكِ أَلْقَابَ الْمُلُوكِ . مَنْ نَصَبَهَا عَدُوًّا الْأُمَّةَ لِرَفْعِ الْأُمَّةِ لَكِنْ
إِلَى أَسْفَلٍ ، وَهُوَ مِنْ وَرَائِهَا يَتَوَارَى بِهَا كَمَا يَتَوَارَى سَائِقُ الْحِمَارِ بِالْحِمَارِ ،
ثُمَّ يُخْزِئُهُ لِيَنْدَفِعَ عَلَى غَيْرِ هُدًى الْغَرِيزَةِ الْحِمَارِيَّةِ ، فَلَا يَفْهَمُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّ وَرَاءَ
الْحِمَارِ سَائِقًا ، وَأَنَّهُ يَسُوقُهُ إِلَى مَا لَيْسَ فِي طَبْعِهِ وَقُدْرَتِهِ ، فَهُوَ مُسَخَّرٌ بِخِدْمَتِهِ ،
غَافِلٌ عَنْ عَاقِبَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَمَّ لِمُسَخَّرِهِ مَا أَرَادَ عَادَ عَلَيْهِ فَدَمَرَهُ . فَلَوْ كَانَ فِي أَقْسَامِ
الْإِضَافَةِ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ مَا هُوَ بِمَعْنَى (عَلَى) خَلَعْنَا عَلَى وَاحِدِهِمْ لَقَبَ حُجَّةَ
الْإِسْلَامِ ، يَعْنِي : الْحُجَّةُ عَلَى الْإِسْلَامِ !! .

(١) «مصنف عبد الرزاق» (٢٠٥٠٠) ، وعند أحمد ، وسنده صحيح .

وهي كذلك رسالة إلى الأدباء الخاملين الخائرين الكسالى البطالين ، من أدبهم لا يبعث الروح ، ولا يثير الطموح ، شعر بارد ، من قلب بارد ، أدب ميت ، يصدر عن أديب ميت ، لا يحمل في عينه دمة ، ولا في قلبه لوعة .. بيان ولا هم ، وأرض مجدبة ولا زمزم . ومن لم يحرك المشاعر فما هو بشاعر .

إلا أن السيف يحتاج إلى ساعد قوي ، والقلم واللسان يحتاج إلى فكر مسدد ، والله لا يصلح عمل المفسدين . وكريمة الكرائم ، قلم صدق يحزر ، ولسان حق يعبر ، وعقل منضبط بوحي المولى يدبر ، فإذا ضاعت هذه فالوجود العدم!! (١) .

لله درك يا كعب! بيت واحد منك أيها البطل تسلم قبيلة بأسرها خوفاً .

وما أحلى التاج الذي يرصع به جبينك رسول الله ﷺ في هذا الحديث عن جابر : أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن مالك : « ما نسي ربك لك - وما كان ربك نسيًا - بيتاً قلت » . قال : ما هو ؟ قال ﷺ : « أنشدته يا أبا بكر » ، فقال :

زَعَمْتَ سَخِينَةً (٢) أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا وَلَيَغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ (٣)
أَسْوَدُ غَابٍ وَلَكِنْ لَا يُيُوبُ لَهُمْ إِلَّا اللَّسَانُ مَعَ الْهِنْدِيَةِ الْقُضْبِ

(١) علي القرني ، « حروف تجر الحثوف » .

(٢) « الإصابة » (٣٠٥ / ٨) ، « أسد الغابة » (٤٨٨ / ٤) .

(٣) « كنز العمال » (٥٨١ / ١٣) ، السخينة : طعام من سمن أو دقيق ، أو دقيق وتمر انخلت من الماء ، وكانت قريش تكثر من أكلها فغيرت بها حتى لقبوا به (سخينة) .

لَلَّهِ مَا أَحْلَاهُ مِنْ شِعْرِ حِينَ تَسْتَقِرُّ الرُّوحُ عَلَى مِنْهَجِ الْإِسْلَامِ ، وَتَتَضَحُّ
بِتَأَثُّرَاتِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ شِعْرًا وَأَدْبًا ، وَتَعْمَلُ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ
الْمَشَاعِرِ النَّبِيلَةِ فِي دُنْيَا الْوَاقِعِ ، فَإِثْمًا شِعْرٍ نَشَأَ فِي هَذَا التَّصَوُّرِ فَهُوَ الشَّعْرُ
الَّذِي يَرْضَاهُ الْإِسْلَامُ .

لَقَدْ كَانَتْ قَصَائِدُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، وَابْنِ رَوَاحَةَ ، وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَالْقَنَابِلِ
عَلَى الْمَشْرِكِينَ .

وَرَايَةُ الشَّعْرِ لِلْإِسْلَامِ أَرْفَعُهَا كَالشَّمْسِ ، يُشْرِقُ مَجْلُوءًا بِأَوْزَانِ
يَعِيشُ حَسَّانُ فِي قَلْبِي وَفِي قَلَمِي فَهَلْ يَبْعَثُ شِعْرِي رُوحَ حَسَّانٍ^(١)

إِنَّ الْمَنَابِرَ فِي الْإِسْلَامِ مَا رُفِعَتْ إِلَّا لَتَرْفَعَ صَوْتُ الْحَقِّ فِي النَّاسِ
فَاخْتَرْتُ لِأَعْوَادِهَا مَنْ لَا يَلِينُ لَهُ فِي الْحَقِّ عُدُوًّا وَلَا يُصْغِي لِحَنَاسِ

حُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ وَمَوَاقِفُ فِي الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ ، وَإِرْهَابِ أَعْدَاءِ
اللَّهِ ، لَوْ وُزِّعَتْ عَلَى جُبْنَائِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَشَجَعَتْهُمْ ، جَدِيرَةٌ بَأَنَّ تُتَدَاوَلَ
وَتُتَارَ وَتُدْرَسَ ، وَالْعِبَرُ مِنْهَا تُؤْخَذُ ، فِي وَقْتٍ يُرَادُّ لِأَبْوَابِ الْجِهَادِ تَحْتَ وَطْأَةِ
التَّهْدِيدِ أَنْ تُقْفَلَ فَلَا تُطْرَقَ ، وَتُهْمَلَ أَسْبَابُهُ فَلَا تُرْمَقَ ، وَتُصَفَّنَ خِيُولُهُ

(١) يوسف العظم ، ديوان «في رحاب الأقصى» (ص ٣) .

فَلَا تَرْكُضُ ، وَتُصَمَّتْ طُبُولُهُ فَلَا تَنْبِضُ ، وَتُرَبِّضُ أُسُودُهُ فَلَا تَنْهَضُ ،
وَتَمْتَدُّ أَيْدِي الْكُفَّارِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَلَا تُقْبِضُ ، وَيُرْضَى بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ
الْآخِرَةِ ، وَتَطْمِسُ السَّوَافِي مَا خَلَّدَتْهُ الْقَوَافِي ، وَتَعِيْثُ الْهَوَافِي بِالْقَوَادِمِ
وَالْقَوَافِي ، وَتُفْتَرِسُ الْعَوَافِي مَا نَامَتْ عَنْهُ الْعُيُونُ الْغَوَافِي ^(١) .

(١) علي القرني ، «حروف تجر الحتوف» ، (ص ٧٠) باختصار .

(١٣) شَجَاعَةُ أَبِي الْغَادِيَةِ رضي الله عنه

الصَّحَابِيُّ الْبَطْلُ ، فَارِسُ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِي قَتَلَ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَ مِائَةِ رُومِيٍّ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ!! ، لَا تَعَجَبْ فَحَيَاةُ الصَّحَابَةِ كُلُّهَا أَعَاجِيبُ .

تَرَكْنَا الْبَحَارَ الرَّاحِرَاتِ وَرَاءَنَا

فَمِنْ أَيْنَ يَذْرِي النَّاسُ أَنِّي تَوَجَّهْنَا؟

قَالَ مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَبِي الْغَادِيَةِ : «مِنْ وَجُوهِ الْعَرَبِ ، وَفُرْسَانَ أَهْلِ الشَّامِ» .

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ : رَمَى الْعَدُوُّ النَّاسَ بِالنُّفْطِ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَّا إِذْ فَعَلُوهَا فافْعَلُوا . فَكَانُوا يَتَرَامُونَ بِهَا ، فَتَهَيَّأَ رُومِيٌّ لِرَمْيِ سَفِينَةِ أَبِي الْغَادِيَةِ فِي طَنْجِيرٍ^(١) ، فَرَمَاهُ أَبُو الْغَادِيَةِ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، وَخَرَّ الطَّنْجِيرُ فِي سَفِينَتِهِمْ فَاحْتَرَقَتْ بِأَهْلِهَا ، كَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ . فَكَانَ يُقَالُ : رَمَيْتُهُ سَهْمَ أَبِي الْغَادِيَةِ قَتَلَتْ ثَلَاثَ مِائَةِ نَفْسٍ^(٢) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ!! لَقَدْ أَتَعَبْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَسَبَقْتُمْ عَلَى خَيْلٍ ضَمُرٍ ، وَتَرَكْتُمُونَا عَلَى بَغَالٍ عَرَجَاءٍ كَمَنْ تَحْمِلُ ، سَبَقْتُمُونَا وَلِسَانُ حَالِكِكُمْ يَقُولُ :

(١) الطَّنْجِيرُ (الطَّنْجَرَةُ) : قِدْرٌ نُحَاسِيَّةٌ . مُعَرَّبٌ ، وَفَارْسِيَّةٌ : بَاتِيلُ .

(٢) «سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (٢/ ٥٤٥) .

إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ كَرَمٌ بِلَا عِنَبٍ إِنَّا لَدَيْنَا مَعَا : التَّيْنُ وَالْعِنَبُ
أَوْ كَانَ أَفْقُكُمْ مُزْنٌ بِلَا سُحْبٍ فَالْمُزْنُ فِي أَفْقِنَا حُبْلَى بِهِ السُّحْبُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَبَا الْغَادِيَةِ!! كَمْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَمْثَالِكَ فِي زَمَنِ تَكَالَبَ
فِيهِ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ! وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ .

(١٤) شَجَاعَةُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه

الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، كَانَ يَقُولُ : «نَحْنُ أُمَّةٌ لَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا ، فَمَا لِي أَرَى الْفُرْشَ قَدْ كَثُرَ عَلَيْهَا الْأَمْوَاتُ ؟!» ، وَكَانَ يَقُولُ لِلْيَهُودِ : «وَاللَّهِ لَنَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَوْ لَنَفْتَحَنَّ عَلَيْهِمْ حِصْنَهُمْ» .

الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، الْقَائِدُ الْوَفِيُّ الْقَوِيُّ ، وَالشُّجَاعُ الْأَبِيُّ ، وَالْجَوَادُ السَّخِيُّ ، وَالبَائِعُ نَفْسِهِ وَمَالِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ مُبَكَّرًا ، وَكَانَ وَاحِدًا مِنَ السَّبْعَةِ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ سَارَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَسْهَمُوا مَعَ طَلِيعَتِهِ الْمُبَارَكَةِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ ، كَانَ فَارِسًا شُجَاعًا مُنْذُ صِبَاهُ .

أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ فِي وَقْتٍ يَكُفُّ فِيهِ أَشِدَّاءُ الرِّجَالِ فِي مَكَّةَ ، فَيَأْتِيهِ عَمَّهُ لِيُشْنِيَهُ عَنْ دِينِهِ ، وَيُضْرِمُ لَهُ النَّارَ ، وَيَضْعُهُ فِي الْحَصِيرِ ، وَيُمِرُّ بِهِ عَلَى النَّارِ ، حَتَّى كَادَ يَخْتَبِقُ بِدُخَانِهَا ، وَيَقُولُ لَهُ : «ارْجِعْ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ» . فَيَقُولُ ذَلِكَ الصَّبِيُّ - وَقَدْ خَالَطَتْ بِشَاشَةِ الْإِيمَانِ قَلْبَهُ - : «لَا أَرْجِعُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَنِي اللَّهُ مِنْهُ» .
حَالَهُ : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ^(١) ، وَحَالَهُ وَمَقَامُهُ :

أَقُولُ الْحَقَّ لَا أَخْشَى وَإِنِّي لَا أَبْصُرُ خَلْفَهُ عُنْقِي تُدَقُّ
وَلَسْتُ بِجَارِعٍ مَا دَامَ قَلْبِي يُرَدِّدُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقُّ

إِنَّهُ ابْنُ صَفِيَّةَ ، وَالْفَرْعُ لِلْأَصْلِ يُنْسَبُ ^(٢) .

(١) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٥ .

(٢) علي القرني ، «الساء والسهواة» ، (ص ١١٨) ، باختصار .

فَانْظُرْ إِلَىٰ فِعْلِ الْفَتَىٰ لَا جِسْمِهِ فَالْمَرْءُ يَكْبُرُ بِالْفِعَالِ وَيَصْغُرُ

إِنَّهُ الزُّبَيْرُ أَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي الْإِسْلَامِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ» (١) .

وَقَالَ ﷺ : «الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي ، وَحَوَارِيِّي مِنْ أُمَّتِي» (٢) .

هاجَرَ الزُّبَيْرُ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهَجْرَتَيْنِ الْأُولَى والثَّانِيَةَ ، ثُمَّ عَادَ لِيَشْهَدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَا تَفَوُّثُهُ غَزْوَةٌ وَلَا مَعْرَكَةٌ . بِأَبِي وَأُمِّي فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَحَوَارِيَّهِ ، مَنْ نَزَلَتْ بِسِيَمَاهُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَجَمَعَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَبِيهِ . عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : كَانَتْ عَلَى الزُّبَيْرِ يَوْمَ بَدْرٍ عِمَامَةٌ صَفْرَاءُ ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَى سِيَمَاءِ الزُّبَيْرِ .

لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أُحُدٍ وَأَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ ، خَافَ أَنْ يَرَجِعُوا ، فَقَالَ ﷺ : «مَنْ يَتَدَبَّ لَهُؤُلَاءِ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ بِنَا قُوَّةً؟» . فانتَدَبَ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ فِي سَبْعِينَ ، فَخَرَجُوا فِي آثَارِ الْمُشْرِكِينَ ، فَسَمِعُوا بِهِمْ ، فَانْصَرَفُوا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ (٣) ، لَمْ يَلْقُوا عَدُوًّا (٤) .

(١) «صحيح البخاري» : (٢٧/٤) ، ٢٨٤٦ ، و«الترمذي» عن جابر ، و«الحاكم» عن علي .

(٢) صحيح رواه أحمد في «المسند» عن جابر ، وصحَّحه الألباني في «الصحيحه» ، (١٨٧٧) ، و«صحيح الجامع» (٣٥٨٣) .

(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١٧٤ .

(٤) «صحيح البخاري» : (٥/١٠٢/٤٠٧٧) .

وفي الصحيحين ، البخاري ومسلم : عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ يوم الخندق : «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ؟» ، فقال الزبير : أنا . فذهب على فرس ، فجاء بخبرهم . ثم قال ﷺ الثانية ، فقال الزبير : أنا . فذهب ، ثم الثالثة . فقال النبي ﷺ : «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ، وَحَوَارِيِّي الزُّبَيْرُ» ^(١) .

وحين طال حصار «بني قريظة» دون أن يستسلموا ، أرسله الرسول ﷺ مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فوقف أمام الحصن يردد مع علي قوله : «والله لنذوقن ما ذاق حمزة بن عبد المطلب ، أو لنفتحن عليهم حصنهم» . ثم ألقيا بنفسيهما وحيدين داخل الحصن ، وبقوة أعصاب مذهلة أحكما إنزال الرعب في أفئدة المتحصنين داخله ، وفتحاً للمسلمين أبوابه .

وعن أبي الزناد قال : ضرب الزبير يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره ، فقطعه إلى القربوس ^(٢) ، فقالوا : ما أجود سيفك ! فغضب الزبير ، يريد أن العمل ليده لا للسيف .

ورأى النبي ﷺ يوم أحد رجلاً يقتل المسلمين قتلاً عنيفاً ، فقال ﷺ : «قُمْ إِلَيْهِ يَا زُبَيْرُ» . فرقى إليه الزبير ، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه ، فأقبلا ينحدران حتى وقعا إلى الأرض ، فوقع الزبير على صدره وقتله .

(١) «صحيح البخاري» (٢٧/٤) ، ٢٨٤٦ ، و«الترمذي» عن جابر ، و«الحاكم» .
الحواري : الخالص من كل شيء . الحواري : خالص الإنسان وصفه المختص به ؛ كأنه أخلص ونقى من كل عيب
(٢) مقدم السرج ومؤخره .

قَالَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه : «جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبُوهُ مَرَّتَيْنِ : فِي أَحَدٍ ، وَفِي قَرِيْظَةٍ» .

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ، طَاعَنَ الزُّبَيْرُ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى أَزَالَهُمْ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ ، وَكَانَ قَائِدُ الْمُشْرِكِينَ «مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ» يُرَاقِبُ سَيْرَ الْقِتَالِ ، فَأَخْبَرَهُ أَصْحَابُهُ أَنَّهم يَرَوْنَ فَارِسًا وَاضِعًا رُمْحَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، عَاصِبًا رَأْسَهُ بِمَلَاءَةِ خُمْرَاءَ ، فَقَالَ : «هَذَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَأَحْلَفُ بِاللَّاتِ لِيَتَخَالَطَنَّكُمْ ، فَاثْبُتُوا لَهُ . فَلَمَّا انْتَهَى الزُّبَيْرُ إِلَى مَوَاضِعِ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْصَرَهُمْ ، قُصِدَهُمْ فَلَمْ يَزَلْ يُطَاعِنُهُمْ حَتَّى أَزَاحَهُمْ عَنْهَا» ^(١) .

لِلَّهِ دُرٌّ أَشْجَعُ النَّاسِ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : يَغْضَبُ كَالنَّمْرِ ، وَيَثْبُ وَثُوبَ الْأَسَدِ ^(٢) .

وَلَمَّا قَصَدَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه مِصْرَ لِفَتْحِهَا كَانَتْ مَعَهُ قُوَّاتٌ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَشْفَقَ عُمَرُ مِنْ قِلَّةِ عَدَدِ قُوَّاتِ عَمْرُو فَأَرْسَلَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَقِيلَ : أَرْسَلَ عُمَرُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ رَجُلٍ ، عَلَيْهِمُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِبَارِ : الزُّبَيْرُ ، وَالْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَمَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ . وَقَالَ آخَرُونَ : خَارِجَةُ بْنُ حُذَافَةَ هُوَ الرَّابِعُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : «إِنِّي أَمَدَدْتُكَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ ، عَلَى كُلِّ أَلْفٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ مَقَامُ أَلْفٍ» . وَكَانَ الزُّبَيْرُ عَلَى رَأْسِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ ^(٣) .

(١) «قادة فتح الشام ومصر» ، (ص ٢٠٨-٢٢٦) ، اللواء الركن / محمود شيت خطاب .

(٢) «تهذيب ابن عساکر» (٥/٣٦٢) .

(٣) «قادة فتح الشام ومصر» ، (ص ٢٠٦) ، اللواء الركن / محمود شيت خطاب .

وَحِينَ قَدِمَ الزُّبَيْرُ عَلَى عَمْرُو وَجَدَهُ مُحَاصِرًا حِصْنَ «بَابِلْيُونَ» ، فَلَمْ يَلْبَثْ الزُّبَيْرُ أَنْ رَكِبَ حِصَانَهُ وَطَافَ بِالْخَنْدَقِ الْمُحِيطِ بِالْحِصْنِ ، ثُمَّ فَرَّقَ الرِّجَالَ حَوْلَ الْخَنْدَقِ ، وَطَالَ الْحِصَارُ حَتَّى بَلَغَتْ مُدَّتُهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، فَقِيلَ لِلزُّبَيْرِ : إِنَّ بِهَا الطَّاعُونَ . فَقَالَ : «إِنَّمَا جِئْنَا لِلطَّعْنِ وَالطَّاعُونَ» ^(١) .

وَأَبْطَأَ الْفَتْحُ عَلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : «إِنِّي أَهْبُ نَفْسِي لِلَّهِ ، أَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ بِذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ» . فَوُضِعَ سُلَّمًا وَأُسْنَدَهُ إِلَى جَانِبِ الْحِصْنِ مِنْ نَاحِيَةِ سُوقِ الْحَمَامِ ، ثُمَّ صَعَدَ ، وَأَمَرَهُمْ إِذَا سَمِعُوا تَكْبِيرَهُ أَنْ يُجِيبُوهُ جَمِيعًا ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا وَالزُّبَيْرُ عَلَى رَأْسِ الْحِصْنِ يُكَبِّرُ وَمَعَهُ السَّيْفُ ، فَتَحَامَلَ النَّاسُ عَلَى السُّلَمِ حَتَّى نَهَاهُمْ عَمْرُو ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْكَسِرَ ، فَلَمَّا رَأَى الرُّومُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ ظَفَرُوا بِالْحِصْنِ انْسَحَبُوا . وَبِذَلِكَ فَتَحَ حِصْنَ بَابِلْيُونَ أَبْوَابَهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَانْتَهَتْ بِفَتْحِهِ الْمَعْرَكَةُ الْحَاسِمَةُ لِفَتْحِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ شَجَاعَةُ الزُّبَيْرِ النَّادِرَةُ السَّبَبَ الْمُبَاشِرَ لَانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُقَوْقِسِ ^(٢) .

وَيَوْمَ «الْيَرْمُوكِ» كَانَ الزُّبَيْرُ جَيْشًا وَحَدَهُ ، فَحِينَ رَأَى أَكْثَرَ الْمُقَاتِلِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى رَأْسِهِمْ يَتَقَهَّقُونَ أَمَامَ جِبَالِ الرُّومِ الزَّاحِفَةِ صَاحَ هُوَ : «اللَّهُ أَكْبَرُ» ، وَاخْتَرَقَ تِلْكَ الْجِبَالَ الزَّاحِفَةَ وَحَدَهُ ، ضَارِبًا بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا وَسَطَ الصُّفُوفِ الرَّهِيْبَةِ ذَاتِهَا ، وَسَيْفُهُ يَتَوَهَّجُ فِي يَمِينِهِ ، وَلَا يَخْجُبُو .

كَانَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَدِيدَ الْوَلَعِ بِالشَّهَادَةِ ، عَظِيمَ الْغَرَامِ بِالْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،

(١) «طبقات ابن سعد» (١٠٧/٣) ، البلاذري (ص ٢١٥) .

(٢) «قادة فتح الشام ومصر» ، (ص ٢٠٩-٢٢٧) ، اللواء الركن/ محمود شيت خطاب .

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : «نَحْنُ أُمَّةٌ لَا نَمُوتُ إِلَّا قَتَلْنَا ، فَمَا لِي أَرَى الْفُرْشَ قَدْ كَثُرَ عَلَيْهَا الْأَمْوَاتُ ؟!» .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ : «أَشْجَعُ النَّاسِ الزُّبَيْرُ» . وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ الرَّجَالِ إِلَّا الرَّجَالُ .

قَالَ الثَّوْرِيُّ : نَجْدَةُ الصَّحَابَةِ : حَمْزَةُ ، وَعَلِيٌّ ، وَالزُّبَيْرُ .

وَلِلَّهِ دَرٌّ حَسَنٌ حِينَ يَقُولُ :

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهْدِيهِ	حَوَارِيَّهُ وَالْقَوْلُ بِالْفِعْلِ يَعْدِلُ
أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقِهِ	يُوَالِي وَلِيَّ الْحَقِّ وَالْحَقُّ أَعْدِلُ
هُوَ الْفَارِسُ الْمَشْهُورُ الْبَطْلُ الَّذِي	يُصُولُ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ مُحْجِلُ
فَكَمَ مِنْ كُرْبَةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ	عَنِ الْمُصْطَفَى وَاللَّهُ يُعْطِي فَيُجْزِلُ

وَيَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ قَالَ :

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعْتُ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشْعُ

وَحِينَ عَلِمَ عَلِيٌّ ﷺ أَنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ بِالْبَابِ يَسْتَأْذِنُ ، صَاحَ أَمْرًا بِطَرْدِهِ ، قَائِلًا : «بَشَّرَ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ» .

وَحِينَ أَدْخَلُوا عَلَيْهِ سَيْفَ الزُّبَيْرِ ، قَبَلَهُ عَلِيٌّ ﷺ وَأَمْعَنَ فِي الْبُكَاءِ وَهُوَ يَقُولُ : «سَيْفٌ طَالَمَا جَلَا بِهِ صَاحِبُهُ الْكَرْبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ» .

(١٥) شَجَاعَةُ سَيِّدِ الْأَنْصَارِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه

هو سَيِّدُ الْأَنْصَارِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه القائلُ : «إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ ،
صُدُقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ» .

إِمَّا فَنِي نَالَ الْمُنَى فَاشْتَقَى أَوْ بَطَلٌ ذَاقَ الرَّدَى فَاسْتَرَخَ

إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ صُدُقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ :

قَالَ سَعْدُ رضي الله عنه لِلرَّسُولِ صلی الله علیه و آله يَوْمَ بَدْرٍ لَمَّا قَالَ : «أَشِيرُوا عَلَيَّ
أَيُّهَا النَّاسُ!» . قَالَ : «وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» ، قَالَ :
«أَجَلٌ» . قَالَ : «فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ
الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاقِفَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَكَ
فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ
اسْتَعْرَضْتَ بِنَا الْبَحْرَ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا
نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ
لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ» ؛ فَسِرَّ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ . فَسَرَّ
الرَّسُولُ صلی الله علیه و آله وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ ، ثُمَّ بَشَّرَ الْقَوْمَ بِالنَّصْرِ قَائِلًا : «سِيرُوا
وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّ
الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ» ^(١) .

(١) الطبراني ، «المجمع» (٧٣/٦) ، البيهقي ، «دلائل النبوة» (٣٢/٣) ، «البداية والنهاية» (٣/٢٦٢) ، «سيرة
ابن هشام» ، وله شواهد من وجوه كثيرة من رواية البخاري والنسائي .

وكيف لا يُسَرُّ الرَّسُولُ ﷺ بِهَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْمَشْرِقَةِ الَّتِي مَبْعَثُهَا الْإِيمَانُ الصَّادِقُ ، الَّذِي لَا يَعْرِفُ الضَّعْفَ وَلَا الاسْتِخْذَاءَ ، وَالَّذِي ظَهَرَتْ ثَمَرَاتُهُ فِي كَلِمَاتٍ طَيِّبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ، وَالَّتِي كَشَفَتْ عَنْ مَعْدِنِ الْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ الْأَصِيلِ ، وَأَبَانَتْ الْفَرْقَ الشَّاسِعَ مَا بَيْنَ مَوْقِفِ الْيَهُودِ مِنْ نَبِيِّهِمْ مُوسَى ﷺ وَبَيْنَ مَوْقِفِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وإنَّهَا لِمُقَارَنَةٍ صَادِقَةٌ فِي حَقِّهِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الدَّقِيقِ ، تَشْفُ عَنْ نَفَاسَةِ مَعْدِنِ الْعَرَبِ ، وَبُطُولَتِهِمْ ، وَعَنْ خُبثِ مَعْدِنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَذَالَتِهِمْ ^(١) .

وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ :

كَلِمَاتُ لَسْعِدٍ بْنِ مُعَاذٍ تُسَطَّرُ بِمِدَادٍ مِنْ نُورٍ فِي تَارِيخِ أُمَّتِنَا .

لَمَّا تَحَزَّبَ الْأَحْزَابُ قُوَى الشَّرِّ بَكْتَائِبِهَا الْهَائِجَةِ ، وَكَادَتْ تُغْرِقُ الْقِلَّةَ الْمُؤْمِنَةَ ، أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْقِدَ صَلَاحًا مُنْفَرِدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَطَفَانَ وَسَيِّدَيْهَا : عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ ، وَالْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ ، عَلَى أَنْ تُفَكَّ غَطَفَانُ الْحِصَارَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَتَنْسَحِبَ بِجُيُوشِهَا وَتَحْذِلَ الْأَحْزَابَ ، عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُلثَ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ . فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّعْدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَا فِي غَايَةِ الْإِسْتِسْلَامِ لِلَّهِ وَالْأَدَبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَمَرُ أَمْرَكَ اللَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ ؛

(١) «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة» ، أبو شُهبة (٢/ ١٣١) .

فَسَمِعَا طَاعَةَ اللَّهِ؟! ، أَمْ أَمْرٌ تُحِبُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَمَا تُحِبُّهُ مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . أَمْ شَيْءٌ تَصْنَعُهُ لَنَا؟! . قَالَ ﷺ : «بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَالْبُوكُم مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا» . فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ كُنَّا وَهُولًا عَلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ ، وَاللَّهُ مَا يَطْمَعُونَ فِي ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ إِلَّا قَرَى^(١) أَوْ بَيْعًا ، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ ، وَأَعَزَّنَا بِهِ وَبِكَ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا؟ وَاللَّهُ مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ ، وَاللَّهُ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ . ثُمَّ خَرَجَ سَعْدٌ إِلَى سَيِّدِي غَطَفَانَ وَقَدْ رَفَعَ صَوْتَهُ فِي تَحَدٍّ : ارْجِعَا ، لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ غَيْرَ السَّيْفِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَأَنْتَ وَذَاكَ» ، فَتَنَاولَ سَعْدُ الصَّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ ، ثُمَّ قَالَ : «لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا»^(٢) .

يَا لَلرَّجَالِ! فِي وَقْتٍ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ ، وَتَقَاطَرَتْ الْبَلَايَا! كَلِمَاتٌ تَصْدُرُ مِنْ فَمِ الصَّادِقِ سَعْدٍ ، تَنْفَجِرُ فِيهَا يَنَابِيعُ الرُّجُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْأَنْفَةِ ، فَتَبْتُ الْأَمَلَ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتُدْهِشُ سَيِّدِي غَطَفَانَ ، فَيُفِيْقُوا ، وَيُعَلِّمُهُمْ سَعْدٌ أَنَّ الَّذِي يَصْنَعُ النَّصْرَ قُوَّةُ الْعَقِيدَةِ ، وَزَخَمُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالثَّقَّةُ بِهِ .

(١) الْقَرَى : الضِّيَافَةُ .

(٢) رَوَاهُ الْبَزَارُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالدُّوْلَابِيُّ فِي «الْكُنَى» (٢/ ٤٦) ، وَلَهُ شَوَاهِدُ مُرْسَلَةٌ تَقْوِيهِ .

وقد ظهر للنبي ﷺ أَنَّ الْأَخْطَارَ وَالْمَخَافَ وَتَكَاثُبَ عَوَامِلِ الشَّرِّ لَمْ تَزِدْهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَصَلَابَةً فِي الدَّفَاعِ عَنْ دِينِهِمْ .

إِمَّا إِلَى الْعِزِّ أَوْ تَقْضِي بِسَاحَتِهِ ذُلُّ الْحَيَاةِ وَطَعْمُ الْمَوْتِ سِيَّانٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا سَيِّدَ الْأَنْصَارِ!! وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ .

(١٦) شَجَاعَةُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه

مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، الصَّحَابِيُّ الْفِدَائِيُّ ، فَارِسٌ وَحَارِسُ النَّبِيِّ ﷺ ، قَاتِلُ طَاغِيَةِ الْيَهُودِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ .

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه جَبَلًا مِنْ فُرْسَانَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ حَلَقُوا عَالِيًا فِي سَمَاءِ الْفُرُوسِيَّةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَمَنْ تَرَكُوا آثَارًا وَضِيئَةً فِي مَيَادِينِ الْبَذْلِ وَالْجِهَادِ ، وَسَجَلَاتِ الْفُرُوسِيَّةِ .

كَانَ رضي الله عنه مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ ، وَمِنْ فُضَلَائِهِمْ وَسَادَاتِهِمْ وَشُجْعَانِهِمْ ، وَكَانَ مَوْضِعَ ثِقَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَثِقَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ .

أَسْلَمَ عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَبْلَ إِسْلَامِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَهُوَ مِنَ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ سُمُّوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُحَمَّدًا ^(١) .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : «كَانَ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ ، وَلَهُ وَقَائِعٌ عَظِيمَةٌ ، وَصِيَانَةٌ ، وَأَمَانَةٌ بَلِيغَةٌ ، أَخَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمِينِ الْأُمَّةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ» ^(٢) .

مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَارِسٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، بَطْلٌ بَدْرٍ ، الصَّامِدُ فِي أَحَدٍ ، كَانَ لَهُ مَوَاقِفُ مُشْرِفَةٌ فِي أَحَدٍ ، فَقَدْ وَلَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ الْحَرَسَ ، وَكَانَ يَطُوفُ حَوْلَ

(١) «الإصابة» (٦٣/٦) .

(٢) «طبقات ابن سعد» (٤٤٣/٣) ، «أنساب الأشراف» (٢٢٤/١) ، (٢٧١) .

العَسْكَرِ ، وفي العَسْكَرِ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وكان في مَنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ حِينَ وَلَّى النَّاسُ .

كَانَ قَائِدَ الْفُرْسَانِ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ، وَأَمِيرَ السَّرَايَا الْمُتَنَصِّرِ الظَّافِرُ ،
وَالْغَانِمِ الْمَكْتَسِبِ ، الْقَائِمِ عَلَى تَنْفِيدِ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ،
وَحَامِلِ إِنْذَارِهِ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ ، جَاءَهُمْ ابْنُ مَسْلَمَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : « إِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ لِيَقُولَ لَكُمْ : « قَدْ نَقَضْتُمُ الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتُ لَكُمْ
بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنَ الْغَدْرِ بِي » ، وَيَقُولُ : « أُخْرِجُوا مِنْ بَلَدِي ، فَقَدْ أَجَلْتُكُمْ
عَشْرًا ، فَمَنْ رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ » . وَهُوَ الْبَطْلُ الشُّجَاعُ يَوْمَ خَيْبَرَ ،
وَنَائِبُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حُكْمِ الْمَدِينَةِ مُدَّةَ غِيَابِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ .

بَطْلٌ هُمَامٌ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُنْكَرَ ، وَأَحَقُّ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ ^(١) . أَتَكْفِي هَذِهِ الْأَوْسِمَةُ
صَدْرَ بَطْلِنَا؟! إِنَّ وَسَامًا وَاحِدًا مِنْهَا يُزَيِّنُ صَدْرَ مَنْ يَحْمِلُهُ ، وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَى
أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَى الْمَكَانَةِ الْعُلْيَا .

سَبَبَ قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، إِذَاؤُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بِهِجَائِهِ
لَهُمْ فِي شِعْرِهِ :

كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ طَاغِيَةُ الْيَهُودِ ، اغْتَلَمَ الْحِقْدُ وَالْغَدْرُ فِي نَفْسِهِ ، وَخَانَ
عَهْدَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحِينَ قُتِلَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ بِبَدْرِ قَالَ : « بَطْنُ الْأَرْضِ
خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا » .

(١) يُنْظَرُ : « فَرَسَانِ النَّهَارِ » ، لِلدَّكْتُورِ سَيِّدِ الْعَفَّانِيِّ .

وَجَعَلَ يُؤَلِّبُ قُرَيْشًا وَيُحَرِّضُ عَلَى قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ شَاعِرًا يُشَبِّبُ
بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؛ قَصْدًا لِإِيْدَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ ، رَثَى أَبَا جَهْلٍ بِقَوْلِهِ :

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي الْمَغِيرَةِ كُلَّهُمْ خَشَعُوا الْقَتْلَ أَبِي الْحَكِيمِ وَجَدَّعُوا

وَيَقُولُ عَنْ قَتْلِ بَذْرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : «هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ الْعَرَبِ ، وَمُلُوكُ
النَّاسِ ، وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ
مِنْ ظَهْرِهَا» .

مَقْتَلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ لِكَعْبِ
بَنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ» . فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، فَقَالَ :
«يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟» قَالَ : «نَعَمْ» . قَالَ : فَأَذَنْ لِي أَقُولُ شَيْئًا .
قَالَ : «قُلْ» . فَتَأْتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، فَقَالَ : «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا
صَدَقَةً ، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّا ، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ» . قَالَ : «وَأَيْضًا ، وَاللَّهِ
لَتَمْلَنَّهُ» . قَالَ : «إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ
يَصِيرُ شَأْنُهُ ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسَلِّفَنَا وَسَقَا أَوْ وَسَقَيْنَ» . فَقَالَ : «نَعَمْ ،
أَرِهْنُونِي» . قَالُوا : «أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟» قَالَ : «أَرِهْنُونِي نِسَاءَكُمْ» . قَالُوا :
«كَيْفَ نُرْهِنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟» ، قَالَ : «أَرِهْنُونِي أَبْنَاءَكُمْ» .
قَالُوا : «كَيْفَ نُرْهِنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ : رَهْنٌ وَلَدَهُ بَوْسُقٍ أَوْ

وَسُقَيْنِ؟! هَذَا عَارٌّ عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ نُرْهِنُكَ اللَّامَةَ» ^(١) . فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ ،
فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ ^(٢) ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَتْ
لَهُ امْرَأَتُهُ : «أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟» فَقَالَ : «إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ
وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ» . قَالَتْ : «أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنَ الدَّمِ» . قَالَ : «إِنَّمَا
هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنٍ
بَلِيلٍ لَأَجَابَ» ، وَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَمَعَهُ رِجَالٌ ؛ أَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ
وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ ، وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ . فَقَالَ : «إِذَا مَا جَاءَنِي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ
فَأَشْمَمَهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَذُونُكُمْ فَأَضْرِبُوهُ» . وَقَالَ
مَرَّةً : «ثُمَّ أَشْمَمُكُمْ» ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُخُ مِنْ رِيحِ الطِّيبِ ، فَقَالَ :
«مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا - أَي : أَطِيبُ -» ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَ : «عِنْدِي أَعْطَرُ
نِسَاءِ الْعَرَبِ ، وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ» . قَالَ عَمْرٍو : فَقَالَ لَهُ : «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَشْمَ
رَأْسَكَ؟» ، قَالَ : «نَعَمْ» فَشَمَّهُ . ثُمَّ أَشْمَ أَصْحَابَهُ . ثُمَّ قَالَ : «أَتَأْذُنُ لِي؟»
قَالَ : «نَعَمْ» ، فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنْهُ قَالَ : «ذُونُكُمْ» . فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ
فَأَخْبَرُوهُ» ^(٣) .

وَعِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : «فَأَخَذَ أَبُو نَائِلَةَ بِفُودَيْ رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اضْرِبُوا
عَدُوَّ اللَّهِ . فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُهُمْ فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ :

(١) اللَّامَةُ : يعني السلاح .

(٢) وهو أخو كعب من الرضاعة .

(٣) «صحيح البخاري» في المغازي ، باب قتل كعب بن الأشرف ، (٤٠٣٧) ، «صحيح مسلم» ، كتاب الجهاد ،
(١٨٠١) ، وغيرهم .

«فَذَكَرْتُ مَغُولًا^(١) فِي سَيْفِي فَأَخَذْتُهُ ، وَقَدْ صَاحَ عَدُوُّ اللَّهِ صَيْحَةً ، فَلَمْ يَبْقَ حَوْلَنَا حِصْنٌ إِلَّا أُوقِدَتْ عَلَيْهِ نَارٌ». قَالَ : «فَوَضَعْتُهُ فِي ثُنَّتِهِ^(٢) ، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتَ عَانَتَهُ ، فَوَقَعَ عَدُوُّ اللَّهِ . وَقَدْ خَافَتْ يَهُودُ بَوَاقِعَتِنَا بَعْدُ اللَّهُ ، فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا وَهُوَ خَائِفٌ عَنْ نَفْسِهِ»^(٣) .

وَهَكَذَا طُوِيَتْ صَفْحَةٌ مِنْ صَفْحَاتِ الْغَدْرِ ، مُثَلَّةً فِي هَذَا الْيَهُودِيِّ الْخَبِيثِ ، وَارْتَاخَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، عَدُوٍّ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَائِهِمْ وَأَشَدَّهُمْ تَحْرِيسًا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ .

جَهَادُهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه أَحَدَ أَبْطَالِ حُرُوبِ الرَّدَّةِ ، حَتَّى أَتَمَّ اللَّهُ نِعَمَتَهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَرَدَّ كَيْدَ الْكَائِدِينَ إِلَى نُحُورِهِمْ .

وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ ، وَكَانَ فِي مَنْ طَلَعَ لِلْحِصْنِ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه .
وَقَدْ شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْجَابِيَةَ بِالشَّامِ مَعَ عُمَرَ رضي الله عنه ، وَكَانَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ يَوْمَئِذٍ .

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه يُلَقَّبُ بِفَارِسِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَخَرَ كُلَّ شَجَاعَتِهِ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ ، مُجَاهِدًا تَحْتَ لَوَاءِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ ، جُنْدِيًّا وَقَائِدًا ،

(١) المغول : شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه .

(٢) الثُّنَّةُ مِنَ الْإِنْسَانِ : مَا دُونَ السُّرَّةِ ، فَوْقَ الْعَانَةِ أَسْفَلَ الْبَطْنِ .

(٣) «الإصابة» (٤ / ١٩٥) .

مَرُوسًا عَلَى الْفُرْسَانِ تَارَةً ، وَعَلَى حَرَسِ النَّبِيِّ ﷺ تَارَةً أُخْرَى ، وَقَائِدًا لِسَرَايَا
النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَضَى عَلَى أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ ، وَأَثَّرَ فِي أَعْدَاءِ
الْإِسْلَامِ مَادِيًّا وَمَعْنَوِيًّا .

وَقَدْ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَحْوِ مِنْ خَمْسِ عَشْرَةِ سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَاهُ ، كَمَا
نَصَّ عَلَى ذَلِكَ قِسْمٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ ، وَلَكِنَّ السَّرَايَا الَّتِي فَصَّلَهَا الْمُؤَرِّخُونَ
ثَلَاثَةَ سَرَايَا فَقَطْ .

لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جُنْدِيًّا عَادِيًّا ؛ بَلْ كَانَ جُنْدِيًّا مُتَمَيِّزًا ، وَلَا
قَائِدًا عَادِيًّا ؛ بَلْ قَائِدًا مُتَمَيِّزًا أَيْضًا ، فَهُوَ مِنْ جُنُودِ وَقَادَةِ الْعَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ ،
يُوظَّفُ كُلَّ طَاقَاتِهِ فِي طَبْعِهِ الْمَوْهُوبِ ، وَعِلْمِهِ الْمُكَتَسَبِ ، وَتَجْرِبَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ ؛
لِخِدْمَةِ عَقِيدَتِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهَا ، وَلَا يَدَّخِرُ وَسْعًا فِي خِدْمَتِهِمَا .

فَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ الَّذِي مَلَأَ الْأَعْيُنَ قَدْرًا وَجَلَالًا ، وَالتَّنْفُسُ
تَقْدِيرًا وَاجْتِلَالًا ، وَالْقُلُوبَ أَسْوَةً وَمِثَالًا .

وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنَّ لِمُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ أَحْفَادًا .

(١٧) شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه

بَطْلُ الْأَبْطَالِ ، وَرَجُلُ الرِّجَالِ ، وَقِمَّةُ الْفِدَائِيِّينَ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ الْجُهَنِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، قَاتِلُ الشَّيْطَانِ خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ ، وَقَاتِلُ الْقَائِدِ الْيَهُودِيِّ مَلِكِ خَيْبَرَ .

لَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مُهَاجِرِيًّا أَنْصَارِيًّا عَقَبِيًّا ، وَمِنْ جُلَّةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنه ، وَكَانَ مِمَّنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ . شَهِدَ أَبُو يُحَيَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ رضي الله عنه بَعْدَ الْعَقَبَةِ ، فَأَسْلَمَ وَحَسَّنَ إِسْلَامَهُ ، وَكَانَ ابْنُ أَنَسٍ أَحَدَ أَفْرَادِ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ مِنْ رِجَالِ الْحَزْرَجِ ، الَّتِي خَرَجَتْ إِلَى خَيْبَرَ لِقَتْلِ كَبِيرِ مُجْرِمِي الْيَهُودِ ، وَزَعِيمِ التَّائِمْرِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ الْمُلَقَّبِ بِأَبِي رَافِعٍ ^(١) .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ سَرِيَّةٌ وَحْدَهُ لِقَتْلِ الشَّيْطَانِ خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ :

فِي مُحَرَّمٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَغَابَ عَنْهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَقَدِمَ يَوْمَ السَّبْتِ لَسَبْعِ بَقَيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، بَعْدَ أَنْ أَدَّى وَاجِبَهُ الَّذِي أَمَرُهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ؛ فَقَدْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ مَوْلَفَةٍ مِنْهُ وَحْدَهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ ، الَّذِي كَانَ بُ «عُرَّةً» ، يَجْمَعُ الْجُمُوعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَغْزَوْهُ . فَقَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَادَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : «دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ

(١) يُنْظَرُ : «سيرة ابن هشام» (٧١ / ٢) ، «طبقات ابن سعد» (٥٨٠ / ٢) .

سُفْيَانُ بْنُ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيُّ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُونِي ، وَبِنَخْلَةٍ أَوْ بُعْرَنَةَ ^(١) ، فَأَتَاهُ فَأَقْتُلُهُ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَعْتُهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ ، فَقَالَ : «إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ أَذْكَرَكَ الشَّيْطَانُ ، وَآيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قَشْعَرِيَّةً» . وَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا سَيْفِي ، حَتَّى دَفَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي ظُعْنٍ يَرْتَادُ لَهُمْ مَنْزِلًا ، وَحَيْثُ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ وَجَدْتُ مَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْقَشْعَرِيَّةِ ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ ، وَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحَاوَلَةً تُشْغِلُنِي عَنِ الصَّلَاةِ ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ أَوْمِيءُ بِرَأْسِي ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ : «مَنْ الرَّجُلُ؟» قُلْتُ : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ ، فَجَاءَكَ لِدَلِّكَ . قَالَ : «أَجَلُ إِنِّي لَفِي ذَلِكَ» . فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا ، حَتَّى إِذَا أَمَكَّنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ ظَعَانَهُ مُنْكَبَّاتٍ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَنِي قَالَ : «أَفْلَحَ الْوَجْهُ!» ، قُلْتُ : قَدْ قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(٢) . وَوَضَعْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي ^(٣) .

وَهَكَذَا اسْتَطَاعَ عَبْدُ اللَّهِ وَحْدَهُ بِطَوْلَتِهِ الْفَذَّةَ ، وَإِقْدَامِهِ النَّادِرِ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى فِتْنَةِ الْهُذَلِيِّ ، وَيُنْهِيَ خِطَطَهُ فِي حَرْبِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ فِي ذَلِكَ :

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحَوَارِ وَحَوْلَهُ نَوَائِحُ تَقْرِي كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدٍ

(١) بُعْرَنَةُ : موضع بقرب جبل عَرَفَةَ ، موضع الحجيج . وَبِنَخْلَةٍ : وادٍ بحذاء عرفات .

(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٠-٥١) ، «سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٩٣) ، «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٣١-٥٣٣) .

(٣) «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٣٣) .

تَتَاوَلَتْهُ وَالظُّعُنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزَلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ
بَأْيُضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنْدٍ
أَنَا ابْنُ أَنْيْسٍ فَارِسًا غَيْرَ قُعْدُدٍ
رَحِيبُ فَنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مُزْنَدٍ

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ مُثْنِيًّا عَلَى الْبَطْلِ ابْنِ أَنْيْسٍ :

سَرِيَّةٌ أَنْتَ وَخُدُوكُ
لَا تَخْشَى يَا ابْنَ أَنْيْسٍ
أَحْشُدُ قُؤَاكَ وَخُدُوكَ
بُورُكُتَ يَا ابْنَ أَنْيْسٍ
سُفْيَانُ هَلْ كُنْتَ طُودًا
مَلَأْتَ صَدْرَكَ حَقْدًا
وَمِتَّ مِنْ قَبْلُ وَجَدًا
فَاجْعَلْ سَجَايَاكَ جُنْدَكَ
فَلَيْسَ سُفْيَانُ نِدَّكَ
فَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ حَشْدَكَ
مِنْ فَارِسٍ مَا أَشَدَّكَ!
فَمَنْ رَمَاكَ فَهَدَّكَ؟
فَهَلْ شَفَى السَّيْفُ حَقْدَكَ؟
فَهَلْ مَحَا الْمَوْتُ وَجْدَكَ؟

الصَّحَابِيُّ الْبَطْلُ ابْنُ أَنْيْسٍ رضي الله عنه يَقْتُلُ الْقَائِدَ الْيَهُودِيَّ مَلِكَ خَيْبَرَ
«الْيَسِيرَ بْنَ رُزَامٍ» :

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنْيْسٍ أَحَدَ أَفْرَادِ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فِي شَوَّالٍ مِنَ
السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ ، لَقِيَ مَلِكَ خَيْبَرَ أُسَيْرَ بْنَ رُزَامٍ ، الَّذِي كَانَ يَجْمَعُ

بَخَيْرِ غَطَفَانَ لِعَزْوِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وقد حملَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رِسَالَةَ شَفَوِيَّةٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْيَسِيرِ مَلِكِ خَيْبَرَ ، وَخَرَجَ الْيَسِيرُ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ خُلَصَاءٍ وَزُعَمَاءِ الْيَهُودِ بِصُحْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَقَوْمِهِ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَمَنْ مَعَهُ أَمْنَاءَ فِي تَوْصِيلِ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ تُرَاوِدْهُمْ أَيُّ فِكْرَةٍ عَنْ قَتْلِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ ، غَيْرَ أَنَّ طَبِيعَةَ الْغَدْرِ الْمُتَأَصِّلَةِ فِي الْيَهُودِ جَعَلَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ وَأَصْحَابَهُ يَكُونُونَ عَلَى حَذَرٍ دَائِمٍ مِنْ عَدُوِّهِمْ ؛ وَلِهَذَا جَعَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ رَوَاحَةَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ رُزَامٍ رَدِيفًا خَلْفَهُ . وَبَيْنَمَا كَانُوا سَائِرِينَ فِي اتِّجَاهِ الْمَدِينَةِ حَاوِلَ الْيَهُودِ الْغَدْرَ بِالْمُسْلِمِينَ ؛ فَقَدْ أَهْوَى الْيَسِيرُ بْنُ رُزَامٍ يَدَهُ إِلَى سَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ لِيَقْتُلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسْرَعَ مِنْهُ ، فَفَطِنَ لِدَلَالِكَ ، فَانْتَرَعَ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَقَتَلَهُ ، ثُمَّ دَارَتْ مَعْرَكَةٌ مَعَ بَقِيَّةِ الرِّكْبِ ، تَمَكَّنَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَى أَصْحَابِ ابْنِ رُزَامٍ ، مَا عَدَا رَجُلًا وَاحِدًا تَمَكَّنَ مِنَ الْفِرَارِ ^(١) .

وَبَعْدَ التَّحَاقُّقِ النَّبِيِّ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، شَهِدَ ابْنُ أَنَيْسٍ فُتُوحَ بِلَادِ الشَّامِ ، وَدَخَلَ مِصْرَ ، وَخَرَجَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ؛ وَبَذَلَ نَالَ عَبْدِ اللَّهِ - الَّذِي كَانَ يُكْنَى : أبا يَحْيَى - شَرَفَ الصُّحْبَةِ ، وَشَرَفَ الْجِهَادِ تَحْتَ لِوَاءِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ ، وَشَرَفَ الْجِهَادِ فِي الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَظِيمِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا ابْنَ أَنَيْسٍ ! وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ .

(١) يُنْظَرُ : «سيرة ابن هشام» ، (٤/ ٢٩٢-٢٩٣) ، «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٦٦-٥٦٨) .

(١٨) شَجَاعَةُ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ

حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَفَاتِحُ نَهَاوَنْدِ
وَالدَّيْنُورِ وَهَمَذَانَ وَالرَّيِّ (١) .

اسْتَعَانَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فِي مَوْقِفٍ مِنْ أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ خَطَرًا ، وَدَعَا لَهُ :
«اللَّهُمَّ احْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ ،
وَمِنْ فَوْقِهِ ، وَمِنْ تَحْتِهِ» . وَكَانَ سَبَبًا فِي جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ
بَعْدَ أَنْ كَادُوا يَفْتَرِقُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ .

سَبَرَ (٢) الرَّسُولُ ﷺ غَوْرَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ، فَتَجَلَّتْ لَهُ فِيهِ خِلَالُ
ثَلَاثَ :

- * ذَكَاءٌ يُسَعِفُهُ فِي حَلِّ الْمُعْضَلَاتِ .
- * وَبَدِيَّةٌ مُطَاوَعَةٌ تُلَبِّيهِ كُلَّمَا دَعَاها .
- * وَكِتْمَانٌ لِلْسَّرِّ فَلَا يَنْفِذُ إِلَى غَوْرِهِ أَحَدٌ .

وَكَانَتْ سِيَاسَةُ الرَّسُولِ ﷺ تَقُومُ عَلَى اكْتِشَافِ مَزَايَا أَصْحَابِهِ ، وَالْإِفَادَةِ
مِنْ طَاقَاتِهِمُ الْكَامِنَةِ فِي دَوَاتِهِمْ ؛ وَذَلِكَ بِوَضْعِ الرَّجُلِ الْمُنَاسِبِ فِي الْمَكَانِ
الْمُنَاسِبِ .

(١) مدن عظيمة في بلاد فارس .

(٢) سَبَرَ : نَفَذَ إِلَى أَعْمَاقِهِ وَأَخْتَبَرَهُ .

وكانت أكبر مشكلة تواجه المسلمين في المدينة هي وجود المنافقين من اليهود وأشياهم ، وما يحكونه للنبي ﷺ وأصحابه من مكائد ودسائس . فأفصى النبي ﷺ حذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين ، وهو سر لم يُطلع عليه أحداً من الصحابة ، وعهد إليه برصد حركاتهم ، وتتبع نشاطهم ، ودفع خطرهم عن الإسلام والمسلمين . ومنذ ذلك اليوم دعي حذيفة بن اليمان بـ «صاحب سر رسول الله ﷺ» .

مواقف شجاعة وبطولة الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان (رضي عنه) أكثر من أن تحصى . وهذه بعض مواقفه البطولية الرائعة :

شجاعة حذيفة بن اليمان (رضي عنه) في غزوة أحد :

لما كانت غزوة أحد خاضها حذيفة مع أبيه اليمان ، أما حذيفة فأبلى فيها أعظم البلاء وأكرمته ، وخرج منها سالماً ، وأما أبوه فقد استشهد فيها ، ولكن استشهاده كان بسيف المسلمين لا بسيف المشركين . في يوم أحد وضع رسول الله ﷺ اليمان وثابت بن وقش في الحصون مع النساء والصبيان ؛ لأنهما كانا شيخين كبيرين طاعنين في السن ، فلما حمي وطيس المعركة ، قال اليمان لصاحبه : « لا أبا لك ! ماذا تنتظر ؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا بمقدار ما يظمأ الحمار ، إنما نحن هامة اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ سيفينا ونلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا الشهادة مع نبيه ؟ ! ثم أخذنا سيفيهما ودخلا في الناس واقتحما المعركة ،

أَمَّا ثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ عَلَى أَيْدِي الْمَشْرِكِينَ ، وَأَمَّا الْيَمَانُ
وَالِدُ حُذَيْفَةَ فَتَعَاوَرَتْهُ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَجَعَلَ حُذَيْفَةُ
يُنَادِي : أَبِي .. أَبِي .. فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ . وَخَرَّ الشَّيْخُ صَرِيحاً بِأَسْيَافِ الصَّحَابَةِ ،
فَمَا زَادَ حُذَيْفَةَ عَلَى أَنْ قَالَ لَهُمْ : «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» .

ثُمَّ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعْطِيَ الْإِبْنَ دِيَةَ أَبِيهِ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : إِنَّمَا هُوَ
طَالِبُ شَهَادَةٍ وَقَدْ نَالَهَا ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَنِّي تَصَدَّقْتُ بِدَيْتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .
فَأَزَادَ بِذَلِكَ مَنْزِلَةً وَحُبًّا وَتَقْدِيرًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ عَنِ الْمَشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ :

اسْتَعَانَ الرَّسُولُ ﷺ بِمَوَاهِبِ حُذَيْفَةَ فِي مَوْقِفٍ مِنْ أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ
خَطَرًا ، وَأَحْوَجِهَا إِلَى الذِّكَاةِ الْفَدِّ وَالْبَدِيَّةِ الْمُطَاوَعَةِ ؛ وَذَلِكَ فِي ذُرْوَةِ غَزْوَةِ
الْخَنْدَقِ ؛ حَيْثُ كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَحَاطَ بِهِمُ الْعَدُوُّ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ،
وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ ، وَبَلَغَ مِنْهُمْ الْجُهْدُ وَالضَّنْكَ كُلُّ
مَبْلَغٍ ؛ حَتَّى زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَأَخَذَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ
يُظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ .

وَلَمْ تَكُنْ قُرَيْشٌ وَأَحْلَافُهَا مِنَ الْمَشْرِكِينَ فِي هَذِهِ السَّاعَاتِ الْحَاسِمَاتِ بِأَحْسَنِ
حَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَدْ صَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَضَبِهِ مَا أَوْهَنَ قُوَاهَا وَزَلَزَلَ
عَزَائِمَهَا ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهَا رِيحًا صَرَّ صَرًّا تَقْلِبُ خِيَامَهَا ، وَتَكْفُو قُدُورَهَا ، وَتُطْفِئُ
نِيرَانَهَا ، وَتَقْدِفُ وُجُوهَهَا بِالْخَضْبَاءِ ، وَتَسُدُّ عُيُونَهَا وَخِيَاشِيمَهَا بِالْتُّرَابِ .

فِي هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْحَاسِمَةِ مِنْ تَارِيخِ الْحُرُوبِ ، يَكُونُ الْفَرِيقُ الْخَاسِرُ هُوَ الَّذِي يَتُّنُ أَوَّلًا ، وَيَكُونُ الْفَرِيقُ الرَّابِحُ هُوَ الَّذِي يَضْبِطُ نَفْسَهُ طَرَفَةً عَيْنٍ بَعْدَ صَاحِبِهِ .

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الَّتِي تُكْتَبُ فِيهَا مَصَائِرُ الْمَعَارِكِ يَكُونُ لَاسْتِخْبَارَاتِ الْجُيُوشِ الْفَضْلُ الْأَوَّلُ فِي تَقْدِيرِ الْمَوَاقِفِ وَإِسْدَاءِ الْمَشُورَةِ .

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ الَّذِي سَيَخْتَارُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ يَقُومُ بِهَذِهِ الْمُهْمَةِ الْبَالِغَةِ الْعُسْرِ ، تُرَى مَنْ يَكُونُ الْبَطْلُ؟ ! إِنَّهُ حُذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ﷺ .

وَمِنْ هُنَا احْتِاجَ الرَّسُولِ ﷺ لِطَاقَاتِ حُذِيفَةَ وَخِبْرَاتِهِ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ بِهِ إِلَى قَلْبِ جَيْشِ الْعَدُوِّ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ ؛ لِيَأْتِيَهُ بِأَخْبَارِهِ قَبْلَ أَنْ يُبْرِمَ أَمْرًا .

فَلَنَتْرُكْ لِحُذِيفَةَ الْكَلَامَ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ رِحْلَةِ الْمَوْتِ هَذِهِ .

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ قَالَ : « قَالَ فَتَى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبَتُمُوهُ؟ » . قَالَ : « نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي » . قَالَ : « فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ » قَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ » . قَالَ : « وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَا مَا تَرَكَنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا » . قَالَ : فَقَالَ حُذِيفَةُ : « يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا ^(١) ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ : « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ

(١) هَوِيًّا : الْقَدْرُ الطَوِيلُ مِنَ الزَّمَانِ .

فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ، يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ وَيُدْخِلُهُ
اللَّهُ الْجَنَّةَ؟» ، فَمَا قَامَ رَجُلٌ . ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا ، ثُمَّ التَفَتَ
إِلَيْنَا فَقَالَ : «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، يَشْتَرِطُ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟» . فَمَا
قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ . فَلَمَّا لَمْ
يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي ، فَقَالَ :
«يَا حُذَيْفَةُ ، إِذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ» . وَالرَّيْحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ ، لَا
تَقِرُّ لَهُمْ قَدْرًا ، وَلَا نَارًا ، وَلَا بِنَاءً ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ : «يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ ، لِيَنْظُرَ امْرُؤٌ إِلَى جَلِيسِهِ» . فَقَالَ حُذَيْفَةُ : «فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي
جَنِبِي فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ . ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصَبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكَرَاعُ^(١) ، وَأَخْلَفْتُنَا
بَنُو قُرَيْظَةَ ، بَلَّغْنَا مِنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، وَاللَّهِ مَا
تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ
ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوْثَبَ عَلَى ثَلَاثٍ ، فَمَا
أُطْلِقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «لَا تُحْدِثُ شَيْئًا
حَتَّى تَأْتِيَنِي» ثُمَّ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ .

قَالَ حُذَيْفَةُ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ^(٢)

(١) الْكَرَاعُ : اسْمٌ لَجَمْعِ الْخَيْلِ .

(٢) مِرْطٌ : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ يُؤْتَرُ بِهِ ، وَتَتَلَفَّعُ بِهِ الْمَرْأَةُ .

لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرَجَّلٌ ، فَلَمَّا رَأَى أَنِّي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ . فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، وَسَمِعْتُ غَطْفَانُ بِمَا فَعَلْتُ قُرَيْشُ ، وَانْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ .

هَذَا اللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ، وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ بَعْضُ الزِّيَادَةِ نَذَرْنَا هُنَا لَا كِتْمَالٍ الْمَعْنَى وَالْفَائِدَةُ ، فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ حُدَيْفَةُ اسْتِنْفَارَ الرَّسُولِ ﷺ لِلصَّحَابَةِ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَوْلُهُ : «قُمْ يَا حُدَيْفَةُ» ، قَالَ : «فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حِمَامٍ^(١) حَتَّى أَتَيْتُهُمْ ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «وَلَا تَذْعُرْهُمْ عَلَيَّ» . وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ . فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحِمَامِ ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَفَرَعْتُ قُرْرْتُ ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا ، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ : «قُمْ يَا نَوْمَانُ»^(٢) .

حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ فَاتِحُ نِهَاوَنْدُ ، وَالْدَيْنُورُ ، وَهَمْدَانُ ، وَالرَّيِّ :

وَحَسْبُنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ أَوْ خَامِسَ خَمْسَةٍ ، كَانُوا أَصْحَابَ السَّبْقِ الْعَظِيمِ فِي فُتُوحِ الْعِرَاقِ جَمِيعًا ، وَلَعَلَّ قَلِيلًا مِنَ النَّاسِ

(١) أَيِ إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مِنَ الْبَرْدِ مَا يَجِدُ النَّاسُ .

(٢) أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣٩٢-٣٩٣) ، الْحَاكِمُ «الْمُسْتَدْرَكُ» (٣١/٣) ، وَقَالَ : صَحِيحٌ . وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ ، «سَنَنِ الْبَيْهَقِيِّ» (١٥٩/٩) .

مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ فَتَحَ لِلْمُسْلِمِينَ «نَهَاوَنَدَ» ، و«الدَّيْنُورَ» ،
و«هَمَّذَانَ» ، و«الرَّيَّ» .

وَفِي مَعْرَكَةِ نَهَاوَنَدِ الْعُظْمَى ؛ حَيْثُ احْتَشَدَ الْفُرْسُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ
وَخَمْسِينَ أَلْفًا ، اخْتَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لِقِيَادَةِ الْجُيُوشِ
الْمُسْلِمَةِ «النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرَّنَ» ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى «حُذَيْفَةَ» أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِ عَلَى رَأْسِ
جَيْشٍ مِنَ الْكُوفَةِ .

وَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى الْمُقَاتِلِينَ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : «إِذَا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ فَلْيَكُنْ كُلُّ
أَمِيرٍ عَلَى جَيْشِهِ ، وَلْيَكُنْ أَمِيرُ الْجُيُوشِ جَمِيعًا النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّنَ ، فَإِذَا اسْتُشْهِدَ
النُّعْمَانُ فَلْيَأْخُذْ الرَّايَةَ حُذَيْفَةُ ، فَإِذَا اسْتُشْهِدَ فَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ...» .

وَهَكَذَا مَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَخْتَارُ قَوَادِمَ الْمَعْرَكَةِ ؛ حَتَّى سَمَّى مِنْهُمْ سَبْعَةً .

وَالْتَقَى الْجَيْشَانِ ، الْفُرْسُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي
ثَلَاثِينَ أَلْفًا لَا غَيْرَ ، وَنَشَبَ قِتَالٌ يَفُوقُ كُلَّ نَظِيرٍ ، وَدَارَتْ مَعْرَكَةٌ مِنْ أَشَدِّ
مَعَارِكِ التَّارِيخِ فِدَائِيَّةً وَعُغْنًا ، وَسَقَطَ قَائِدُ الْمُسْلِمِينَ شَهِيدًا ، سَقَطَ «النُّعْمَانُ
بُنْ مُقَرَّنَ» ، وَقَبْلَ أَنْ تَهْوِيَ الرَّايَةُ الْمُسْلِمَةُ إِلَى الْأَرْضِ كَانَ الْقَائِدُ الْجَدِيدُ
قَدْ تَسَلَّمَهَا بِيَمِينِهِ ، وَسَاقَ بِهَا رِيَّاحَ النَّصْرِ فِي عُغْفُوانٍ بِحُبٍّ وَاسْتِبْسَالٍ
عَظِيمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْقَائِدُ سِوَى «حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)» .

حَمَلَ الرَّايَةَ مِنْ فَوْرِهِ ، وَأَوْصَى بِالْأَيْدَاعِ نَبَأَ مَوْتِ النُّعْمَانِ حَتَّى تَنْجَلِيَ الْمَعْرَكَةُ ،
وَدَعَا «نَعِيمَ بْنَ مُقَرَّنَ» فَجَعَلَهُ مَكَانَ أَخِيهِ «النُّعْمَانِ» تَكْرِيمًا لَهُ .

أُنْجِزَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي لَحْظَاتٍ وَالْقِتَالُ يَدُورُ ، بِبِدْيَهَتِهِ الْمَشْرِقَةَ ، ثُمَّ انْشَأَ
كَالْأَعْصَارِ الْمُدْمِدِمِ عَلَى صُفُوفِ الْفُرْسِ صَائِحًا : «اللَّهُ أَكْبَرُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ!!
اللَّهُ أَكْبَرُ ، نَصَرَ جُنْدَهُ» . ثُمَّ لَوِيَ زِمَامَ فَرَسِهِ صَوَّبَ الْمُقَاتِلِينَ فِي جُيُوشِهِ
وَنَادَى : يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ، هَاهِي ذِي جِنَانِ اللَّهِ تَهَيَّأْ لَاسْتِقْبَالِكُمْ ، فَلَا
تُطِيلُوا عَلَيْهَا الْإِنْتِظَارَ . هَيَّا يَا رِجَالَ بَدْرٍ ، تَقَدَّمُوا يَا أَبْطَالَ الْخَنْدَقِ ،
وَأُحَدِّدُ ، وَتَبَوُّكُ .

لَقَدْ احْتَفَظَ حُذَيْفَةُ بِكُلِّ حِمَاسَةِ الْمَعْرَكَةِ وَأَشْوَاقِهَا ، إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ زَادَ
مِنْهَا وَفِيهَا ، وَانْتَهَى الْقِتَالُ بِهَزِيمَةٍ سَاحِقَةٍ لِلْفُرْسِ ، هَزِيمَةٍ لَا نَكَادُ نَجِدُ
لَهَا نَظِيرًا^(١) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ حُذَيْفَةَ ، فَقَدْ كَانَ طِرَازًا فَرِيدًا مِنَ الشُّجْعَانِ الْأَفْذَاذِ .
وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ .

(١) يُنْظَرُ :

- ١- «الاستيعاب» ، بهامش «الإصابة» (١/ ٢٧٧) .
- ٢- «الإصابة» (١/ ٣١٧) .
- ٣- «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٥) .
- ٤- «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٦٠) .
- ٥- «تاريخ الإسلام» (٢/ ١٥٢) .
- ٦- «أسد الغابة» (١/ ٢٩٠) .
- ٧- «صفة الصفوة» (١/ ٢٤٩) .
- ٨- «النجوم الزاهرة» (١/ ٧٦-٨٥-١٠٢) .

المبحث الثاني

الشَّهَادَةُ وَالْإِسْتِشْهَادُ فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

ويشتمل على:

أولاً : فَضْلُ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

ثانياً : أَمْثَلَةٌ مِنْ شَجَاعَةِ شُهَدَاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

أولاً : فَضْلُ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

لَا بِنِ الْقِيَمِ بِحَمْدِ اللَّهِ كَلَامٌ قِيَمٌ فِي تَبْيَانِ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ يَقُولُ : «إِنَّ الشَّهَادَةَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ أَوْلِيَائِهِ ، وَالشُّهَدَاءُ هُمْ خَوَاصُّهُ ، وَالْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَيْسَ بَعْدَ دَرَجَةِ الصَّدِّيقِينَ إِلَّا الشَّهَادَةُ ، وَهُوَ سُبْحَانُهُ يُحِبُّ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ عِبَادِهِ شُهَدَاءَ ، تُرَاقُ دِمَاؤُهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَرْضَاتِهِ ، وَيُؤَثِّرُونَ رِضَاهُ وَمَحَبَّتَهُ عَلَى نَفْسِهِمْ . وَلَا سَبِيلَ إِلَى نَيْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ إِلَّا بِتَقْدِيرِ الْأَسْبَابِ الْمُفْضِيَةِ إِلَيْهَا مِنْ تَسْلِيطِ الْعَدُوِّ» (١) .

وَقَدْ دَلَّتِ الشَّهَادَةُ بِاسْمِهَا عَلَى مَعْنَاهَا الرَّفِيعِ : الشَّهَادَةُ هِيَ الْحُضُورُ ، وَالشَّهِيدُ حَاضِرٌ فِي سَاعَةِ الرَّوْعِ حِينَ يَغِيبُ الْخَائِفُ الْحَرِيصُ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَالشَّهِيدُ حَاضِرٌ بِذِكْرِهِ ، وَالشَّهِيدُ حَاضِرٌ بِآثَارِهِ ، وَآثَارِ أَعْمَالِهِ وَهِيَ حَيَّةٌ لَا تَمُوتُ .

يَقُولُ الْأُسْتَاذُ الْكَبِيرُ سَيِّدُ قُطْبِ حَمْدِ اللَّهِ مُوضِحاً فَضْلَ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى : «وَالشَّهَادَةُ فَضِيلَةٌ عَزِيزَةٌ لَا يَنَالُهَا كُلُّ طَامِعٍ فِيهَا ، وَلَا يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ هُوَ لَهَا ، مُسْتَحِقٌّ لِلْإِيمَانِ بِهَا ، صَابِرٌ عَلَى شِدَائِدِهَا وَأَهْوَالِهَا . الشَّهَادَةُ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ لَا يَهْبُهَا اللَّهُ إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا .

إِنَّهَا اخْتِبَارٌ مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِلصَّفْوَةِ مِنَ الْبَشَرِ ؛ لِيَعِيشُوا مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى ؛ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانُهُ : ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (٢)

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٢٢١-٢٢٢) .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١٤٠ .

إنَّها اختيار واتخاذ واصطفاء للأفذاذ النبلاء من البشر ؛ ليكونوا في صحبة الأنبياء : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (١)

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً﴾ :

هو تعبيرٌ عجيبٌ عن معنى عميق .

إِنَّ الشُّهَدَاءَ الْمُخْتَارُونَ يَخْتَارُهُمُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَيَتَّخِذُهُمْ لِنَفْسِهِ ، سُبْحَانَهُ ، فَمَا هِيَ رُؤْيَاةٌ إِذْنٌ وَلَا خَسَارَةٌ أَنْ يُسْتَشْهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ يُسْتَشْهَدُ . إِنَّمَا هِيَ اخْتِيَارٌ ، وَانْتِقَاءٌ ، وَاصْطِفَاءٌ ، وَتَكْرِيمٌ ، وَاخْتِصَاصٌ ، وَتَشْرِيفٌ ، .. إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ اخْتَصَّاهُمُ اللَّهُ وَرَزَقَهُمُ الشَّهَادَةَ ؛ لِيَسْتَخْلِصَهُمْ لِنَفْسِهِ ، سُبْحَانَهُ ، وَيُخَصِّصَهُمْ بِقُرْبِهِ . ثُمَّ هُمْ شُهَدَاءٌ يَتَّخِذُهُمُ اللَّهُ ، وَيُسْتَشْهَدُهُمْ عَلَى هَذَا الْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ لِلنَّاسِ .

يُسْتَشْهَدُونَ فَيُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ .. يُؤَدُّونَهَا أَدَاءً لَا شُبْهَةَ فِيهِ ، وَلَا مَطْعَنَ عَلَيْهِ ، وَلَا جِدَالَ حَوْلَهُ ، يُؤَدُّونَهَا بِجِهَادِهِمْ حَتَّى الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ إِحْقَاقِ هَذَا الْحَقِّ ، وَتَقْرِيرِهِ فِي دِينِ النَّاسِ .

يَطْلُبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ أَدَاءَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ عَلَى أَنْ مَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ الْحَقُّ . وَعَلَى أَنْهُمْ آمَنُوا بِهِ وَتَجَرَّدُوا لَهُ ، وَأَعَزُّوهُ حَتَّى أَرْخَصُوا كُلَّ شَيْءٍ

دُونَهُ . وَعَلَى أَنْ الْحَيَاةَ لَا تَصْلُحُ وَلَا تَسْتَقِيمُ إِلَّا بِهَذَا الْحَقِّ . وَعَلَى أَنَّهُمْ هُمْ اسْتَيْقَنُوا هَذَا ، فَلَمْ يَأْلُوا جَهْدًا فِي كِفَاحِ الْبَاطِلِ وَطَرْدِهِ مِنْ حَيَاةِ النَّاسِ ، وَإِقْرَارِ هَذَا الْحَقِّ فِي عَالَمِهِمْ ، وَتَحْقِيقِ مَنْهَجِ اللَّهِ فِي حُكْمِ النَّاسِ .

يَسْتَشْهِدُهُمُ اللَّهُ عَلَى هَذَا كُلِّهِ فَيَشْهَدُونَ ، وَتَكُونُ شَهَادَتُهُمْ هِيَ هَذَا الْجِهَادُ حَتَّى الْمَوْتِ ، وَهِيَ شَهَادَةٌ لَا تَقْبَلُ الْجِدَالَ وَالْمُحَالَ !! .

إِذَا اقْتَضَى الْأَمْرُ أَنْ يَمُوتَ فِي سَبِيلِهِ ؛ فَهُوَ إِذَنْ شَهِيدٌ ، أَي : شَاهِدٌ ، طَلَبَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَدَاءَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ فَأَدَّاهَا ، وَاتَّخَذَهُ اللَّهُ شَهِيدًا ، وَرَزَقَهُ هَذَا الْمَقَامَ .

هَذَا فَقَدْ ذَلِكَ التَّعْبِيرِ الْعَجِيبِ : ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾^(١)

الشَّهِيدُ هُوَ : الَّذِي يُقَدِّمُ شَهَادَةً مِنْ رُوحِهِ وَدَمِهِ أَنَّ دِينَ اللَّهِ أَعْلَى عِنْدَهُ مِنْ حَيَاتِهِ ؛ وَلِذَلِكَ يَبْذُلُ رُوحَهُ فِدَاءً لِدِينِ اللَّهِ :

يَا شَهِيدًا رَفَعَ اللَّهُ بِهِ جَبْهَةَ الْحَقِّ عَلَى طُولِ الْمَدَى

سَوْفَ تَبْقَى فِي الْحَنَائِ عِلْمًا حَادِيًا لِلرَّكْبِ رَمَزًا لِلْفِدَى

مَا نَسِينَا أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنَا بِسَمَةِ الْمُؤْمِنِ فِي وَجْهِ الرَّدَى

إِنَّ النَّاسَ يَعِيشُونَ وَيَمُوتُونَ ، لَكِنَّ الشُّهَدَاءَ يَعِيشُونَ وَيَعِيشُونَ !! .

إِنَّ النَّاسَ يَعِيشُونَ لِيَمُوتُوا ، وَلَكِنَّ الشُّهَدَاءَ يَمُوتُونَ لِيَعِيشُوا !! .

إِنَّهُمْ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ طَرِيقَةَ الْمَوْتِ ، الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ
بَشْدِي أُمِّهِ ! .

إِنَّ الشُّهَدَاءَ هُمْ الَّذِينَ يَخْطُونَ تَارِيخَ الْأُمَمِ ؛ لِأَنَّ صُرُوحَ الْمَجْدِ لَا تُبْنَى إِلَّا
بِجَمَاعِهِمْ وَأَسْلَائِهِمْ .

وَهُمُ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ شَجَرَةَ هَذَا الدِّينِ مِنْ أَنْ تَضْمَحِلَّ أَوْ تَذْوِي ؛ لِأَنَّ
شَجَرَةَ هَذَا الدِّينِ لَا تَرَوَى إِلَّا بِالْدَّمَاءِ .

وَهُمُ الْخَالِدُونَ بِذِكْرِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَبِذِكْرِهِمْ تَحْيَا الْقُلُوبُ ؛
لأنَّهُمْ قُتِلُوا لِتَحْيَا أُمَمُهُمْ ، وَيَحْيُونَ هُمْ أَنْفُسَهُمْ .

هَؤُلَاءِ هُمْ عُشَّاقُ الْمَوْتِ ، الَّذِينَ تُبْنَى بِهِمُ الْحَيَاةُ ، فَهُمْ يَبْحَثُونَ عَنْ
الْمَوْتِ ، وَيَبْغُونَهُ فِي مَظَانِّهِ ؛ لِيَبْعَثُوا الْحَيَاةَ فِي أُمَمِهِمْ وَفِي الْأَجْيَالِ الَّتِي تَأْتِي
مِنْ بَعْدِهِمْ . قَالَ ﷺ : «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ : رَجُلٌ مُمْسِكٌ
عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ
فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ ؛ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ ..» (١) .

فَهُمْ يَبْتَغُونَ الْمَوْتَ مَظَانَّهُ ؛ أَيِ : إِنَّهُمْ حَيْثُمَا ظَنُّوا مَكَانَ الْمَوْتِ أَسْرَعُوا
إِلَيْهِ ، وَمَضَوْا مُسْرِعِينَ يَطْلُبُونَهُ ، وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَعَهُمْ ، وَقُرْبُهُمْ حَيَاةٌ
لِلْأَرْوَاحِ ، وَبِذِكْرِهِمْ تَطْيِبُ الْمَجَالِسُ وَتَحْيَا الْقُلُوبُ .

تَضِيقُ بِنَا الدُّنْيَا إِذَا غِبْتُمْ عَنَّا وَتَزْهَقُ بِالْأَشْوَاقِ أَرْوَاحُنَا مِنَّا
بِعَادَتِكُمْ مَوْتٌ وَقُرْبُكُمْ حَيَا وَلَوْ غِبْتُمْ عَنَّا وَلَوْ نَفْسًا مِنَّا
نَعِيشُ بِذِكْرَاكُمْ وَنَحْيَا بِقُرْبِكُمْ أَلَا إِنَّ تَذْكَارَ الْأَحِبَّةِ يُنْعِشُنَا

الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَرْتَبَةٌ سَامِيَةٌ ، وَرُتَبَةٌ عَظِيمَةٌ ، لَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَلَا يَنَالُهَا إِلَّا كُفُوٌ مَا جِدَّ نَبِيلٌ كَرِيمٌ ، سَيَقَتْ لَهُ مِنْ رَبِّهِ الْحُسْنَى وَالْفَوْزُ الْمُقِيمُ .

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الشُّهَدَاءِ بِنِعْمٍ لَا تُحْصَى ، وَفَضَائِلَ وَمَا ثَرَّ لَا تُنْسَى ، وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ النِّعَمِ وَأَعْظَمِهَا : أَنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، جَعَلَهُمْ أَحْيَاءَ عِنْدَهُ يُرْزَقُونَ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ يَشَاءُونَ : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١) .

إِنَّ هُنَالِكَ قَتْلُ سَيَحِرُّونَ شُهَدَاءَ فِي مَعْرَكَةِ الْحَقِّ ، شُهَدَاءَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَتْلُ أَعَزَّاءَ أَحْيَاءَ ، قَتْلُ كِرَامٍ أَزْكِيَاءَ ، فَالَّذِينَ يَخْرُجُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يُضْحُونَ بِأَرْوَاحِهِمْ فِي مَعْرَكَةِ الْحَقِّ هُمْ عَادَةٌ أَكْرَمَ الْقُلُوبِ ، وَأَزْكَى الْأَرْوَاحِ ، وَأَطْهَرَ النَّفُوسِ . هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَيْسُوا أَمْوَاتًا ، إِنَّهُمْ أَحْيَاءٌ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ عَنْهُمْ : أَمْوَاتٌ . لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَبَرُوا أَمْوَاتًا فِي الْحَسِّ وَالشُّعُورِ ، وَلَا أَنْ يُقَالَ عَنْهُمْ : أَمْوَاتٌ بِالشَّفَةِ وَاللِّسَانِ ؛ إِنَّهُمْ أَحْيَاءُ بِشَهَادَةِ اللَّهِ ، سُبْحَانَهُ ،

فَهُمْ لَا بُدَّ أَحْيَاءٍ ... وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاعِلِيَّتِهِمْ فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِهِ فَاعِلِيَّةٌ مُؤَثَّرَةٌ ، وَالْفِكْرَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا قُتِلُوا تَرْتَوِي بِدِمَائِهِمْ وَتَمْتَدُّ ، وَتَأْثُرُ الْبَاقِينَ وَرَاءَهُمْ بِاسْتِشْهَادِهِمْ يَقْوَى وَيَشْتَدُّ ؛ فَهُمْ مَا يَزَالُونَ عُصْرًا فَعَالًا مُؤَثِّرًا فِي تَكْيِيفِ الْحَيَاةِ وَتَوَجِيهِهَا .

وَهَذِهِ هِيَ صِفَةُ الْحَيَاةِ الْأُولَى ؛ فَهُمْ أَحْيَاءٌ أَوَّلًا بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ الْوَاقِعِيِّ فِي دُنْيَا النَّاسِ ، ثُمَّ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِمَّا بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ ، وَإِمَّا بِاِعْتِبَارٍ آخَرَ لَا نَدْرِي نَحْنُ كُنْهَهُ . وَحَسْبُنَا إِخْبَارُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ : ﴿ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ^(١) ؛ لِأَنَّ كُنْهَ هَذِهِ الْحَيَاةِ فَوْقَ إِدْرَاكِنا الْبَشَرِيِّ الْقَاصِرِ الْمَحْدُودِ .

وَلَكِنَّهُمْ أَحْيَاءُ :

أَحْيَاءُ : وَمِنْ ثَمَّ لَا يُغْسَلُونَ كَمَا يُغْسَلُ الْمَوْتَى ، وَيُكْفَنُونَ فِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي أُسْتُشْهِدُوا فِيهَا . فَالْغُسْلُ تَطْهِيرٌ لِلْجَسَدِ الْمَيِّتِ ، وَهُمْ أَطْهَارٌ بِمَا فِيهِمْ مِنْ حَيَاةٍ ، وَثِيَابُهُمْ فِي الْأَرْضِ ، ثِيَابُهُمْ فِي الْقَبْرِ ؛ لِأَنَّهُمْ بَعْدُ أَحْيَاءُ .

أَحْيَاءُ : فَلَا يَشُقُّ قَتْلُهُمْ عَلَى الْأَهْلِ وَالْأَحِبَّاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ .

أَحْيَاءُ : يُشَارِكُونَ فِي حَيَاةِ الْأَهْلِ وَالْأَحِبَّاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ .

أَحْيَاءُ : فَلَا يَصْعُبُ فِرَاقُهُمْ عَلَى الْقُلُوبِ الْبَاقِيَةِ خَلْفَهُمْ ، وَلَا يَتَعَاضَّمُهَا الْأَمْرُ ، وَلَا يَهْوِلُهَا عِظَمُ الْفِدَاءِ .

ثُمَّ هُمْ بَعْدَ كَوْنِهِمْ أَحْيَاءٌ مُّكْرَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، مَا جُورُونَ أَكْرَمَ الْأَجْرِ وَأَوْفَاهُ .

في صحيح مسلم ، قَالَ ﷺ عن الشهداء : «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطْلَاعَةً ، فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا : أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا ، قَالُوا : يَا رَبِّ ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى . فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرْكُوا» (١) .

وفي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ» .

ولَكِنْ ؛ مَنْ هُم هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ الْأَحْيَاءُ؟ إِنَّهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحْدَهُ ؛ لَا هَدَفَ لَهُمْ وَلَا غَايَةَ إِلَّا اللَّهُ ، فِي سَبِيلِ هَذَا الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ ، وَفِي سَبِيلِ هَذَا الْمَنْهَجِ الَّذِي شَرَعَهُ ، وَفِي سَبِيلِ هَذَا الدِّينِ الَّذِي اخْتَارَهُ .. فِي هَذَا السَّبِيلِ وَحْدَهُ ، لَا فِي أَيِّ سَبِيلٍ آخَرَ ، وَلَا تَحْتَ أَيِّ شِعَارٍ آخَرَ ، وَلَا شَرِكَةً مَعَ هَدَفٍ أَوْ شِعَارٍ .

وفي هَذَا شَدَّدَ الْقُرْآنُ وَشَدَّدَ الْحَدِيثُ ؛ حَتَّى مَا تَبَقَّى فِي النَّفْسِ شُبْهَةٌ أَوْ خَاطِرَةٌ غَيْرُ اللَّهِ . جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا : عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حِمِيَّةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً : أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَتَغَيَّرُ عَرْضًا مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : « لَا أَجْرَ لَهُ » ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ : « لَا أَجْرَ لَهُ » ^(٢) .

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الشُّهَدَاءُ ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يُخْرِجُهُمْ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، وَإِيمَانٌ بِهِ ، وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِهِ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله : « يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ وَإِنْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَإِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ مَرْزُوقَةٌ فِي دَارِ الْقَرَارِ » ^(٣) .

وَقَالَ إِسْحَاقُ : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : « أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِمْ قُرْآنًا : « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ » . ثُمَّ نُسِخَتْ فَرُفِعَتْ بَعْدَ مَا قَرَأْنَاهُ زَمَنًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ^(٤) ، فَقَالَ : أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ

(١) «صحيح البخاري» : (١/٣٦/١٢٣) ، و«صحيح مسلم» : (٣/١٥١٣/١٩٠٤) .

(٢) «سنن أبي داود» : (٣/١٤/٢٥١٦) .

(٣) «تفسير ابن كثير» : (٢/١٦١) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : «أَزْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ لَهَا قَنَادِيلُ تَحْتَ الْعَرْشِ» .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا عَلِمْتَ أَنْ قَدْ أَحْيَا اللَّهُ أَبَاكَ ، فَقَالَ لَهُ : تَمَنَّ عَلَيَّ . فَقَالَ : أَرُدُّ إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلُ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى !! قَالَ : إِنِّي قَضَيْتُ الْحُكْمَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ» ^(١) .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَمَّا أَصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَزْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ وَمُنْقَلَبِهِمْ ، قَالُوا : مَنْ يُبْلَغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ ؛ لَيْلًا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ تَعَالَى : أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾» ^(٢) .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ ، فِي قُبَّةٍ خَضِرَاءَ ، يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» ^(٣) .

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٦١) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩ ، وما بعدها ، والحديث في «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٦٦) ، (٢٣٨٩) ، الحاكم على شرط مسلم ، وافقه الذهبي . والألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠٢) .

(٣) مسند أحمد (١/ ٢٦٦-٢٣٩) ، حسنه الألباني ، «صحيح الجامع» (٣٧٤٢) ، «الترغيب» (٢/ ١٩٦) .

وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» ^(١).

كما ذكرنا فأرواح الشهداء في حواصل طير خضر ؛ فهي كالكواكِبِ بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين ، تطير بنفسها . نَسَأُ اللَّهُ الْكَرِيمَ الْمَنَّانَ أَنْ يَرْزُقَنَا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِهِ ، وَيُبَلِّغَنَا مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ، وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا .

وها هنا ما كتبه شهيد القرآن سيّد قطب رحمته الله في تفسير هذه الآيات من سورة آل عمران :

لقد شاء الله بعد أن جلا في قلوب المؤمنين حقيقة القدر والأجل ، وتحدّى ما يبثّه المنافقون من شكوكٍ وبلبلّةٍ وحسراتٍ بقولهم عن القتلى : ﴿قُلْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ ، فقال يتحداهم : ﴿قُلْ فَأَدْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(٢) ، شاء الله بعد أن أراح القلوب المؤمنة على صدر هذه الحقيقة الثابتة أن يزيد هذه القلوب طمأنينةً وراحةً ، فكشف لها عن مصير الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ، وليس هنالك شهداء إلا الذين يقتلون في سبيل الله خالصة قلوبهم لهذا المعنى ، مجرّدة من كل ملبسة أخرى ،

(١) «مسند أحمد» (٣/٤٥٥-٤٥٦) ، «النسائي» (٤/١٠٨) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٨ .

فَإِذَا هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءُ ، لَمْ كُلُّ خَصَائِصِ الْأَحْيَاءِ ؛ فَهُمْ يُرْزَقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ . وَهُمْ فَرِحُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بِمَصَائِرِ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَهُمْ يَحْفَلُونَ بِالْأَحْدَاثِ الَّتِي تَمُرُّ بِمَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ .. فَهَذِهِ خَصَائِصُ الْأَحْيَاءِ : مِنْ مَتَاعٍ ، وَاسْتِبْشَارٍ ، وَاهْتِمَامٍ ، وَتَأَثُّرٍ وَتَأَثِيرٍ . فَمَا الْحَسْرَةُ عَلَى فِرَاقِهِمْ؟ وَهُمْ أَحْيَاءُ مَوْصُولُونَ بِالْأَحْيَاءِ وَبِالْأَحْدَاثِ ، فَوْقَ مَا نَالَهُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَفَوْقَ مَا لَقُوا عِنْدَهُ مِنَ الرِّزْقِ وَالْمَكَانَةِ؟ وَمَا هَذِهِ الْفَوَاصِلُ الَّتِي يُقِيمُهَا النَّاسُ فِي تَصَوُّرَاتِهِمْ بَيْنَ الشَّهِيدِ الْحَيِّ وَمَنْ خَلَفَهُ مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَالَّتِي يُقِيمُونَهَا بَيْنَ عَالَمِ الْحَيَاةِ وَعَالَمِ مَا بَعْدَ الْحَيَاةِ؟ وَلَا فَوَاصِلَ وَلَا حَوَاجِزَ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ هُنَا وَهُنَاكَ مَعَ اللَّهِ .

إِنَّ جَلَاءَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْكَبِيرَةِ دُو قِيمَةٍ ضَخْمَةٍ فِي تَصَوُّرِ الْأُمُورِ ، إِنَّهَا تَعْدِلُ - بَلْ تُنْشِئُ - تَنْشِئُ - تَصَوُّرَ الْمُسْلِمِ لِلْحَرَكَةِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي تَتَنَوَّعُ مَعَهَا صُورُ الْحَيَاةِ وَأَوْضَاعُهَا ، وَهِيَ مَوْصُولَةٌ لَا تَنْقَطِعُ ؛ فَلَيْسَ الْمَوْتُ خَاتِمَةُ الْمَطَافِ ؛ بَلْ لَيْسَ حَاجِزًا بَيْنَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ !

إِنَّهَا نَظَرَةٌ جَدِيدَةٌ لِهَذَا الْأَمْرِ ، ذَاتَ آثَارٍ ضَخْمَةٍ فِي مَشَاعِرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاسْتِقْبَالِهِمْ لِلْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَتَصَوُّرِهِمْ لِمَا هُنَا وَمَا هُنَاكَ .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

وَالْآيَةُ نَصٌّ فِي النَّهْيِ عَنْ حُسْبَانِ أَنْ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفَارَقُوا هَذِهِ الْحَيَاةَ ، وَبَعُدُوا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ : أَمْوَاتٌ . وَنَصٌّ كَذَلِكَ فِي إِثْبَاتِ أَنَّهُمْ ﴿ أَحْيَاءٌ ﴾ . ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . ثُمَّ يَلِي هَذَا النَّهْيَ وَهَذَا الْإِثْبَاتَ وَصَفُ مَا لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الْحَيَاةِ ؛ فَهُمْ ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ .

ومع أننا نحن - في هذه الفانية - لا نعرف نوع الحياة التي يحياها الشهداء إلا ما يبلُغنا من وصفها في الأحاديث الصَّحاح ؛ إلا أن هذا النَّصَّ الصَّادِقَ مِنَ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ كَفِيلٌ وَحْدَهُ بَأْنُ يُغَيِّرُ مَفَاهِمَنَا لِلْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ انفصالٍ والتَّئامِ . وكَفِيلٌ وَحْدَهُ بَأْنُ يُعَلِّمُنَا أَنَّ الْأُمُورَ فِي حَقِيقَتِهَا لَيْسَتْ كَمَا هِيَ فِي ظَوَاهِرِهَا الَّتِي نُدْرِكُهَا ؛ وَأَنَّا حِينَ نُنْشِئُ مَفَاهِمَنَا لِلْحَقَائِقِ الْمُطْلَقَةِ بِالِاسْتِنَادِ إِلَى الظَّوَاهِرِ الَّتِي نُدْرِكُهَا لَا نَنْتَهِي إِلَى إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهَا ، وَإِنَّ أَوَّلَى لَنَا أَنْ نَنْتَظِرَ الْبَيَانَ فِي شَأْنِهَا مِمَّنْ يَمْلِكُ الْبَيَانَ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فَهَؤُلَاءِ نَاسٌ مِنَّا ، يُقْتَلُونَ ، وَتُفَارِقُهُمُ الْحَيَاةُ الَّتِي نَعْرِفُ ظَوَاهِرَهَا ، وَيُفَارِقُونَ الْحَيَاةَ كَمَا تَبْدُو لَنَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، وَلَكِنْ لَأَنَّهُمْ ﴿ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، وَتَجَرَّدُوا لَهُ مِنْ كُلِّ الْأَعْرَاضِ وَالْأَغْرَاضِ الْجُزْئِيَّةِ الصَّغِيرَةِ ، وَاتَّصَلَتْ أَرْوَاحُهُمْ بِاللَّهِ ، فَجَادُوا بِأَرْوَاحِهِمْ فِي سَبِيلِهِ .. لَأَنَّهُمْ قُتِلُوا كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يُخْبِرُنَا فِي الْخَبَرِ الصَّادِقِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَمْوَاتًا ، وَيُنْهَانَا أَنْ نَحْسَبَهُمْ كَذَلِكَ ، وَيُؤَكِّدُ لَنَا أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَهُ ، وَأَنَّهُمْ يُرْزَقُونَ ؛ فَيَتَلَقَّوْنَ رِزْقَهُ لَهُمْ اسْتِقْبَالَ الْأَحْيَاءِ ، وَيُخْبِرُنَا كَذَلِكَ بِمَا لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الْحَيَاةِ الْأُخْرَى :

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

فَهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ رِزْقَ اللَّهِ بِالْفَرَحِ ؛ لِأَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ أَنَّهُ (من فضله) عَلَيْهِمْ ؛ فَهُوَ دَلِيلُ رِضَاهُ وَهُمْ قَدْ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَأَيُّ شَيْءٍ يُفْرِحُهُمْ إِذْ أَكْثَرَ مِنْ رِزْقِهِ الَّذِي يَتِمَثَّلُ فِيهِ رِضَاهُ؟ .

ثُمَّ هُمْ مَشْغُولُونَ بِمَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ ، وَهُمْ مُسْتَبَشِرُونَ لَهُمْ ؛ لِمَا عَلِمُوهُ مِنْ رِضَى اللَّهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ :

﴿وَيَسْتَبَشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿يَسْتَبَشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ (١)

إِنَّهُمْ لَمْ يَنْفَصِلُوا عَنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ، وَلَمْ تَنْقَطِعْ بِهِمْ صَلَاتُهُمْ .. إِنَّهُمْ ﴿أَحْيَاءُ﴾ كَذَلِكَ مَعَهُمْ ، مُسْتَبَشِرُونَ بِمَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . مَوْضِعُ اسْتِبْشَارِهِمْ لَهُمْ : ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧٠﴾ ..

وَقَدْ عَرَفُوا هَذَا وَاسْتَيْقَنُوهُ مِنْ حَيَاتِهِمْ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ، وَمِنْ تَلْقَائِهِمْ لِمَا يُفِيضُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ وَفَضْلٍ ، وَمِنْ يَقِينِهِمْ أَنَّ هَذَا شَأْنُ اللَّهِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ، وَأَنَّهُ ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

فَمَا الَّذِي يَبْقَى مِنْ خَصَائِصِ الْحَيَاةِ غَيْرُ مُتَحَقِّقٍ لِلشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ وما الَّذِي يَفْصِلُهُمْ عَنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ؟ وما الَّذِي يَجْعَلُ هَذِهِ الثَّقَلَةَ مَوْضِعَ حَسْرَةٍ وَفُقْدَانٍ وَوَحْشَةٍ فِي نَفْسِ الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ، وهي أَوْلَى أَنْ تَكُونَ مَوْضِعَ غِبْطَةٍ وَرِضَى وَأُنْسٍ ، عَنْ هَذِهِ الرَّحَلَةِ إِلَى جِوَارِ اللَّهِ مَعَ هَذَا الْإِتِّصَالِ بِالْأَحْيَاءِ وَالْحَيَاةِ!

إِنَّهَا تَعْدِيلٌ كَامِلٌ لِمَفْهُومِ الْمَوْتِ - مَتَى كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - ، وَلِلْمَشَاعِرِ الْمُصَاحِبَةِ لَهُ فِي نُفُوسِ الْمُجَاهِدِينَ أَنْفُسِهِمْ ، وَفِي النُّفُوسِ الَّتِي يُخَلِّفُونَهَا مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَإِفْسَاحٍ لِمَجَالِ الْحَيَاةِ وَمَشَاعِرِهَا وَصُورِهَا ؛ بَحَيْثُ تَتَجَاوَزُ نِطَاقَ هَذِهِ الْعَاجِلَةِ ، كَمَا تَتَجَاوَزُ مَظَاهِرَ الْحَيَاةِ الزَّائِلَةِ . وَحَيْثُ تَسْتَقَرُّ فِي مَجَالٍ فَسِيحٍ عَرِيضٍ ، لَا تَعْتَرِضُهُ الْحَوَاجِزُ الَّتِي تَقُومُ فِي أَذْهَانِنَا وَتَصَوُّرَاتِنَا عَنْ هَذِهِ الثَّقَلَةِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ ، وَمِنْ حَيَاةٍ إِلَى حَيَاةٍ ! .

وَوَفْقًا لِهَذَا الْمَفْهُومِ الْجَدِيدِ الَّذِي أَقَامَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَنَظَائِرُهَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ سَارَتْ خُطَى الْمُجَاهِدِينَ الْكِرَامِ فِي طَلَبِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

فضائل الشهداء

لِلشُّهَدَاءِ فَضَائِلٌ عَدِيدَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، أَخْبَرَنَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

الأولى : يَكْفِي الشَّهَادَةُ فَضْلاً وَكَرَمًا وَتَشْرِيفاً : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
تَمَنَّاها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَنَالَهَا :

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ
يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ : مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي
سَبِيلِ اللَّهِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أُحْيَا ،
ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ» (١) .

وَنَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَدْ مَاتَ جَرَاءَ سُمِّ الْيَهُودِيَّةِ لَهُ بِالشَّاةِ الْمُسْمُومَةِ ،
وَكَانَ يُعَاوِدُهُ حَتَّى مَاتَ ؛ وَلِذَا نَعَتُهُ الذَّهَبِيُّ بِأَنَّهُ ﷺ النَّبِيُّ الشَّهِيدُ .

الثَّانِيَّةُ : عُلُوُّ مَنْزِلَةِ الشَّهَادَةِ ، وَمَشْرُوعِيَّةُ سُؤْلِهَا ، خِلَافاً لِلْمَوْتِ :

وَمِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ أَنَّ الشَّارَعَ الْحَكِيمَ رَغَّبَ فِي سُؤْلِهَا ؛ خِلَافاً لِمَا وَرَدَ فِي
النَّهْيِ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ ، وَأَنَّ مَنْ سَأَلَهَا بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ
مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ .

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٩٧) ، «صحيح مسلم» (١٨٧٦) .

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ، فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً ، فَإِنَّهَا تَحِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ ، لَوْ أَنَّهَا لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ ، وَرِيحُهَا رِيحُ الْمِسْكِ» ^(١) .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» ^(٢) .

الثَّالِثَةُ : تَمَنَّى الشُّهَدَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَرَّةً أُخْرَى ؛ لِمَا عَلِمُوا مِنْ كَرَامَةِ الشُّهَدَاءِ :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، إِلَّا الشَّهِيدُ ؛ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ» ^(٣) .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَأَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ،

(١) «سنن أبي داود»، و«سنن الترمذي»، و«سنن النسائي»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٧٨) : صحيح لغيره .

(٢) صحيح مسلم وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي .

(٣) «صحيح البخاري» ، (٢٧٩٥) ، «صحيح مسلم» (١٨٧٧) .

إِلَّا الشَّهِيدُ ؛ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ^(١) .

الرَّابِعَةُ : أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَشْرِبِهِمْ وَمُنْقَلَبِهِمْ ، قَالُوا : مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نُزْرَقُ ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ»^(٢) .

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ قَدْ أَحْيَا اللَّهُ أَبَاكَ ، فَقَالَ لَهُ : تَمَنَّ عَلِيٌّ . فَقَالَ : أُرِدُّ إِلَى الدُّنْيَا فَأَقْتُلُ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى !! قَالَ : إِنِّي قَضَيْتُ الْحُكْمَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ»^(٣) .

الخَامِسَةُ : مِنْ فَضْلِهَا أَنَّهَا تُكَفِّرُ ذُنُوبَ الشَّهِيدِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(١) «صحيح مسلم» : (٥٥٣٣/٩٦/٧) .

(٢) مسند أحمد (٢٦٦/١) ، (٢٣٨٩٠) ، وسنن أبي داود ، والبيهقي ، وصححه الألباني في «شرح الطحاوية» (ص ٥٣٨) ، و«صحيح الجامع» (٥٢٠٥) .

(٣) «مسند أحمد» (٣٦١/٣) ، «مسند الحميدي» (٥٣٢/٢) ، (١٢٦٥) .

«يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ». وفي رواية أخرى: قَالَ: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّينَ» (١).

وقال عليه السلام: «أَوَّلُ مَا يُهْرَاقُ» (٢) مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ يُغْفَرُ ذَنْبُهُ كُلُّهُ إِلَّا الدِّينَ» (٣).

السَّادِسَةُ: الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُوجِبَةٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟» قَالَ ﷺ: «فِي الْجَنَّةِ». فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ» (٤).

السَّابِعَةُ: تَظْلِيلُ الْمَلَائِكَةِ لِلشَّهْدَاءِ بِأَجْنَحَتِهَا:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْهَانِي، فَجَعَلْتُ عَمَّتِي فَاطِمَةَ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ! مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظَلِّلُهُ بِأَجْنَحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ» (٥).

(١) صحيح مسلم (١٨٨٥)، والترمذي، والنسائي، وأحمد.

(٢) يهراق: يسيل.

(٣) الطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «المستدرک»، الألباني «الصحيحه» (١٧٤٢).

(٤) «صحيح البخاري» (٤٠٤٦)، «صحيح مسلم» (١٨٩٩).

(٥) «صحيح البخاري» (١٢٤٤)، «صحيح مسلم» (٢٤٧١).

الثَّامِنَةُ : مِنْ الشُّهَدَاءِ مَنْ يَكُونُ رَفِيقًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ :

وَهَذَا أَعْظَمُ مَا يَتَمَنَّاهُ الْمُسْلِمُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الصَّدَقَ فِي سُؤَالِ الشَّهَادَةِ ، وَارْزُقْنَا رِفْقَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعَالِي الْجَنَانِ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا رَهَقُوهُ وَهُوَ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ : « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ » فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . ثُمَّ قَالَ ﷺ : « مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَامَ آخَرُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ . » فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا » (١) .

التَّاسِعَةُ : دَارُ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ الدُّوَرِ :

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي ، فَصَعَدَا بِي الشَّجَرَةَ ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، وَقَالَا : أَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ » (٢) .

الْعَاشِرَةُ : عُلوُّ مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ - وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنْتُ سُرَاقَةَ - أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ -

(١) «صحيح مسلم» (١٤١٥)، وأخرجه أحمد، وأبو يعلى والبيهقي .

(٢) «صحيح البخاري» (٢٥٩١)، «صحيح مسلم» (٢٢٧٥) .

وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرِبٌ - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهِدْتُ عَلَيْهِ بِالْبُكَاءِ؟ فَقَالَ ﷺ : «يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جَنَّانٌ ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» (١) .

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ : «يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي جَنَّتِهِ ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» . «وَالْفِرْدَوْسُ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ ، وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا» (٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ : «يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجَنَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَكِنَّهَا جَنَّانٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّ حَارِثَةَ لَفِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى» (٣) .

الْحَادِيَةِ عَشَرَ : الشُّهَدَاءُ مِنْ أَوَّلِ النَّاسِ دُخُولاً الْجَنَّةَ :

لِلَّهِ دَرُّهُمْ! وَمَا أَحْسَنَ مَا لَهُمْ! وَمَا أَجْمَلَهَا مِنْ كَرَامَةٍ ، وَأَعْظَمَهَا مَنَزَلَةً أَعَدَّهَا
اللَّهُ لَهُمْ!

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؟» قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ ﷺ : «الْمُهَاجِرُونَ ، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْتَفْتِحُونَ ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ : أَوْ قَدْ حُوسِبْتُمْ؟ . فَيَقُولُونَ : بِأَيِّ شَيْءٍ نَحَاسَبُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ

(١) «صحيح البخاري» : (٥٥٣٣/١١٦/٨) .

(٢) «سنن الترمذي» .

(٣) «صحيح البخاري» : (٦٥٦٧/١١٦/٨) .

أَسْيَافُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى مِتْنَا عَلَى ذَلِكَ؟». قَالَ: «فِيَنْفَتَحْ لَهُمْ، فَيَقِيلُونَ فِيهِ أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ»^(١).

الثَّانِيَةِ عَشَرَ: ضَحِكَ اللَّهُ إِلَى الشُّهَدَاءِ، وَمَنْ ضَحِكَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَلْتَقُونَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَلَا يَلْفِتُونَ وَجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ^(٢) فِي الْغُرَفِ مِنَ الْجَنَّةِ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى قَوْمٍ، فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ»^(٣).

الثَّالِثَةِ عَشَرَ: الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مِنَ أَلَمِ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَسِّ الْقَرْصَةِ:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرْصَةِ»^(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ»^(٥).

(١) صحيح عليّ شرط مسلم، أخرجه الحاكم (٧٠/٢)، وقال: صحيح عليّ شرط الشيخين. ووافقه الذهبي والألباني «الصحيحة» (ص ٨٥٣).

(٢) يتَلَبَّطُونَ: يضطجعون.

(٣) حسن صحيح، الطبراني في «الأوسط» (٢٤٩/١)، الهيثمي في «المجمع» (٢٩٢/٢)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب»: حسن صحيح، (١٣٧٢).

(٤) الطبراني، «المعجم الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، رقم (٣٧٤٥).

(٥) «سنن النسائي» (٦٢/٢)، «سنن الترمذي» (١٩/٣)، «سنن الدارمي» (٢٠٥/٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة»، رقم (٩٦٠)، «صحيح الجامع» (٣٧٤٦).

وَلَفْظُ النَّسَائِيِّ : «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مَسَّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ الْقَرْصَةَ يُقْرِصُهَا» .

قَالَ الْمَنَاوِيُّ : «الْقَرْصَةُ : الْأَخْذُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ . وَعَبَّرَ بِأَدَاةِ الْحَصْرِ ؛ دَفْعًا لَتَوَهُمِ تَصَوُّرِ أَنَّ أَلَمَهُ يَفْضُلُ عَلَى أَلَمِهَا . وَهَذِهِ تَسْلِيَةٌ لَهُمْ عَنْ هَذَا الْحَادِثِ الْعَظِيمِ ، وَالْخَطْبِ الْجَسِيمِ ، وَتَهْيِجِ الصَّبْرِ عَلَى وَقَعِ الشُّيُوفِ وَاقْتِحَامِ الْحُتُوفِ» (١) .

وَقَالَ أَيْضًا : «يَعْنِي : أَنَّهُ تَعَالَى يُهَوِّنُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ ، وَيَكْفِيهِ سَكَرَاتِهِ وَكُرْبَهُ ؛ بَلْ رُبَّ شَهِيدٍ يَتَلَذَّذُ بِذَلِكَ نَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ؛ كَقَوْلِ خُبَيْبِ الْأَنْصَارِيِّ حِينَ قُتِلَ :

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ فِي اللَّهِ كَانَ مَضْرَعِي

الرَّابِعَةُ عَشَرَ : جِرَاحُ الشُّهَدَاءِ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللُّونُ لَوْنُ الدَّمِّ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ» (٢) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ

(١) «فيض القدير» (٤/ ١٨٢) .

(٢) «صحيح البخاري» (٢٨٠٣) ، (٥٥٣٣) ، «صحيح مسلم» (١٨٧٦) ، «مسند أحمد» (٢/ ٢٤٢) .

اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ
يَشْخَبُ ^(١) ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ ^(٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ
فِي اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلَّمُهُ يَدْمِي ^(٣) ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ ، وَالرَّيْحُ
رِيحُ الْمِسْكِ ^(٤) .

الخَامِسَةُ عَشَرَ : وَيَشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ :

عَنْ نَمِرَانَ بْنِ عُتْبَةَ الدَّمَارِيِّ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ ، وَنَحْنُ أَيْتَامٌ ،
فَقَالَتْ : أَبْشِرُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« يُشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » ^(٥) .

السَّادِسَةُ عَشَرَ : لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سَبْعُ خِصَالٍ ، كُلُّ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا :

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبِ الْكِنْدِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ

(١) يشخب : ينزف .

(٢) « صحيح البخاري » : (٧ / ٩٦ / ٥٥٣٣) .

(٣) يدمي : ينزف دماً .

(٤) صحيح البخاري .

(٥) صحيح ، « سنن أبي داود » ، (٢٥٢٢) ، ابن حبان (ص ٤٦٦) ، « سنن البيهقي » (٩ / ١٦٤) ، الألباني
« صحيح الترغيب والترهيب » (١٣٦٩) ، وصححه في « صحيح الجامع » رقم (٨٠٩٣) .

الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ» (١) .

وفي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ لِلشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ خِصَالٌ :

- ١ - يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ .
- ٢ - وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ .
- ٣ - وَيُحَلَّى حُلِيَّةَ الْإِيمَانِ .
- ٤ - وَيُزَوَّجُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ .
- ٥ - وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .
- ٦ - وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ .
- ٧ - وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .
- ٨ - وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ» (٢) .

(١) صحيح ، «سنن الترمذي» (١٦٦٣) ، «سنن ابن ماجه» (٢٧٩٩) ، صحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٥) .

(٢) «سنن أحمد» (١٣١ / ٤) ، «سنن الترمذي» (١٦٦٣) ، «تاريخ دمشق» ، ابن عساكر (٥ / ٥١٧) ، الألباني «الصحيحة» (٣٢١٣) .

السَّابِعَةُ عَشَرَ : مَا تَفَعَّلُ الْخُورُ الْحِسَانُ بِشَهِيدِ الْحَرْبِ وَالطَّعَانِ :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي رَجُلٌ مُتَنِّ الرِّيحِ ، قَبِيحُ الْوَجْهِ ، لَا مَالَ لِي ، فَإِنْ أَنَا قَابِلْتُ هَؤُلَاءِ حَتَّى أُقْتَلَ ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ : « فِي الْجَنَّةِ » . فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : « قَدْ بَيَّضَ اللَّهُ وَجْهَكَ ، وَطَيَّبَ رِيحَكَ ، وَأَكْثَرَ مَالَكَ » .

وَقَالَ لَهُذَا أَوْ لِغَيْرِهِ : « فَقَدْ رَأَيْتُ زَوْجَتَهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ نَارَ عَتُهُ جُبَّةً لَهُ مِنْ صُوفٍ ، تَدْخُلُ بَيْنَهُ وَيَبْنِي جُبَّتَهُ » ^(١) .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ السُّيُوفَ مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ » ^(٢) .

الثَّامِنَةُ عَشَرَ : الشُّهَدَاءُ تُجْرَى عَلَيْهِمْ أَجُورُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ ^(٣) ، قرأ أَبُو عَمْرٍو ، وَحَفْصٌ ، وَيَعْقُوبُ : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا ﴾ . وَقرأ الْباقُونَ : ﴿ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا ﴾ .

﴿ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ أي ، فَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا ضَلَالًا عَلَيْهِمْ ، كَمَا أَضَلَّ أَعْمَالُ الْكَافِرِينَ .

(١) صحيح : أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح في شرط مسلم ، وصحَّحه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » (١٣٨١) .

(٢) صحيح ، « مصنف ابن أبي شيبة » (١٤٥ / ٧) ، (٢) ، صحَّحه الألباني في « الصحيحة » (٢٦٧٢) .

(٣) سورة محمد ، جزء من الآية : ٤ .

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : «لَنْ يُذْهِبَهَا ؛ بَلْ يُكَثِّرُهَا ، وَيُضَاعِفُهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْرِي عَلَيْهِ عَمَلُهُ فِي طُولِ بَرَزَخِهِ» ^(١) . وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : «أَيُّ إِنَّهُ لَا يُبْطِلُهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَتَرَهُمْ إِلَّاهَا» ^(٢) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ : مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أَجْرِي لَهُ عَمَلُهُ مَا عَمِلَ بِهِ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا يَجْرِي لَهُ مَا وَجَدَتْ ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا فَهُوَ يَدْعُو لَهُ» ^(٣) .

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَأَمِنَ الْفَتَانُ» ^(٤) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَجْرِي اللَّهُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَتَانِ ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنَ الْفَزَعِ» ^(٥) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَّنَهُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ» ^(٦) .

(١) «تفسير ابن كثير» (٦٢/٣) .

(٢) «شفاء العليل» ، (ص ١٦١) .

(٣) «مسند الإمام أحمد» ، حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٧٧) ، و«صحيح الترغيب» (١١٠) .

(٤) «صحيح مسلم» (١٩١٣) ، «مسند الإمام أحمد» (٤٤١/٥) ، «سنن النسائي» (٣٩١٦) .

(٥) الهيثمي ، في «المجمع» (٢٨٩/٥) ، صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٤٤) .

(٦) صحيح ، أخرجه ابن ماجه ، عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٥٤٥) ،

وأخرجه الترمذي في «جامعه» : (١٦٢١) ، وأبو داود في «سننه» : (٢٥٠٠) .

التَّاسِعَةُ عَشْرَ : الَّذِي يَمُوتُ مُرَابِطًا يَمُوتُ شَهِيدًا :

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ ، وَابْنُ حَبَّانٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا مَاتَ شَهِيدًا» ^(١) .

العِشْرُونَ : يَا حَبِيبُ ، مَا يُبْكِيكَ ؟ أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَبُوكَ ، وَعَائِشَةُ أُمُّكَ ؟ :

عَنْ بَشْرِ بْنِ عَقْرَبَةَ قَالَ : اسْتَشْهَدَ أَبِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ ، فَمَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقَالَ لِي : «أُسْكُتْ ، أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَبُوكَ أَبُوكَ وَعَائِشَةُ أُمُّكَ ؟!» ^(٢) .

وَعِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرَ : «يَا حَبِيبُ ! مَا يُبْكِيكَ ؟ أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَبُوكَ وَعَائِشَةُ أُمُّكَ ؟!» .

أَيُّ شَرَفٍ وَفَخَارٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا وَأَعْلَى وَأَعْلَى أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا لِابْنِ شَهِيدٍ !!

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبًا ، فَاطْلُبُوهُ ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ . قَالَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ اسْتِشْهَادِ جُلَيْبٍ :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ «جُلَيْبٌ»

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري في «التاريخ» (٢/ ١) ، (٧٨) ، ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٣٧٧) ، صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٢٤٩) .

فِي وَجْهِهِ دِمَامَةٌ ، فَعَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ التَّزْوِيجَ ، قَالَ : إِذْنُ تَجِدُنِي كَاسِدًا!! فَقَالَ : «غَيْرِ إِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ» ^(١) .

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أَنَّ جُلَيْبِيًّا كَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ أَلِلنَّبِيَّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا ؟ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ : «زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ» . فَقَالَ : «نَعَمْ ، وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ» . فَقَالَ ﷺ لَهُ : «إِنِّي لَسْتُ لِنَفْسِي أُرِيدُهَا!!» ، قَالَ : «فَلِمَنْ؟» . قَالَ ﷺ : «لِجُلَيْبٍ» . قَالَ : «حَتَّى أَسْتَأْمَرَ أُمَّهَا!!» . فَأَتَاهَا ، فَقَالَ : «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ» . قَالَتْ : «نَعَمْ ، وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» . قَالَ : «إِنَّهُ لَيْسَ يُرِيدُهَا لِنَفْسِهِ» . قَالَتْ : «فَلِمَنْ؟» . قَالَ : «لِجُلَيْبٍ» . قَالَتْ : «حَلَقِي» ^(٢) ، لِجُلَيْبٍ أَنِيهِ؟! - مَرَّتَيْنِ - لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا أَزُوجُ جُلَيْبِيًّا!!» . قَالَ : «فَلَمَّا قَامَ أَبُوهَا لِيَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَتْ الْفَتَاةُ لِأُمِّهَا مِنْ خَدْرِهَا : «مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟» . قَالَتْ : «النَّبِيُّ ﷺ» . قَالَتْ : «فَتَرُدُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَمْرَهُ؟ اذْفَعُونِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَإِنَّهُ لَا يُضَيِّعُنِي» . فَأَتَى أَبُوهَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : «شَأْنُكَ بِهَا» . فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيًّا» ^(٣) .

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ الْآتِي :

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَغْرَى لَهُ ، فَأَفَاءَ اللَّهُ

(١) حسن : أخرجه أبو يعلى (٦/ ٨٩) .

(٢) أي : حلقة الله ، يعني : أصابه رجع في حلقة ، وهذا دعاء عليه .

(٣) صحيح : «مسند الإمام أحمد (٤/ ٤٢٢) ، ابن حبان ، «الموارد» (٢٢٦٩) .

عليه ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا : «نَعَمْ فُلَانًا ، وَفُلَانًا ، وَفُلَانًا» . ثُمَّ قَالَ ﷺ : «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» . قَالُوا : «لَا» . قَالَ ﷺ : «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيًّا ، فَاطْلُبُوهُ» . فَطَلَبَ فِي الْقَتْلِ ، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ . فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ﷺ : «قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» . قَالَ : فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ ، لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدُ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : فَحَفَرَ لَهُ ، وَوَضَعَ فِي قَبْرِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ غُسْلًا» (١) .

وَاللَّهِ إِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا كُلَّهُ لَا يُسَاوِي مِغْشَارَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَتَطَايَرُ لَجَلَالِهَا الْأَرْضُ وَزُخْرُفُهَا وَمَا عَلَيْهَا . قَالَ ثَابِتٌ عَنْ زَوْجَةِ جُلَيْبٍ : فَمَا فِي الْأَنْصَارِ أَيْمٌ أَنْفَقُوا مِنْهَا!! .

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ : الشُّهَدَاءُ لَا يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، وَلَا يُصَعَّقُونَ عِنْدَ نُشُورِهِمْ :

عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : «أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدُ؟» . قَالَ ﷺ : «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً» (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «أَنَّهُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿وَيُفْخِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ﴾

(١) «صحيح مسلم» (٢٤٧٢) ، «مسند الإمام أحمد» (٤/ ٤٢٢-٤٢٥) .

(٢) صحيح ، أخرجه النسائي (٤/ ٩٩) ، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٨٣) .

شَاءَ اللَّهُ ﴿١﴾ «مَنْ الَّذِينَ لَمْ يَشَأَ اللَّهُ أَنْ يَضَعَهُمْ؟» قَالَ: «هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ﴿٢﴾.

الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: لَا يُشْتَرَطُ فِي الشَّهَادَةِ سَبْقُ أَعْمَالِ الْأَبْرَارِ؛ بَلْ هِيَ بِسَابِقِ الْإِرَادَةِ وَالْاخْتِيَارِ ﴿٣﴾:

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَطَّعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلْ أَوْ أَسْلِمْ؟». قَالَ ﷺ: «أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ». فَقَتِلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا» ﴿٤﴾.

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْأَرْضُ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الشُّهَدَاءِ:

رَوَى مَالِكٌ وَابْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعَصَعَةَ: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَمْرَوَ بْنَ الْجُمُوحِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّينِ أُسْتُشْهِدُوا يَوْمَ أُحُدٍ، فَوَضَعَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ.

وَفِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه جَاءَ السَّيْلُ فَأَخَذَ جُزْءًا مِنْ قَبْرِهِمَا،

(١) سورة الزمر، جزء من الآية: ٦٨.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢/٢٥٣)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/١٤٧)، (١٣٨٧).

(٣) «مشارع الأشواق».

(٤) «صحيح البخاري»: (٤/٢٠/٢٨٠٨).

فَحْفَرَ عَنْهُمَا لِغَيْرَا مِنْ مَكَانِهِمَا ، فَوُجِدَا لَمَّا يَتَغَيَّرَا ، كَأَنَّهُمَا مَاتَا بِالْأَمْسِ .
وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ جُرِحَ فَوُضِعَ يَدُهُ عَلَى جُرْحِهِ ، فَدُفِنَ وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَأَمِيطَتْ يَدُهُ
عَنْ جُرْحِهِ ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ ، فَرَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ ! . وَكَانَ بَيْنَ يَوْمٍ أَحَدٍ وَبَيْنَ يَوْمٍ
حُفِرَ عَنْهُمَا سِتُّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً !

الخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ : تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى الشُّهَدَاءِ مِنْ كُلِّ بَابٍ
يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ ، الَّذِينَ تَتَقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ ، إِذَا
أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا ، وَإِنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السُّلْطَانِ لَمْ تُقْضَ
لَهُ حَتَّى يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ . وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ
فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا . فَيَقُولُ : أَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا
وَأُودُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي ؟ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ . فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَتَأْتِي
الْمَلَائِكَةُ فَيَسْجُدُونَ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ،
وَنُقَدِّسُ لَكَ ، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتُمُ عَلَيْنَا ؟ . فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ :
هَؤُلَاءِ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي ، وَأُودُوا فِي سَبِيلِي . فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» ^(١) .

(١) «مسند أحمد» (٢/١٦٨) ، الحاكم «المستدرک» ، (٢/٧١) ، وصحَّحه ووافقه الذهبي ، صحَّحه الألباني
في «الصحيحة» ، (٢٥٥٩) ، و«صحيح الترغيب» (١٣٧٣) .

السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ : يَرْضَى اللَّهُ عَنِ الشَّهَدَاءِ رِضًى لَا سَخَطَ بَعْدَهُ :

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم فَقَالُوا : أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، يُقَالُ لَهُمْ : الْقُرَّاءُ ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَدَارِسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَحِثُّونَ بِالنَّاسِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَيَحْتَضِبُونَ فَيَسِيعُونَهُ ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ صلی اللہ علیہ وسلم إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضُوا لَهُمْ ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا . قَالَ : وَآتَى رَجُلٌ حَرَامًا ، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ ، فَطَعَنَهُ بِرُمَحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ ، فَقَالَ حَرَامٌ : فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم لِأَصْحَابِهِ : «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا» ^(١) .

هَؤُلَاءِ هُمُ الشُّهَدَاءُ ، يُقْتَلُونَ لِيَحْيَا غَيْرُهُمْ ، يُجُوعُونَ لِيَشْبَعَ غَيْرُهُمْ ، وَيُشَرَّدُونَ لِيَأْمَنَ غَيْرُهُمْ ؛ لَكِنَّهُمْ يَرْتَقُونَ لِلْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى دُونَ غَيْرِهِمْ . فَلِلَّهِ دَرُّهُمْ !!

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : «كُلُّ النَّاسِ يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَوْتِ عَنْ طَرِيقِ الْحَيَاةِ ، إِلَّا الْمُجَاهِدُ يَذْهَبُ إِلَى الْحَيَاةِ عَنْ طَرِيقِ الْمَوْتِ» .

ثَانِيًا : أَمثلةٌ لِشَجَاعَةِ شُهَدَاءِ الصَّحَابَةِ ﷺ

شُهَدَاءُ الصَّحَابَةِ ﷺ وَشَجَاعَتُهُمْ

١ - شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ عُمَيْرِ بْنِ هُمَامٍ ﷺ لَلَّهِ دَرُّهُ مَا أَعْظَمَ شَوْقَهُ لِلشَّهَادَةِ وَالْجَنَّةِ .

٢ - شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ ﷺ إِنَّهَا جَنَّتْ كَثِيرَةً ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ .

٣ - شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ عُمَيْرِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ كَانَ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ بَدْرٍ .

٤ - شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ حَنْظَلَةَ الشَّهِيدِ ﷺ يُسْتَشْهَدُ يَوْمَ زَفَافِهِ .

٥ - شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ الصَّحَابِيُّ الشَّهِيدِ ، حَامِلٍ لِرِوَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، كَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مُبَشِّرٍ بِالْإِسْلَامِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

٦ - شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ الْمَجْدَعِ فِي اللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ ﷺ أَوَّلُ أَمِيرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ .

٧ - شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حِرَامٍ رضي الله عنه الصَّحَابِيُّ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ كِفَاحًا ، قَالَ : «إِنِّي مُعَرِّضٌ نَفْسِي لِلْقَتْلِ» .

٨ - عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رضي الله عنه وَرَجَاؤُهُ أَنْ يَطَأَ فِي الْجَنَّةِ بِعَرَجَتِهِ ، شَيْخٌ عَزَمَ أَنْ يَطَأَ بِعَرَجَتِهِ الْجَنَّةَ .

٩ - أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضي الله عنه وَشَجَاعَتُهُ - الْجَنَّةُ وَرَبُّ النَّضْرِ - وَدَعَوْتُهُ إِلَى بَذْلِ النَّفْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِدَاؤُهُ بِنَفْسِهِ ، وَجَدَ رِيحَ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَ .

١٠ - حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ رضي الله عنه .

١١ - شَجَاعَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ - صَدَقَ اللَّهُ فَصَّدَقَهُ - شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ .

١٢ - شَجَاعَةُ شُهَدَاءِ يَوْمِ الرَّجِيعِ رضي الله عنهم .

١٣ - شَجَاعَةُ الْبَطْلِ الْفِدَائِيِّ الْانْغِمَاسِيِّ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَطْلُبُ أَنْ يَرْمُوهُ فِي حَدِيقَةِ الْعَدُوِّ لِكَيْ يَفْتَحَ بَابَهَا مِنَ الدَّاخِلِ .

١٤ - شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الْبَطْلِ أَبِي عَقِيلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه «أَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَا أُجِيبُهُ وَلَوْ حَبَوًّا» .

١٥ - شَجَاعَةُ حَامِلِ الْقُرْآنِ ، حَامِلِ رَايَةِ الْجِهَادِ ، سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ رضي الله عنه «بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ إِذَا أَنَا» .

١٦ - شَجَاعَةُ الْبَطْلِ الشَّهِيدِ عَامِرِ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه لَهُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ ، مَا أَعْظَمَهَا مِنْ شَهَادَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم .

١٧ - «نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ» رضي الله عنه خَطِيبُ الْأَنْصَارِ وَالْبَطْلُ الْكَرَّارُ يُقَاتِلُ بِكَفَنِهِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ .

١٨ - شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه «إِدْفَعُوا إِلَيَّ اللَّوَاءَ فَإِنِّي أَعْمَى لَا أَفَرُّ» .

١٩ - شَجَاعَةُ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، شَهِيدُ الْيَرْمُوكِ رضي الله عنه :

٢٠ - شَجَاعَةُ شَيْخِ الْمُجَاهِدِينَ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه الشَّهِيدِ الْبَطْلُ الْمَدْفُونُ تَحْتَ أَسْوَارِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ .

٢١ - شَجَاعَةُ أَبِي دُجَانَةَ رضي الله عنه أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم سَيْفَهُ ، وَآثَرُهُ بِهِ عَلَى سُيُوحِ الْمُهَاجِرِينَ وَفُرْسَانَ الْأَنْصَارِ .

٢٢ - شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ الْخَزْرَجِيِّ رضي الله عنه .

٢٣ - شَجَاعَةُ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه شَهِيدُ الْبَحْرِ «لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْمِيدَانِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ» .

الشَّهِيدُ وَمَعَانِي الشَّهَادَةِ :

- قِيلَ : لَأَنَّهُ حَيٌّ ؛ فَكَأَنَّ رُوحَهُ شَاهِدَةٌ ، أَيِ : حَاضِرَةٌ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَشْهَدُونَ لَهُ بِالْجَنَّةِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّهُ يَشْهَدُ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ مَا أُعِدَّ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّهُ يُشْهَدُ لَهُ بِالْأَمَانِ مِنَ النَّارِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّ عَلَيْهِ شَاهِدًا بِكَوْنِهِ شَهِيدًا .
- وَقِيلَ : لَأَنَّهُ لَا يَشْهَدُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّهُ الَّذِي يَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِبْلَاجِ الرُّسُلِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَشْهَدُ لَهُ بِحُسْنِ الْخَاتَمَةِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَشْهَدُ لَهُ بِحُسْنِ الْإِتِّبَاعِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ لَهُ بِحُسْنِ نِيَّتِهِ وَإِخْلَاصِهِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّهُ يُشَاهِدُ الْمَلَائِكَةَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّهُ يُشَاهِدُ الْمَلَائِكَةَ مِنَ دَارِ الدُّنْيَا وَدَارِ الْآخِرَةِ .
- وَقِيلَ : لَأَنَّ عَلَيْهِ عَلَامَةً شَاهِدَةً بِأَنَّهُ قَدْ نَجَا .

وَبَعْضُ هَذِهِ يَخْتَصُّ بِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَبَعْضُهَا يُعَمُّ غَيْرَهُ ،
وَبَعْضُهَا قَدْ يُنَازَعُ فِيهِ ^(١) .

قالوا : الشَّهِيدُ بِمَعْنَى الشَّاهِدِ ، وَالشَّاهِدُ : هُوَ الْحَاضِرُ فِي الْجَنَّةِ .

وَقَالَ الْقُرْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ ^(٢) .

وقال ابنُ فارس في «مُعْجَمِ مَقَائِسِ اللُّغَةِ» : الشَّهِيدُ : الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ . وَسُمِّيَ بِذَلِكَ : إِمَّا لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَشْهَدُهُ ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ
لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى لَزِمَهُ الْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ الَّتِي بَايَعَ اللَّهَ عَلَيْهَا ، وَالتِّي أَشَارَ لَهَا فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ... ﴾ ^(٣)

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥١) .

(٢) «عشاق الحور وطلاب دار السرور» ، إبراهيم محمد العلي (ص ٤١) .

(٣) سورة التوبة ، جزء من الآية : ١١١ .

وَهَذِهِ بَعْضُ نَمَازِجٍ مُخْتَصَرَةٍ مِنْ شُهَدَاءِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَشَجَاعَتِهِمْ :

١- شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ عُمَيْرِ بْنِ حُمَامٍ رضي الله عنه (١) :

لِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَعْظَمَ شَوْقَهُ لِلشَّهَادَةِ وَالْجَنَّةِ (التَّحْرِيزُ عَلَى الْقِتَالِ) :
مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم وَأَصْحَابُهُ
حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم : «لَا
يَقْدُمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» ، فَذَنَى الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم : «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ» . قَالَ : يَقُولُ عُمَيْرُ
بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟ ! .
قَالَ صلی اللہ علیہ وسلم : «نَعَمْ» . قَالَ : بَخٍ بَخٍ !! ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم : «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى
قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟» . قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا .
قَالَ صلی اللہ علیہ وسلم : «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» ، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ
قَالَ : لَئِنْ أَنَا حَيِّتُ أَكُلُ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ . قَالَ : فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ
مِنَ التَّمْرِ ، ثُمَّ قَاتَلَ وَهُوَ يَقُولُ :

رَحَضاً إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التُّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ

غَيْرِ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

وَمَا زَالَ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً رضي الله عنه .

(١) «صحيح مسلم» ، (٣/ ١٥١٠) ، (١٩٠١) ، «الإصابة» (٣/ ٣١) .

٢- اسْتِشْهَادُ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي ، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ ، وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ ﷺ : «وَيْحَكَ ! أَوْهَيْلَتِ ! ، أَوْجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ ؟ !! . إِنَّهَا جَنَانٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ» ^(١) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتِ الْبَرَاءِ - وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بِنْتِ سُرَاقَةَ - أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ ؟ - وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرُبٌ - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهِدْتُ عَلَيْهِ بِالْبُكَاءِ . فَقَالَ ﷺ : «يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جَنَانٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» ^(٢) .

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ : «يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جَنَانٌ فِي جَنَّةٍ ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» ^(٣) ، وَالْفِرْدَوْسُ : رَبْوَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَوْسَطُهَا ، وَأَفْضَلُهَا .

(١) «صحيح البخاري» (٣٩٨٢) ، فضل من شهد بَدْرًا .

(٢) «صحيح البخاري» .

(٣) «سنن الترمذي» (٣١٧٤) .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الشَّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ ، فِي قُبَّةٍ خَضِرَاءَ ، يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» ^(١) .

٣- اسْتِشْهَادُ عُمَيْرِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه كَانَ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ بَدْرَ :

كَانَ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يُصِرُّ عَلَى الْمِشَارَكَةِ يَوْمَ بَدْرَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ . يَحْكِي قِصَّتَهُ أَخُوهُ سَعْدُ رضي الله عنه ، فيقول : «رَأَيْتُ أَخِي عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَارَى ، فَقُلْتُ : «مَالِكَ يَا أَخِي؟» قَالَ : «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْتَصْغِرْنِي ، فِيرُدَّنِي ، وَأَنَا أَحِبُّ الْخُرُوجَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ» . قَالَ : «فَعَرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَصْغَرَهُ فَرَدَّهُ ، فَبَكَى ، فَأَجَازَهُ . فَكَانَ سَعْدُ يَقُولُ : «فَكُنْتُ أَعْقِدُ حِمَائِلَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ ، فَقُتِلَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً» .

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٦٦/١) ، (٢٣٩٠) ، حسنه الألباني ، «صحيح الجامع» (٣٧٤٢) ، «صحيح الترغيب» (١٩٦/٢) .

٤- حَنْظَلَةُ ، غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ ، يُسْتَشْهَدُ يَوْمَ زِفَافِهِ ﷺ :

كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَ هُوَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ التَّقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَلَمَّا عَلَاهُ حَنْظَلَةُ رَأَى شَدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ (١) فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغْسَلُهُ الْمَلَائِكَةُ ، فَاسْأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ؟» (٢) . فَسَأَلُوا صَاحِبَتَهُ (٣) ، وَهِيَ جَمِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ ، وَكَانَتْ عَرُوسًا عَلَيْهِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ ، فَقَالَتْ : خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِعَةَ (٤) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لِذَلِكَ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ» .

وَقَدْ التَّقَى بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ ، الْوَالِدُ الْفَاسِقُ الْقَاسِي ، أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ ، فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ : «لَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ مَصْرَعِكَ هَذَا ، وَلَقَدْ كُنْتَ وَاللَّهِ وَضُوءًا لِلرَّحِمِ ، بَرًّا بِالْوَالِدِ» .

وَبِحَسَبِ حَنْظَلَةَ فَضْلًا أَنْ لَا يَزَالَ ذِكْرُهُ مِسْكَاً يَتَضَوُّعٌ عَلَى مَدَى الْأَجْيَالِ .
لِلَّهِ دَرُّهُ!! .. يَسْتَشْهَدُ يَوْمَ زِفَافِهِ! فَهَلْ هُنَاكَ مَثَلٌ أَعْلَى لِلْبُطُولَةِ وَالشَّهَادَةِ
وَالشَّهَامَةِ وَالْوَفَاءِ لِدِينِهِ وَنَبِيِّهِ فَوْقَ هَذَا؟!!

هُمُ الرِّجَالُ وَعَيْبٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي زِيهِمْ رَجُلٌ

(١) وَكَانَ يُسَمَّى ابْنَ شُعُوبٍ .

(٢) «صَحِيحُ ابْنِ جَبَّانَ» : (٧٠٢٥) ، الْأَلْبَانِي ، «صَحِيحُ الْجَامِعِ» : (٥٢٠٧) .

(٣) زَوْجَتُهُ .

(٤) الصَّيْحَةُ لِلْجِهَادِ .

٥- مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه الصَّحَابِيُّ الشَّهِيدُ ، حَامِلُ لِيَوَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، كَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مُبَشِّرٍ بِالْإِسْلَامِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ :

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ - أَوْ مُصْعَبُ الْخَيْرِ ، كَمَا كَانَ لَقْبُهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ - كَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، غُرَّةَ فِتْيَانِ قُرَيْشٍ ، وَأَوْفَاهُمْ بَهَاءً ، وَجَمَالاً ، وَشَبَاباً . وَوُلِدَ فِي النَّعْمَةِ ، وَغُذِيَ بِهَا ، وَشَبَّ تَحْتَ خِمَائِلِهَا ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ فِتْيَانِ مَكَّةَ مَنْ ظَفَرَ مِنْ تَدْلِيلِ أَبِيهِ بِمِثْلِ مَا ظَفَرَ بِهِ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ .

وَقَفَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَمَامَ أُمِّهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَأَشْرَافِ مَكَّةَ الْمُتَجَمِّعِينَ حَوْلَهُ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ فِي يَقِينِ الْحَقِّ وَثْبَاتِهِ الْقُرْآنَ الَّذِي يَغْسِلُ بِهِ الرَّسُولُ صلوات الله عليه قُلُوبَهُمْ ، وَيَمَلُّوْهَا بِهِ حِكْمَةً وَشَرَفًا ، وَعَدْلًا ، وَتَقَى .

اخْتَارَ الرَّسُولُ صلوات الله عليه الْقَائِدُ مُصْعَبَ أَنْ يَكُونَ سَفِيرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى ، يُفَقِّهُ الْأَنْصَارَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَبَايَعُوا الرَّسُولَ صلوات الله عليه عِنْدَ الْعَقْبَةِ ، وَيَدْعُو غَيْرَهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَيُعِدُّ الْمَدِينَةَ لِيَوْمِ الْهَجْرَةِ الْعَظِيمِ .

وَحَمَلَ مُصْعَبُ الْأَمَانَةَ مُسْتَعِينًا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عَقْلِ رَاجِحٍ ، وَحُجَّةٍ قَوِيَّةٍ ، وَخُلُقٍ كَرِيمٍ . وَلَقَدْ غَزَا أَفئِدَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِزُهْدِهِ ، وَتَرْفَعِهِ وَإِخْلَاصِهِ ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا .

أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ «أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ» ، سَيِّدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ بِالْمَدِينَةِ ، وَسَرَى الْخَبْرُ كَالضُّوءِ ، وَجَاءَ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» ، فَأَصْغَى لِمُصْعَبٍ ،

وَسَمِعَ مِنْهُ الْقُرْآنَ وَاقْتَنَعَ ، وَأَسْلَمَ ، ثُمَّ تَلَاهُ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» . وَتَمَّتْ بِإِسْلَامِهِمُ النِّعْمَةُ ، وَأَقْبَلَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ : إِذَا كَانَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ قَدْ أَسْلَمُوا ، فَفِيمَ تَخْلُفُنَا؟ ! هَيَّا إِلَى مُصْعَبٍ ، فَلَنُؤْمِنَ مَعَهُ ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ الْحَقَّ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِهِ .

لَقَدْ نَجَحَ أَوَّلُ سُفَرَاءِ الرَّسُولِ ﷺ نَجَاحًا عَظِيمًا ، نَجَاحًا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وَبِهِ جَدِيرٌ . وَتَمْضِي الْأَيَّامُ وَالْأَعْوَامُ ، وَيُهَاجِرُ الرَّسُولُ ﷺ وَصَحْبُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتَتَلَمَّظُ قُرَيْشٌ بِأَحْقَادِهَا ، وَتُعِدُّ عُدَّةَ بَاطِلِهَا ؛ لِتُوَاصِلَ مُطَارَدَتِهَا الظَّالِمَةَ لِعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . وَتَقُومُ غَزْوَةٌ بِدَرٍ ، فَتَتَلَقَّى قُرَيْشٌ فِيهَا دَرَسًا يُفْقِدُهَا صَوَابَهَا ، وَتَسْعَى إِلَى الشَّارِ ، وَتَجِيءُ غَزْوَةٌ أُحُدٍ . وَيُعَبِّئُ الْمُسْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَقِفُ الرَّسُولُ ﷺ وَسَطَ صُفُوفِهِمْ يَتَفَرَّسُ الْوُجُوهَ الْمُؤْمِنَةَ لِيَخْتَارَ مِنْ بَيْنِهَا مَنْ يَحْمِلُ الرَّايَةَ ، وَيَدْعُو الْبَطْلَ الْمَغَوَارَ : مُصْعَبَ الْخَيْرِ ، فَيَتَقَدَّمُ وَيَحْمِلُ اللَّوَاءَ .

وَأَدْرَكَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ الْخَطَرَ الْغَادِرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي التَّرَكِيزِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَفَعَ اللَّوَاءَ عَالِيًا ، وَأَطْلَقَ تَكْبِيرَةً كَالزَّيْرِ ، وَمَضَى يَصُولُ وَيَجُولُ وَيَتَوَائِبُ ، وَكُلُّ هَمِّهِ أَنْ يَلْفِتَ نَظَرَ الْأَعْدَاءِ إِلَيْهِ ، وَيَشْغَلُهُمْ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ بِنَفْسِهِ ، وَجَرَّدَ مِنْ ذَاتِهِ جَيْشًا بِأَسْرِهِ . أَجَلْ ! ذَهَبَ مُصْعَبُ يُقَاتِلُ وَحْدَهُ كَأَنَّهُ جَيْشٌ لَجِبٌ غَزِيرٌ ، يَدُّ تَحْمِلُ الرَّايَةَ ، وَيَدُّ تَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِي عُفُوانٍ ، وَلَكِنَّ الْأَعْدَاءَ يَتَكَاثَرُونَ عَلَيْهِ ، يُرِيدُونَ أَنْ يَعْبُرُوا فَوْقَ جُثَّتِهِ إِلَى حَيْثُ يَلْقَوْنَ الرَّسُولَ ﷺ .

يَقُولُ ابْنُ سَعْدٍ : أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ شَرْحِبِيلَ الْعَبْدَرِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : «حَمَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ اللَّوَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَلَمَّا جَالَ الْمُسْلِمُونَ ثَبَتَ بِهِ مُصْعَبُ ، فَأَقْبَلَ ابْنُ قِمَّةَ^(١) ، فَضْرَبَهُ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى فَقَطَعَهَا ، وَمُصْعَبُ يَقُولُ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٢) . وَأَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى وَحَنَا عَلَيْهِ ، فَضْرَبَ يَدَهُ الْيُسْرَى فَقَطَعَهَا ، فَحَنَا عَلَى اللَّوَاءِ وَضَمَّهُ بَعْضُيْهِ إِلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٣) . ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ الثَّالِثَةَ بِالرُّمْحِ فَأَنْفَذَهُ وَانْدَقَّ الرُّمْحُ ، وَوَقَعَ مُصْعَبُ ، وَسَقَطَ اللَّوَاءُ» .

وَلَمَّا نُقِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ لَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ زَوْجَةُ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَنُعِيَ إِلَيْهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نُعِيَ إِلَيْهَا خَالُهَا حَمْزَةُ ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ ، ثُمَّ نُعِيَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، فَصَاحَتْ وَوَلَوْلَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا بِمَكَانَةٍ»^(٣) .

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ قَالَ : «هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى بِسَبِيلِهِ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً ، مِنْهُمْ : مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمِرَةً ،

(١) فارس من فرسان المشركين .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١٤٤ .

(٣) «سيرة ابن هشام» : (١٠٤ / ٣) .

كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «غَطُّوا رَأْسَهُ ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخَرِ» ^(١) ، وَمَا مِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يُهْدِيهَا» ^(٢) .

وَقَفَ الرَّسُولُ ﷺ ، وَبَعْدَ أَنْ أَلْقَى فِي أَسَى نَظْرَةً عَلَى بُرْدَتِهِ الَّتِي كُفِّنَ فِيهَا ، قَالَ وَعَيْنَاهُ تَلَفَّاهُ بِضِيَاءِهَا وَوَفَائِهَا : «لَقَدْ رَأَيْتُكَ بِمَكَّةَ ، وَمَا بِهَا أَرْقُ حُلَّةً ، وَلَا أَحْسَنُ لَمَّةً مِنْكَ . ثُمَّ هَا أَنْتَ ذَا شَعْتُ الرَّأْسَ فِي بُرْدَةٍ» ^(٣) .

٦- شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الْمُجَدِّعِ فِي اللَّهِ - عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَوَّلُ أَمِيرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ :

قَائِدُ السَّرِيَةِ الَّتِي قَتَلَتْ أَوَّلَ قَتِيلٍ لِلْمُشْرِكِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَسْرَتْ أَوَّلَ أَسِيرِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَصَاحِبُ أَوَّلِ مَغْنَمٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَسَمَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُمْسَ الْمَغْنَمِ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ ، وَأَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، إِنَّهُ الْبَطْلُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ . كَانَ قَائِدًا مُجِيدًا ، وَكَانَ مَوْضِعَ ثِقَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْكَامِلَةِ ، وَكَانَ ﷺ هُوَ الْقَائِدُ الْأَعْلَى لِلْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ حُبًّا عَظِيمًا ، كَمَا كَانَ أَصْحَابُهُ يُحِبُّونَهُ ، وَيَبَادِلُهُمْ حُبًّا بِحَبِّ فِي مَجْتَمَعِ الْأَخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّائِدَةِ حِينَئِذٍ .

(١) الإذخر : نوع من العُشب .

(٢) «صحيح البخاري» (١٢٨٦) .

(٣) البيهقي ، «شعب الإيمان» : (٥٧٧٩ / ٢٥٥ / ٨) .

وكان ذا شخصية قوية نافذة ، تؤثر في الرجال والأحداث ، ولا تتأثر بها إلا في الحق ومن أجل الحق ، وقد كان أبرز المسلمين من بني أسد .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ يَدْعُو اللَّهَ الشَّهَادَةَ وَيُفُوزُ بِهَا فِي أَحَدٍ :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ رضي الله عنه قَالَ لَهُ يَوْمَ أَحَدٍ : «أَلَا تَدْعُو اللَّهَ؟» فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ ، فَدَعَا سَعْدٌ ، فَقَالَ : «يَا رَبِّ إِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأُسِّهِ ، شَدِيدًا حَزْمُهُ ، أَقَاتِلُهُ وَيُقَاتِلُنِي ، ثُمَّ ارْزُقْنِي الظَّرْفَ بِهِ ، حَتَّى أَقْتُلَهُ وَأَخْذَ سَلْبِهِ» . فَأَمَّنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، ثُمَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا حَزْمُهُ ، شَدِيدًا بِأُسِّهِ ، أَقَاتِلُهُ فِيكَ وَيَقْتُلُنِي ، ثُمَّ يَأْخُذْنِي فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذْنِي ، فَإِذَا لَقِيتَكَ غَدًا ، قُلْتَ : مَنْ جَدَعَ أَنْفَكَ وَأُذْنَكَ؟» . فَأَقُولُ : فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ ﷺ . فَتَقُولُ : صَدَقْتُ» . قَالَ سَعْدٌ : يَا بُنَيَّ ، كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ وَأَنْفُهُ وَأُذُنُهُ لَمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ ^(١) .

وقد سَمِعَ يَوْمَ أَحَدٍ يَدْعُو اللَّهَ بِقَوْلِهِ : «اللَّهُمَّ أَقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ نَلْقَى الْعَدُوَّ ، وَإِذَا لَقِينَا الْعَدُوَّ أَنْ يَقْتُلُونِي ، ثُمَّ يَبْقُرُوا بَطْنِي ، ثُمَّ يُمَثِّلُوا بِي ، فَإِذَا لَقِيتَكَ سَأَلْتَنِي : «فِيمَ هَذَا؟» . فَأَقُولُ : فِيكَ . فَلَقِي الْعَدُوَّ ، وَقُتِلَ ، وَبَقُرُوا بَطْنَهُ ، وَمَثَّلُوا بِهِ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه : فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَبْرَّ اللَّهَ آخِرَ قَسَمِهِ» ^(٢) .

وكان عبد الله قد قاتل قتال الأبطال في أحد ، واستقتل قتالاً شديداً ؛ لينال الشهادة ، فانقطع سيفه الذي كان يُقاتل به يوم أحد ، فأعطاه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سيفاً

(١) «الإصابة» (٤/٤٦) ، «أسد الغابة» (٣/١٣١) ، «جوامع السيرة» (ص ١٦٧) .

(٢) «الاستيعاب» (٣/٨٧٩) ، «أسد الغابة» (٣/١٣٢) .

جديداً يُسَمَّى : العرجون . ونال الشهادة كما أراد ؛ فقد قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ، ودُفن هو وحمزة بن عبد المطلب عُمُ النَّبِيِّ ﷺ في قبرٍ واحدٍ .

فوارهما الرَّسُولُ القائد ﷺ ودموعه الطاهرة تُروى ثَرَاهِمَا الْمُضْمَخِ بطيوب الشهادة (١) .

وَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ مَثَلٌ بِهِ الْمُشْرُكُونَ ، فَجَدَعُوا أَنْفَهُ ، وَقَطَعُوا أُذُنَيْهِ ، وَبَقَرُوا بَطْنَهُ ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ : الْمُجَدَّعُ فِي اللَّهِ ، وَعُرِفَ بِهَذَا الْوَصْفِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ .

إِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَحْيَا إِلَّا بِأَرْيَجِ الشُّهَدَاءِ ، وَعِطْرِ الدِّمَاءِ الْفَوَاحِ الْمِهْرَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

لَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ قَائِداً شُجَاعاً ، وَفَارَقَ الْحَيَاةَ شَهِيداً ، كَمَا كَانَ يَتَمَنَّى وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَفُوزَ بِالشَّهَادَةِ ، وَبَقِيَ ذِكْرُهُ عِطْراً فِي التَّارِيخِ ، وَاللَّهُ مَا عَقِمَتْ أُمَّةٌ أَنْجَبَتْكَ ! .

هَؤُلَاءِ هُمُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَلِمُوا أَنَّ الْجِهَادَ فَضْلاً لَا يُضَاهَى ، وَخَيْراً لَا يُتَنَاهَى ، وَأَيَقَنُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ ، وَأَنَّ الرَّيَّ الْأَعْظَمَ فِي شُرْبِ كُؤُوسِ الْحُتُوفِ ، فَشَمَّرُوا لِلجِهَادِ عَنْ سَاقِ الْاجْتِهَادِ ، وَنَفَرُوا إِلَى ذَوِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ مِنْ شَتَّى أَصْنَافِ الْعِبَادِ ، وَجَهَّزُوا الْجُيُوشَ وَالسَّرَايَا ، وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْعَطَايَا ، وَأَقْرَضُوا الْأَمْوَالَ لِمَنْ يُضَاعِفُهَا وَيُزَكِّيْهَا ، وَدَفَعُوا سِلَاحَ

(١) «مجموعة الوثائق السياسية» ، (ص : ٨) .

النُّفُوسِ مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ لِمُسْتَرِيهَا ، وَضَرَبُوا الْكَافِرِينَ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ، وَاسْتَعَذَّبُوا
مِنَ الْمَنِيَةِ مُرَّ الْمَذَاقِ ، وَبَاعُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ بِالْعَيْشِ الْبَاقِ ، وَنَشَرُوا أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ
فِي الْأَفَاقِ .

أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، تَمَنَّوْا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ
نَبِيِّهِمْ وَقَائِدَهُمْ وَمُعَلِّمَهُمْ ﷺ تَمَنَّاها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ يَقُولُ : « .. وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ
أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ » (١) .

وَقَالَ ﷺ : « أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ مَنْ سَفِكَ دَمَهُ وَعُقِرَ جَوَادُهُ » (٢) .

وَقَالَ ﷺ : « أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، فَلَا
يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا ، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ (٣) فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنْ
الْجَنَّةِ ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ ، فَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا
حِسَابَ عَلَيْهِ » (٤) .

اللَّهُمَّ اضْحَكْ إِلَيْنَا ، وَارْزُقْنَا أَعْلَى دَرَجَاتِ الشُّهَدَاءِ ، وَاحْشُرْنَا إِلَيْكَ فِي
خَوَاصِلِ الطُّيُورِ .

(١) «صحيح البخاري» (١/٢٢-٣٦) .

(٢) «مسند الإمام أحمد» ، «الصحيفة الألباني» (١٥٠٤) ، «صحيح الجامع» (ص ٨-١١) .

(٣) أي : يتمرغون ، ويضطجعون .

(٤) «مسند الإمام أحمد» ، «الصحيفة الألباني» ، في «صحيح الجامع» (ص ٧-١١) .

٧- شجاعة عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه :

هو الصحابيُّ الجليل أبو جابر الذي كلَّمه الله كِفاحاً . عن جابر رضي الله عنه أن أباه قال له : «إني مُعرِّضُ نفسي للقتل» .

رأى عبدُ الله بن حرام مبشّرَ بن عبد المنذر - وكان مَن أُسْتُشهِدَ ببدر - يقول له : أنت قادمٌ علينا في هذه الأيام . فقَصَّها على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله ، فقال : «هَذِهِ الشَّهَادَةُ» .

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : «لَمَّا حَضَرَ «أُحُدٌ» ، دعاني من الليل فقال : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله ، وإني لا أترك بعدي أعزَّ عليَّ منك ، غير نفسِ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وآله ، وإنَّ عليَّ ديناً فاقضه ، واستوصِ بأخوانك خيراً . فأصبحنا فكان أوَّلَ قَتِيلٍ» ^(١) .

للهِ دَرُّهُ !! يتعرض للشهادة ويعزم عليها ، ويوصي ابنه ، وكأنَّه يرى الشهادة رأي العين . قال جابر رضي الله عنه : «لَمَّا قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ ، جَعَلْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ وَأُبْكِي ، وجعل أصحاب رَسولِ الله صلَّى الله عليه وآله ينهوني وهو لا ينهاني ، وجعلت عمتي تبكيه ، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله : «تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ» ^(٢) .

(١) «فتح الباري» (٣/٢٥٦) .

(٢) «صحيح البخاري» (١٢٤٤) ، (٤٠٨٠) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَا أَخْبِرُكَ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا ، فَقَالَ : يَا عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ . قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا ، فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيًا . فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجِعُونَ . قَالَ : يَا رَبِّ ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿قُلْ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ^(١)

وعن جابر بن عبدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : «نَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ : «يَا جَابِرُ ، مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا؟!». قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَسْتُشْهِدُ أَبِي وَتَرَكَ دِينًا وَعِيَالًا . قَالَ : فَقَالَ ﷺ : «أَلَا أَخْبِرُكَ؟ مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا ، قَالَ : سَلْنِي أُعْطِكَ . قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا ، فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً . فَقَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي الْقَوْلُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجِعُونَ . قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿قُلْ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ^(٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١٦٩) .

(٢) «سنن الترمذي» (٢٨٠٠) ، «صحيح ابن حبان» (٧٠٢٢ / ١٥) .

٨ - عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رضي الله عنه وَرَجَاؤُهُ أَنْ يَطَأَ فِي الْجَنَّةِ بِعَرَجَتِهِ :

شَيْخٌ عَزَمَ أَنْ يَطَأَ بِعَرَجَتِهِ الْجَنَّةَ . أَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ قَلْبَهُ وَحَيَاتِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَعَلَى الرِّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَفْطُورًا عَلَى الْجُودِ وَالسَّخَاءِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ زَادَ جُودَهُ مِضَاءً ، فَوَضَعَ كُلَّ مَالِهِ فِي خِدْمَةِ دِينِهِ وَإِخْوَانِهِ .

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « يَا بَنِي سَلَمَةَ مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ » . قَالُوا : الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ ، وَإِنَّا لَنُبْخِلُهُ . قَالَ ﷺ : « وَأَيُّ دَاءٍ أَذْوَى مِنَ الْبُخْلِ ؟ ! بَلْ سَيِّدُكُمْ : الْجَعْدُ الْأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ » ^(١) .

فَكَانَتْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَكْرِيماً لِابْنِ الْجُمُوحِ أَيَّ تَكْرِيمٍ ! وَفِي هَذَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَسُوْدَ عَمْرُو بْنِ الْجُمُوحِ جُودِهِ وَحُقَّ لِعَمْرٍو بِالنَّدَى أَنْ يُسُوْدَا
إِذَا جَاءَهُ السُّؤَالُ أَذْهَبَ مَالَهُ وَقَالَ : خُذُوهُ ، إِنَّهُ عَائِدٌ غَدَا

وَبِمِثْلِ مَا كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ يَجُودُ بِمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَرَادَ أَنْ يَجُودَ بِرُوحِهِ وَحَيَاتِهِ ، وَلَكِنْ كَيْفَ وَفِي سَاقِهِ عَرَجٌ شَدِيدٌ يَعْذُرُهُ عَنِ الْجِهَادِ !! وَإِنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَوْلَادَ ، كُلُّهُمْ رَجَالٌ كَالْأُسُودِ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْغَزْوِ ، وَيَتَسَابِقُونَ عَلَى فَرِيضَةِ الْجِهَادِ .

(١) البخاري ، «الأدب المفرد» ، ص : ٧١ ، سننه قوي ، «المعجم الكبير» : (٢ / ٣٥ / ١٢٠٣) ، «المستدرک علی الصحیحین» : (٤٩٦٥) ، وصححه الحاكم علی شرط مسلم .

ولقد حاول عمرو أن يخرج في غزوة «بدر»، فتوسل أنباؤه إلى النبي ﷺ كي يقنعه بعدم الخروج، أو يأمره به إذا لم يقتنع. وفعلاً أخبره النبي ﷺ بأن الله يعفيه من الجهاد كفريضة؛ وذلك لعجزه المائل في عرجه الشديد، بيد أنه راح يلح ويرجو، وكان قد جاوز الستين من عمره. فأمره النبي ﷺ بالبقاء في المدينة، وامثل إلى أمر النبي ﷺ.

وجاءت غزوة «أحد»، فذهب عمرو إلى النبي ﷺ يتوسل إليه أن يأذن له، وقال له: «يا رسول الله إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك إلى الجهاد، والله إنني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة». وأمام إصراره العظيم أذن له النبي ﷺ بالخروج، وقال ﷺ لأولاده: «لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ»^(١).

فأخذ سلاحه وانطلق يخطر في حُبور وغبطة، ودعا ربه بصوت ضارع: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الشَّهَادَةَ، وَلَا تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي». وانطلق عمرو بن الجموح وأولاده الأربعة يضربون بسيوفهم جيش الظلام والشرك.

نعم سأل عمرو بن الجموح ربه الشهادة، وهو واثق أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب له، وهو مغرم بأن يخطر بساقه العرجاء في الجنة؛ ليعلم أهلها أن محمداً رسول الله ﷺ يعرف كيف يختار أصحابه، وكيف يربي الرجال.

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٥٧)، وقال: سنده حسن.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ : « أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرَجُلِي هَذِهِ صَحِيحَةٌ فِي الْجَنَّةِ ؟ - وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرَجَاءَ - ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ » ، فَقُتِلَ يَوْمَ «أُحُدٍ» هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ ، وَمَوْلَى لَهُمْ ، فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةٌ فِي الْجَنَّةِ » . فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا ، فَجُعِلُوا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ^(١) .

جَاءَهُ مَا كَانَ يَتَمَنَّى ، ضَرْبَةُ سَيْفٍ أَوْ مَضَتْ مُعْلِنَةً سَاعَةَ الزَّفَافِ ، زَفَافِ شَهِيدٍ شُجَاعٍ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ ، وَفِرْدَوْسِ الرَّحْمَنِ .

قَالَتْ امْرَأَتُهُ «هِنْدُ» أُخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حِرَامٍ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ قَدْ أَخَذَ دَرَقَتَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : «اللَّهُمَّ لَا تُرَدَّنِي» .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ «أُحُدٍ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » . فَقَامَ وَهُوَ أَعْرَجٌ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَا أَقْهَرَنَّ عَلَيْهَا فِي الْجَنَّةِ . فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ﷺ » ^(٢) .

لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » ، فَقَامَ وَهُوَ أَعْرَجٌ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَا أَقْهَرَنَّ عَلَيْهَا فِي الْجَنَّةِ . فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ﷺ » .

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٩٩/٥) .

(٢) «صحيح مسلم» (٣/١٥١٠) ١٩٠١ .

وعند ابنِ حَجَرٍ في «الفتح» مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : «أَنَّ عَمْرَوَ بْنَ الْجُمُوحِ كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ ، شَدِيدَ الْعَرَجِ ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلُ الْأُسْدِ ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَذَرَكَ» . فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : «إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بَعْرَجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ» . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ ، فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ» ، وَقَالَ لَبْنِيهِ : «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ» . فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ» (١) .

هَذَا نَمُودَجٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مِنَ الَّذِينَ أَعَذَرَهُمُ اللَّهُ عَنْ الْجِهَادِ ، لَكِنْ أَبَتْ نُفُوسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ، هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْطَالُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْقَرْنِ الْخَيْرِيِّ الَّذِي لَا يُجُودُ بِمِثْلِهِ الزَّمَانُ أَبَدًا .

وَهَذِهِ الْبُطُولَاتُ أَغْرَبُ مِنَ الْخِيَالِ نَفْسِهِ ، بَيَدَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي دُنْيَا الْوَاقِعِ مَائِلَةً وَوَاقِعَةً أَمَامَ أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ ، هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالُ الَّذِينَ عَطَّوْا التَّارِيخَ مِنْ ذِكْرِهِمْ وَبُطُولَاتِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ، وَالشَّهِيدِ الْبَطْلِ ، الَّذِي عَاشَ حَمِيدًا وَمَاتَ شَهِيدًا ﷺ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ .

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٥٧) ، وقال : سنده حسن .

٩- أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ وَشَجَاعَتُهُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) :

وَدَعَوْتُهُ إِلَىٰ بَذْلِ الْأَنْفُسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَفِدَاؤِهِ بِنَفْسِهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حَيْثُ وَجَدَ رِيحَ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتَلَ . «الْجَنَّةُ وَرَبُّ النَّضْرِ» .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : «عَمِّي الَّذِي سُمِّيْتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا ، قَالَ : فَشَقَّ عَلَيْهِ ، قَالَ : «أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غُيِّبَتْ عَنْهُ ، وَإِنْ أَرَانِي اللَّهَ مَشْهَدًا فِي مَا بَعْدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيرَانِي اللَّهَ مَا أَصْنَعُ» . قَالَ : فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا . قَالَ : فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ «أُحُدٍ» ، قَالَ : فَاسْتَقْبَلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَمْرٍو إِلَىٰ أَيْنَ ؟ . فَقَالَ : «وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ ! أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ» . فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ . قَالَ : فَوُجِدَ فِي جِسْمِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ ؛ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ ، وَطَعْنَةٍ ، وَرَمِيَةٍ . قَالَ : فَقَالَتْ أُخْتُهِ - عَمَّتِي الرَّبِيعُ بِنْتُ النَّضْرِ - فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ . وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ^(١) ، فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ» ^(٢) .

وَفِي لَفْظِ الْبُخَارِيِّ زِيَادَةٌ نَذَرُهَا لِلْفَائِدَةِ : «فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ فَهَزِمَ النَّاسُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ

(١) سورة الأحزاب ، الآية : (٢٣) .

(٢) «صحيح مسلم» : (٢٥ / ٤ / ٢٨٣٢) .

مَّا جَاءَ بِهِ الْمُسْرُكُونَ . فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ ، فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ، فَقَالَ : أَيْنَ يَا سَعْدُ؟ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحَدٍ . فَمَضَى فَقُتِلَ ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ ، أَوْ بَنَانِهِ ^(١) .

وَعَنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : «وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ رَافِعٍ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ ، قَالَ : انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ - عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقُوا بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ : مَا يُجْلِسُكُمْ؟ . قَالُوا : قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ ، قَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ^(٢) .

هُمُ الرِّجَالُ وَقَدْ جَاؤُوا عَلَى قَدَرٍ هُمُ الَّذِينَ إِذَا مَا عَاهَدُوا صَدَقُوا

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الصَّدَقَ فِي سُؤَالِ الشَّهَادَةِ ، وَارْزُقْنَا رِفْقَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعَالِي الْجَنَانِ .

(١) «صحيح البخاري» (٤٠٤٨) .

(٢) «سيرة ابن هشام» ، (٨٣/٢) ، «تاريخ الطبري» (٥١٧/٢) .

١٠- حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ رضي الله عنه :

اللَّهُ أَكْبَرُ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، هَكَذَا قَالَ مَسْرُوراً « حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ »
وهو يُطْعَنُ بِالرَّمْحِ مِنَ الْخَلْفِ .

وَهَذَا صَحَابِيُّ شَجَاعٌ آخَرُ مُحِبٌّ لِلْإِسْلَامِ ، وَلِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ ، وَلِلشَّهَادَةِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، يُطْعَنُ أَثْنَاءَ تَبْلِيغِهِ رِسَالَةَ الرَّسُولِ الْقَائِدِ ، الْقُدْوَةِ ﷺ ، فَيُقْتَلُ ،
لَكِنَّهُ وَجَدَ فُرْصَةً قَبْلَ الْإِنْتِقَالِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ ؛ لِلإِفْصَاحِ وَالتَّعْبِيرِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ
مِنْ غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ بَنِيْلٍ هَذِهِ السَّعَادَةِ الْعُظْمَى .

لِنَقْرَأَ مَاذَا قَالَ هَذَا الشُّجَاعُ الْمِغْوَارُ ، وَهُوَ يُطْعَنُ مِنَ الْخَلْفِ :

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ خَالَه - أَخٌ لِأُمِّ سُلَيْمٍ -
فِي سَبْعِينَ رَاكِباً ، فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجٌ ، وَرَجُلٌ مِنْ
بَنِي فُلَانٍ ، قَالَ : كُونَا قَرِيباً حَتَّى آتِيَهُمْ فَإِنْ آمَنُونِي كُنتُمْ ، وَإِنْ قَتَلُونِي آتَيْتُمْ
أَصْحَابَكُمْ ، فَقَالَ : أَتُؤْمِنُونِي أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَجَعَلَ
يُحَدِّثُهُمْ ، وَأَوْمَأُوا إِلَى رَجُلٍ ، فَاتَّاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ ، قَالَ هَمَّامٌ : أَحْسِبُهُ -
حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرَّمْحِ ، قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !!^(١) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِلْبُخَارِيِّ أَيْضاً ، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : « لَمَّا طَعِنَ حَرَامُ بْنُ

(١) «صحيح البخاري» (٣٨٥/٧)، (٤٠٩١) .

مَلْحَانَ ، وَكَانَ خَالَهُ يَوْمَ بَثْرِ مَعُونَةٍ ، قَالَ : بِالدِّمِّ هَكَذَا فَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ
وَرَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ» (١) .

وَرَبَّ الْكَعْبَةِ إِنَّهُ لِلْفَوْزُ !!

فَالْأَمَ الْعَيْشُ فِي التُّرْبِ إِرْحَلَا إِضْعَدَنْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ، فَأَسْلَمَ قَاتِلُهُ فِي الْحَالِ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ،
فَقَالُوا : أَنْ إِنْبَعَثَ مَعَنَا رَجُلَانِ لَا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا
مِنَ الْأَنْصَارِ ، يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ ، فِيهِمْ : خَالِي حَرَامٌ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَدَارِسُونَ
بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَحْيِيُونَ بِالمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَيَحْتَضِبُونَ
فَيَبِيعُونَهُ ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ
إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضُوا لَهُمْ ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ ، بَلِّغْ عَنَّا
نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا ، قَالَ : وَآتَى رَجُلٌ حَرَامًا ، خَالَ
أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ ، فَطَعَنَهُ بِرُمَحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ ، فَقَالَ حَرَامٌ : فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ
عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا» (٢) .

(١) «صحيح البخاري» (٣٨٥ / ٧) ، (٤٠٩٢) .

(٢) «صحيح مسلم» (٦٧٧) ، البيهقي ، «دلائل النبوة» (٣ / ٣٤٧) .

١١- شَجَاعَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ :

إِنَّ مُجَرَّدَ الْأُمْنِيَةِ أَمْرٌ سَهْلٌ ، لَكِنِ الْأُمْنِيَةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى صِدْقَ صَاحِبِهَا هِيَ الَّتِي تُوصِلُ لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ ، وَهِيَ تَقْرِضُ عَلَى صَاحِبِهَا أَنْ يُعِدَّ نَفْسَهُ وَيُهَيِّئَهَا لِهَذِهِ الْمَنَازِلِ .

هَذِهِ صُورَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ صُورِ الصِّدْقِ فِي طَلَبِ الشَّهَادَةِ :

«عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَهَاجِرُ مَعَكَ ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ غَنِمِ النَّبِيِّ ﷺ سَبِيًّا ، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ ، وَكَانَ يَزْعَى ظَهْرُهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا؟ ، قَالُوا : قِسْمُ قِسْمِهِ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : مَا هَذَا؟ قَالَ : «قَسَمْتُهُ لَكَ» ، قَالَ : مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ - فَأَمُوتَ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ . فَقَالَ ﷺ : «إِنْ تَصْدُقِ اللَّهُ يَصْدُقَكَ» . فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَهْوَ هُوَ؟» قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ» . ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، فَكَانَ فِي مَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ : «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا ، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ» (١) .

يَا هَا مِنْ نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ! رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْهَدُ أَنَّكَ شَهِيدٌ! رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ .

(١) «صحيح النسائي» (ص ٤٢٠) ، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» .

١٢- شَجَاعَةُ شُهَدَاءِ يَوْمِ الرَّجِيعِ ﷺ :

وَصَلَّى إِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثْبِتُوا

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ - وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَذَا يُقَالُ لَهُمْ : بُنُو لَحْيَانَ ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ ، فَاقْتَصَّوْا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرِ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا : هَذَا تَمْرٌ يَثْرِبُ ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ ، فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوا إِلَى فَدَفِدٍ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ ، فَقَالُوا : لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا ، أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا ، فَقَالَ عَاصِمٌ : أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرٌ ، فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِثَاقَ ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ الَّذِي مَعَهُمَا : هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَاجَلُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ ، وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا ، حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ ، اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ ،

قَالَتْ : فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيِّ لِي ، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى آتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزَعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى ، فَقَالَ : أَنْخَشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَكَانَتْ تَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ حُبَيْبٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةً ، وَإِنَّهُ لَمَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقُ رَزَقَهُ اللَّهُ . فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي أَصِلِّي رَكَعَتَيْنِ . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ . فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرُّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، ثُمَّ قَالَ :

مَا أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقِّ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظِّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ ، فَحَمَتُهُ مِنْ رُسُلِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ^(١) .

أَحَبُّ الشُّهَدَاءِ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنَالُ بِهِمْ شَفَاعَةً
وَأَكْرَهُ مَنْ بَضَاعَتُهُ الْمَعَاصِي وَإِنْ كُنَّا سَوِيًّا فِي الْبِضَاعَةِ

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٨-٣٧٩) .

١٣- شَجَاعَةُ الْبَطْلِ الْفِدَائِيِّ الْانْعِمَاسِيِّ ، الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه ،
يَطْلُبُ أَنْ يَرْمُوهُ فِي حَدِيقَةِ الْعَدُوِّ لِكَيْ يَفْتَحَ بَابَهَا مِنَ الدَّاخِلِ :

لقد كانت بطولَةُ الْبَرَاءِ وشجاعَتُهُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ خَلِيقَةً بِهِ ، خَلِيقَةً بِالْبَطْلِ
الَّذِي كَانَ عُمَرُ الْفَارُوقُ رضي الله عنه يَكْتُبُ إِلَى أُمَرَاءِ الْجُيُوشِ : « لَا تَسْتَعْمِلُوا الْبَرَاءَ
عَلَى جَيْشٍ فَإِنَّهُ مَهْلَكَةٌ مِنَ الْمَهَالِكِ ، يَقْدُمُ بِهِمْ » ؛ لِأَنَّ جَسَارَتَهُ وَإِقْدَامَهُ وَبَحْثَهُ
عَنِ الْمَوْتِ ؛ كُلُّ هَذَا يَجْعَلُ قِيَادَتَهُ لِعَیْرِهِ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ مُحَاطَرَةً مُحْفُوفَةً بِالْهَلَاكِ .
كَانَ الْبَرَاءُ بِطَبِيعَتِهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ رضي الله عنه .

وَقَفَ الْبَرَاءُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ - وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْيَمَامَةِ ! - وَجُيُوشُ الْإِسْلَامِ
تَحْتَ إِمْرَةِ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه ، تَتَهَيَّأُ لِلنِّزَالِ ، وَنَادَى خَالِدٌ :
اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَانْطَلَقَتِ الصُّفُوفُ الْمَرْصُوفَةُ إِلَى مَقَادِيرِهَا ، وَانْطَلَقَ مَعَهَا الْأَسَدُ
الْمِغَوَارُ ، عَاشِقُ الشَّهَادَةِ : الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه .

كَانَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ جَمِيلَ الصَّوْتِ عَالِيهِ ، وَنَادَاهُ الْقَائِدُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه :
تَكَلَّمْ يَا بَرَاءُ . فَصَاحَ الْبَرَاءُ بِكَلِمَاتٍ تَنَاهَتْ فِي الْجَزَالَةِ وَالْقُوَّةِ : « يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ،
لَا مَدِينَةَ لَكُمْ الْيَوْمَ ، إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ ، وَالْجَنَّةُ » .

فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ لَجَأَ أَصْحَابُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَابِ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، وَغَلَّقُوا
عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، فَطَلَبَ الْبَطْلُ الْكَرَّارُ وَالْأَسَدُ الْمِغَوَارُ ، الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ
إِخْوَتِهِ أَنْ يَرْمُوهُ عَلَى جِدَارِ الْحَدِيقَةِ ؛ كَيْ يَقْتَحِمَ عَلَيْهِمْ فِيهَا ، فَيَفْتَحَ بَابَهَا
لِلْمُسْلِمِينَ .

رَوَى لَنَا الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ ذَلِكَ ، فَقَالَ : «ثُمَّ زَحَفَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَلْجَوْهُمْ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، حَدِيقَةِ الْمَوْتِ ، وَفِيهَا عَدُوُّ اللَّهِ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ ، فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَلْقُونِي عَلَيْهِمْ فِي الْحَدِيقَةِ . وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، اِرْمُونِي عَلَيْهِمْ فِي الْحَدِيقَةِ . فَقَالَ النَّاسُ : لَا تَفْعَلْ يَا بَرَاءُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتَطْرَحُنِي عَلَيْهِمْ فِيهَا ، فَاحْتُمِلَ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الْحَدِيقَةِ مِنَ الْجِدَارِ ، اقْتَحَمَ فَقَاتَلَهُمْ عَنْ بَابِ الْحَدِيقَةِ ، حَتَّى فَتَحَهَا لِلْمُسْلِمِينَ . وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ فِيهَا ، فَاقْتُلُوا حَتَّى قَتَلَ اللَّهُ مُسَيْلِمَةَ عَدُوَّ اللَّهِ ، وَكَانَ جُمْلَةً مَنِ قُتِلَ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ عَشْرَةَ آلَافٍ مُرْتَدًّا» ^(١) .

لِلَّهِ دَرْكٌ يَا بَرَاءُ!! تُقَاتِلُ آلَافَ الْمُرْتَدِّينَ بِمُفْرَدِكَ فِي حَدِيقَةِ الْمَوْتِ ، حَتَّى تَفْتَحَ بَابَهَا ، وَاللَّهِ مَا عَقِمَتْ أُمَّةٌ أَنْجَبَتْكَ .. جَعَلَتْ نَفْسَكَ رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهِيَ غَالِيَةٌ ؛ بَلْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ هِيَ أَعْلَى مِنْ آلَافِ نَفُوسٍ أَمْثَالِنَا .

وَقَدْ اشتهر أَنَّ الْبَرَاءَ قَتَلَ فِي حُرُوبِهِ مِئَةَ نَفْسٍ مِنَ الشُّجْعَانِ مُبَارَزَةً .

وَعَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا ، قَالَ : «كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ، ذِي طَمَرَيْنِ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّهُ ؛ مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» ^(٢) .

وَأَنَّ الْبَرَاءَ لَقِيَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَوْجَعَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا بَرَاءُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم قَالَ : «إِنَّكَ لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّكَ» ، فَأَقْسِمَ

(١) يُنْظَرُ : «تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ» (٣/ ٢٩٠) ، «الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ» (٢/ ٢٤٦) ، «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٧/ ١١-١٢) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٣/ ٢٩٢) ، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْإِسْتِيعَابِ» .

عَلَى رَبِّكَ . قَالَ : أُقْسِمُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَفَهُمْ ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .
وَمَنَحَهُمُ اللَّهُ أَكْتَفَهُمْ .

وَعِنْدَ الطَّبْرِيِّ : «اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ لَنَا ، وَاسْتُشْهِدْنِي» . وَكَانَ لَهُ مَا أَرَادَ .

قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ : زَعَمَ ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْبَرَاءِ وَهُوَ
يَتَغَنَّى وَيُرَنِّمُ قَوْسَهُ ، فَقُلْتُ : إِلَى مَتَى هَذَا؟ قَالَ : أَتُرَانِي أُمُوتُ عَلَى فِرَاشِي؟!
وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلْتُ بَضْعًا وَتِسْعِينَ ^(١) .

أُسْتُشْهِدَ الْبَطْلُ الْكَرَّارُ ، وَالْأَسَدُ الْمِغْوَارُ يَوْمَ فَتَحِ «تُسْتَر» سَنَةِ عِشْرِينَ
رَضِيَ اللَّهُ وَأَرْضَاهُ .

وَكَانَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه حَرِيصًا عَلَى الْجِهَادِ ، زَاهِدًا فِي الزَّعَامَةِ ، عَازِفًا
عَنْهَا . وَمَا فَعَلَهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه يَوْمَ الْيَمَامَةِ ، بِرَمِيهِ فِي حَدِيقَةِ الْعَدُوِّ
دَلِيلٌ مِنْ أَدْلَةٍ كَثِيرَةٍ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْعَمَلِيَّاتِ الْانْغِمَاسِيَّةِ ، الَّتِي تَذْهَبُ
بِنَفْسِ الْمُنْغَمَسِ ، وَتَحَقِّقُ النِّكَايَةَ .

ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ النَّحَّاسِ ^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ مَا فَعَلَهُ الْبَرَاءُ فِي حَدِيقَةِ الْمَوْتِ ، فَبَوَّبَ
لَهُ ، وَقَالَ : «فِي فَضْلِ انْغِمَاسِ الرَّجُلِ الشَّجِيعِ ، أَوِ الْجَمَاعَةِ الْقَلِيلَةِ فِي الْعَدُوِّ
الْكَثِيرِ ؛ رَغْبَةً فِي الشَّهَادَةِ ، وَنِكَايَةً فِي الْعَدُوِّ» .

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩١) .

(٢) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام» (ص ٨٧) .

مَنْ كَانَ يَرَى الْبِرَاءَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ يَرَى عَجَبًا يُفُوقُ عَجَبًا ، كَانَ مُجَاهِدًا بَطْلًا مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، مِنْ أَعَزِّ أَمَانِيهِ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يُبَالِي أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ ، أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ . لَقَدْ أَثَرَ الْبِرَاءُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، وَهَذِهِ هِيَ أَمْنِيَّةُ جَمِيعِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ . إِلَّا أَنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَشْهَدْ رِجَالًا عَقَدُوا عَزْمَهُمْ وَنَوَايَاهُمْ عَلَى غَايَةٍ تَنَاهَتْ فِي الْعَدَالَةِ وَالسُّمُوِّ ، ثُمَّ نَذَرُوا لَهَا حَيَاتَهُمْ عَلَى نَسَقٍ فِي الْجَسَارَةِ وَالتَّضْحِيَةِ وَالبَذْلِ ، كَمَا شَهِدَ فِي أَوْلَيْكَ الشُّجْعَانِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَوْتَيْتَ نَصْرًا يَا مُحَمَّدُ سَاطِعًا يَبْقَى عَلَى ظَلَمِ الْعُصُورِ سَنَاهُ
لَكَ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ بَأْسٌ لَمْ يَقُمْ فِي الْأَرْضِ دِينُكَ عَالِيًا لَوْلَاهُ
مَا تَنْقِضِي لِإِمَامٍ حَقَّ قُوَّةُ إِلَّا تَزِيدُ عَلَى الزَّمَانِ قُوَاهُ (١)

كَانَتْ كُلُّ أَمَانِي الْبِرَاءِ أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا فَوْقَ أَرْضِ مَعْرَكَةٍ مِنْ مَعَارِكِ الْحَقِّ وَالْإِسْلَامِ ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ أَمْنِيَّتَهُ ؛ إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ صَاغَهُمُ الْإِسْلَامُ ، وَرَبَّاهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ . رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْبِرَاءِ بْنِ مَالِكٍ وَأَرْضَاهُ ! وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ .

(١) قصيدة عبد الله بن جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ديوان : « حجة الإسلام » ، أحمد محرم ، (ص ١٥٠-١٥١) .

١٤- شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الْبَطْلِ أَبُو عَقِيلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه :
«أَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَا أُجِيبُهُ وَلَوْ حَبَوًّا»

بَدَوِيٍّ ، شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم .

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْلَمَ ^(١) ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَاصْطَفَى النَّاسُ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جُرِحَ أَبُو عَقِيلِ ^(٢) ، رُمِيَ بِسَهْمٍ فُوقَعَ بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ وَفُؤَادِهِ فِي غَيْرِ مَقْتَلٍ ، فَأَخْرَجَ السَّهْمَ وَوَهَنَ لَهُ شِقُّهُ الْأَيْسَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ ، وَجُرَّ إِلَى الرَّحْلِ . فَلَمَّا حَمِيَ الْقِتَالُ وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَجَاوَزُوا رِحَالَهُمْ - وَأَبُو عَقِيلٍ وَاهِنٌ مِنْ جُرْحِهِ - سَمِعَ مَعْنُ بْنُ عَدِي ^(٣) يَصِيحُ : يَا لَأَنْصَارِ ، اللَّهُ اللَّهُ ، وَالْكَرَّةَ عَلَى عَدُوِّكُمْ !! قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : فَتَهَضَّ أَبُو عَقِيلٍ يُرِيدُ قَوْمَهُ ، فَقُلْتُ : مَا تُرِيدُ؟ مَا فِيكَ قِتَالٌ . قَالَ : قَدْ نَوَّهَ الْمُنَادِي بِاسْمِي . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : قُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا يَقُولُ يَا لَأَنْصَارِ وَلَا يَعْنِي الْجَرَحَ . قَالَ أَبُو عَقِيلٍ : أَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَا أُجِيبُهُ وَلَوْ حَبَوًّا . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَتَحَزَّمَ أَبُو عَقِيلٍ وَأَخَذَ السَّيْفَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ جَعَلَ يُنَادِي : يَا لَأَنْصَارِ! كَرَّةً كَيَوْمِ حُنَيْنٍ ، فَاجْتَمِعُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ، تَقَدَّمُوا فَالْمُسْلِمُونَ دَرِيئَةٌ دُونَ عَدُوِّهِمْ . حَتَّى

(١) جعفر بن عبد الله بن أسلم ابن أخي زيد بن أسلم مولى عمر ، مقبول ، من السابعة . «التقريب» ص (٥٦) .

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة ، البلوي ، حليف بني جحجي ، من الأنصار ، وأبو عقيل ، بفتح العين مشهور بكنيته ، شهد بدرًا ، وهو صاحب الصاع الذي تصدق بنصف صاع . انظر : «الإصابة» : (٤٠٧/٢) ، و (١٣٦/٤) .

(٣) معن بن عدي بن الجد بن العجلان ، البلوي ، حليف الأنصار ، ذكره ابن إسحاق فيمن شهد أحداً ، فُقتل يوم اليمامة شهيداً . انظر : «الإصابة» : (٤٤٩/٣ - ٤٥٠) .

أَقَحَمُوا عَدُوَّهُمُ الْحَدِيقَةَ ، فَاخْتَلَطُوا وَاخْتَلَفَتِ السُّيُوفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَنَظَرْتُ إِلَى أَبِي عَقِيلٍ وَقَدْ قُطِعَتْ يَدُهُ الْمَجْرُوحَةَ مِنَ الْمِنْكَبِ ، فَوَقَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ ، وَبِهِ مِنَ الْجِرَاحِ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ جُرْحًا ، كُلُّهَا قَدْ خُلِصَتْ إِلَى مَقْتَلٍ ، وَقُتِلَ عَدُوُّ اللَّهِ مُسَيْلِمَةُ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَوَقَفْتُ عَلَى أَبِي عَقِيلٍ وَهُوَ صَرِيحٌ بِأَخْرِ رَمَقٍ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَقِيلٍ . قَالَ : لَيْتَكَ - بِلِسَانِ الْمُلْتَاثِ ^(١) - لِمَنْ الدَّبْرَةُ ^(٢) ؟ . قُلْتُ : أَبَشِرْ ، قَدْ قُتِلَ عَدُوُّ اللَّهِ . فَرَفَعَ إصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَحَمِدَ اللَّهَ . فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ بَعْدَ أَنْ قَدِمْتُ خَبْرَهُ كُلَّهُ ، فَقَالَ : «رَحِمَهُ اللَّهُ! مَا زَالَ يَسْعَى لِلشَّهَادَةِ وَيَطْلُبُهَا ، وَإِنْ كَانَ - مَا عَلِمْتُ - مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا ﷺ ، وَقَدِيمِ إِسْلَامِهِمْ» ^(٣) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَجْمَعِينَ .

(١) أي بطيء ، انظر : «الصحاح» : (٢٩١ / ١) .

(٢) الدبْرَةُ : الهزيمة في القتال ، يُقَالُ : «جعل الله عليهم الدبْرَةَ» : الهزيمة ، «وجعل الله لهم الدبْرَةَ» : الظفر والنُصْرَةُ بهزيمة غيرهم .

(٣) «صفة الصفوة» (٤٦٦ - ٤٦٧) ، «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» (٥٠٩ / ١) .

١٥ - شَجَاعَةُ حَامِلِ الْقُرْآنِ ، حَامِلُ رَايَةِ الْجِهَادِ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ :

«بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ إِذَا أَنَا» قَالَهَا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ : يَعْنِي إِنْ فَرَّ مِنْ سَاحَاتِ الْوَعْيِ وَمِيَادِينِ الْجِهَادِ ، وَنَقَوْهَا نَحْنُ بِمَلَأِ الْقَمَمِ :

سَيَأْخُذُ ثَارَ اللَّهِ أَنْصَارُ دِينِهِ فَلِلَّهِ أَوْسٌ آخِرُونَ وَخَزَرْجٌ

بِئْسَ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ نَحْنُ إِنْ قَبَلْنَا الذُّلَّ وَالْهَوَانَ ، وَهَزِيمَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ ، وَأَذْنَابِهِمُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَالْبَاطِنِيِّينَ ، وَالصَّفَوِيِّينَ .

هَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَامِلُ الْقُرْآنِ ، هَذَا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ (رضي الله عنه) :

«لَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ ، قَالَ : «مَا هَكَذَا كُنَّا نَفْعَلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَحَفَرَ لِنَفْسِهِ حُفْرَةً ، وَقَامَ فِيهَا ، وَمَعَهُ رَايَةُ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَئِذٍ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ (رضي الله عنه) يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيداً ، سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنه)» (١) .

اسْتُشْهِدَ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ بِالْيَمَامَةِ ، أَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَمِينِهِ ، فَقُطِعَتْ يَمِينُهُ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُ بِشِمَالِهِ ، فَقُطِعَتْ شِمَالُهُ ، ثُمَّ اعْتَنَقَ اللَّوَاءَ وَجَعَلَ يَقْرَأُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (٢) ، إِلَى أَنْ قُتِلَ (رضي الله عنه) (٣) .

(١) «طبقات ابن سعد» (٨٨/٣) ، «سير أعلام النبلاء» (١/١٦٩) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

(٣) «صفة الصفوة» (١/٢٣٨٤) .

لِلَّهِ دَرُّهُ!! كَانَ نَمُودَجًا رَائِعًا لِحَمَلَةِ الْقُرْآنِ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبُطُولَةِ ، سَطَّرَ
كَلِمَاتٍ نُورَانِيَّةٍ أَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ وَهُوَ يُقَاتِلُ الْمُرْتَدِّينَ ، يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :
«بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا لَوْ هُوَ جَمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِبَلِي» .

حَاشَاكَ ، ثُمَّ حَاشَاكَ ، بَلْ نِعَمَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنْتَ .

كَانَ سَيْفُكَ صَوًّا لَآ جَوًّا لَآ فِي أَعْنَاقِ الْمُرْتَدِّينَ ، الَّذِينَ هَبُّوا لِيُعِيدُوا
الْجَاهِلِيَّةَ ، وَيُطْفِئُوا نُورَ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الرَّدَّةِ عَلَى
يُمْنَاهُ فَبَتَرَهَا ، وَكَانَ يَحْمِلُ بِهَا رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ حَامِلُهَا
(زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ) ، وَلَمَّا رَأَى يُمْنَاهُ تَبَتَّرَ التَّقَطَّ الرَايَةَ بِشِمَالِهِ ، وَظَلَّ
يُلَوِّحُ بِهَا إِلَى أَعْلَى وَهُوَ يَصِيحُ تَالِيًا الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ : ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّجِيٍّ
قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا
أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) ، حَتَّى قُطِعَتْ شِمَالُهُ ، فَأَخَذَ الرَايَةَ
بِعُضْدَيْهِ ، وَثَبَّتَ بِهَا حَتَّى أَثَخَنَتْهُ الْجِرَاحُ ، وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مُضْرَجًا
بِدِمَائِهِ ، وَلَفِظَ آخِرَ أَنْفَاسِهِ ﷺ .

قَالَ عَنْهُ ﷺ : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ» ... هَذَا وَسَامٌ ،
بَلْ مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْسِمَةِ الَّتِي نَالَهَا سَالِمٌ مِنْ رُسُولِ اللَّهِ ﷺ (٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٦ .

(٢) «صحيح ابن ماجة» : (١١٠٨) ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ .

كَمْ مِنْ أَنْاسٍ أَحْيَاءُ تَمُوتُ الْقُلُوبُ بِرُؤْيَيْهِمْ ، وَأَنْاسٌ أَمُوتُ تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِمْ .

وَمِنْ سَادَاتِ مَنْ تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِمْ : الْإِمَامُ الشَّهِيدُ ، حَامِلُ الْقُرْآنِ ، حَامِلُ لِيَاءِ الْإِسْلَامِ ، الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ، الْبَدْرِيُّ ، الْمُهَاجِرِيُّ ، الْأَنْصَارِيُّ : سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

كَانَ سَالِمٌ شُجَاعاً مِقْدَاماً ، بَرَزَتْ شَجَاعَتُهُ بِوُضُوحِ يَوْمِ الْيَمَامَةِ ، وَأُعْطِيَ دَرْساً حَيّاً لِكُلِّ حَفْظَةِ الْقُرْآنِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَلَّا يَتْرُكُوا سَاحَاتِ الْوَعْيِ ، لِأَنَّ حَامِلَ الْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَقَامَ سَالِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحُجَّةَ عَلَيْنَا جَمِيعاً .

هَكَذَا فَهِمَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْجِهَادَ وَالشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَكْفِي الْجِهَادَ فَضْلاً تَمَنَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَّا يَقْعَدَ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَيَكْفِي الشَّهَادَةَ فَخْراً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَمَنَّاها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ» ^(١) .

وَقَالَ ﷺ : «مَوْفُ سَاعَةِ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ» ^(٢) .

(١) «صحيح البخاري» (١/٢٢-٣٦) ؟ .

(٢) صحيح ، رواه ابن حبان والبيهقي ، عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٣٦) .

وَقَالَ ﷺ : « قِيَامُ سَاعَةٍ فِي الصَّفِّ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ سِتِّينَ سَنَةً » (١) .

وَقَالَ ﷺ : « إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ » (٢) .

وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى .

لَقَدْ كَانَ حُبُّ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَيْدَنًا لِلصَّحَابَةِ ﷺ ؛ لِأَنَّهُمْ يَقْتَدُونَ بِسَيِّدِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ ، الَّذِي كَانَ يَتَمَنَّى أَلَّا يَقْعُدَ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَيَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﷺ .

سَارَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ النَّبَوِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ ، وَكَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ حَامِلُ الْقُرْآنِ ، وَبَطْلُ الْإِسْلَامِ ، الشَّهِيدُ الشُّجَاعُ (سَالِمٌ) هُوَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ الْأَفْذَادِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ .

الْأَنْصَارُ أَكْثَرُ النَّاسِ شَجَاعَةً ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ شَهِيدًا :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ : « مَا اسْتُلِّتِ السُّيُوفُ ، وَلَا زَحَفَتِ الزُّحُوفُ ، وَلَا أُقِيمَتِ الصُّفُوفُ ، حَتَّى أَسْلَمَ أَبْنَاءُ قَيْلَةٍ - يَعْنِي : الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ ، وَهُمَا الْأَنْصَارُ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنَ الْأَرْدِ » (٣) .

(١) صحيح أخرجه ابن عدي ، وابن عساكر عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٢٩) .

(٢) «صحيح مسلم» : (١٩٠٢) ، عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٣) «العقد الفريد» ، ابن عبد ربه (١/١١٨) .

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ قَتَادَةَ : « مَا نَعْلَمُ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيدًا ،
أَغْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ » . قَالَ قَتَادَةُ : وَحَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ
يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ ، وَيَوْمَ بَيْرُ مَعُونَةَ سَبْعُونَ ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ سَبْعُونَ . قَالَ : وَكَانَ
بَيْرُ مَعُونَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَوْمَ
مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ ^(١) .

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ ، وَيَوْمَ بَيْرُ مَعُونَةَ
سَبْعُونَ ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ سَبْعُونَ ، قَالَ : وَكَانَ بَيْرُ مَعُونَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَوْمَ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ .

١٦ - شَجَاعَةُ الْبَطْلِ الشَّهِيدِ عَامِرِ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

« لَهُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ » مَا أَعْظَمُهَا مِنْ شَهَادَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

وَهَذَا أَسَدٌ آخَرٌ مِنْ أَسَدِ الْإِسْلَامِ ، وَبَطْلٌ مِغَوَّارٌ ، عَرَفَتْهُ سَاحَاتُ الْوَعْيِ
وَهُوَ يُقَاتِلُ تَحْتَ رَايَةِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ ؛ إِنَّهُ : عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، عَمُّ سَلَمَةَ
بِْنِ الْأَكْوَعِ . كَانَ مُجَاهِدًا شُجَاعًا ، وَكَانَتْ شَجَاعَتُهُ مِلءَ كُلِّ عَيْنٍ ، وَأُذُنٍ ،
وَقَلْبٍ . إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ صَاغَهُمُ الْإِسْلَامُ ، وَرَبَّاهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ .
نِعَمَ الْقَائِدُ الْمُرَبِّي ! وَنِعَمَ الْجُنْدِيُّ الْفِدَائِيُّ الَّذِي يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَا ، وَشَهِدَ لَهُ خَيْرُ الْخَلْقِ ﷺ !

(١) «صحيح البخاري» : (٦٢٦٤) .

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا - وَذَكَرَ فِيهِ رُجُوعُهُمْ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي فِزَارَةَ ، قَالَ : فَلَمْ نَمُكُثْ إِلَّا ثَلَاثًا ، حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ ، قَالَ : وَخَرَجَ عَامِرٌ فَجَعَلَ يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ مِنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا قَيْنَا

قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ هَذَا الْقَائِلُ؟» ، فَقَالُوا : عَامِرٌ .
فَقَالَ ﷺ : «غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ» . قَالَ : وَمَا خَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ أَحَدًا
بِهِ إِلَّا أُسْتُشْهِدَ . فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ : لَوْلَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ . قَالَ :
قَدِمْنَا خَيْبَرَ ، فَخَرَجَ مَرْحَبٌ الْيَهُودِيُّ وَهُوَ يَخْطُرُ بِسَيْفِهِ ، وَيَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحَرْبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ : فَبَرَزَ لَهُ عَامِرٌ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُنَامِرُ

قَالَ : فَاخْتَلَفَا فِي ضَرْبَتَيْنِ ، فَوَقَعَ سَيْفٌ مَرَحَبٌ فِي تُرْسِ عَامِرٍ رضي الله عنه ، فَذَهَبَ يُسْفَلُ لَهُ ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ .

قَالَ سَلَمَةُ رضي الله عنه : فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليهم يَقُولُونَ : «بَطُلَ عُمَرُ عَامِرٍ ، قَتَلَ نَفْسَهُ» . قَالَ : فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليهم وَأَنَا أَبْكِي . فَقَالَ : «مَالِكَ؟» . فَقُلْتُ : قَالُوا إِنَّ عَامِرًا بَطُلَ عَمَلُهُ . فَقَالَ : «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟» . فَقُلْتُ : نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِكَ . فَقَالَ : «كَذَبَ أَوْلَيْكَ ؛ بَلْ لَهُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ» ^(١) .

هَنِيئًا لَكَ الشَّهَادَةُ يَا عَامِرُ ، وَلَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ ، كَمَا أَخْبَرْنَا أَصْدَقُ الْخَلْقِ صلوات الله عليهم ، وَهَذَا وَاللَّهِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ! مَا أَعْظَمُهَا مِنْ نِعْمَةٍ وَفَضْلِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ وَعَلَى شُهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِي فَضْلِ الشَّهِيدِ الْمَقْتُولِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! وَمِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ النِّعَمِ وَالْمَآثِرِ وَالْمَزَايَا : أَنَّهُ جَعَلَهُمْ أَحْيَاءَ عِنْدَهُ ، يَرْزُقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءُوا . قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ^(٢)

وَالشُّهَدَاءُ لَيَسُوا عَلَى رُتَبَةٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَ اللَّهِ ، فَهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْمَكَانَةِ ، وَمُتَفَاوِتُونَ فِي الْمَكَانِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ التَّفَاوُتِ هُوَ تَفَاوُثُهُمْ فِي دَرَجَاتِ إِخْلَاصِهِمْ ، وَسَمَاحَةِ أَنْفُسِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَتَفَاوُثُهُمْ فِي مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِسْتِشْهَادِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

(١) «صحيح البخاري» (٧/٤٦٣-٤٦٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٥٤ .

* مِنَ الشُّهَدَاءِ مَنْ تَكُونُ رُوحُهُ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ ، تَرَعَىٰ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ .

* مِنَ الشُّهَدَاءِ مَنْ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ يَشَاءُ .

* مِنَ الشُّهَدَاءِ مَنْ يَكُونُ عَلَىٰ أَسِرَّةٍ فِي الْجَنَّةِ .

* وَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الشُّهَدَاءِ .

رَوَىٰ مَالِكٌ وَابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعَصَعَةَ : أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَمْرَوَ بْنَ الْجُمُوحِ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيَّيْنِ أُسْتُشِهَدَا يَوْمَ أُحُدٍ ، فَوُضِعَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ .

وَفِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : جَاءَ السَّيْلُ فَأَخَذَ جُزْءًا مِنْ قَبْرَيْهِمَا ، فَحَفَرَ عَنْهُمَا لِیَغَيَّرَ مَكَانَهُمَا ، فَوُجِدَا لَمْ يَتَغَيَّرَا كَأَنَّمَا مَاتَا بِالْأَمْسِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ جُرِحَ فَوُضِعَ يَدُهُ عَلَىٰ جُرْحِهِ ، فَدُفِنَ وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَأُمِيطَتْ يَدُهُ عَنْ جُرْحِهِ ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ ، فَرَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ (٤٨٩) .

اللَّهُ أَكْبَرُ!! هَؤُلَاءِ هُمُ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، هَنِيئًا لَهُمْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَهَنِيئًا لَشُهَدَاءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ .

وما أروع ما كتب ابن المبارك إلى الفضيل بن عياض :

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا	لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلَعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ	فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلُهُ فِي بَاطِلٍ	فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ غَيْرُنَا	وَهَجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالٍ نَبِينَا	قَوْلُ صَحِيحٍ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ
لَا يَسْتَوِي غُبَارُ أَهْلِ اللَّهِ فِي	أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا	لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ ^(١)

هَنِيئًا لَكَ يَا عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ! عِشْتَ حَمِيدًا، وَمِتَّ شَهِيدًا، وَتَكَحَّلْتَ
عَيْنَكَ بِرُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَعَنْ أَصْحَابِ
مُحَمَّدٍ ﷺ أَجْمَعِينَ.

(١) «تاريخ دمشق»، ابن عساكر (٤٤١/٣٢).

١٧- نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ، خَطِيبُ الْأَنْصَارِ وَالْبَطْلُ الْكَرَّارُ ، يُقَاتِلُ بِكَفَنِهِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ ﷺ : «نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ» (١) .

وَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «يَا ثَابِتُ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا ، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا ، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ ؟!» (٢) .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ انْهَزَمَ النَّاسُ ، فَقَالَ ثَابِتُ : أَفٍّ لِهَؤُلَاءِ وَمَا يُعْبُدُونَ وَأَفٍّ لِهَؤُلَاءِ وَلَمَّا يَصْنَعُونَ! يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ خَلُّوا سُنِّي لَعَلِّي أُصَلِّي بِحَرِّهَا سَاعَةً ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى ثَلَمَةٍ فَقَتَلَهُ وَقَتِلَ! .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : أَتَيْتُ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَهُوَ يَتَحَنَّنُ ، فَقُلْتُ : أَيَّ عَمٍّ ، أَلَا تَرَى مَا لَقِيَ النَّاسُ ؟ ، فَقَالَ : الْآنَ يَا ابْنَ أَخِي .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : جِئْتُهُ وَهُوَ يَتَحَنَّنُ (٣) ، فَقُلْتُ : أَلَا تَرَى ؟ ، فَقَالَ : الْآنَ يَا ابْنَ أَخِي . ثُمَّ أَقْبَلَ ، فَقَالَ : هَكَذَا عَنْ وُجُوهِنا نُقَارِعُ الْقَوْمَ ، بِسِّ مَا عَوَّدْتُمْ أَقْرَانَكُمْ ، مَا هَكَذَا كُنَّا نُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ﷺ (٤) .

(١) «سنن الترمذي» ، حديث حسن ، الحاكم ، وصحَّحه الذهبي .

(٢) أخرجه الحاكم ، وصحَّحه . ووافقه الذهبي .

(٣) الحنوط : هو ما يحنط من الطيب للموتى خاصة ، لتوطين النفوس على الموت ، وتصميم العزم على نيل الشهادة .

(٤) «صحيح البخاري» : (٤ / ٢٧ / ٢٨٤٥) .

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً : « أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ جَاءَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَقَدْ تَحَنَّطَ وَلَبَسَ ثَوْبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ فَكَفَّنَ فِيهِمَا ، وَقَدْ انْهَزَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أBRَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ ، وَاعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ صَنِيعِ هَؤُلَاءِ . بِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَقْرَانُكُمْ ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَاعَةً ، فَحَمَلَ حَتَّى قُتِلَ ﷺ . »

لِلَّهِ دَرْكٌ يَا ثَابِتُ مِنْ فَارِسٍ مَغَوَّارٍ ، وَبَطْلٍ كَرَّارٍ ، تَلْبَسُ الْكَفْنَ بِبُطُولَةٍ وَفِدَائِيَّةٍ ، غَيْرُكَ مِنْ أَقْرَامِ عَصْرِنَا أَوْلَى بِلبسِ الْكَفَنِ مِنَ الْأَمْوَاتِ ذُلًّا وَخِزْيًا وَهَوَانًا .

١٨ - شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ﷺ :

« ادْفَعُوا إِلَيَّ اللِّوَاءَ فَإِنِّي لَا أَفِرُّ » :

عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَلَى عَلَيْهِ : « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ » ^(١) ، فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِئُهَا عَلَيْهِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ . وَكَانَ أَعْمَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَفَخِذَهُ عَلَى فَخِذِي ، فَثَقُلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِي ، ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « غَيْرُ أَوْلَى الضَّرَرِ » ^(٢) .

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ٩٥ .

(٢) « صحيح البخاري » : (٤٥٩٢ / ٤٧ / ٦) .

وَكَانَ ﷺ - بَعْدُ - يَغْزُو ، وَيَقُولُ : ادْفَعُوا إِلَيَّ اللَّوَاءَ فَإِنِّي أَعْمَى لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفِرَّ ، وَأَقِيمُونِي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ» ^(١) .

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَائِدَةَ ^(٢) كَانَ يُقَاتِلُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ لَهُ ، حَصِينَةٌ سَابِغَةٌ ^(٣) .

وَعَنْ عَطِيَّةِ بْنِ أَبِي عَطِيَّةٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ : أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ﷺ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ سَابِغَةٌ يُجْرُّهَا فِي الصَّفِّ فِي مِيدَانِ الْجِهَادِ ^(٤) .

وَحَمَلَ اللَّوَاءَ فِيهَا وَاسْتُشْهِدَ ﷺ يَوْمَ غَشِيَتُهُ الرِّمَاحُ ، فَلَمْ تُصَادِفْ مُوَلِّيًّا ، وَلَا فَرَّارًا وَلَا مُعْطِيًّا دُبْرَهُ لِلْقِتَالِ .

هَذَا أَبْصَرُ مِنْ قَوْمِنَا ، مَنْ عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُمْ ، أَمَّا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّا نَرَاهُ :

كَالضَّوءِ يَشْرِي فِي مُحَاجِرِنَا فَلَا تَرَاهُ غَيُورُ الْأَجْلَفِ الْقَالِي

لِلَّهِ دُرُّكَ يَا مُؤَذِّنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَشْهَدُ الْوَعْيُ وَطَعَنَ الرِّمَاحُ وَالْأَسِنَّةُ ، فْتُمْسِكُ بِالرَّايَةِ وَأَنْتَ أَعْمَى ! ، مِنْ أَيِّ طِينَةٍ طَاهِرَةٍ عَطِرَةٍ كُنْتُمْ ؟ ! ، وَفِي أَيِّ أَرْحَامٍ حُمِلْتُمْ ؟ ! ، وَمِنْ أَيِّ أَصْلَابٍ خَرَجْتُمْ ؟ ! .

لَكَأَنَّكُمْ أَتَيْتُمْ إِلَيْنَا مِنْ عَوَالِمِ عُلوِيَّةٍ ، غَيْرِ عَالَمِنَا هَذَا !!

(١) «طبقات ابن سعد» (١/٤) .

(٢) هو ابن أم مكتوم .

(٣) «طبقات ابن سعد» (١/٤-١٥٤) .

(٤) «الجهاد» ، ابن مبارك (ص ١١٩) .

فَالْقَادِسِيَّةُ مَا يَزَالُ حَدِيثُهَا عِبْرٌ تُضِيءُ بِأَرْوَاحِ الْأَمْثَالِ
تَحْكِي مَفَاخِرَنَا وَتَذْكُرُ مَجْدَنَا فَتُجِيبُهَا حِطَّائِنُ بِالْمِنْوَالِ
صَفَحَاتٌ مَجْدٌ فِي الْعُلَى سَطَّرُوهَا تَأَقَّ الزَّمَانُ لَهَا بِغَيْرِ جِدَالِ

أَيُّنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِبَسْطَةٍ فِي الْجِسْمِ ، وَقُوَّةٍ فِي الْبَدَنِ ، وَهُمْ يَرَوْنَ
قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى أَيْدِي الْيَهُودِ وَالصَّلِيبِيِّينَ وَالصَّفَوِيِّينَ ، وَاللَّهِ
إِنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى ، وَعَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ الْأَعْرَجَ ، وَأَبَا أَيُّوبَ ابْنَ
الْثَّمَانِينَ حُجَّةً عَلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَبِي أَيُّوبَ ، وَعَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَجْمَعِينَ .

١٩ - شِجَاعَةُ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، شَهِيدُ الْيَرْمُوكِ ﷺ :

«مَنْ يُبَايِعَ عَلَى الْمَوْتِ» ، قَاتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ،
وَأَفِرُّ مِنْكُمْ الْيَوْمَ؟!»

وَكَانَ مِنْ نَحِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لِعِكْرِمَةَ عِنْدَ إِسْلَامِهِ : «مَرَحَبًا بِالرَّاكِبِ
الْمُهَاجِرِ» .

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : كَانَ مُحَمَّدٌ الْبَلَاءُ فِي الْإِسْلَامِ ﷺ .

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ السَّبْعِيُّ: نَزَلَ عِكْرِمَةُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، فَوَجَدُوا بِهِ بَضْعًا وَسَبْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ وَضَرْبَةٍ.

عِكْرِمَةُ رضي الله عنه يُسَلِّمُ عَامَ الْفَتْحِ، وَشَعَرَ بِمَا فَاتَهُ مِنْ سَابِقَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ: وَالَّذِي نَجَّانِي يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَدْعُ نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ أضعافها في سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا قِتَالًا قَاتَلْتُهُ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا قَاتَلْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. وَيَبْرُ بِقَسَمِهِ، فَمَا خَاضَ الْمُسْلِمُونَ مَعْرَكَةً بَعْدَ إِسْلَامِهِ إِلَّا خَاضَهَا مَعَهُمْ، وَلَا خَرَجُوا إِلَّا كَانَ مَعَهُمْ.

وَفِي يَوْمِ الْيَرْمُوكِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْيَرْمُوكِ؟. أَقْبَلَ عِكْرِمَةُ عَلَى الْقِتَالِ إِقْبَالَ الظَّامِ عَلَى الْمَاءِ الْبَارِدِ فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ. لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْيَرْمُوكِ، تَقَدَّمَ خَالِدٌ إِلَى عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَالْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو أَنْ يُنْشِئَا الْقِتَالَ، فَبَادَرَا يَرْتَجِزَانِ، وَدَعَوَا إِلَى الْبِرَازِ، وَتَنَازَلَ الْأَبْطَالُ وَتَجَادَلُوا، وَحَمِيَ وَطِيسُ الْحَرْبِ، وَقَامَتْ عَلَى سَاقٍ، فَتَادَى عِكْرِمَةُ: «قَاتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، وَأَفَرُّ مِنْكُمْ الْيَوْمَ؟! مَنْ يُبَايِعُ عَلَى الْمَوْتِ؟». فَبَايَعَهُ أَرْبَعُمِائَةٍ مِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَفُرْسَانِهِمْ. بَايَعَهُ عُمُّهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَريِّ، فَاسْتَبَسَلُوا وَقَاتَلُوا قُدَّامَ فُسْطَاطِ خَالِدٍ، حَتَّى أَثْبِتُوا جَمِيعًا جِرَاحًا، وَأُتِيَ خَالِدٌ بِعِكْرِمَةَ جَرِيحًا، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى فِخْذِهِ، وَبَعَمْرٍو بْنُ عِكْرِمَةَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاقِهِ، وَجَعَلَ يَمَسْحُ عَنْ وَجْهَيْهِمَا، وَيُقَطِّرُ الْمَاءَ فِي حَلْقَيْهِمَا ^(١).

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢٤).

بَذَلَ النَّفْسَ فِدَاءً وَرَضِيَ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ

فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ شَهِيدِ الْيَرْمُوكِ عِكْرِمَةَ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ ابْنُ كَثِيرٍ : « يُقَالُ : إِنَّهُ لَا يُعْرِفُ لَهُ ذَنْبٌ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ » (١) .

فبادِرْ أخِي قَبْلَ الْعَوَاتِقِ ، وَاسْتَدْرِكْ مَا فَاتَ ، فَلَعَلَّكَ بِالْأَخْيَارِ لَاحِقٌ إِنْ كُنْتَ عَلَى طَرِيقِهِمْ ، فَمَا أَسْرَعَ اللَّحَاقُ بِهِمْ !

٢٠- شَجَاعَةُ شَيْخِ الْمُجَاهِدِينَ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّهِيدُ
الْبَطْلُ الْمَدْفُونُ تَحْتَ أَسْوَارِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ :

إِسْمُهُ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كُلَيْبِ بْنِ النَّجَّارِ ، مِنْ السَّابِقِينَ ، رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ ، وَبَدْرًا ، وَمَا بَعْدَهَا ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى بَنَى بُيُوتَهُ وَمَسْجِدَهُ ، وَآخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَشَهِدَ الْفُتُوحَ ، وَدَاوَمَ الْغُرُورَ ، وَلَزِمَ أَبْوَابَ الْجِهَادِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِلَى أَنْ تُوُفِيَ فِي غَزْوَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ سَنَةَ ٥٠ هـ (٢) .

رَفَعَ اللَّهُ فِي الْخَافِقِينَ ذِكْرَهُ ، وَأَعْلَى فِي الْأَنَامِ قَدْرَهُ ؛ حِينَ اخْتَارَ بَيْتَهُ مِنْ دُونِ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا لِيُنْزَلَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ ، لَمَّا حَلَّ فِي الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا ، وَحَسَبُهُ بِذَلِكَ فَخْرًا .

(١) «البداية والنهاية» (١١/٧) .

(٢) «الإصابة» (٢/٢٣٥) .

أَمَّا فِي شَيْخُوخَتِهِ فَقَدْ كَانَ عَجَبًا؛ فَقَدْ كَانَتْ آخِرَ غَزَوَاتِهِ حِينَ جَهَّزَ مُعَاوِيَةَ جَيْشًا بِقِيَادَةِ ابْنِهِ «يَزِيد» لِفَتْحِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ آنَذَاكَ شَيْخًا طَاعِنًا فِي السِّنِّ يَحْبُو نَحْوَ الثَّمَانِينَ مِنْ عُمرِهِ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ مِنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، لَكِنَّهُ لَمْ يَمُضِ غَيْرَ قَلِيلٍ عَلَى مُنَازَلَةِ الْعَدُوِّ حَتَّى مَرِضَ أَبُو أَيُّوبَ مَرَضًا أَقْعَدَهُ، فَاتَاهُفَ يَزِيدُ يَعُوْذُهُ، فَقَالَ: حَاجَّتُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا أَنَا مِتُّ فَارْكَبْ بِي، ثُمَّ تَبَيَّغْ^(١) بِي فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مَا وَجَدْتَ مَسَاغًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَادْفِنْنِي ثُمَّ ارْجِعْ. فَلَمَّا مَاتَ رَكَبَ بِهِ، ثُمَّ سَارَ بِهِ، ثُمَّ دَفَنَهُ، وَكَانَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾^(٢) لَا أَجِدُنِي إِلَّا خَفِيفًا أَوْ ثَقِيلًا.

وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، قَالَ: أَغْزَى أَبُو أَيُّوبَ فَمَرِضَ، فَقَالَ: إِذَا مِتُّ فَاحْمِلُونِي، فَإِذَا صَافَقْتُمُ الْعَدُوَّ فَارْمُونِي تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، أَمَّا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُذْفَنُ عِنْدَ أَسْوَارِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ»^(٣).

يَالَهُ مِنْ شَوْقٍ عَارِمٍ إِلَى الْجِهَادِ، لَا يُحَدِّدُهُ حَدٌّ! . فَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ السَّيِّدِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ، الْمَدْفُونِ تَحْتَ أَسْوَارِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَكَانَ شِعَارُهُ الَّذِي يُرَدِّدُهُ دَائِمًا - فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ - فِي جَهْرِهِ وَإِسْرَارِهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾^(٤).

(١) تَبَيَّغَ بِهِ الدَّمُ: أَيِ تَرَدَّدَ فِيهِ، ثُمَّ تَبَيَّغَ بِي: أَدْخَلَ فِيهَا مَا وَجَدْتَ مَدْخَلًا.

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ، جُزْءٌ مِنَ الْآيَةِ: ٤١.

(٣) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ»، (٣/ ٤٨٤-٤٨٥).

(٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ، جُزْءٌ مِنَ الْآيَةِ: ٤١.

إِنَّ النُّفُوسَ إِذَا سَمِعَتْ وَتَهَذَّبَتْ وَتَوَجَّهَتْ تَعْلُو إِلَى جَنَاتِهَا

وَعَزُّوا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ يُعَدُّ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ؛ حَيْثُ أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ،
كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أُمِّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «... أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ
مَغْفُورٌ لَهُمْ» (١) .

وَقَدْ اشْتَرَكَ فِي غَزْوِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَدَدٌ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ طَلَبًا
لِلْمَغْفِرَةِ الَّتِي بَشَّرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ . مِنْهُمْ : ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَابْنُ
الزُّبَيْرِ ، وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ . رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا .

وَفِي قَلْبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - وَهِيَ الْيَوْمَ «إِسْتَانْبُول» وَالصَّحِيحُ «إِسْلَامْبُول» - ،
تَرَى جُثْمَانَ شَيْخِ الْمَجَاهِدِينَ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ، وَالشَّهِيدِ الْبَطْلِ ، أَبُو أَيُّوبَ
الْأَنْصَارِيِّ .

وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ يَعْمَرَ الْإِسْلَامُ تِلْكَ الْبِقَاعَ كَانَ أَهْلُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنَ الرُّومِ
يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ فِي قَبْرِهِ نَظَرَاتِهِمْ إِلَى رَجُلٍ عَظِيمٍ ، مُلِيَ شَجَاعَةً وَإِقْدَامًا .
كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤْمِنُ بِالنَّصْرِ ، وَكَانَ يَرَى بِنُورِ بَصِيرَتِهِ هَذِهِ الْبِقَاعَ ، وَقَدْ أَخَذَتْ
مَكَانَهَا بَيْنَ وَاحَاتِ الْإِسْلَامِ ، وَدَخَلَتْ مَجَالَ نُورِهِ وَضِيَائِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَثْوَاهُ
الْأَخِيرُ فِي عَاصِمَةِ تِلْكَ الْبِلَادِ ؛ حَيْثُ سَتَكُونُ الْمَعْرَكَةُ الْأَخِيرَةُ الْفَاصِلَةُ .

(١) «صحيح البخاري» مع «الفتح» (٦/ ١٢٠) .

لَلَّهِ دُرُّكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ! أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِأَنْ جَعَلَ بَيْتَكَ مِنْ دُونِ يَثُوبَ
الْمُسْلِمِينَ لِيَنْزِلَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ ، وَنِلْتَ شَرَفَ الصُّحْبَةِ ، وَهَذَا شَرَفٌ مَا بَعْدَهُ
شَرَفٌ ، وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ شَرَفَ الْجِهَادِ تَحْتَ لَوَاءِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ ﷺ .

وَحَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى حَيَاتَكَ بِالشَّهَادَةِ ؛ فَالشَّهَادَةُ نِعْمَةٌ وَاصْطِفَاءٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَمْنَحُ هَذَا الْفَضْلَ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، وَلِلشَّهْدَاءِ
عِنْدَ اللَّهِ مَنَزَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالنَّاسُ يَحْسَبُونَهُمْ أَمْوَاتًا : ﴿ وَلَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا
ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ ﴾ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (١) .

إِنَّهُمْ يَتَسَاءَلُونَ عَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ ؛ بَلْ إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الرَّجْعَةَ
إِلَى دَارِ الدُّنْيَا ، لَا شَوْقًا إِلَى حُطَامِهَا وَمَتَاعِهَا الْفَانِي ؛ بَلْ لِيُقْتَلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ مَرَّةً أُخْرَى .

وَالشَّهَادَةُ رُبَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَمَنَزَلَةٌ سَامِيَةٌ لَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَلَا
يَنَالُهَا إِلَّا مَنْ سَبَقَ لَهُ الْقَدَرُ بِالْفُوزِ الْمُقِيمِ .

وَالشَّهْدَاءُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١﴾ .

يَقُولُ سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ عِزُّ الدِّينِ بَنُ عَبْدِ السَّلَامِ عَنِ الشُّهَدَاءِ : « أَحْيَا
الْقَتْلَى فِيهِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ ، وَعَوَّضَهُمْ عَنْ حَيَاتِهِمُ الَّتِي بَذَلُوهَا لِأَجَلِهِ بِحَيَاةِ
سَرْمَدِيَّةٍ ، لَا يَصِفُهَا الْوَاصِفُونَ ، وَلَا يَعْرِفُهَا الْعَارِفُونَ . وَكَذَلِكَ لَمَّا فَارَقُوا
الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ أَسْكَنَهُمْ فِي جَوَارِهِ ، وَأَنَسَهُمْ بِقُرْبِهِ بَدَلًا مِنْ أَنَسِ مَنْ فَارَقُوهُ
مِنْ أَحِبَّائِهِمْ لِأَجَلِهِ . فَطُوبَى لِمَنْ حَصَلَ عَلَى هَذَا الْأَجَرِ الْجَزِيلِ فِي جَوَارِ
الرَّبِّ الْجَلِيلِ !! » (٢) .

وُطُوبَى لَكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ ! وَطُوبَى لِشُهَدَاءِ أُمَّتِنَا عَلَى مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَالرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ .

رَحِمَ اللَّهُ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ ، فَقَدْ أَبَى إِلَّا أَنْ يَمُوتَ عَلَى ظُهُورِ الْجِيَادِ
الصَّافِنَاتِ (٣) غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَسِنَّهُ تَقَارَبَ الثَّمَانِينَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ
صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ .

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٩ .

(٢) « أحكام الجهاد وفضائله » ، الإمام العز بن عبد السلام (ص ٥٣) .

(٣) الجياد الصافنات : الجياد التي تقف على ثلاث وترفع الرابعة ، وهي صفة من صفات الجياد الكريمة .

٢١- شَجَاعَةُ أَبِي دُجَانَةَ رضي الله عنه أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم سَيْفَهُ ، وَآثَرُهُ بِهِ عَلَى شُيُوخِ الْمُهَاجِرِينَ وَفُرْسَانِ الْأَنْصَارِ :

أَبُو دُجَانَةَ - صَاحِبُ عِصَابَةِ الْمَوْتِ - ؛ كَانَ يَتَبَخَّرُ عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَكَانَ يَغْدِلُ أَلْفَ فَارِسٍ .

وَهَذَا بَطْلٌ آخَرُ مِنْ أَبْطَالِ الصَّحَابَةِ - وَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ شُجْعَانٌ وَأَبْطَالٌ - هُوَ أَبُو دُجَانَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ . كَانَ رَجُلًا شُجَاعًا ، مَهِيًا ، مَشْهُورًا ، يَخْتَالُ وَيَتَبَخَّرُ فِي مِشْيَتِهِ عِنْدَ الْحَرْبِ ، شُجَاعٌ مَغَوَّارٌ لَا يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ ، فَقَالَ : «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا» ، فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ : أَنَا .. أَنَا . قَالَ : «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» ، قَالَ : فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ أَبُو دُجَانَةَ : أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ ، قَالَ : فَأَخْذَهُ ، فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ» ^(١) .

تَلَقَّ أَبُو دُجَانَةَ بِالْيَمِينِ حُسَامَكَ مِنْ يَدِ الْهَادِي الْأَمِينِ
وَأَخْذَهُ بِحَقِّهِ فِي غَيْرِ لَيْنٍ لَتَنْصُرَ فِي الْكَرِيمَةِ خَيْرَ دِينِ
تَرَفُّ عَلَى الدُّنَا ظِلًّا ظَلِيلًا

نَصِيبُكَ نِلْتَهُ مِنْ فَضْلِ رَبِّ قَضَاهُ لِصَادِقِ النَّجْدَاتِ ضَرْبُ
تَخَطَّى الْقَوْمَ مِنْ آلٍ وَصَحْبٍ فَكَانَ عَلَيْكَ عَضْبًا فَوْقَ عَضْبٍ

تَبَخَّرَ وَامْضِ مَسْنُونًا صَقِيلًا

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمَعَنَ فِي النَّاسِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : « حَدَّثَنِي وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ
قَالَ : وَجَدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ فَمَنْعَنِيهِ
وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ ، وَقُلْتُ : أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتُهُ وَمِنْ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ قُتِمْتُ
إِلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ ، فَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ ، وَتَرَكَنِي ! وَاللَّهِ لَأَنْظُرَنَّ مَا
يَصْنَعُ ، فَاتَّبَعْتُهُ ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حُمْرَاءَ ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، فَقَالَتْ
الْأَنْصَارُ : أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ . وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا
تَعَصَّبَ . فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَنَا لَا أَقُومُ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ ^(١) أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ، وَكَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ جَرِيحًا إِلَّا
ذَفَفَ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ كُلُّ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا

(١) الْكَيْوَلُ : مُؤَخَّرُ الصَّفُوفِ .

فالتقيا فاختلعا ضربتَيْنِ ، فَضْرَبَ الْمُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ ، فَاتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ ، فَعَضَّتْ بِسَيْفِهِ وَضْرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ» (١) .

اللَّهُ أَكْبَرُ ! لِلَّهِ دُرُّكَ يَا أَبَا دُجَانَةَ ! يَا صَاحِبَ الْمَقَامَاتِ الْمُحْمُودَةِ فِي مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَا صَاحِبَ عِصَابَةِ الْمَوْتِ ، وَتَحْتَالُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، يَا مَنْ لَا تَقُومُ الدَّهْرُ فِي الْكَيْوَلِ ؛ بَلْ تَفْلِقُ هَامَ الْمُشْرِكِينَ .

إِنَّ اخْتِيَارَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي دُجَانَةَ وَإِعْطَاءَهُ السَّيْفَ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ يُدَلُّ عَلَى خَيْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ بِالرَّجَالِ ، وَمَعْرِفَتُهُ كَيْفَ يَخْتَارُ الْأَكْفَاءَ فِي الْمَوَاطِنِ الْحَرِجَةِ ، وَالسَّاعَاتِ الدَّقِيقَةِ مِنَ الْمَعَارِكِ الْفَاصِلَةِ .

وَيَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ أُحُدٍ ! كَانَ أَبُو دُجَانَةَ الرُّكْنَ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الْمَعْرَكَةِ بَعْدَ حَمْزَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ أَبْلَى يَوْمَ أُحُدٍ بَلَاءً عَظِيمًا ، فَكَانَ يَوْمَ أُحُدٍ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ ، وَقَدْ كَانَ لِبَسَالَتِهِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي انْدِحَارِ الْمُشْرِكِينَ فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنَ الْمَعْرَكَةِ .

تَرِيسُ أَبِي دُجَانَةَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ يَوْمَ أُحُدٍ :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : «وَتَرَسَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ ، وَيَقَعُ النَّبْلُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَهُوَ مُنَحْنٍ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ» (٢) . وَفِي رَوَايَةِ أُخْرَى : «وَهُوَ لَا يَتَحَرَّكُ» (٣) .

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ١٧-١٨) .

(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣٠) ، «تاريخ الإسلام» ، «المغازي» للذهبي ، (ص ١٧٤-١٧٥) .

(٣) «جوامع السيرة» لابن حزم (ص ١٦٢) .

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ نِبَالَ الْمُشْرِكِينَ الْمُصَوَّبَةَ نَحَوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ تَقَعُ فِي ظَهْرِ أَبِي دُجَانَةَ الْبَطْلِ الْمَغَوَارِ ، وَهُوَ مُسَوِّرٌ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ لَا يَأْبُهُ لَهَا مَعَ أَنَّهَا تُغَرِّزُ فِي ظَهْرِهِ بِكَثْرَةِ ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الْمُؤَرِّخِينَ شَبَّهَ ظَهَرَ أَبِي دُجَانَةَ - لِكَثْرَةِ السَّهَامِ الْمَرْوَعَةِ فِيهِ سَاعَةً وَقُوفِهِ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِظَهْرِ الْقَنْفَذِ . لِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ فِي أَبِي دُجَانَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

سَلِمَتْ يَدَاكَ أَبَا دُجَانَةَ مِنْ فَتَى وَسُمِ الْمَنِيَّةُ مِنْ حِلَى صِمْصَامِهِ
أَحْسَنْتَ ذَبْحَ الْمُشْرِكِينَ فَأَشْبَهُوا مَا يَذْبَحُ الْجَزَّازُ مِنْ أَنْعَامِهِ

أَبُو دُجَانَةَ : « أَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً »

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قِدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ : « كَانَ بَطْلًا شَجَاعًا ، بُهْمَةً ^(١) مِنَ الْبُهَمِ ، لَهُ الْمَقَامَاتُ الْمَحْمُودَةُ فِي مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ يَمْشِي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ سَجِيَّةً » ^(٢) .

يَقُولُ أَبُو دُجَانَةَ الشُّجَاعُ الْمَغَوَّارُ ، الَّذِي لَا يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ : « رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ إِنْسَانًا يُحْمَسُ النَّاسَ حِمَاسًا شَدِيدًا ، فَصَمَدْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلَوْلَ - أَي : صَاحَ صَيْحَةَ الْفَزَعِ - ، فَإِذَا امْرَأَةٌ ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً . وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، ثُمَّ عَدَلَ عَنْهَا » ^(٣) .

(١) البهمة : البطل الشجاع ، وقيل : البهمة هو : الفارس الذي لا يُدْرَى من أين يُؤْتَى له من شدة بأسه . وهي صفة مدح .

(٢) « الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار » ، لابن قدامة المقدسي (ص ١٠١) .

(٣) « موسوعة الغزوات الكبرى » ، باشميل ، (ص ١١١-١١٢) .

هُم مُرَادُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدُوا ، مَنَارَاتٌ فِي سَمَاءِ الْهُدَى ، هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى طَرِيقِ الْجِهَادِ وَمَنْ عَلَيْهِمُ بِالشَّهَادَةِ .

أَبُو دُجَانَةَ شَهِيداً فِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ :

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : رَمَى أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ إِلَى دَاخِلِ الْحَدِيقَةِ ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ ، فَقَاتَلَ وَهُوَ مَكْسُورِ الرَّجْلِ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) .

شَهِدَ أَبُو دُجَانَةَ مَعْرَكَةَ الْيَمَامَةِ ، وَأَبْلَى فِيهَا أَحْسَنَ بَلَاءٍ وَأَكْرَمَهُ ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ الْمُرتَدِّينَ بِسَيْفِهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَيُعَانِقُ الرَّجُلَ فَيَصْرَعُهُ ، وَمَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ حَتَّى أَفْرَجُوا عَنْهُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الْمُسْلِمِينَ : إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ! فَكُرُّوا عَلَيْهِ ، فَدَفَعُوا بَنِي حَنِيفَةَ حَتَّى أَلْجَوْهُمْ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، فَدَخَلُوا فِيهَا ، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ رضي الله عنه : اِحْمِلُونِي فَأَلْقُونِي عَلَيْهِمْ حَتَّى أَشْغَلَهُمْ عَنْكُمْ . فَأَلْقَوْهُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ انْكَسَرَتْ رِجْلُهُ ، فَضَارَبَهُمْ حَتَّى فَتَحَ الْبَابَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً يَوْمَئِذٍ .

وَقَدْ شَارَكَ فِي قَتْلِ مُسَيِّلِمَةَ الْكَذَّابِ مَعَ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبِ الَّذِي رَمَاهُ بِالْحَرْبَةِ ، وَقَدْ عَلَاهُ أَبُو دُجَانَةَ بِالسَّيْفِ . قَالَ وَحْشِيٌّ : فَرُبُّكَ يَعْلَمُ إِنَّا قَتَلَهُ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَبَا دُجَانَةَ ، تِلْكَ شَجَاعَةٌ فَدَّةٌ ، وَبُطُولَةٌ نَادِرَةٌ ، وَإِقْدَامٌ لَا يَتَكَرَّرُ إِلَّا قَلِيلاً . كَانَ شُجَاعاً مُقْدِماً ، وَمُجَاهِداً بَطَلاً مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، بَرَزَتْ شَجَاعَتُهُ بِوُضُوحٍ فِي سَاحَاتِ الْوَعْغَى .

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٤٥٢) ، «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٤٤) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَا صَاحِبَ عِصَابَةِ الْمَوْتِ ، يَا مُرْعَبَ الْكُفَّارِ ، يَا عَاشِقَ الشَّهَادَةِ . لِلَّهِ دُرُّكَ ! عِشْتَ حَمِيداً ، وَمِتَّ شَهِيداً . رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَبَا دُجَانَةَ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ .

٢٢- شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ الْخَزْرَجِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

البَطْلُ الْفِدَائِيُّ الشَّهِيدُ ، قَائِدُ سَرِيَّةِ اغْتِيَالِ عَدُوِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ شَيْطَانِ الْيَهُودِ «سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ» :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ الْخَزْرَجِيُّ ، الْقَائِدُ الْبَطْلُ ، قَائِدُ السَّرِيَّةِ الَّتِي قَتَلَتْ عَدُوَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ «سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ» فِي عُقْرِ دَارِهِ .

تَعَقَّبَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ قَضَائِهِمْ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِسَبَبِ غَدْرِهِمْ كُلِّ مَنْ عُرِفَ بِعَدَاوَتِهِ لِلْإِسْلَامِ ، وَكَانَ «أَبُو رَافِعٍ سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ» عَلَى رَأْسِ الْيَهُودِ الَّذِينَ آذَوْا الْمُسْلِمِينَ ؛ فَقَدْ أَعَانَ غُطْفَانَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ بِأَمْوَالِ الْكَثِيرِ لِيُحَارِبُوا النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَانَ مِنْ زُعَمَاءِ الْيَهُودِ الْبَارِزِينَ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ لِلْقَضَاءِ عَلَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَتْبَاعِهَا . لَقَدْ بَلَغَتْ الْمُنَافَسَةُ بَيْنَ قَبِيلَتِي الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَنَّ إِحْدَاهُمَا كَانَتْ إِذَا قَامَتْ بِعَمَلٍ يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ سَارَعَتْ الْأُخْرَى بِفِعْلٍ يُشْبِهُهُ .

كَانَ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ أَحَدَ أَرْكَانِ تِلْكَ الْمُؤَامَرَةِ الدَّنِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَهْدِفُ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالتِّي شَرَعَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ فِي تَنْفِيزِهَا عِنْدَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَوْجُوداً فِي دِيَارِهِمْ .

وَانْتَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَمْسَةَ مِنَ الْفِدَائِيِّينَ الْأَنْصَارِ - وَكُلُّهُمْ مِنَ الْخَزَرَجِ -
لِقَتْلِ أَبِي رَافِعٍ ؛ وَهُمْ :

١ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ .

٢ - مَسْعُودُ بْنُ سِنَان .

٣ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْس .

٤ - أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعِي .

٥ - خُزَاعِيُّ بْنُ أَسْوَد .

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي
رَافِعِ الْيَهُودِيِّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ ، وَكَانَ أَبُو
رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ ،
فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرَحِهِمْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
لِأَصْحَابِهِ : اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ ، وَتَلَطَّفُ لِلْبَوَّابِ ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ ،
فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً ، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ ،
فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ
الْبَابَ ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَعَالِيقَ عَلَى
وَتْدٍ ، قَالَ : فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسَمِّرُ
عِنْدَهُ ، وَكَانَ فِي عِلَالِي لَهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ ، فَجَعَلْتُ

كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ ، قُلْتُ : إِنَّ الْقَوْمَ نَذَرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسَطَ عِيَالِهِ ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا رَافِعٍ ، قَالَ : مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهْشُ ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا ، وَصَاحَ ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ ، فَأَمُكْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ : لِأُمِّكَ الْوَيْلُ ، إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلَ السَّيْفِ ، قَالَ : فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثَخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلَهُ ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظَبَّةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي ، وَأَنَا أَرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمَرَةٍ ، فَاِنْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ ، فَقُلْتُ : لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ : أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ ، فَقَالَ : أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ . فَاِنْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَقُلْتُ : النَّجَاءُ ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ . فَاَنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ ، فَقَالَ : «إِبْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا ، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتِكْهَا قَطُّ» (١) .

وفي رواية : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَى الْفِدَائِيَّينَ عَائِدِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ : «أَفَلَحَتِ الْوُجُوهُ» . فَقَالُوا : وَجْهَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ» (٢) .

(١) «صحيح البخاري» (٣/ ١١٠١) ، (٢٨٦٠) .

(٢) «طبقات ابن سعد» .

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَهُوَ يَذْكُرُ قَتْلَ رُؤُوسِ التَّائِمِرِ : كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ،
وَسَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ :

لِلَّهِ دُرٌّ عَصَابَةٌ لَا قِيَتَهُمْ يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفٍ
حَتَّى آتَوْكُمْ فِي حُلٍّ بِلَادِكُمْ فَسَقُوكُمْ حَتْفًا بَيْضٍ دُقْفٍ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينَ نَبِيِّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحَفٍ ^(١)

وَبِمَقْتَلِ أَبِي رَافِعِ دَبَّ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِ يَهُودِ خَيْبَرَ ، وَزَالَتْ عَنْ طَرِيقِ
الْإِسْلَامِ عَقَبَةٌ كَأَدَاءِ طَالِمَا آذَتْ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ مَقْتَلُهُ كَتَمِهِدٍ لِفَتْحِ خَيْبَرَ .
لَقَدْ حَقَّقَ الْاِغْتِيَالُ هَدَفَهُ حِينَ أُحْكِمَتْ خُطَّتُهُ ، وَنُفِّذَتْ تَمَامُ التَّنْفِيزِ .

وَمُهْمَّتُنَا نَحْنُ الْيَوْمَ أَنْ نُنَقِّنَ هَذَا الْفَنَّ ، وَنُحْكِمَهُ ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ
تُنْهِي رُؤُوسَ الْكُفْرِ مِنَ الْيَهُودِ وَالصَّلِيبِيِّينَ وَالْبَاطِنِيِّينَ وَالرَّوَافِضِ الصَّفَوِيِّينَ ،
وَكُلَّ عَدُوٍّ لِلْإِسْلَامِ وَلِلْمُسْلِمِينَ . وَالْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ
إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ الْفِدَائِيَّةِ فِي مُحَارَبَةِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَلَقَدْ
رَأَيْنَا الصَّحَابِيَّ الْبَطْلَ الْفِدَائِيَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ رضي الله عنه يَقُومُ بِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ
الْفِدَائِيَّةِ الصَّخْمَةِ ، وَيَنَالُ أَكْبَرَ رَأْسٍ مِنْ رُؤُوسِ الْيَهُودِ ، وَيَزِفُّ الْبُشْرَى إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، إِنَّهَا أُمُوتُهُ خَالِدَةٌ يُسَطَّرُهَا لَنَا تَارِيخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم ،
نَضْعُهَا بَيْنَ يَدَيِ الْمُجَاهِدِينَ نُمُودَجًا حَيًّا لِتَنْفِيزِ الْمِهْمَّاتِ الْمَوْكَلَةِ إِلَيْهِمْ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ بْنُ حَبْرٍ الْعَسْكَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَوَائِدَ عَدِيدَةٍ لِهَذِهِ السَّرِيَّةِ الْفِدَائِيَّةِ الَّتِي حَقَّقَهَا الصَّحَابِيُّ الْبَطْلُ الْمُغَوَّازُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ ؛ نَذْكُرُ مِنْهَا :

- ١ - جَوَازُ اغْتِيَالِ الْمُشْرِكِ الَّذِي بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ وَأَصَرَّ عَلَى الشُّرْكِ .
- ٢ - قَتْلُ مَنْ أَعَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ لِسَانِهِ .
- ٣ - جَوَازُ التَّجَسُّسِ عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ وَتَطَلُّبِ غِرَّتِهِمْ .
- ٤ - الْأَخْذُ بِالشَّدَّةِ فِي مُحَارَبَةِ الْمُشْرِكِينَ .
- ٥ - جَوَازُ إِيهَامِ الْقَوْلِ لِلْمَصْلَحَةِ .
- ٦ - تَعَرُّضُ الْقَلِيلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .
- ٧ - الْحُكْمُ بِالذَّلِيلِ وَالْعَلَاقَةِ ؛ لِاسْتِدْلَالِ ابْنِ عَتِيكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَبِي رَافِعٍ بِصَوْتِهِ ، وَاعْتِمَادِهِ عَلَى صَوْتِ النَّاعِي بِمَوْتِهِ .
- ٨ - جَوَازُ قَتْلِ الْمُشْرِكِ النَّائِمِ ؛ لِأَنَّ الصَّحَابِيَّ طَلَبَ قَتْلَ أَبِي رَافِعٍ وَهُوَ نَائِمٌ ، وَإِنَّمَا نَادَاهُ لِيَتَحَقَّقَ أَنَّهُ هُوَ لَيْثًا يَقْتُلُ غَيْرَهُ مِمَّنْ لَا غَرَضَ لَهُ إِذْ ذَاكَ فِي قَتْلِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَجَابَهُ كَانَ فِي حُكْمِ النَّائِمِ ؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ اسْتَمَرَّ عَلَى خَيَالِ نَوْمِهِ ؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَهُ لَمْ يَقُمْ مِنْ مَكَانِهِ وَلَا تَحَوَّلَ مِنْ مَضْجَعِهِ حَتَّى عَادَ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ ^(١) .
- ٩ - جَوَازُ قَتْلِ الْمُشْرِكِ بِغَيْرِ دَعْوَةٍ إِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ قَبْلَ ذَلِكَ ^(٢) .

(١) «فتح الباري» (٤٩٦/٦) .

(٢) «فتح الباري» (٤٩٦/٦) .

١٠ - فائدة لغة العدو : فقد استطاع عبد الله بن عتيك أن يصعد إلى حصن أبي رافع وأن يخاطب إمرأته ، وأن يدخل بيته مطمئناً ؛ لأنه خاطبه بلغته لغة اليهود في ذلك الوقت ، «ويؤخذ من ذلك استحباب تعلم لغة غير المسلمين ، لا سيما الأعداء منهم ، وخاصة لأولئك العسكريين الذين يذهبون لمهمات استطلاعية تجمع أخبار العدو ، وتزوّد القيادة بها ، والقيادة ترسم^(١) .

١١ - عناية الله عز وجل بأوليائه المؤمنين ، فهذا الصحابي الجليل استمر - بعون من الله تعالى - يمشي ويبدل طاقته ، حتى بعد أن أصيبت رجله ، وكأنه لا يشكو من علة ، حتى إذا انتهت مهمته وأصبح غير محتاج لبذل الجهد عاد إليه الألم ، وحمله أصحابه ، فلمّا حدث النبي ﷺ خبره قال له : «إنسبط رجلك» ، قال : فبسطت رجلي فكانها لم أشتكها قط .

١٢ - إن كل أعضاء هذه السرية كانوا من الخزرج ، فقد حرصوا على أن ينافسوا إخوانهم من الأوس الذين قتلوا كعب بن الأشرف ؛ فقد كانوا كفرسي رهان في المسابقة في الخيرات ؛ فهم لا يتنافسون على إغتنام مظاهر الحياة الدنيا من المال والمناصب ، وإنما يتنافسون في الفوز بمرضاة النبي ﷺ التي مألها رضوان الله تعالى والمفازة الأخروية .

(١) «السيرة النبوية» ، الصلابي (٢/ ١٠٢٣) .

١٣ - إِيْلَاصُ الْغَايَةِ لِلّٰهِ : لَقَدْ رَأَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ يَقُومُ بِكُلِّ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ الضَّخْمَةِ وَيَبْذُلُ جَهْدًا جَسَدِيًّا ، وَجَهْدًا عَبْرِيًّا مُفَكِّرًا ، وَيَنَالُ أَكْبَرَ رَأْسٍ مِنْ رُؤُوسِ الطُّغَاةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَأْتِي لِيَقُولَ لِإِخْوَانِهِ : النَّجَاءُ ! فَقَدْ قَتَلَ اللَّهَ أَبَا رَافِعٍ ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ : النَّجَاءُ فَقَدْ قَتَلْتُ أَبَا رَافِعٍ . إِنَّ عَظْمَةَ الْعُبُودِيَّةِ لِلّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ أَنْ لَا يُنْسَبَ الْقَتْلُ إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَطَّطَ وَنَفَّذَ ، وَتَأَكَّدَ مِنْ نَجَاحِ مَهْمَّتِهِ ، وَأُصِيبَتْ رِجْلُهُ . نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ النَّمَاذِجِ الَّتِي تُخْلِصُ الْغَايَةَ لِلّٰهِ ، وَنُحَسِّنُ الْوَسِيلَةَ وَنُحْكِمُهَا ، وَنُهَيِّئُ لَهَا وَسَائِلَهَا ؛ لِيُتَاحَ لَنَا النَّصْرُ عَلَى أَعْدَائِنَا . وَلَا حَرَجَ عِنْدُنَا فِي التَّنَافُسِ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَقْتُلْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ رَجُلًا عَادِيًّا ؛ بَلْ قَتَلَ رَأْسًا مِنْ رُؤُوسِ الطُّغَاةِ . وَنَوَدُّ أَنْ لَا يَدْفَعَنَا التَّنَافُسُ إِلَى الْفَتَكِ فَقَطْ ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ طَاعِيَةٍ جَبَّارٍ عَنِيدٍ يُكَافِئُ الْجَهْدَ الْمَبْذُولَ لِذَلِكَ ^(١) ، أَمْثَالَ : رُؤُوسِ الْيَهُودِ وَالصَّلِيبِيِّينَ وَالْبَاطِنِيِّينَ الصَّفَوِيِّينَ فِي عَصْرِنَا هَذَا ، الَّذِينَ اسْتَبَاحُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ .

١٤ - حَقَّقَ الْاِغْتِيَالَ هَدَفَهُ بِالْقَضَاءِ عَلَى التَّحْرُكِ الْيَهُودِيِّ الْمُعَادِي لِلْمُسْلِمِينَ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ ، وَخَفَّتْ الْأَصْوَاتُ الْإِعْلَامِيَّةُ الْيَهُودِيَّةُ الْمُعَادِيَّةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ . إِنَّ حَرْبَ الرُّعْبِ حَرْبُ إِسْلَامِيَّةٍ ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ : «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» ^(٢) .

(١) «المنهج الحركي للسيرة النبوية» (ص ٣٥٧) .

(٢) «صحيح البخاري» (١/ ٣٢٦ ، ٤٢٧) ، «صحيح مسلم» (١/ ٥٢١) .

١٥ - إِدْخَالُ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْيَهُودِ ، فَعَرَفُوا أَنَّ يَدَ الْمُسْلِمِينَ تَطُولُهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ وَتَجْتَنُّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَحْضَانِ نِسَائِهِمْ ، وَتَجْتَأَلُهُمْ مِنْ مَنِيْعِ حُصُونِهِمْ .

١٦ - وَمِنْ الْفَوَائِدِ الْعَظِيمَةِ لِهَذِهِ السَّرِّيَةِ الْفِدَائِيَّةِ : أَنَّهُ يُوجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ حَشْدَ طَاقَاتِهَا وَكُلِّ مَا تَمْلِكُ وَتَسْتَطِيعُ مِنْ قُوَّةٍ لِقِتَالِ أَعْدَائِهَا ؛ فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ إِعْدَادُ فِرْقٍ جِهَادِيَّةٍ مُدْرَبَةٍ تَدْرِبُ عَسْكَرِيًّا مُبْنِيًّا عَلَى الْإِيْمَانِ الْكَامِلِ ، وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ ؛ لِلْقَضَاءِ عَلَى رُؤُوسِ الْفِتْنَةِ وَالضَّلَالِ ، الَّذِينَ يُهَدِّدُونَ شُعُوبَهُمْ بِالْقَضَاءِ عَلَى دِينِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ ، وَاغْتِصَابِ أَمْوَالِهِمْ ، وَانْتِهَاكِ أَعْرَاضِهِمْ . وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَاسْتَطَاعُوا أَنْ يُرْهِبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَا خَضَعُوهُمْ لِحُكْمِ اللَّهِ ، كَمَا أَخَضَعَ السَّلَفُ الصَّالِحُ أَعْدَاءَهُمْ بِذَلِكَ الْإِيْمَانِ الْعَمِيقِ ؛ وَذَلِكَ التَّدْرِيْبُ الْمُتَوَاصِلُ ، وَذَلِكَ الْجِهَادُ الَّذِي أَعْلَى رَايَةِ الْإِسْلَامِ وَحَطَمَ أَعْمِدَةَ رَايَاتِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

إِسْتِشْهَادُ الْفِدَائِيِّ الْبَاطِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ :

أُسْتُشْهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ (ع) ، بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَبَيْنَ الْمُرْتَدِّينَ بِقِيَادَةِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ، مِنْ سَنَةِ (١٢هـ) ، فَاسْتُشْهِدَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلًا . وَقِيلَ : اسْتُشْهِدَ مِنَ الصَّحَابَةِ سِتُّ مِئَةٍ نَفْسٍ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ أَحَدَ الشُّهَدَاءِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ الشُّهَدَاءِ خَمْسُونَ أَوْ ثَلَاثُونَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ (١) .

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» (١/ ٨٠) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ! يَا قَاتِلَ عَدُوِّ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ، يَا مُرْعِبَ الْيَهُودِ . وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَجْمَعِينَ .

٢٣- شَجَاعَةُ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ الْبَدْرِيُّ - شَهِيدُ الْبَحْرِ - «لَصُوتُ
أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ» :

بَطَلَ شُجَاعٌ ، وَفَارِسٌ مَغَوَّارٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالصَّحَابَةُ
كُلُّهُمْ شُجْعَانٌ أَفْذَاذٌ ؛ هُمُ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَقَطَعُوا
أَسْبَابَ التَّعَلُّقِ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَكَانَ الْاِقْتِحَامُ ، وَكَانَتِ الشَّهَادَةُ ، وَكَانَ
الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ . وَهَكَذَا أَمْرُ الْعَاقِلِ اللَّيِّبِ ، لَا يَبِيعُ الْيَاقُوتَ بِالْحَصَى ، وَلَا
يَرَى لِنَفْسِهِ ثَمَنًا إِلَّا الْجَنَّةَ .. إِنَّهُ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : «لَصُوتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ» (١) .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَصُوتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي
الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ فِئَةٍ» (٢) .

يَرْبِّكَ قُلْ لِي : إِنْ كَانَ هَذَا حَالُ صَوْتِهِ ، فَكَيْفَ زَنْدُهُ ، وَنَبْلُهُ ، وَسَيْفُهُ
وَرُمْحُهُ !!؟

(١) صحيح ، رواه الحاكم وابن عساكر ، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» ، رقم (١٢٧٥) ، و«صحيح
الجامع» (٥٠٨١) .

(٢) صحيح ، رواه أحمد والحاكم وابن عساكر ، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٨١) .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ كَانَ يَرْمِي بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكَانَ رَجُلًا رَامِيًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَمَى طَلْحَةَ رَفَعَ بَصَرَهُ يَنْظُرُ أَيْنَ يَقَعُ سَهْمُهُ . وَكَانَ يَدْفَعُ صَدْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَكَذَا لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ ^(١) .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ : عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُجُوبًا عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ ، وَكَانَ رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، وَكَانَ الرَّجُلُ يُمِرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ التَّبَلِ فَيَقُولُ ﷺ : «أُنْثَرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ» ثُمَّ يُشْرِفُ إِلَى الْقَوْمِ ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، بِأَبِي أَنْتَ ، لَا تُشْرِفْ لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ ^(٢) .

وَكَانَ إِذَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ جَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : نَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءُ ، وَوَجْهِي لَوَجْهِكَ الْوَقَاءُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ : «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ» . فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا ، وَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ» ^(٣) .

وَفِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ عَكَفَ عَلَى الْقُرْآنِ ، وَبَيْنَا هُوَ يَقْرَأُ فِي «بَرَاءة» قَوْلَ اللَّهِ : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٨٦-٢٨٧) ، وابن سعد (٣/٥٠٦) ، وإسناده صحيح .

(٢) «صحيح البخاري» (٧/٣٦١) ، (٤٠٦٤) ، «صحيح مسلم» (٣/١٤٤٣) ، (١٨١١) .

(٣) إسناده صحيح ، ورواه أبو داود والدارمي ، وصحَّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ قَالَ لِأَبْنَائِهِ : جَهِّزُونِي . قَالُوا : نَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ ، قَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ قَدْ غَزَوْتَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ الْآنَ . قَالَ : أَيُّ بَنِيَّ ! وَاللَّهِ مَا أَرَى إِلَّا أَنَّ اللَّهَ اسْتَنْفَرَنَا شُيُوخًا وَشَبَابًا ، فَجَهِّزُونِي .

يُشَبِّهُ الرَّعْدَ إِذَا الرَّعْدُ رَجَفَ يُشَبِّهُ الْبَرْقَ إِذَا الْبَرْقُ خَطَفَ

جَهَّزُوهُ وَغَزَا فِي الْبَحْرِ وَمَاتَ فِيهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً لِيَدْفِنُوهُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَوْ تِسْعَةٍ ، لَمْ يَتَغَيَّرْ ﷺ (٢) .

لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ شَخْصًا نَاطِقًا أَتْنِي عَلَيْهِ بَنْثَرُهُ وَقَصِيدِهِ
أَوْ كَانَ لَيْلًا كَانَ لَيْلُهُ قَدْرُهُ أَوْ كَانَ يَوْمًا كَانَ يَوْمِي عِيدِهِ

وَفِي عَرْضِ الْبَحْرِ بَعِيدًا عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ ، نَائِيًا عَنِ الْعَشِيرِ وَالسَّكَنِ ، دُفِنَ أَبُو طَلْحَةَ ﷺ .

وَمَاذَا يُضِيرُهُ بَعْدَهُ عَنِ النَّاسِ ، مَا دَامَ قَرِيبًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أبا طَلْحَةَ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَجْمَعِينَ .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤١ .

(٢) إسناده صحيح ، «طبقات ابن سعد» ، من طريق عفان بن مسلم ، «سير أعلام النبلاء» ، (٢/ ٣٤) .

المَبَحْثُ الثَّالِثُ

أَهْمُ الْحَقَائِقِ وَالتَّائِجِ

مِنْ جِهَادِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

كَانَ عَدَدُ قَادَةِ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ
قَائِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ ، قَادُوا سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ
سَرِيَّةً مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ، مِنْهُمْ مَنْ قَادَ سَرِيَّةً
وَاحِدَةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَادَ أَكْثَرَ مِنْ سَرِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي
أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ . لَقَدْ تَمَتَّعَ هَؤُلَاءِ الْقَادَةُ بِكِفَايَاتٍ قِيَادِيَّةٍ
مُتَمَيِّزَةٍ . وَأَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى هَذَا : تِلْكَ الْإِنْتِصَارَاتُ
الْبَاهِرَةُ عَلَى أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ، الْمُتَفَوِّقِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
عَدَدًا وَعُدَّةً فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ خَاصُّوْهَا .

لَقَدْ كَانَتْ الشَّجَاعَةُ الْفَائِقَةُ هِيَ الْقَاسِمُ الْمَشْتَرِكُ
بَيْنَ مَزَايَا قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ إِحْدَى الْمَزَايَا
الْوَاجِبِ تَوْفُّرِهَا فِي الْكِفَايَةِ الْقِيَادِيَّةِ ، وَالذَّلِيلُ الْقَاطِعُ
عَلَى الشَّجَاعَةِ الْفَائِقَةِ لِقَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ :

الحَقِيقَةُ الْأُولَى

حَقِيقَةٌ فَرِيدَةٌ مَا جَاءَ التَّارِخُ بِهَا أَبَدًا إِلَّا لَهَوْلَاءِ الْقَادَةِ ، قَادَةُ الْجَيْلِ الْقُرْآنِيِّ الْفَرِيدِ ، هَذِهِ الْحَقِيقَةُ : أَنَّ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ قَائِدًا مِنْهُمْ قَضَى نَحْبَهُ شَهِيدًا ، وَخَمْسَةٌ عَشَرَ قَائِدًا مِنْهُمْ مَاتَ عَلَى فَرَاشِهِ ؛ أَيِ إِنَّ سِتِّينَ بِالْمِئَةِ (٦٠٪) مِنَ الْقَادَةِ اسْتُشْهِدُوا ، وَأَرْبَعِينَ بِالْمِئَةِ (٤٠٪) مِنْهُمْ مَاتُوا خَارِجَ سَاحَةِ الْقِتَالِ مِنْ مَجْمُوعِ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ قَائِدًا .

وَلَا تُوجَدُ فِي تَارِيخِ الْحُرُوبِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ نِسْبَةٌ عَالِيَةٌ مِنَ الشُّهَدَاءِ فِي الْقَادَةِ كِنِسْبَةِ الشُّهَدَاءِ فِي قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَالْخَسَائِرُ فِي الْقَادَةِ اعْتِيَادِيًّا أَقْلٌ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَسَائِرِ فِي غَيْرِ الْقَادَةِ مِنَ الْجُنُودِ ، وَضَبَاطِ الصَّفِّ وَالضُّبَّاطِ ، وَقَدْ لَا تَكُونُ وَاحِدًا بِالْمِئَةِ (١٪) فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ ، وَفِي أَعْلَى تَقْدِيرٍ .

وَهُنَالِكَ عِدَّةٌ أَسْبَابٍ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الشُّهَدَاءِ بَيْنَ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ أَهْمُّهَا :

أَوَّلًا : الشَّجَاعَةُ الْفَائِقَةُ الَّتِي تَمَتَّعَ بِهَا الصَّحَابَةُ الْأَبْطَالُ ؛ فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ كَانُوا مُجَاهِدِينَ ، وَشُجْعَانًا وَأَفْذَادًا مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، تَرَبَّوْا عَلَى عَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ ، وَأَشْجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشَدَّ مِنَ الْحَقِّ فِي الشَّدَّةِ . كَانَتْ حَيَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ صَلِيلِ السُّيُوفِ ، وَصَهِيلِ الْخَيُْولِ ، وَخَفَقِ الْبُؤُودِ ، وَصِيَاكِ الْفُرْسَانِ ، وَدَوِيِّ التَّكْبِيرِ ، مَا عَرَفُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ، فَتَالُوا بِسَنَامِ الْإِسْلَامِ حَيَاةَ الشُّهَدَاءِ .

ثانياً : الإِيْمَانُ الْعَمِيقُ وَالْعَقِيدَةُ الرَّاسِخَةُ وَالتَّوْحِيدُ الْخَالِصُ . فَالصَّحَابَةُ الْكَرَامُ عَاشُوا حَيَاتَهُمْ مُوَحِّدِينَ مِنْ أَجْلِ الْجِهَادِ ، وَمُجَاهِدِينَ مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ ، وَلَيْسَ كَالْتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ حَافِزٌ مِنْ حَوَافِزِ الْإِقْدَامِ وَالِاسْتِيقْتَالِ فِي طَلَبِ الشَّهَادَةِ تَخَلُّصاً مِنَ الْحَيَاةِ الْمُؤَقَّتَةِ لِلْأَحْيَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْخَالِدَةِ لِلشَّهَدَاءِ .

ثالثاً : حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى طَلَبِ الشَّهَادَةِ وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ نَيْلُ الشَّهَادَةِ ، لَا يُبَالُونَ أَوْقَعُوا عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِمْ ، مَا دَامَ جِهَادُهُمْ خَالِصاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمِنْ أَجْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ . كَانَتْ كُلُّ أَمَانِيهِمْ أَنْ يَمُوتُوا شُهَدَاءَ فَوْقَ أَرْضِ مَعْرَكَةٍ مُجِيدَةٍ مِنْ مَعَارِكِ الْإِسْلَامِ ، شَوْقاً لِلشَّهَادَةِ . وَقَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ هُمْ سَادَاتُ الْمُجَاهِدِينَ الصَّادِقِينَ .

رابعاً : أَنَّ إِرْتِفَاعَ نِسْبَةِ الشَّهَدَاءِ فِي قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُودُونَ رِجَالَهُمْ مِنَ الْأَمَامِ ، يَقُولُونَ لَهُمْ : اتَّبِعُونَا ، وَيَضْرِبُونَ لَهُمْ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ أَرْوَغَ الْأَمْثَالِ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَأْثِرُونَ دُونَ رِجَالِهِمْ بِمَوَاطِنِ الْخَطَرِ ، وَيُؤَثِّرُونَهُمْ بِمَوَاطِنِ الْأَمْنِ . وَهَكَذَا يَكُونُ الْقَادَةُ الَّذِينَ يُحْوزُونَ عَلَى ثِقَةِ رِجَالِهِمْ عَنْ جِدَارَةِ وَاسْتِحْقَاقٍ . وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أُولَئِكَ الْقَادَةَ لَمْ يَكُونُوا يَقُودُونَ رِجَالَهُمْ مِنَ الْخَلْفِ : أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا لِرِجَالِهِمْ : تَقَدَّمُوا . ثُمَّ يَبْقُونَ قَابِعِينَ فِي مَوَاقِعَ أَمِينَةٍ ؛ كَمَا يَفْعَلُ الْقَادَةُ الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ مَصَالِحَهُمْ الذَّاتِيَّةَ عَلَى مَصَالِحِ رِجَالِهِمْ وَمَصْلَحَةِ أُمَّتِهِمُ الْعُلْيَا .

الحَقِيقَةُ الثَّانِيَّةُ

أَعَجَبُ مِنَ الْحَقِيقَةِ الْأُولَى وَأَغْرَبُ ، وَهِيَ : أَنَّ قَادَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، الْمُتَمَيِّزِينَ بِالشَّجَاعَةِ (الفَائِقَةِ) اسْتَشْهَدُوا فِي سَاحَةِ الْجِهَادِ ، وَالْقَادَةُ الْمُتَمَيِّزِينَ مِنْهُمْ بِالشَّجَاعَةِ (النَّادِرَةِ) مَاتُوا فِي بُيُوتِهِمْ عَلَى فُرُشِهِمْ .

هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الثَّانِيَّةُ : اسْتَشْهَدَ الْقَادَةُ الشُّجْعَانُ ، وَمَاتَ الْقَادَةُ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ شَجَاعَةً وَإِفْدَامًا .

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الشَّجَاعَةَ مِنَ الْمَزَايَا الْمَعْنَوِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ ؛ فَالشُّجَاعُ وَالْأَشْجَعُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَثْبُتُ بِالْقِتَالِ . وَقَدْ كَانَتْ بُطُولَاتُ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِينَ مَاتُوا فِي بُيُوتِهِمْ بِأَجَالِهِمِ وَالَّتِي أَثْبَتُوهَا بِالْقِتَالِ رَفِيعَةَ الْمُسْتَوَى ، مُتَمَيِّزَةً عَنِ سَائِرِ الْبُطُولَاتِ ؛ لِذَلِكَ وَصِفَتْ شَجَاعَةُ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّهَا شَجَاعَةٌ فَائِقَةٌ .

وَلَكِنِّي وَصَفْتُ شَجَاعَةَ الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ بِأَجَالِهِمْ بِأَنَّهَا شَجَاعَةٌ نَادِرَةٌ ، تُمَيِّزُهَا لِدَرَجَتِهَا الرَّفِيعَةِ عَنِ دَرَجَةِ الشَّجَاعَةِ الْفَائِقَةِ ؛ فَكُلُّ شَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ شَجَاعَةٌ فَائِقَةٌ ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ شَجَاعَةٍ فَائِقَةٍ شَجَاعَةً نَادِرَةً .

وَهَدَفِي مِنْ إِبْرَازِ الْحَقِيقَةِ الثَّانِيَّةِ هُوَ لِإِثْبَاتِ أَنَّ الْجُبْنَ لَا يُحْيِي ، وَالشَّجَاعَةُ لَا تُمِيتُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ : ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١)

لَقَدْ مَاتَ خَمْسَةُ عَشَرَ قَائِدًا مِنْ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ - كَمَا ذَكَرْنَا - فِي بُيُوتِهِمْ وَبِأَجَالِهِمْ بَعِيدًا عَنِ سَاحَةِ الْجِهَادِ ، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعًا بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ مِنَ الْمُتَمَيِّزِينَ

بِالشَّجَاعَةِ النَّادِرَةِ ، وَكَانُوا جَمِيعاً يَتَمَتَّنُونَ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِهِمْ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا فِي سَاحَةِ الْجِهَادِ ، وَلَكِنَّ أَمَانِيَهُمْ لَمْ تَتَحَقَّقْ ، فَمَاتُوا فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِنْ تَخَلُّفِهِمْ بِدُونِ إِرَادَتِهِمْ عَنْ تَحْقِيقِ أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ .

وَسَأْضِرُّبُ الْأَمْثَالِ عَلَى شَجَاعَةِ أُولَئِكَ الْقَادَةِ النَّادِرَةِ ، بِالنَّسَبَةِ لِأَقْدَمِيَّتِهِمْ فِي الْقِيَادَةِ ؛ حَيْثُ سَنَجِدُ أَنَّ الشُّجَاعَ اسْتُشْهِدَ ، وَالْأَشْجَعُ مَنْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ ^(١) :

* فَقَدْ مَاتَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ ^(٢) الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَقَدْ تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، فَتَطَوَّعَ لِقَتْلِ أَبِي عَفْكَ ، وَقَتْلَهُ وَهُوَ بَيْنَ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَأَهْلِهِ . وَكَانَ أَبُو عَفْكَ يُحَرِّضُ عَلَى عَدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَيَنْظُمُ الشُّعْرَ فِي هِجَائِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ؟!» فَتَطَوَّعَ سَالِمُ بْنُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ لِقَتْلِهِ ، وَنَفَذَ وَعْدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ عَلَى نَفْسِهِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ شَجَاعَتِهِ .

* وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ^(٣) الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَقَدْ تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ الْهَجْرِيَّةِ ؛ فَكَانَ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقَدْ ثَبَتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا : سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَسَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، كَانَ أَحَدُهُمْ ابْنُ سَلَمَةَ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى قِيَادَةَ حَرَسِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْيَهُودِيَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ عَدُوَّ الْإِسْلَامِ

(١) هَذَا لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ ؛ بَلْ يَجْرِي مَجْرَى الْغَالِبِ ، فَقَدْ يَشُدُّ وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ ؛ كَحِمْزَةٍ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ .

(٢) «سيرة ابن هشام» (٤/٣١٢) .

(٣) «صحيح البخاري» (٤٠٣٧) ، «صحيح مسلم» (١٨٠١) .

والمسلمين ، وقد تطوَّعَ لِقَتْلِهِ ، فقتله بين قومه وعشيرته وأهله ، وانتصر على حشود المشركين بثلاثين من رجاله فقط . وكان من الذين لا يخشون في الحق لومة لائم ، واعتزل الفتنة الكبرى خوفاً على دينه . وقد تقدَّم ذكرُ شجاعته .

* ومات سعد بن أبي وقاص ^(١) رضي الله عنه حتفَ أنفه . وقد تولَّى القيادة لأول مرة في عهد النبي ﷺ ، ثم أصبح من قادة الفتح الإسلامي المشهورين ، فتولَّى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قيادة معركة القادسية التي فتحت أبواب العراق للمسلمين ، وقد كان أول من رمى بسهم في الإسلام ، وثبت مع النبي ﷺ يوم أُحُدٍ ، ووقف إلى جانبه يرمي بالنبل دونه ، والنبي ﷺ يُناوله النبل ، ويطرَّص له إصابته الدقيقة قائلاً : «إِزِمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي !» . وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : «مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُفْدِي أَحَدًا بِأَبْوَيْهِ إِلَّا سَعْدًا» . ولعلَّ من نافلة القول إثبات أن سعداً كان يتحلَّى بالشجاعة النادرة .

* ومات عبد الله بن أنيس ^(٢) الجهنِّي على فراشه . وقد تولَّى القيادة لأول مرة في شهر المحرم من السنة الرابعة الهجرية ، وهو الذي تولَّى قتل اليهودي اليسير بن رزام ، الذي كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ ؛ لعداوته الشديدة للإسلام والمسلمين . وابن أنيس هو الذي قتل وحده خالد بن سفيان الهذلي ، وكان من سادات قومه يجمع الجُمُوع لرسول الله ﷺ ليغزوه ، فقتله ابن أنيس بين قومه وحشوده التي حشدتها لحرب الإسلام والمسلمين .

(١) «الإصابة» (٨٥/٣) ، «الاستيعاب» (٦٠٧/٢) ، «سيرة ابن هشام» (٢٧٥/١) .

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢٩٣/٤) ، «طبقات ابن سعد» (٥٠/٢) .

* ومات أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ^(١) على فراشه بالطَّاعُونِ ، سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ الْهَجْرِيَّةِ . وَالَّذِي يَمُوتُ بِالطَّاعُونِ شَهِيدٌ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَجْعَلْهُ مَعَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا ؛ لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ خَارِجَ مِيدَانِ الْجِهَادِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْهَا جِي ^(٢) فِي إِحْصَاءِ الشُّهَدَاءِ مِنْهَا جَاءَ وَاضِحَ الْمَعَالِمِ ، هُوَ دَرْجُ الَّذِينَ يُسْتَشْهِدُونَ فِي سَاحَةِ الْجِهَادِ . وَقَدْ تَوَلَّى أَبُو عبيدة القيادة لأول مرة في شهر ربيع الآخر من السَّنةِ السَّادِسَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، وَشَهِدَ غَزْوَةَ (بَذْرٍ) الْحَاسِمَةَ ، وَكَانَ مَعَ النَّفَرِ الَّذِينَ ثَبَتُوا يَوْمَ (أُحُدٍ) مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، وَدَافَعَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ دِفَاعَ الْأَبْطَالِ ، وَتَوَلَّى قِيَادَةَ عِدَّةٍ سَرَايَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، وَكَانَ مِنْ جُنُودِهِ فِي بَعْضِهَا الشَّيْخَانِ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ (رضي الله عنهما) . فَلَمَّا التَّحَقَّقَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى أَصْبَحَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَكْبَرِ قَادَةِ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ فَاتِحُ بِلَادِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ .

وَأَرَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يَسْتَخْرِجَ أَبَا عُبَيْدَةَ مِنْ مَنْطِقَةِ الْوَبَاءِ بَعْدَ اسْتِدَادِهِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ الْهَجْرِيَّةِ ، وَلَكِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ : « لَا أَجِدُ بِنَفْسِي رَغْبَةً عَنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَسْتُ أُرِيدُ فِرَاقَهُمْ .. » ، وَبَقِيَ مَعَ جُنُودِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ بِالطَّاعُونِ مَعَ مَنْ تُوُفِّيَ مِنْهُمْ . وَهَذَا مِنْ شَجَاعَتِهِ النَّادِرَةِ الَّتِي لَا تَتَكَرَّرُ .

* ومات عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) ^(٣) على فراشه في مَنْزِلِهِ بِأَجْلِهِ الْمَوْعُودِ . وَقَدْ تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لأول مرة في شهر شعبان من السَّنةِ السَّادِسَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، وَشَهِدَ غَزْوَةَ

(١) «الإصابة» (٤/ ١١-١٢) ، «طبقات ابن سعد» (١٣/ ٤١٠) ، «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٨) ، «مغازي الواقدي» (١/ ٢٤٠) .

(٢) الكلام هنا للواء محمود شيت خطاب من كتابه : «قادة النبي (صلى الله عليه وسلم)» .

(٣) «الإصابة» (٥/ ٤٢) ، «الاستيعاب» (٣/ ١٢٢٥) ، «أسد الغابة» (٤/ ٤٠٢) ، «الاستبصار» (ص ١٥٦) .

(بَذِرُ) الْحَاسِمَةَ ، فَأَسْرَ أَسِيرًا وَقَتَلَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَغَنِمَ أَدْرُعًا . وَثَبَتَ يَوْمَ (أُحُدٍ) مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا ثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ غَيْرُ قَلِيلٍ : سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَسَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . وَجُرِحَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ ؛ لَاسْتِفْتَالِهِ فِي الدَّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِحْدَى وَعِشْرِينَ جِرَاحَةً ، وَجُرِحَ فِي رِجْلِهِ وَكَانَ يَعْرُجُ مِنْهَا ، وَسَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ فَكَانَ أَهْتَمَ ، وَقَتَلَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَمَوَاقِفُهُ الْبُطُولِيَّةُ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى .

* وَمَاتَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضُّمَرِيُّ ^(١) عَلَى فِرَاشِهِ فِي بَيْتِهِ بِأَجَلِهِ الْمَوْعُودِ . وَقَدْ تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ أَنْجَادِ الْعَرَبِ وَرِجَالِهَا نَجْدَةً وَجُرَأةً وَجُودًا ، وَمِنْ جُرَأتِهِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ صَلَبُوا خُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ بِالتَّعْصِيمِ - قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ - ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ حَرَسًا مِنْهُمْ ، فَاخْتَطَفَ عَمْرُو جُثَّةَ خُبَيْبٍ وَعَادَ بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ قَدْ بَعَثَ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِإِغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَانْكَشَفَ أَمْرُ الْمُشْرِكِ وَأَسْلَمَ ، وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ وَبَرَفَقَتَهُ مُسْلِمًا آخَرَ اسْمُهُ (سَلَمَةُ) إِلَى أَبِي سُفْيَانَ ؛ فَقَالَ لَهُمَا : «إِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَاقْتُلَاهُ» ^(٢) . وَدَخَلَا مَكَّةَ ، وَمَضَى عَمْرُو يُطَوِّفُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَيْلًا ، فَرَأَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَعَرَفَهُ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَكَانِهِ ، فَخَافُوهُ وَطَلَبُوهُ ، وَكَانَ فَاتِكًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَهَرَبَ عَمْرُو وَسَلَمَةُ ، فَلَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ التَّمِيمِيُّ الَّذِي كَانَ مُشْرِكًا فَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ مُشْرِكًا آخَرَ ، سَمِعَهُ يُغَنِّي وَيَقُولُ :

(١) «الإصابة» (٢/ ٥٤٢) . «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٢٠) . «أسد الغابة» (٤/ ١٩٣) .

(٢) «الطبقات الكبرى» ، ابن سعد ، سرية عمرو بن أمية الضمري .

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ الْمُسْلِمِينَ

وَلَقِيَ رَسُولَيْنِ لِقْرِيشَ يَتَجَسَّسَانِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا ، وَأَسَرَ الْآخَرَ .
وَقَدِمَ عَمْرُو الْمَدِينَةَ عَائِداً مِنْ رِحْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ ، فَجَعَلَ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَبْرَهُ ،
وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ .

وَمَوَاقِفُ عَمْرُو الْبُطُولِيَّةِ كَثِيرَةٌ ؛ فَكَانَ بَطَلاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَبَطَلاً فِي الْإِسْلَامِ .

* ومات أبو بكر الصديق ^(١) ﷺ عَلَى فَرَاشِهِ . وَقَدْ تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي
شَهْرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ تَبَتُّوا
مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ (أُحُدٍ) ، وَأَثَبَتْ كِفَايَةً عَالِيَةً فِي قِيَادَتِهِ الْمُسْتَقِلَّةِ ، وَانْتَصَرَ بِالْعَدَدِ
الْقَلِيلِ مِنْ رِجَالِهِ عَلَى الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَثَبَّتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ (حُنَيْنٍ) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ شَجَاعَةِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ : «لَقَدْ قُمْنَا بَعْدَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ مَقَاماً كِدْنَا نَهْلِكُ فِيهِ ، لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأبي بَكْرٍ» ، فِي عَزْمِهِ عَلَى
قِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ ، وَانْتِصَارِهِ عَلَيْهِمْ انْتِصَاراً مُؤَزَّراً .

وَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعَطَارِدِيِّ قَالَ : «دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ فَرَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ ،
وَرَأَيْتُ رَجُلًا يُقَبِّلُ رَأْسَ رَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا فِدَاؤُكَ ! لَوْلَا أَنْتَ لَهَلَكْنَا . فَقُلْتُ :
مَنْ الْمُقَبَّلُ وَمَنْ الْمُقَبَّلُ ؟ . قَالُوا : ذَاكَ عُمَرُ ؛ يُقَبِّلُ رَأْسَ أَبِي بَكْرٍ فِي قِتَالِهِ أَهْلَ
الرَّدَّةِ ؛ إِذْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ حَتَّى أَتَوْا بِهَا صَاغِرِينَ» .

(١) «تاريخ الطبري» (٤٩٢/٥) ، «سيرة ابن هشام» (٤٤٧/٢) ، «البدایة والنہایة» (٢٧١-٢٧٢) ،
«صفة الصفوة» (٢٤٢/١) ، «أسد الغابة» (٣١٨/٣) ، «طبقات ابن سعد» (١٢٤/١) .

وَحَسْبُنَا شَهَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فَقَدْ سَأَلَ عَلِيٌّ مِنْ حَوْلِهِ : «أَخْبِرُونِي ، مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟» ، فَقَالُوا : أَنْتَ . فَقَالَ : «أَمَّا إِنِّي مَا بَارَزْتُ أَحَدًا إِلَّا أَنْتَصَفْتُ مِنْهُ ، وَلَكِنْ أَخْبِرُونِي مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟» فَقَالُوا : لَا نَعْلَمُ . فَقَالَ : «أَبُو بَكْرٍ ، إِنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَجَعَلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عَرِيشًا ، فَقُلْنَا : مَنْ يَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لِئَلَّا يَهْوِيَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أبا بَكْرٍ شَاهِرًا بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، لَا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَهْوَى إِلَيْهِ ؛ فَهُوَ أَشْجَعُ النَّاسِ» (١) .

وَشَجَاعَةُ أَبِي بَكْرٍ النَّادِرَةُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُعَرَّفَ .

* وَمَاتَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ (٢) حَتَفَ أَنْفَهُ . وَقَدْ تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لَأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، وَتَوَلَّى قِيَادَةَ أَكْثَرِ مِنْ سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ (ﷺ) ، حَقَّقَ بِهَا انتصاراتٍ باهرةً بِقُوَّاتِهِ الْقَلِيلَةِ عَلَى قُوَّاتِ الْمُشْرِكِينَ الْكَثِيرَةِ ، وَكَانَ بِحَقِّ قَائِدٍ فَذًا مِنْ قَادَةِ النَّبِيِّ (ﷺ) ، كَمَا قَادَ مُقَدِّمَةَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي غَزْوَةِ (فَتْحِ مَكَّةَ) ، وَكَانَتْ قِيَادَتُهُ مُتَمَيِّزَةً لِلْغَايَةِ .

وَشَهِدَ غَالِبٌ مَعَارِكَ حُرُوبِ الرَّدَّةِ ، وَفَتَحَ الْعِرَاقَ ؛ فَكَانَ مِنْ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ الْمَعْدُودِينَ .

وَفِي مَعْرَكَةِ (الْبُؤْيُوبِ) الَّتِي كَانَتْ سَنَةً ثَلَاثَةَ عَشَرَ الْهَجْرِيَّةِ ، قَتَلَ وَحْدَهُ تِسْعَةً مِنْ الْفُرْسِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ وَحْدَهَا .

(١) «البدية والنهاية» (٣/ ٢٧١-٢٧٢) .

(٢) «الإصابة» (٥/ ١٨٦) ، «أسد الغابة» (٤/ ١٦٨) ، «الاستيعاب» (٣/ ١٢٥٢) .

وكان له موقفٌ مشرفٌ في معركة (القادسيّة) الحاسمة التي كانت سنة أربعة عشر الهجرية ، وهو الذي قتل هُرْمُزَ مَلِكَ مِئْدَنَةِ (الباب) التي تُسمّى اليوم (دربند) على بحر الخزر ، وكان هُرْمُزُ يومئذٍ من أكبر قادة الفُرس .

لقد كان غالبٌ بطلاً مغواراً ، يتحلّى بالشجاعة النادرة .

* ومات أبو قتادة ربيع بن عامر الأنصاري الخزرجي على فراشه في داره بأجله الموعود . وتولّى القيادة لأول مرة في شهر شعبان من السنة الثانية الهجرية ، وكان قد شهد سرية عبد الله بن عتيك - لقتل اليهودي أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري - التي قتلت أبا رافع ؛ لأنه كان يُخرّض المشركين على المسلمين ، فنسي أبو قتادة قوسه في موضع مقتل أبي رافع ، فذكرها بعدما نزل ، فرجع واستعاد قوسه ، وعاد إلى الصحابة دون أن يخشى حشود يهود ، أو يحسب حساباً .

وشهد غزوة (المريسيع) وكان يحمل لواء المشركين في هذه الغزوة صفوان ذو الشقر ، فشدّ عليه أبو قتادة ، فكان الفتح .

وشهد غزوة (ذي قرد) فقتل معدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة الغزاوي ، وحبيب بن عيينة بن حصن ، فقال رسول الله ﷺ يوم (ذي قرد) : «خيرُ فرساننا أبو قتادة» ^(١) . ومن يومها أصبح يُعرف بـ (فارِس النبي ﷺ) .

وكان في قيادته لسريتين من سرايا النبي ﷺ موفّقاً ، فأثبت أنه قائد لامع ، وشهد غزوة (حنين) فقتل أحد المشركين ، فأراد أن يستأثر بسلبه أحد مسلمي الفتح

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» : (١٤٣٣/٣/١٨٠٧) ، من حديث إياس بن أبي سلمة عن أبيه ، والإمام أحمد في «المسند» من حديث إياس بن أبي سلمة بن الأكوع عن أبيه .

الَّذِينَ أَسْلَمُوا حَدِيثًا ، فَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ! سَلَبَ ذَلِكَ الْقَتِيلُ عِنْدِي ، فَأَرْضِهِ عَنِّي . يُرِيدُ سَلَبَ قَتِيلِ أَبِي قَتَادَةَ عِنْدَهُ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِهِ دُونَ أَبِي قَتَادَةَ ، وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقُ قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا يُرْضِيهِ مِنْكَ ، تَعَمَّدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ ، يُقَاتِلُ عَنْ دِينِ اللَّهِ ، تُقَاسِمُهُ سَلْبَهُ ! أُرَدُّ عَلَيْهِ سَلَبَ قَتِيلِهِ » . وَكَانَ هَذَا الْأَسَدُ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي يُقَاتِلُ عَنْ دِينِ اللَّهِ ، هُوَ أَبُو قَتَادَةَ . وَالْحَدِيثُ عَنْ شَجَاعَةَ أَبِي قَتَادَةَ النَّادِرَةِ يَطُولُ ^(١) .

* وَمَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ^(٢) عَلَى فِرَاشِهِ كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ ؛ كَمَا قَالَ هُوَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ . تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي سَرِيَّةٍ (مُؤْتَةً) الَّتِي كَانَتْ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى ، فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، فَقَدْ أَمَرَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ أَنْ اسْتَشْهَدَ قَادَةُ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الثَّلَاثَةَ بِالتَّعَاقِبِ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَاصْطَلَحَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى خَالِدٍ وَوَلَّوْهُ قِيَادَتَهُمْ فِي مَوْقِفٍ مَيْئُوسٍ مِنْهُ وَعَصِيبٍ لِلْغَايَةِ ، فَأَنْقَذَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ مِنَ الْإِبَادَةِ وَالْإِفْنَاءِ ، بِفَضْلِ قِيَادَتِهِ الْفَذَّةِ ، وَشَجَاعَتِهِ النَّادِرَةِ .

وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَاهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى سَرِيَّتَيْنِ أُخْرَيْنِ ، كَمَا اسْتَعْمَلَهُ قَائِدًا مَرُؤُوسًا فِي غَزْوَةِ (فَتْحِ مَكَّةَ) وَغَيْرِهَا .

(١) يُنْظَرُ : « الْإِصَابَةُ » (١٥٦/٧) ، « الْاسْتِيعَابُ » (١٧٣١-١٧٣٢/٤) ، « أَسَدُ الْغَابَةِ » (٢٧٤/٥) .

(٢) يُنْظَرُ : « تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ » (٣١٩/٣) ، « ابْنُ الْأَثِيرِ » (٨٩/٢) ، « سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ » (٤٣٥/٣) ، « الْإِصَابَةُ »

(٩٨/٢) ، « طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ » (٢٥٣/٤) ، « الْاسْتِيعَابُ » (٤٢٨/٢) ، « أَسَدُ الْغَابَةِ » (٩٤/٢) .

لَقَدْ شَهِدَ خَالِدٌ ثَلَاثَ مَعَارِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، وَشَهِدَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَعْرَكَةً ، وَشَهِدَ فِي حُرُوبِ الرَّدَّةِ ثَلَاثَ مَعَارِكَ ، هِيَ أَهَمُّ وَأَخْطَرُ وَأَكْبَرُ مَعَارِكِ حُرُوبِ أَهْلِ الرَّدَّةِ . وَقَاتَلَ الْفُرسَ وَحُلَفَاءَهُمْ فِي الْعِرَاقِ فِي خَمْسِ عَشْرَةَ مَعْرَكَةً ، وَخَاضَ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ غَمَارَ أَرْبَعِ مَعَارِكَ ، وَقَادَ سَبْعَ مَعَارِكَ فِي أَرْضِ الشَّامِ ؛ فَكَانَ مَجْمُوعُ مَا شَهِدَهُ مِنْ مَعَارِكَ فِي حَيَاتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ مَعْرَكَةً ، كَانَتْ نَتَائِجُهَا كُلُّهَا بَاهِرَةً فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ، وَفِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ حَسَمَ أَكْثَرَ مِنْ مَعْرَكَةٍ بِهُجُومِهِ شَخْصِيًّا عَلَى قَائِدِ الْعَدُوِّ وَقَتْلِهِ ؛ مِمَّا أَدَّى إِلَى انْهِيَارِ مَعْنَوِيَّاتِ رِجَالِهِ وَاسْتِسْلَامِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَانْتِصَارُهُ الْبَاهِرَةُ جَعَلَتْهُ قَائِدًا مَشْهُورًا مِنْذُ كَانَ حَتَّى الْيَوْمِ وَإِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَيْسَ عَلَى النُّطَاقِ الْعَرَبِيِّ أَوْ الْإِسْلَامِ فَحَسَبٌ ؛ بَلْ عَلَى النُّطَاقِ الْعَالَمِيِّ . وَمَعَارِكُهُ تُدْرَسُ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْأَجْنِبِيَّةِ ، كَمَا تُدْرَسُ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ .

وَطَالَمَا سَمِعْنَا أَوْ قَرَأْنَا أَنَّ أَلَمَعَ قَادَةَ الْعَرَبِ يَفْخَرُونَ بِأَنَّهُمْ طَبَّقُوا خُطَّةً عَسْكَرِيَّةً تَعَلَّمُوهَا مِنْ خِطَطِ خَالِدٍ ، وَطَالَمَا سَمِعْنَا وَقَرَأْنَا أَنَّ أَلَمَعَ الْقَادَةِ الْأَجَانِبِ يُشَبِّهُهُمُ الَّذِينَ يَصِفُونَهُمْ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ وَالْكَتَّابِ بِأَنَّهُمْ كَخَالِدٍ ، وَلَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ مِثْلَهُ أَبَدًا . وَشَتَّانَ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالصُّورَةِ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ » ^(١) . وَقَالَ خَالِدٌ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ : « مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مِنْ

(١) سبق تخريجه في شجاعة خالد بن الوليد ﷺ .

لَيْلَةٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْجَلِيدِ ، فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، أَصْبَحَ بِهِمُ الْعَدُوُّ ؛ فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ» (١) .

وَتَنَهَّدَ قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ حُزْناً وَأَسْفَافاً عَلَى الشَّهَادَةِ الَّتِي فَاتَتْهُ ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَعَرُّضِهِ لَأَفْدَحِ الْأَخْطَارِ فِي أَقْسَى الْمَعَارِكِ ، فَقَالَ : «شَهِدْتُ مِثَّةَ زَحْفٍ أَوْ زُهَاءَهَا ، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ ، أَوْ طَعْنَةٌ ، أَوْ رَمِيَّةٌ ، ثُمَّ هَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبْنَاءِ» (٢) .

* وَمَاتَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (٣) ﷺ عَلَى فِرَاشِهِ . وَقَدْ تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ ، وَتَوَلَّى قِيَادَةَ سَرِيَّتَيْنِ مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَحْسَنَ فِي قِيَادَتِهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ . وَلَمَّا التَّحَقَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى شَهِدَ عَمْرُو حُرُوبَ الرَّدَّةِ ، وَحُرُوبَ فَتْحِ بِلَادِ الشَّامِ ، كَمَا شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ وَلِيبِيَا ، وَفَتَحَ فَلَسْطِينَ ، وَمِصْرَ ، وَلِيبِيَا .

وَمِنْ مَوَاقِفِهِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى شَجَاعَتِهِ النَّادِرَةِ وَدَهَائِهِ - أَيْضاً - أَنَّهُ أَقَامَ عَلَى (أَجْنَادِينَ) فِي فَلَسْطِينَ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى قَائِدِهَا الْأَرْطَبُونَ الرُّومِيَّ وَلَا تَشْفِيهِ الرُّسُلُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ رَسُولٌ ، فَقَطِنَ بِهِ الْأَرْطَبُونُ وَقَالَ : «لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا هُوَ الْأَمِيرُ أَوْ مَنْ يَأْخُذُ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ» . فَأَمَرَ رَجُلًا أَنْ يَقْعُدَ عَلَى طَرِيقِهِ لِيَقْتُلَهُ

(١) سبق تخريجه في شجاعة خالد بن الوليد ﷺ .

(٢) سبق تخريجه في شجاعة خالد بن الوليد ﷺ .

(٣) «طبقات ابن سعد» (٤٩٣/٧) ، «الإصابة» (٢/٥) ، «الاستيعاب» (١١٨٤/٣) ، «أسد الغابة»

(١١٥/٤) ، «سيرة ابن هشام» (٢٧٧/١) .

إِذَا مَرَّ بِهِ ، فَفَطِنَ عَمْرُو لِمَا يُدْبِرُ الْأَرْطُبُونُ ، فَقَالَ لَهُ : « قَدْ سَمِعْتَ مِنِّي وَسَمِعْتَ مِنْكَ ، وَقَدْ وَقَعَ قَوْلُكَ مِنِّي مَوْقِعًا ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ عَشْرَةٍ بَعَثْنَا عَمْرُو بْنَ الْخَطَّابِ مَعَ هَذَا الْوَالِي لِنُكَاتِفِهِ وَيُشْهِدُنَا أُمُورَهُ ، فَأَرْجِعْ فَاتِيكَ بِهِم الْآنَ ، فَإِنْ رَأَوْا فِي الَّذِي عَرَضْتَ مِثْلَ الَّذِي أَرَى ، فَقَدْ رَأَاهُ أَهْلُ الْعَسْكَرِ وَالْأَمِيرُ ، وَإِنْ لَمْ يَرَوْهُ رَدَدْتَهُمْ إِلَى مَا مَنِيهِمْ وَكُنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ » . فَقَالَ الْأَرْطُبُونُ : « نَعَمْ » . وَرَدَّ الرَّجُلَ الَّذِي أَمَرَهُ بِقَتْلِ عَمْرُو ، وَخَرَجَ عَمْرُو مِنْ عِنْدِ الْأَرْطُبُونِ ، فَعَلِمَ الْأَرْطُبُونُ أَنَّ عَمْرُو خَدَعَهُ ، فَقَالَ : « خَدَعَنِي الرَّجُلُ ، هَذَا أَدَهَى الْخَلْقِ » . وَبَلَغَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، فَقَالَ : « لِلَّهِ دُرٌّ عَمْرُو ! » . لَقَدْ كَانَ عَمْرُو مِنْ فُرْسَانِ قُرَيْشٍ وَأَبْطَالِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَذْكُورًا بِذَلِكَ فِيهِمْ ، وَكَانَ جَرِيئًا مُقْدَامًا ، وَذَا رَأْيٍ فِي قُرَيْشٍ كَمَا وَصَفَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ، فَكَانَ عَمْرُو يُقَاتِلُ بِشَجَاعَتِهِ النَّادِرَةَ ، وَعَقْلِهِ الرَّاجِحَ ؛ لِذَلِكَ كَانَ مَوْضِعَ ثِقَةِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم وَخُلَفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ عَمْرُو عَنْ ثِقَةِ النَّبِيِّ صلی اللہ علیہ وسلم بِهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ : « مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي حَرْبِهِ مُنْذُ أَسْلَمْتُ » .

وَصَدَقَ عَمْرُو ، وَحَسْبُهُ ثِقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم بِهِ ، وَهِيَ ثِقَةٌ لَا تُوَضَعُ إِلَّا فِي مَكَانِهَا الصَّحِيحِ .

* وَمَاتَ سَعْدُ بْنُ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ ^(١) الْأَوْسِيُّ الْأَشْهَلِيُّ حَتَفَ أَنْفِهِ . تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ الْهِجْرِيَّةِ ، وَقَدْ شَهِدَ غَزْوَةَ (ذِي

(١) «الاستيعاب» (٢/ ٥٩٢) ، «الإصابة» (٢/ ٧٨) ، «طبقات ابن سعد» (٣/ ٤٣٩) ، «أسد الغابة» (٢/ ٢٧٩) ، «جمهرة أنساب العرب» (ص ٣٣٩) .

قَرَد) قائداً لِفُرسانِ المُسلمينَ ، فطارَدَ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنِ الذي أغارَ على سَرِحِ المُسلمينَ بِالقُربِ مِنَ المَدِينَةِ ، وَقَتَلَ حَبِيبَ بنَ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنِ في رِوَايَةٍ ، وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَنَّ الذي قَتَلَهُ هُوَ أَبُو قَتَادَةَ . وَأَحْسَنَ سَعْدٌ في قِيَادَةِ سَرِيَّتِهِ غَايَةَ الإِحْسَانِ ، وَأَنْجَزَ وَاجِبُهُ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ .

وقد شَهِدَ سَعْدٌ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَمَا شَهِدَ قِسْمًا مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ، جُنْدِيًّا مَرَّاتٍ ، وَقَائِدًا مَرَّةً أُخْرَى ، فَأَدَّى وَاجِبَهُ فِي الْجِهَادِ الْعَمَلِيِّ جُنْدِيًّا وَقَائِدًا بِشَكْلِ مِثَالِيٍّ يَدْعُو إِلَى أَعَمِّ التَّقْدِيرِ ، وَأَبْدَى فِي جَمِيعِ الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا شَجَاعَةً نَادِرَةً .

* وماتَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ الْفَزَارِيُّ ^(١) عَلَى فَرَّاشِهِ كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ . وَتَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ ، وَكَانَ بَطَلًا مِنَ الْأَبْطَالِ الْمَعْدُودِينَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَ الْإِسْلَامِ ، وَسَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ .

وَكَانَ أَحَدَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ ، وَكَانُوا أَشْرَافًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ ، يَتَأَلَّفُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا أَعْطَاهُمْ ، وَيَتَأَلَّفُ بِهِمْ قَوْمَهُمْ .

وَكَانَ عُيَيْنَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْجَرَّارِينَ يَقُودُ عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَلَمْ يَكُنْ الرَّجُلُ يُسَمَّى : جَرَّارًا حَتَّى يَرَأْسُ أَلْفًا عَلَى الْأَقْلِ ، وَقَدْ قَادَ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي تَغْلِبَ ، كَمَا قَادَ قَوْمَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

(١) «الاستيعاب» (٣/ ١٤٤٩) ، «الإصابة» (٥/ ٥٥) ، «أسد الغابة» (٤/ ١٦٧) ، «تهذيب الأسماء واللغات» (٤٩/ ٢) .

وَشَهِدَ مَعَارِكَ طَاحِنَةً مَعَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، وَشَهِدَ مَعَارِكَ طَاحِنَةً مَعَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ، جُنْدِيًّا وَقَائِدًا ، وَقَادَ سَرِيَّةً مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أُرْسِلَ لِحَرْبِ الْمُنْحَرِفِينَ مِنْ بَنِي تَمِيمِ الَّذِينَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلْمُصَدِّقِ الْمَوْفَدِ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَانَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ الْمُسْلِمِينَ بِهِ فِي قِيَادَتِهِ ، وَكَانَ لَشَجَاعَتِهِ النَّادِرَةِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي انتِصَارِ سَرِيَّتِهِ بِعَدَدِهَا الْقَلِيلِ عَلَى الْمُنْحَرِفِينَ بِعَدَدِهِمُ الْكَثِيرِ .

لَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ عُيَيْنَتِهِ سِلْسِلَةً مِنَ الْمَعَارِكِ الْمُتَّصِلَةِ ، فَقَدْ كَانَ بِطَبِيعَتِهِ مُسْعِرَ حَرْبٍ .

* وَمَاتَ الْقَائِدُ الْخَامِسُ عَشَرَ وَالْأَخِيرُ مِنْ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَفَ أَنْفِهِ ، وَهُوَ قُطْبَةُ بْنُ حَدِيدَةَ ^(١) الْأَنْصَارِيُّ الْخَزَرَجِيُّ ، الَّذِي تَوَلَّى الْقِيَادَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ . وَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، فَرَمَى حَجَرًا بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَقَالَ : « لَا أَفِرُّ حَتَّى يَفِرَّ هَذَا الْحَجَرُ » . وَقَدْ ثَبَتَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ثَبَاتَ الرَّاسِيَّاتِ ، وَقَاتَلَ قِتَالَ الْأَبْطَالِ ، وَأَسَرَ أَحَدَ أَبْطَالِ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

وَشَهِدَ غَزْوَةَ أُحُدٍ ، وَكَانَ أَحَدَ الرُّمَاهِ الْمَاهِرِينَ الَّذِينَ بَرَزُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، وَجُرِحَ تِسْعَ جِرَاحَاتٍ ، فَلَمْ تَمْنَعْهُ جِرَاحَاتُهُ الْغَائِرَةَ مِنَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخُرُوجِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا غَزْوَةَ أُحُدٍ إِلَى أَحْمَرَ

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٤١١) ، «الإصابة» (٣/ ٢٨٧-٢٨٨) ، «الاستيعاب» (٣/ ١٢٨٢) ، «طبقات ابن سعد» (٣/ ٥٧٨) .

الْأَسَدِ لِمُطَارَدَةِ الْمُشْرِكِينَ ، فَشَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ الَّتِي رَفَعَتْ مَعْنَوِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَطَّمَتْ مَعْنَوِيَّاتِ الْمُشْرِكِينَ . وَشَهِدَ مَعْرَكَةَ مُؤْتَةَ ، فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ الْقَادَةُ الثَّلَاثَةُ بِالتَّعَاقُبِ ، وَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ وَقُتِلَ الْمُسْلِمُونَ ، جَعَلَ قُطْبَةُ يَصِيحُ : « يَا قَوْمُ ! يُقْتَلُ الرَّجُلُ مُقْبِلًا أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ مُدْبِرًا » . وَشَهِدَ غَزْوَةَ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَعَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ فِي قُدَيْدٍ ، فَجَعَلَ رَايَةَ بَنِي سَلَمَةَ قَوْمَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ قُطْبَةَ ، وَالرَّايَةَ لَا تُعْقَدُ إِلَّا لِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا وَيَحْمِيهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ .

وَحِينَ تَوَلَّى قُطْبَةُ سَرِيَّةً مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ أَحْسَنَ فِي قِيَادَتِهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ ، وَانْتَصَرَ عَلَى عَدُوِّهِ ، بَيْنَمَا كَانَتْ سَرِيَّتُهُ قَلِيلَةَ الْعَدَدِ وَالْمَدَدِ ، وَكَانَ عَدُوُّهُ كَثِيرَ الْعَدَدِ وَالْمَدَدِ .

وَقَدْ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ فِي مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهِ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى السَّرَايَا الَّتِي شَهِدَهَا مَعَ قَادَةِ السَّرَايَا الْآخَرِينَ ؛ فَكَانَ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ نَادِرَ الشَّجَاعَةِ فَذَّ الإِقْدَامِ .

تِلْكَ هِيَ الْحَقِيقَةُ الثَّانِيَّةُ ، هَكَذَا بِكُلِّ بَسَاطَةٍ مَاتَ الْأَشْجَعُ وَاسْتُشْهِدَ الشُّجَاعُ^(١) .

(١) محمود شيت خطاب ، « قادة النبي ﷺ » .

خُلَاصَةُ نَتَائِجِ جِهَادِ الصَّحَابَةِ ﷺ :

أولاً : أَنَّ سِتِّينَ بِالمِائَةِ (٦٠٪) مِنْ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ اسْتُشْهِدُوا فِي سَاحَاتِ
الْوَعْيِ ، وَأَرْبَعِينَ بِالمِائَةِ (٤٠٪) مِنْ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَاتُوا عَلَى فُرْشِهِمْ
خَارِجَ سَاحَةِ الْقِتَالِ .

ثانياً : وَهِيَ أَعْجَبُ وَأَغْرُبُ مِنَ الْحَقِيقَةِ الْأُولَى : اسْتُشْهِدَ الْقَادَةُ الشُّجْعَانُ فِي
سَاحَاتِ الْقِتَالِ ، وَمَاتَ الْقَادَةُ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ شَجَاعَةً وَإِقْدَاماً عَلَى
فُرْشِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ .

ثالثاً : مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ سِيرِ قَادَةِ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ يَظْهَرُ لَنَا أَنَّ غَالِبِيَّتَهُمُ
الْعُظْمَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، فَقَدْ كَانَ
تَمَانُونَ بِالمِئَةِ (٨٠٪) مِنْهُمْ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ﷺ ، وَكَانَ (٦٠٪) سِتُّونَ بِالمِئَةِ مِنْهُمْ بَدْرِيِّينَ ؛ فَلِأَهْلِ
بَدْرِ فَضْلٌ عَظِيمٌ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ .^(١)

(١) محمود شيت خطاب ، المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه ، من كتابه : «قادة النبي ﷺ» .

الحَقِيقَةُ الثَّالِثَةُ

كَانَ ﷺ لَا يُؤَمِّرُ أَهْلَ الْوَبَرِ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرِ ؛ أَي : إِنَّهُ لَا يَسْتَعْمِلُ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَلَى عَرَبِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينِ ، فَقَدْ كَانَ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ مِنْ قَادَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ ، وَاثْنَانِ مِنَ الْأَعْرَابِ هُمَا : عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الَّذِي تَطَوَّعَ لِلنُّهُوضِ بِقِيَادَتِهِ ، وَضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَلَابِيِّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَشْجَعِ الشُّجْعَانِ ، وَكَانَ يُعَدُّ بِمِثَّةِ فَارِسٍ ، كَمَا إِنَّهُ مَكَثَ رَدْحًا طَوِيلًا فِي الْمَدِينَةِ إِلَى جَانِبِ النَّبِيِّ ﷺ سَيَّافًا لَهُ ، وَقَدْ وَلَّاهُ عَلَى قَوْمِهِ فِي ظُرُوفٍ مُعَيَّنَةٍ ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْحَضَرِ أَعْرَفُ بِفُنُونِ الْقِتَالِ مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ ، وَأَكْثَرُ صَبْرًا عَلَى مُعَانَاةِ الْحَرْبِ ، وَأَقْدَرُ عَلَى تَحْمِيلِ أَعْبَاءِ الْقِتَالِ .

الحَقِيقَةُ الرَّابِعَةُ

كَانَ الشَّرْطَانِ الرَّئِيسَانِ اللَّذَانِ التَّزَمَ بِهِمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي تَوَلِيَةِ الْقِيَادَةِ هُمَا :
الإِسْلَامُ ، وَالكِفَايَةُ . وَهَذَانِ الشَّرْطَانِ هُمَا الْقَاعِدَةُ لِلتَّوَلِيَةِ بِدُونِ إِسْتِثْنَاءٍ .

أَمَّا الشُّرُوطُ الأُخْرَى - السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ ، وَأَهْلُ بَدْرِ ، وَأَهْلُ الْحَضَرِ - فَهِيَ
قَوَاعِدُ لَا تَحُلُو مِنْ إِسْتِثْنَاءَاتٍ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْقُصُوى . وَكَانَ ﷺ يَعْرِفُ أَصْحَابَهُ
مَعْرِفَةً دَقِيقَةً مُفْصَلَةً ، وَكَانَ يَعْرِفُ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ كُلُّ صَحَابِيٍّ مِنْ مَزَايَا تُفِيدُ الْمُجْتَمَعَ
الإِسْلَامِيَّ الْجَدِيدَ . فَكَانَ ﷺ يَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الْمَزَايَا إِسْتِعْمَالًا كَامِلًا لْخَيْرِ
هَذَا الْمُجْتَمَعَ وَخِدْمَتِهِ ، وَلِلْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَوَضَعَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ
ذَوِي الْكِفَايَاتِ الْمُتَمَيِّزَةِ فِي الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ لِكِفَايَتِهِ (وَضَعَ الرَّجُلَ الْمُنَاسِبَ لِلْعَمَلِ
الْمُنَاسِبِ) . وَقَدْ طَبَّقَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هَذِهِ
الشُّرُوطَ نَصًّا وَرُوحًا فِي تَوَلِيَةِ الْقَادَةِ ، وَلَمْ يَحِيدَا عَنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ أَبَدًا .

وَقَدْ اسْتَطَاعَ النَّبِيُّ ﷺ وَالشَّيْخَانِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْ بَعْدِهِ بِتَطْبِيقِ هَذِهِ
الشُّرُوطِ فِي تَوَلِيَةِ الْقَادَةِ أَنْ يَجْعَلُوا الصَّفْوَةَ الْمُخْتَارَةَ مِنَ الْأُمَّةِ عَقِيدَةً وَكِفَايَةً
يُقَوِّدُونَ الْأُمَّةَ إِلَى النَّصْرِ فِي الْحَرْبِ ، وَإِلَى التَّفَوُّقِ فِي النَّجَاحِ فِي الْإِسْلَامِ .

وَمَا أَسْعَدَ الْأُمَّةَ الَّتِي يَقُودُهَا الْقِمَمُ مِنْ رِجَالِهَا دِينًا وَاقْتِدَارًا! حَيَّا اللَّهَ دِينًا
أَنْجَبَهُمْ وَرَسُولًا عَلَّمَهُمْ .

إِنَّ إِسْتِفَادَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَخَلِيفَتَيْهِ مِنْ مَزَايَا كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَاسْتِقْطَابِ الْمَزَايَا لِبِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ ، - فَلَا يَضْعُونَ لِبَنَةِ إِلَّا فِي الْمَكَانِ اللَّائِقِ بِهَا وَالْمُنَاسِبِ لَهَا - جَعَلَ هَذَا الْبِنَاءُ يَرْتَفِعُ وَيَتَعَالَى سَلِيمًا مَرْصُوصًا يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا .

وَلَمَّا التَّحَقَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى خَلَفَ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ قَادَةً ، وَأُمَرَاءَ ، وَوُلَاةَ ، وَقُضَاةَ ، وَعُلَمَاءَ ، وَفُقَهَاءَ ، وَمُحَدِّثِينَ ، قَادُوا الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ عَسْكَرِيًّا وَسِيَاسِيًّا وَإِدَارِيًّا وَفِكْرِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا إِلَى النَّصْرِ وَالنَّجَاحِ وَالْخَيْرِ ، وَإِلَى السُّؤْدُدِ وَالْمَجْدِ وَالتَّوْفِيقِ ، وَإِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَسَبِيلِ الرَّشَادِ .

وَكَانَ أُولَئِكَ الْقَادَةُ هُمْ مِنْ خَرِيجِي مَدْرَسَةِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ .

الحَقِيقَةُ الْخَامِسَةُ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ قَائِدُ أَصْحَابِهِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْغَزَوَاتِ ، وَهِيَ (٢٨) ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً ، نَشَبَ الْقِتَالُ فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ مِنْهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْدَائِهِمْ ، وَحَقَّقَتْ تِسْعُ عَشْرَةَ غَزْوَةً مِنْ غَزَوَاتِهِ ﷺ أَهْدَافَهَا الْمَرْسُومَةَ بِدُونِ قِتَالٍ .

وَاسْتَغْرَقَ جِهَادُ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ كَافَّةً سَبْعَ سِنِينَ مِنْ سِنِي مَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُتَوَّرَةِ ؛ فَقَدْ خَرَجَ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ (وَدَّانَ) ، وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ قَادَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ الْهِجْرِيَّةِ ، وَكَانَتْ غَزْوَةً (تَبُوكَ) وَهِيَ آخِرُ غَزَوَاتِهِ ﷺ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ الْهِجْرِيَّةِ ، وَكَانَ عَدَدُ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ (٤٧) سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَرِيَّةً ، وَقَدْ اسْتَغْرَقَ بَعَثُ هَذِهِ السَّرَايَا تِسْعَ سِنِينَ ، ابْتِدَاءً مِنْ سَرِيَّةِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ الَّتِي بَعَثَهَا إِلَى (الْعِيصِ) فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى الْهِجْرِيَّةِ ، وَانْتِهَاءً بِسَرِيَّةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ الَّتِي بَعَثَهَا إِلَى بِلَادِ (مَذْحَجٍ) فِي الْيَمَنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ الْهِجْرِيَّةِ .

وَعَدَدُ مَغَازِيهِ ﷺ الَّتِي خَرَجَ بِنَفْسِهِ فِيهَا (٢٧) سَبْعًا وَعِشْرُونَ ، قَاتَلَ فِي تِسْعٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ : (بَدْرُ ، وَأُحُدُ ، وَالْمُرَيْسِيعُ ، وَالْخَنْدَقُ ، وَقُرَيْظَةُ ، وَخَيْبَرُ ، وَفَتْحُ مَكَّةَ ، وَحُنَيْنُ ، وَالطَّائِفُ) . وَهَذَا عَلَى قَوْلٍ مَنْ قَالَ : مَكَّةَ فُتِحَتْ عَنْوَةً .

وكانت سراياه كما قلنا التي بعثها (٤٧) سبعا وأربعين . وهذا يعني
أن رسول الله ﷺ كان يخرج في غزوة أو يرسل سرية في كل شهرين أو
أقل ﷺ .

وكان من بعض ثمرات جهاد سبع سنين في الغزوات وتسع سنين في
السرايا : توحيد شبه الجزيرة العربية لأول مرة في التاريخ تحت لواء الإسلام .
وسار الصحابة الكرام الشجعان الأفذاذ رضي الله عنهم على سنة
النبي ﷺ (١) .

(١) يُنظر : مؤلفات اللواء محمود شيث خطاب ﷺ ، ومنها :

- ١ - «الرسول القائد ﷺ» .
 - ٢ - «القادة الراشدون ﷺ» .
 - ٣ - «الفاروق القائد ﷺ» .
 - ٤ - «قادة النبي ﷺ» .
 - ٥ - «قادة فتوح العراق وبلاد فارس ﷺ» .
 - ٦ - «قادة فتح مصر وبلاد المغرب العربي ﷺ» .
 - ٧ - «قادة فتح الجزيرة ﷺ» .
 - ٨ - «خالد بن الوليد المخزومي ﷺ» .
- فقد أجاد ، وأفاد ، وذكر فوائد فريدة لم يسبقه إليها أحد قبله ، ﷺ .

الحَقِيقَةُ السَّادِسَةُ

هَدِيَّهٖ ﷺ وَهَدْيُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قَتْلِ أُمَّةِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ :

كَانَ هَدِيَّهٖ ﷺ وَهَدْيُ أَصْحَابِهِ ﷺ : اغْتِيَالُ أُمَّةِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ ، وَرُؤُوسِ الطُّغْيَانِ ، الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَيُؤْذُونَ رَسُولَهُ ﷺ . فَهَذِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي لَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهَا أَحَدٌ ^(١) مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، الَّذِينَ سَارَعُوا وَتَسَابَقُوا إِلَى تَنْفِيزِ عَمَلِيَّاتِ الْاِغْتِيَالِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ بَلْ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَكَانَتْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتُ الْفِدَائِيَّةُ تَسْرُّ النَّبِيَّ ﷺ أَشَدَّ السُّرُورِ ، وَتُفْرِحُ الْمُسْلِمِينَ ، وَتُسَكِّتُ أَلْسِنَةَ الْكُفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَتُوقِفُ تَأْمِرَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

* يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ ^(٢)

* قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ ، أَيُ : لَا تَكْتَفُوا بِمُجَرَّدِ وَجْدَانِكُمْ ؛ بَلْ اقْصِدُوهُمْ بِالْحِصَارِ فِي مَعَاقِلِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ،

(١) لَمْ يَشْذُ إِلَّا الْمَرْجَّةُ ، وَعَقِيدَةُ الْإِرْجَاءِ عَقِيدَةٌ بَاطِلَةٌ قَدْ أَنْكَرَهَا السَّلَفُ وَبَيَّنَّا بَطْلَانَهَا ، تَرِيدُ فَصْلَ الْعَمَلِ وَإِخْرَاجَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ ؛ بِحَيْثُ يَصْبِحُ الْإِنْسَانُ مُؤْمِنًا بِدُونِ عَمَلٍ ، فَلَا يُوَثِّرُ تَرْكُهُ فِي الْإِيمَانِ انْتِفَاءً وَلَا انْتِقَاصًا . وَمَرْجَّةُ الْعَصْرِ أَضَافُوا إِلَى هَذَا طَامَةً مِنَ الطَّامَاتِ وَهِيَ مَوَالِيَهُمُ لِلْكَفَّارِ الْحَرْبِيِّينَ الْمُحْتَلِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِينَ ، كَمَا فَعَلُوا فِي الْعِرَاقِ مِنْ مَظَاهِرَةِ الْأَمْرِيكَانِ وَمَنَاصِرَةِ الرُّوَافِضِ الصُّفَوِيِّينَ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ . وَصَدَّقَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عِنْدَمَا سَمُّوا الْمَرْجَّةِينَ (يَهُودَ الْقَبِيلَةِ) ، قَالَ النُّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ : الْإِرْجَاءُ دِينٌ يُوَافِقُ الْمُلُوكَ ، يَصِيبُونَ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ ، وَيُنْقِصُونَ بِهِ مِنْ دِينِهِمْ . يُنْظَرُ : «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١٠ / ٢٦٧) .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، جُزْءٌ مِنَ الْآيَةِ : (٥) .

وَالرَّصْدُ فِي طَرَقِهِمْ وَمَسَالِكِهِمْ حَتَّى تُضَيِّقُوا عَلَيْهِمُ الْوَاسِعَ ، وَتَضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الْإِسْلَامِ .

* يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدُّوسَرِيُّ : فَالْعَابِدُ لِلَّهِ الْمُصَمِّمُ عَلَى الْجِهَادِ فِي ذَاتِهِ يَكُونُ مُنْفِذًا لِلْغِيلَةِ فِي أُمَّةِ الْكُفْرِ ، مِنْ دُعَاةِ الْإِلْحَادِ وَالْإِبَاحِيَّةِ ، وَكُلِّ طَاعِنٍ فِي وَحْيِ اللَّهِ أَوْ مُسَخَّرٍ قَلَمَهُ أَوْ دِعَايَتَهُ ضِدَّ الدِّينِ الْحَنِيفِ ؛ لِأَنَّ هَذَا مُؤْذٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ ، لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْعُوهُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ؛ لِأَنَّهُ أَخُو ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى اغْتِيَالِهِمْ .

كَمْ أَخُ لَابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ يَعِيشُ بَيْنَ ظَهْرَانِيْنَا مُكْرَمًا مُعَزَّزًا مِنْهُمْ ، وَلِسَانُهُ وَقَلَمُهُ حَرْبٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ !!

* وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَنَّ أَتْبَاعَ مُسَيْلَمَةَ كَانُوا مِائَةً أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرَ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةَ عَلَى قِتَالِهِمْ . وَسُئِلَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَمَّنْ يَقْتُلُ الْمُسْلِمَ بِسَبَبِ دِينِهِ وَهُوَ يَدْعِي الْإِسْلَامَ ، فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَمَّا إِذَا قَتَلَهُ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ مِثْلَ مَا يُقَاتِلُ النَّصْرَانِيَّ الْمُسْلِمَ عَلَى دِينِهِمْ فَهَذَا كُفْرُهُ أَشَرُّ مِنَ الْكَافِرِ .

* وَذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْقَيْمِ «الْصَّارِمِ الْمَسْلُولِ» فِي تَحْتِمِ قَتْلِ سَابِّ الرُّسُولِ ، جُمْلَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَقْتُلُونَ مَنْ سَبَّ ، وَلَوْ كَانَ قَرِيبًا لَهُمْ ، فَيَقْرَهُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ : نَاصِرُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (١) .

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : أَنَّ رجلاً من المشركين شتم النَّبِيَّ ﷺ ، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي؟» ، فَقَامَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه ، فقال : أَنَا . فَبَارَزَهُ ، وَقَتَلَهُ ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَلْبَهُ ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا فِي خَيْبَرَ ^(١) .

وَرَوَى : أَنَّ رجلاً كَانَ يَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : «مَنْ يَكْفِينِي عَدُوِّي؟» . قَالَ خَالِدٌ رضي الله عنه : أَنَا . فَبَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ ^(٢) .

وَذَكَرَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته الله كَذَلِكَ فِي «الصَّارِمِ الْمَسْلُولِ» جُمْلَةً مِنْ أَحَادِيثٍ ، مِنْهَا : حَدِيثُ الْأَعْمَى الَّذِي قَتَلَ أُمَّ وَلَدِهِ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «دَمُهَا هَدْرٌ ، دَمُهَا هَدْرٌ» . وَفِي رِوَايَةٍ : «أَلَا إِشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدْرٌ» ^(٣) .

وَكَذَلِكَ حَدِيثُ عُمَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ لَمَّا قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَذَى ابْنَةِ مَرْوَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : «اللَّهُمَّ عَلَيَّ نَذْرٌ لَئِنْ رَدَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ لَأَقْتُلَنَّهَا . فَقَتَلَهَا بِدُونِ إِذْنٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى رَجُلٍ نَصَرَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ فَانْظُرُوا إِلَى عُمَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ» .

هَكَذَا كَانَتْ غَيْرَةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَكَانَةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، وَهَكَذَا كَانَتْ عُقُوبَةُ مَنْ يَتَجَرَّأُ عَلَى مَقَامِ التُّبُوءِ وَالْوَحْيِ وَمَقَامِ الرِّسَالَةِ ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ يَقِينًا أَنَّ الْقَدَحَ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَفِي الْإِسْلَامِ إِنَّمَا هُوَ ضِيَاعُ الدِّينِ كُلِّهِ ، وَمُرُوفُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ .

(١) «مُصَنَّفُ الصَّنْعَانِي» (٣٠٧/٥) ، (٩٧٠٤) ، «الصَّارِمِ الْمَسْلُولِ» (ص ١٤٨) .

(٢) «الصَّارِمِ الْمَسْلُولِ» (ص ١٤٨) .

(٣) «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (١٢٩/٤) ، (٤٣٦١) ، «سُنَنِ النَّسَائِيِّ» (٣٠٤/٢) ، (٣٥٣٣) ، «الْمُسْتَدْرَكُ» (٣٩٤/٤) ، (٨٠٤٤) .

قَتْلُ أَبِي عَفْكَ فِي شَوَّالَ (٢هـ) :

وكان شيخاً كبيراً جاوز مائة وعشرين سنةً ، كان يُحَرِّضُ عَلَى عَدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ والمُسْلِمِينَ ، وَيَنْظُمُ الشُّعْرَ فِي هِجَائِهِمْ ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَدْرٍ وَأَظْفَرَهُ اللَّهُ حَسَدَهُ أَبِي عَفْكَ ، وَهَجَا النَّبِيَّ ﷺ بِقَصِيدَةٍ ، وَذَمَّ أَصْحَابَهُ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ ؟ » ، فَتَطَوَّعَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيُّ لِقَتْلِهِ ، وَقَالَ : عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ أَقْتُلَ أَبَا عَفْكَ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ ، فَتَرَصَّدَهُ حَتَّى كَانَتْ لَيْلَةُ صَائِفَةٍ ، فَقَامَ أَبُو عَفْكَ بِالْفِئَاءِ ، فَأَقْبَلَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ وَوَضَعَ السَّيْفَ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهُ ^(١) .

قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ (٣هـ) :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ لِي بِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ آذَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ ؟ » ، فَقَامَ الصَّحَابِيُّ الْبَطْلُ الْفِدَائِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ بِإِعْدَادِ حُطَّةٍ تَمَكَّنَ بِهَا مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَقَتْلِهِ ^(٢) . وَقَدْ فَضَّلْنَاهُ فِي شَجَاعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ﷺ .

قَتْلُ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ فِي مُحَرَّمِ (٤هـ) :

حَيْثُ قُتِلَهُ الصَّحَابِيُّ الْفِدَائِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ ﷺ ، قَائِدُ سَرِيَّةِ اغْتِيَالِ عَدُوِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ؛ حَيْثُ تَمَّ قَتْلُهُ بَيْنَ قَوْمِهِ وَأَهْلِهِ فِي (خَيْبَرَ) ^(٣) .
وقد فَضَّلْنَا مَقْتَلَ طَاغِيَةِ الْيَهُودِ فِي شَجَاعَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ ﷺ .

(١) «سيرة ابن هشام» (٣١٢/٤) ، «مغازي الواقدي» (٥١٦/٢) .

(٢) «صحيح البخاري» (٤٠٣٧) ، «صحيح مسلم» (١٨٠١) .

(٣) «صحيح البخاري» (١١٠١/٣) ، (٢٨٦٠) .

قَتْلُ خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ فِي مُحَرَّم (٤هـ) :

كَانَ خَالِدُ بْنُ سُفْيَانَ الْهُذَلِيُّ مِنْ سَادَاتِ قَوْمِهِ ، يَجْمَعُ الْجُمُوعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَغْزُوهُ ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَطَلَ الْأَبْطَالِ وَرَجُلَ الرِّجَالِ ، وَقِمَّةَ الْفِدَائِيِّينَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَسٍ الْأَنْصَارِيَّ فِي سَرِيَّةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْهُ وَحَدَّهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ ، الَّذِي كَانَ بـ (عُرْنَةَ) ، فَقَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَادَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْيَاهُ وَقَالَ لَهُ : « أَفْلَحَ الْوَجْهُ ! » ^(١) .

قَتْلُ الْقَائِدِ الْيَهُودِيِّ مَلِكِ خَيْبَرَ يَسِيرِ بْنِ رِزَامٍ فِي شَوَّال (٦هـ) :

كَانَ الْيَسِيرُ بْنُ رِزَامٍ بـ (خَيْبَرَ) يَجْمَعُ غَطَفَانَ لِيَغْزُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؛ لِعِدَاوَتِهِ الشَّدِيدَةِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَأَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى مَرَّةً أُخْرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَسٍ بِقَتْلِ رَأْسٍ مِنْ رُؤُوسِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ ، فَطُوِيَتْ صَفْحَةُ هَذَا الْيَهُودِيِّ الْخَبِيثِ إِلَى الْأَبَدِ ^(٢) .

(١) «سيرة ابن هشام» (٢٩٣/٤) ، «طبقات ابن سعد» (٥١-٥٠/٢) .

(٢) يُنْظَرُ : «سيرة ابن هشام» (٢٩٣/٤) ، «مغازي الواقدي» (٥٦٨-٥٦٦/٢) .

الْحَقِيقَةُ السَّابِعَةُ

إِشْتِيَاقُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم إِلَى بَذْلِ أَرْوَاحِهِمْ رَخِيسَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى :

نَخْتُمُ هَذَا الْمَبْحَثَ بِكَلِمَاتٍ أَعْطَرَ مِنْ شَذَا الْوَرْدِ ، وَأَحْلَى مِنْ الشَّهْدِ ، وَأَرْقَ مِنْ نَسِيمِ الْبَحْرِ ، قَالَهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم وَهُمْ فِي سَاحَاتِ الْوَعْيِ ، وَكُلُّهُمْ شَوْقٌ إِلَى الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ :

مَا أَرَوْعَ مَا قَالَهُ سَيْفُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه ، مُبَيِّنًا حُبَّ الصَّحَابَةِ لِلْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَيْثُ قَالَ مُخَاطِبًا الْفُرْسَ : « قَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ » .

وَقَالَ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليهم ، الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه : « نَحْنُ أُمَّةٌ لَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا ، فَمَا لِي أَرَى الْفُرْشَ قَدْ كَثُرَ عَلَيْهَا الْأَمْوَاتُ ؟ ! » .

وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ لِلْيَهُودِ : « وَاللَّهِ لَنَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَوْ لَنَفْتَحَنَّ عَلَيْهِمْ حِصْنَهُمْ » .

وَهَذَا عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه يُخَاطِبُ الْمُقَوْسَ عَظِيمَ مِصْرَ ، مُوَضِّحًا إِشْتِيَاقَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم إِلَى الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ رضي الله عنه : « وَمَا مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ ، وَالْأَلَا يَرُدُّهُ إِلَى بَلَدِهِ وَلَا إِلَى أَرْضِهِ وَلَا إِلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا هَمٌّ فِي مَا خَلْفَهُ ، وَقَدْ اسْتَوْدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا رَبَّهُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ ، وَإِنَّمَا هَمُّنَا مَا أَمَانَا » ^(١) .

(١) «فتوح مصر وأخبارها» (ص ٥٤) .

وهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ رضي الله عنه ، الْمُجَدِّعُ فِي اللَّهِ دَعَا يَوْمَ أُحُدٍ فِي قَلْبِ الْمَعْرَكَةِ بِكَلِمَاتٍ تَبَقَّى خَالِدَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ : «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدَ حَرْدُهُ ، شَدِيدَ بَأْسُهُ ، أَفَاتِلَهُ فِيكَ وَيَقْتُلْنِي ، ثُمَّ يَأْخُذْنِي فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي ، فَإِذَا لَقَيْتَكَ غَدًا قُلْتَ : مَنْ جَدَعَ أَنْفَكَ وَأُذُنَكَ ؟ ، فَأَقُولُ : فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ ﷺ ، فَتَقُولُ : صَدَقْتَ » ، قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه : يَا بُنَيَّ كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ وَأَنْفُهُ وَأُذُنُهُ لَمُعَلَّقَانِ ^(١) .

وهَذَا حِرَامُ بْنُ مَلْحَانَ رضي الله عنه طُعِنَ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ يُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَنْفَذَهُ الرُّمْحُ ، وَبَقِيَتْ لَدَيْهِ فُرْصَةٌ لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا يَدُورُ فِي نَفْسِهِ مِنْ غِبْطَةٍ بِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، فَقَامَ يَنْضَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَجَسَدِهِ ، وَيَقُولُ : «اللَّهُ أَكْبَرُ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ!!» ^(٢) ، فَهَزَّ الْمَوْقِفُ قَاتِلَهُ ، فَأَسْلَمَ وَحَالَهُ : وَرَبَّ الْكَعْبَةِ إِنَّهُ لِلْفَوْزِ !!

لِلَّهِ دَرُّهُمْ ، وَحَيَّا اللَّهُ دِينًا أَنْجَبَهُمْ ، وَرَسُولًا عَلَّمَهُمْ وَأَدَّبَهُمْ .

(١) «الإصابة» (٤/٤٦) ، «أسد الغابة» (٣/١٣١) ، «جوامع السيرة» (ص ١٦٧) .

(٢) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٢٨٠١) ، «صحيح مسلم» (٥٠٢٦) ، عن أنس رضي الله عنه .

الحَقِيقَةُ الثَّامِنَةُ

الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ طَائِفَةٌ مُّجَاهِدَةٌ مُّقَاتِلَةٌ :

إِنَّ أَمْنِيَّةَ كُلِّ مُسْلِمٍ مِنَّا أَنْ يَجْمَعَهُ اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ فِي الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَهَذِهِ الْأَمْنِيَّةُ لَا تَحَقُّقُ حَتَّى يَكُونَ صَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي بَشَّرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا ثَنَاءً عَظِيمًا .

لَكِنْ مَا أَهَمُّ سِمَةَ لِلطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ؟

هي : الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . أَي : إِنَّ صَاحِبَهَا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ لَا مِنَ الْقَاعِدِينَ . لِنَقْرَأَ مَا جَاءَ عَنِ إِمَامِ الْمُجَاهِدِينَ وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ .

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ قَوْمُهُ بَعْثُوهُ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :
بَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتُهُ مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ بِوَجْهِهِ مُوَلِّيًا إِلَى الْيَمَنِ ظَهْرُهُ ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذَالَ (١) النَّاسُ الْخَيْلَ ، وَوَضَعُوا السَّلَاحَ ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْحَرْبَ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« كَذَبُوا الْآنَ ، الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ، وَيُزِيغُ اللَّهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ ، وَيَزُرُّهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَحَتَّى يَأْتِيَ

(١) أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ : الْإِذَالَةُ : الْإِهَانَةُ ، أَي : أَهَانُوهَا وَأَسْتَخَفُّوهَا بِهَا بِقِلَّةِ الرِّغْبَةِ فِيهَا . وَقِيلَ : وَضَعُوا أَدَاةَ الْحَرْبِ عَنْهَا وَأَرْسَلُوهَا .

وَعَدُ اللَّهِ ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ يُوحَىٰ
إِلَيَّ أَنِّي مَقْبُوضٌ غَيْرَ مُلَبَّثٍ ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونِي أَفْنَادًا ^(١) ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ
بَعْضٍ ، وَعُقْرُ ^(٢) دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ ^(٣) .

وَعِنْدَ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَدِ» : «الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ
عَلَى النَّاسِ ، يَزِيغُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ ، وَيَرْزُقُهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ ،
حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ ،
وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ^(٤) .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ
مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ
فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ صَلِّ لَنَا . فَيَقُولُ : لَا ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمِيرٌ .
تَكْرِمَةً لِلَّهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ» ^(٥) .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ
أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحُ
الدَّجَالُ» ^(٦) .

(١) أفنَادًا : أي : جماعات متفرقين قوم بعد قوم . واحداً فنَد . «النهاية» ، ابن الأثير (٣/ ٤٧٥) .

(٢) العُقْر : بضم العين وفتحها : أي أصلها وموضعها .

(٣) «سنن النسائي» .

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٤/ ١٠٤) .

(٥) أخرجه أحمد ومسلم .

(٦) «أحمد» (٤/ ٤٢٩) ، «سنن أبي داود» (١/ ٣٨٨) ، الحاكم (٤/ ٤٥٠) ، صحيح عليّ شرط مسلم ، الألباني ،

«الصحيحة» (١٩٥٩) .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَزَالُ عِصَابَةُ مَنْ أُمِّي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ » ^(١) .

وَقَدْ رَوَى هَذِهِ الْأَحَادِيثَ جَمْعٌ آخَرُ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ؛ مِنْهُمْ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ ، وَأَبُو أُمَامَةَ ، وَمُرَّةُ بْنُ كَعْبٍ الْبَهْزِيُّ ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم ، والحاكم .

(٢) يُنْظَرُ : « الطائفة المنصورة وواقعنا المعاصر » ، عبد العزيز بن ناصر الجليل

الحَقِيقَةُ التَّاسِعَةُ

الطَّعْنُ بِالْمُجَاهِدِينَ إِعْلَانُ الْحَرْبِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

الْفَائِدَةُ الْأُولَى :

أَهْلُ الْجِهَادِ هُمْ أَهْلُ الصَّدَقِ وَالتَّقْوَى . قَالَ تَعَالَى : ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١) .

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ :

أَهْلُ الْجِهَادِ هُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥) (٢) .

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ :

أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) (٣) .

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ :

تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَهُ بِالْحَرْبِ ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ : «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ» (٤) . فَأَيُّ خَيْرٍ يَرْجُوهُ مَنْ يُؤْذِي أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الْمُجَاهِدِينَ وَقَدْ آذَنَهُ اللَّهُ بِالْحَرْبِ .

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٧٧) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : (١٥) .

(٣) سورة يونس ، الآيتان : (٦٢ - ٦٣) .

(٤) «صحيح البخاري» (٢٣٤٨/٥) ، رقم الحديث (٦١٣٧) .

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُجَاهِدًا فَقَدْ رَضِيَ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْقَاعِدِينَ الْخَوَالِفَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٨٦) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١﴾

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ «زَادَ الْمَسِيرُ» : «فِي الْخَوَالِفِ قَوْلَانِ :

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ : أَنَّهُمُ النِّسَاءُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَقَتَادَةُ . قَالَ الْأَنْبَارِيُّ : الْخَوَالِفُ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى النِّسَاءِ .

الْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ الْخَوَالِفَ خِسَاسُ النَّاسِ وَأَدْنِيَاؤُهُمْ . فَحَقَّ لِمَنْ رَضِيَ أَنْ يَكُونَ مَعَ النِّسَاءِ أَنْ يَخْفِضَ صَوْتَهُ وَلَا يَتَكَلَّمَ فِي الرِّجَالِ ؛ لِأَنَّ صَوْتَ الْمَرْأَةِ عَوْرَةٌ عِنْدَ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ .

وَمَنْ أَبَى فَقَدْ وَقَعَ فِي التَّفْسِيرِ الثَّانِي : وَصَارَ مِنْ خِسَاسِ النَّاسِ وَأَدْنِيَائِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ مَا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ ، وَخَاضَ فِي أَسْيَادِهِ مِنَ الرِّجَالِ الْمُجَاهِدِينَ . وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ وَأَظْلَمِ الظُّلْمِ أَنْ يَسْخَرَ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ !! فَهَذِهِ هِيَ الطَّامَةُ ﴿كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ (٢) . وَكَمْ أَفْتَى الْعُلَمَاءُ بِكُفْرِ وَرِدَّةٍ مَنْ سَخِرَ بِالْعُلَمَاءِ ؛ لِأَنَّ السُّخْرِيَّةَ مِنْهُمْ سُخْرِيَّةٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي يَحْمِلُونَهُ . وَكَذَلِكَ السُّخْرِيَّةُ مِنَ أَهْلِ الْجِهَادِ أَيْضًا سُخْرِيَّةٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي يُقَاتِلُونَ مِنْ أَجْلِهِ .

(١) سورة التوبة ، الآيتان : (٨٦ - ٨٧) .

(٢) سورة النحل ، جزء من الآية : (٩٢) .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْعَجَمِ» ، قُلْتُ : وَمَا قُلُوبُ الْعَجَمِ ؟ قَالَ : «حُبُّ الدُّنْيَا . سُنَّتُهُمْ سُنَّةُ الْأَعْرَابِ مَا آتَاهُمْ مِنْ رِزْقٍ جَعَلُوهُ فِي الْحَيَوَانِ ، يَرَوْنَ الْجِهَادَ ضَرَرًا ، وَالزَّكَاةَ مَغْرَمًا» ^(١) .

كَلِمَاتٌ تُسَطَّرُ بِمِدَادٍ مِنْ نُورٍ قَالَهَا الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ الْمُجَاهِدُونَ بِحَقِّ الْمُثَبِّطِينَ الْمُنَافِقِينَ :

يَقُولُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله : اللَّائِمُونَ عَلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ :

١ - مُنَافِقٌ .

٢ - مُخَذَّلٌ مُفْتَرٍ .

٣ - مُرْجِفٌ مُضْعَفٌ .

وَيَقُولُ أَيْضًا : «أَهْلُ الثُّغُورِ هُمُ الْمَهْدِيُّونَ ؛ فَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْأَرْاءُ وَافْتَرَقَتِ السُّبُلُ فَالْهِدَايَةُ تُرْسَمُ فِي خُطَاهُمْ» .

وَذَكَرْنَا قَوْلَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله : «وَلَهَذَا كَانَ الْجِهَادُ مُوجِبًا لِلْهِدَايَةِ الَّتِي هِيَ مُحِيطَةٌ بِأَبْوَابِ الْعِلْمِ ؛ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(٢) ، فَجَعَلَ لِمَنْ جَاهَدَ فِيهِ هِدَايَةً جَمِيعَ سُبُلِهِ تَعَالَى» .

(١) الطبراني «المعجم الكبير» (١٣/ ٣٦-٨٢) ، قال الألباني في «الصحيحة» (٣٣٥٧) ، هَذَا إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

(٢) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ، جِزْءٌ مِنَ الْآيَةِ : (٦٩) .

* وَقَالَ الْإِمَامَانِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : « إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي شَيْءٍ ، فَاَنْظُرُوا مَاذَا عَلَيْهِ أَهْلُ الثَّغْرِ ، فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١) .

* وَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ كَلَامًا نَفِيسًا فِي الشَّأْنِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ ، مُسْتَدِلًّا بِكِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : « كَانَ السَّلَفُ إِذَا اخْتَلَفُوا بَعَثُوا إِلَى أَهْلِ الثُّغُورِ لِيُفْصِلُوا فِي خِلَافِهِمْ ، يَتَأَوَّلُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٢) .

وَمَا أَحَلَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَحْتُ عَلَى الْجِهَادِ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ يُضِيءُ الطَّرِيقَ ، وَالْجِهَادُ يُمَهِّدُهُ ، وَيُزِيلُ مَا فِيهِ مِنَ الْعَوَاقِقِ . وَالْعِلْمُ يُنِيرُ الْقُلُوبَ ، وَالْجِهَادُ يَرْفَعُ عَنْهَا أَغْطِيَةَ الْهَوَى وَالْعِنَادِ . فَلَا خَيْرَ فِي جِهَادٍ لَا يَقُومُ عَلَى عِلْمٍ ، كَمَا لَا خَيْرَ وَلَا بَرَكَهَ فِي عِلْمٍ لَا يُثْمِرُ الْعَمَلَ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

الْوَاجِبُ الشَّرْعِيُّ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَنْصُرُوا الْمُجَاهِدِينَ بِكُلِّ مَا أُوتُوا ، وَيُنَاصِحُوهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ . كَمَا إِنَّ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ أَنْ يُحْسِنُوا الظَّنَّ بِالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الرَّبَائِيَّينَ الصَّادِقِينَ ، وَيَسْمَعُوا مِنْهُمْ ، إِذَا تَكَلَّمَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلْيَصُمْتُ أَهْلُ الْجُحُورِ .

* يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « الطَّعْنُ بِالْمُجَاهِدِينَ مِنْ دَلَائِلِ فِسْقِ الرَّجُلِ » .

* وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَلَامًا نَفِيسًا مُبِينًا عِظَمَ ذَنْبِ الطَّعْنِ بِالْمُجَاهِدِينَ ، فَيَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ رَجُلًا يُنْسَبُ إِلَى الْعِلْمِ وَالِدَّعْوَةِ عَادِي أَهْلِ الثُّغُورِ وَخَاصَمَهُمْ إِلَّا لَمْ يَحِقَّ بَرَكَهَ دَعْوَتِهِ وَاضْمَحَلَّتْ ، وَانْفَضَّ النَّاسُ عَنْهُ » .

(١) سورة العنكبوت ، جزء من الآية : (٦٩) .

(٢) سورة العنكبوت ، جزء من الآية : (٦٩) ، وينظر : «مجموع الفتاوى» : (١٥٢ / ٢٨) .

إِنَّ عَرْضَ الْمُجَاهِدِينَ شَبِيهُ بَعْرِضِ الْوَالِدِينَ ، فَالْوَقِيعَةُ فِيهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ شُؤْمِهَا عَظِيمٌ . فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَوْلُهُ ﷺ : « حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ » (١) .

فَلَا يَنْبَغِي لِلْقَاعِدِينَ الْخَوَالِفِ أَنْ يَطْعَنُوا فِي شُؤْنٍ مِنْ بَلَّغُوا ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ؛ فَإِذَا كُنَّا نُهِنَا عَنْ سَبِّ الدِّيكِ أَوْ إِطَالَةِ أَلْسِنَتِنَا عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ ، فَمَا بِالْكَ بِالْأَسْوَدِ الَّتِي تُوقِظُ الْأُمَّةَ لِلْجِهَادِ وَنَشْرِ التَّوْحِيدِ .

الْمُجَاهِدُونَ جَمَعُوا بَيْنَ الْجِهَادِ بِالنَّفْسِ وَالْجِهَادِ بِالْمَالِ ، وَهَؤُلَاءِ الْقَاعِدُونَ جَمَعُوا بَيْنَ الْقُعُودِ وَسَلَاةِ اللِّسَانِ ، وَشَتَّانَ شَتَّانَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ .

نَقُولُ لَهُؤُلَاءِ الطَّاعِنِينَ بِالْمُجَاهِدِينَ : أَنْتُمْ تَسْتَيْقِظُونَ كُلَّ صُبْحٍ لِتَغْسِلُوا وَجُوهَكُمْ ، وَالْمُجَاهِدُونَ يَسْتَيْقِظُونَ كُلَّ صَبَاحٍ لِيَغْسِلُوا عَارَ أُمَّةٍ بِأَكْمَلِهَا . وَشَتَّانَ بَيْنَ السَّامِ وَالسَّامَةِ !

أَيُّهَا الطَّاعِنُ الْقَاعِدُ الذَّمِيمُ هُمْ خُصُومُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَيَحْكُ كَيْفَ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَخَصْمُكَ مُجَاهِدٌ وَشَهِيدٌ !

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الطَّرِيفِيُّ : « ذِمَّ الْجِهَادَ لِأَجْلِ أخطاءِ الْمُجَاهِدِينَ ، كَذِمَّ الصَّلَاةَ لِأخطاءِ الْمُصَلِّينَ ، أخطاءِ الْفَاعِلِينَ تَقُومُ وَشَرِيعَةُ اللَّهِ تَعْظُمُ . لَيْسَ مِنَ الدِّينِ مَنْ يَجْلِبُ أَسْوَأَ مَا ظَهَرَ فِي التَّارِيخِ مِنْ فِرْقٍ وَجَمَاعَاتٍ مَنْحَرِفَةٍ وَيَلصِقُهَا بِالْمُجَاهِدِينَ . لَيْسَ كُلُّ تَكْفِيرِيٍّ مُجَاهِدٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُجَاهِدٍ تَكْفِيرِيٍّ » .

(١) «صحيح مسلم» (١٨٩٧) ، أحمد في «المسند» (٣٥٥/٥) ، «النسائي» (٥٠/٦) .

الحَقِيقَةُ العَاشِرَةُ

الجِهَادُ ذِرْوَةُ سَنَامِ الإِسْلَامِ

وَالطَّعْنُ بِالْمُجَاهِدِينَ طَعْنٌ بِإِمَامِ الْمُجَاهِدِينَ عليه السلام ، وَطَعْنٌ بِأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ لِلجِهَادِ مَكَانَةً عَظِيمَةً فِي الإِسْلَامِ ، وَمَنْزَلَةً رَفِيعَةً ، لِذَلِكَ عَدَّهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَحَدَ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ . وَالجِهَادُ دُعَاءَةٌ مِنْ دَعَائِمِ الإِسْلَامِ ، لَا اسْتِقَامَةَ للإِسْلَامِ وَلَا قَوَامَ لِشَرَائِعِهِ إِلَّا بِهِ .

إِنَّ الجِهَادَ وَالهِجْرَةَ إِلَى الجِهَادِ جُزْءٌ أَصِيلٌ لَا يَتَجَزَّأُ عَنْ طَبِيعَةِ هَذَا الدِّينِ ، وَالَّذِينَ الذِي لَيْسَ فِيهِ جِهَادٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ فَوْقَ أَيِّ أَرْضٍ ، وَلَا أَنْ تَسْتَوِيَ شَجَرَتُهُ عَلَى سُوقِهَا إِلَّا بِهِ . وَأَصَالَةُ الجِهَادِ مِنْ صَمِيمِ هَذَا الدِّينِ ، وَلَهَا وَزْنُهَا فِي مِيزَانِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَيْسَتْ مُلَابَسَةً طَارِئَةً مِنْ مُلَابَسَاتِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ الَّتِي تَنْزَلُ فِيهَا الْقُرْآنُ ، وَإِنَّمَا الجِهَادُ ضَرُورَةٌ مُصَاحِبَةٌ لِهَذِهِ الْقَافِلَةِ الَّتِي يُوجِّهُهَا هَذَا الدِّينُ .

إِنَّ الجِهَادَ ذِرْوَةَ سَنَامِ الإِسْلَامِ ، وَأَبْرَزُ صِفَاتِ الْإِيمَانِ ، وَمَنَازِلُ أَهْلِهِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ ، كَمَا أَنَّ لَهُمُ الرَّفْعَةَ فِي الدُّنْيَا ؛ لِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ عليه السلام فِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنْهُ ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ بِالدَّعْوَةِ وَالْبَيَانِ وَالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ ، فَكَانَتْ سَاعَاتُهُ مَوْقُوفَةً عَلَى الجِهَادِ . وَلِهَذَا كَانَ عليه السلام أَعْظَمَ الْعَالَمِينَ قَدْرًا .

وكَذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُهُ الْكِرَامُ حَيَاتُهُمْ فِي الجِهَادِ اقْتَطَعَتِ الْجَانِبَ الْأَكْبَرَ مِنْ سِنِّي حَيَاتِهِمْ ، كَانَتْ حَيَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ صَلِيلِ السُّيُوفِ وَصَهِيلِ الْخُيُولِ ، وَخَفَقَ

البُؤْدُ ، وصِيَاخُ الْفَرْسَانِ ، ودَوِيَّ التَّكْبِيرِ . ما عَرَفُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا ذِرْوَةَ سَنَامِ
الْإِسْلَامِ ، فَنَالُوا بِسَنَامِ الْإِسْلَامِ حَيَاةً ، أَرَوَّاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرُخُ فِي
أَرْجَاءِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ .

قَوْمٌ هُمْ اتَّخَذُوا الشَّهَادَةَ بُغْيَةً لَا يَتَّبِعُونَ لَدَى الْجِهَادِ سِوَاهَا

فَقَدْ كَانَ الْجِهَادُ سِمَةً دَائِمَةً ، وَجِبَلَةً مُلَازِمَةً لِسَيِّدِ الْمُجَاهِدِينَ ﷺ ، وَقَائِدِ
الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، وَلِأَصْحَابِهِ وَجُنُودِهِ الشُّجْعَانِ الْأَبْطَالِ الْأَفْدَاذِ ، فَكَانُوا ﷺ
مُقْتَدِينَ بِإِمَامِ الْمُجَاهِدِينَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ ، وَأَعْظَمُهَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

يَقُولُ الْأُسْتَاذُ سَيِّدُ قُطْبِ ﷺ : «لَوْ كَانَ الْجِهَادُ مُلَابَسَةً طَارِئَةً فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ
مَا اسْتَغْرَقَ كُلَّ هَذِهِ الْفُصُولِ مِنْ صُلْبِ كِتَابِ اللَّهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَسْلُوبِ ، وَلَمَّا
اسْتَغْرَقَ كَذَلِكَ كُلَّ هَذِهِ الْفُصُولِ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَفِي مِثْلِ هَذَا
الْأَسْلُوبِ» .

لَوْ كَانَ الْجِهَادُ مُلَابَسَةً طَارِئَةً مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْكَلِمَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ
إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ : «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى
شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ» ^(١) .

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ تَكْرَهُهُ الْمُلُوكُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ لَا بُدَّ لِأَصْحَابِ
السُّلْطَانِ أَنْ يُقَاوِمُوهُ ؛ لِأَنَّهُ طَرِيقٌ غَيْرُ طَرِيقِهِمْ ، وَمَنْهَجٌ غَيْرُ مَنْهَجِهِمْ ؛ لَيْسَ
بِالْأَمْسِ فَقَطْ ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ وَغَدًا ، وَفِي كُلِّ أَرْضٍ ، وَفِي كُلِّ جِيلٍ .

(١) «صحيح مسلم» (٣/١٥١٧)، (١٩١٠)، «سنن أبي داود» (٣/١٠)، (٢٥٠٥) .

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّرَّ مُتَبَجِّحٌ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُنْصِفاً ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدَعَ الْخَيْرَ يَنْمُو مَهْمَا يَسْلُكُ هَذَا الْخَيْرُ مِنْ طَرِيقٍ سَلِيمَةٍ مُوَادِعَةٍ ، فَإِنَّ مُجَرَّدَ نُمُو الْخَيْرِ يَحْمِلُ الْخَطَرَ عَلَى الشَّرِّ ، وَجُرْدُ وُجُودِ الْحَقِّ يَحْمِلُ الْخَطَرَ عَلَى الْبَاطِلِ .

وَلَا بُدَّ أَنْ يَجْنَحَ الشَّرُّ إِلَى الْعُدْوَانِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُدَافِعَ الْبَاطِلُ عَنْ نَفْسِهِ بِمُحَاوَلَةٍ قَتْلِ الْحَقِّ وَخَنْقِهِ بِالْقُوَّةِ .

هَذِهِ جِبِلَّةٌ وَلَيْسَتْ مُلَابَسَةً وَقْتِيَّةً ، هَذِهِ فِطْرَةٌ وَلَيْسَتْ حَالَةً طَارِئَةً .

لَا بُدَّ مِنَ الْجِهَادِ ، لَا بُدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَبْدَأَ فِي عَالَمِ الضَّمِيرِ ثُمَّ يَظْهَرُ فَيَشْمَلُ عَالَمَ الْحَقِيقَةِ وَالشُّهُودِ .

لَا بُدَّ مِنْ مُوَاجَهَةِ الشَّرِّ الْمُسَلَّحِ بِالْخَيْرِ الْمُسَلَّحِ .

لَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ الْبَاطِلِ الْمُفْتَرِسِ بِالْعَدَدِ بِالْحَقِّ الْمُتَوَشِّحِ بِالْعُدَّةِ ، وَإِلَّا كَانَ الْأَمْرُ انْتِحَاراً ، أَوْ كَانَ هَزْلاً لَا يَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِينَ .

لَا بُدَّ مِنْ بَذْلِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ ، كَمَا طَلَبَ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَمَا اشْتَرَى مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فِيمَا أَنْ يُقَدَّرَ لَهُمُ الْغَلَبَةُ ، أَوْ يُقَدَّرَ لَهُمُ الْاسْتِشْهَادُ ؛ فَذَلِكَ شَأْنُهُ - سُبْحَانَهُ - وَذَلِكَ قَدْرُهُ الْمَصْحُوبُ بِحُكْمَتِهِ .

لِلْمُجَاهِدِينَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؛ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ يَمُوتُونَ عِنْدَمَا يَحِينُ الْأَجَلُ ، وَالشُّهَدَاءُ وَحْدَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُسْتَشْهَدُونَ .

إِنَّ الْقِتَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرِيضَةٌ شَاقَّةٌ ، وَلَكِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةُ الْأَدَاءِ ؛ لِأَنَّ فِيهَا خَيْرًا كَثِيرًا لِلْفَرْدِ الْمُسْلِمِ ، وَلِلْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ ، وَلِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا ، وَلِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالصَّالِحِ . قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦) .

إِنَّ لِلْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ مَكَانَةً عَظِيمَةً ، وَمَنْزِلَةً لَا تُدَانِيهَا أَيُّ مَنْزِلَةٍ أُخْرَى ؛ فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَظْهَرُ فَضْلُهُ عِنْدَمَا تَأْمَنُ الْأَرْضُ مِنْ كُفْرِ الْكَافِرِينَ وَرِدَّةِ الْمُرْتَدِّينَ ، وَإِفْسَادِ الْمُفْسِدِينَ وَنِفَاقِ الْمُنَافِقِينَ . فَاَلْمُجَاهِدُونَ هُمُ الَّذِينَ يُطَارِدُونَ الْكُفْرَ وَالنِّفَاقَ وَيَقْضُونَ عَلَى الرَّدَّةِ ، وَيُدَافِعُونَ عَنِ الْحَقِّ وَيَغْلِبُونَ الْبَاطِلَ ، فَيَقُومُ فِي الْأَرْضِ دِينُ اللَّهِ ، وَيُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَدَمَّتْ صَوْمِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤١) .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « فَالَّذِينَ الْحَقُّ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْكِتَابِ الْهَادِي وَالسَّيْفِ النَّاصِرِ » (٣) .

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢١٦) .

(٢) سورة الحج ، الآيتان : (٤٠ - ٤١) .

(٣) « مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ » (١ / ٥٣١) .

وَقَالَ أَيْضاً : «لَنْ يَقُومَ الدِّينُ إِلَّا بِالْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَدِيدِ ؛ كِتَابٌ يُهْدَى بِهِ ، وَحَدِيدٌ يَنْصُرُهُ» (١) .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : «فَدِينُ الْإِسْلَامِ قَامَ بِالْكِتَابِ الْهَادِي ، وَنَقَّذَهُ السَّيْفُ الْمَاضِي» (٢) .

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَلِأَنَّ الْجِهَادَ بَذَلَ الْمُهِجَةُ وَالْمَالِ ، وَنَفَعُهُ يُعْمُ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ ؛ قَوِيَّهُمْ وَضَعِيفَهُمْ ، ذَكَرَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ . وَغَيْرُهُ لَا يُسَاوِيهِ فِي فَضْلِهِ وَأَجْرِهِ» (٣) .

وَيُلَخِّصُ لَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَلَاماً نَفِيساً فِي فَضْلِ الْجِهَادِ ؛ حَيْثُ يَقُولُ : «إِعْلَمُوا أَنَّ الْجِهَادَ فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَفِي تَرْكِهِ خَسَارَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٤) .

لَوْ لَا الْجِهَادُ لَكَانَتِ الْحَيَاةُ تَفْسُداً وَتَعَفُّفاً . قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (٥) .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بَعْضَ النَّاسِ وَهُمْ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ بِهِ - بَعْضاً - وَهُمْ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ لِلَّهِ وَالشُّرْكِ بِهِ ، كَمَا دَفَعَ عَنِ الْمُتَخَلِّفِينَ

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ٣٦) .

(٢) «هداية الحيارى» (١ / ١٠) .

(٣) «المغني» (١٠ / ٣٦٢) .

(٤) «مجموع الفتاوى» (١١ / ١٥٢) .

(٥) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٥١) .

عَنْ طَالُوتَ يَوْمَ جَالُوتَ ، بِمَنْ جَاهَدَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَقِينِ وَالصَّبْرِ جَالُوتَ وَجُنُودَهُ ، ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ ، لَهْلَكَ أَهْلُهَا بِعُقُوبَةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ . وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو مَنْ عَلَى خَلْقِهِ ، وَتَطَوَّلَ عَلَيْهِمْ بِدَفْعِهِ بِالْبِرِّ مِنْ خَلْقِهِ عَنِ الْفَاجِرِ ، وَبِالْمُطِيعِ عَنِ الْعَاصِي مِنْهُمْ ، وَبِالْمُؤْمِنِ عَنِ الْكَافِرِ .

هَذِهِ الْآيَةُ إِعْلَامٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِذِكْرِ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ مَشَاهِدِهِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ ؛ لِلشَّكِّ الَّذِي فِي نُفُوسِهِمْ ، وَمَرَضِ قُلُوبِهِمْ . وَالْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكُفْرِ مِنْهُمْ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مُعَالَجَتَهُمُ الْعُقُوبَةُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ بِإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَالْجِدِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ . وَيُوقِنُ ذُو الْيَقِينِ بِإِنْجَازِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ وَعَدَهُ عَلَى جِهَادِ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِهِ مِنَ النَّصْرِ الْعَاجِلِ وَالْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ فِي الْآخِرَةِ .

قَالَ مُجَاهِدٌ : «وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ بِالْبَارِّ عَنِ الْفَاجِرِ ، وَدَفَعَهُ بِبَقِيَّةِ أَخْلَافِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ بِهَلَاكِ أَهْلِهَا» .

وَمِنَ اللَّفْتَةِ الْجَمِيلَةِ أَنَّ اللَّهَ أَفْرَدَ لِلْجِهَادِ سُورَةً سَمَّاها سُورَةُ الْقِتَالِ ، أَوْ سُورَةَ «مُحَمَّدٍ» ؛ فَهُوَ نَبِيُّ الْمَلَا حِمِ ﷺ . وَسُورَةٌ أُخْرَى هِيَ «الْأَنْفَالُ» ، وَثَالِثَةٌ هِيَ «التَّوْبَةُ» ، وَفِيهَا مِنَ الْإِشَارَةِ مَا فِيهَا . فَلْيَتَعَزَّزْ أَمْرُؤُ ، وَلْيَتَجَرَّزْ بِنَفْسِهِ مَعَ اللَّهِ ، وَيَبْذُلْهَا فِي أَعْلَى الْغَايَاتِ وَأَسْمَى الْأُمْنِيَّاتِ ؛ عَسَاهُ يَلْحَقُ بِالرَّكْبِ وَالْقَافِلَةِ .

يَزَخَرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِآيَاتِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي تُبَيِّنُ فَضْلَ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ نَذَكُرُ مِنْهَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١﴾ ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ : الْجِهَادُ . فَإِنَّهُ سَبَبُ الْحَيَاةِ فِي الظَّاهِرِ ؛ لِأَنَّ الْعَدُوَّ إِذَا لَمْ يُغْزَ غَزَا ، وَفِي غَزْوِهِ الْمَوْتُ ، وَالْمَوْتُ فِي الْجِهَادِ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٢) ، (٣) .

جَعَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَهْدَى النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ ، وَأَسْعَدَهُمْ بِسَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ اخْتِلَافِ النَّاسِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) . يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَلِهَذَا كَانَ الْجِهَادُ مُوجِبًا لِلْهُدَايَةِ الَّتِي هِيَ مُحِيطَةٌ بِأَبْوَابِ الْعِلْمِ ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ، فَجَعَلَ لِمَنْ جَاهَدَ فِيهِ هِدَايَةً جَمِيعَ سُبُلِهِ تَعَالَى ، وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامَانِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا : «إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي شَيْءٍ فَاَنْظُرُوا مَاذَا عَلَيْهِ أَهْلُ الثُّغُورِ ، فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٥) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٦) ، قَرَأَهَا الْجُمْهُورُ : ﴿قَاتِلُوا﴾ ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ : ﴿قُتِلُوا﴾ .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩ .

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٤١) .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٥) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٥٢) .

(٦) سورة محمد ، الآيتان : ٤ - ٥ .

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُتَدَبِّرِ لَجَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالرِّضْوَانِ ؛ فَإِنَّهُ فِي الْعَادَةِ يَسْبِقُ هَذِهِ الْآيَاتِ صِفَاتُ الْمُؤْعُودِينَ بِذَلِكَ . وَبِاسْتِقْرَاءِ أَوْصَافِهِمْ نَجِدُ أَنَّهَا تَكَادُ تَنْحَصِرُ فِي الْمُجَاهِدِينَ وَالصَّابِرِينَ ، وَالْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٣) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(٤) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْلِلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٥) .

جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْجِهَادَ كَفَّارَةً لِلذُّنُوبِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَتَائِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَجٍ يُخْرِجُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ^(٦) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٨ .

(٢) سورة التوبة ، الآيتان : ٨٨ - ٨٩ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٧٤ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ . قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَمَنْ كَانَ كَثِيرَ الذُّنُوبِ فَأَعْظَمَ دَوَائِهِ الْجِهَادُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ . وَمَنْ أَرَادَ التَّخَلُّصَ مِنَ الْحَرَامِ ، وَالتَّوْبَةَ ، وَلَا يُمَكِّنُ رَدَّهُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلْيُنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ طَرِيقٌ حَسَنٌ إِلَى خُلَاصِهِ ، مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ أَجْرِ الْجِهَادِ . وَكَذَلِكَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُكْفِرَ اللَّهَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ فِي دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَحَمِيَّتِهَا فَعَلَيْهِ بِالْجِهَادِ » (٢) .

حَيَاتُهُ ﷺ كُلُّهَا جِهَادٌ ، أُمْنِيَّتُهُ ﷺ جِهَادٌ وَشَهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، رِزْقُهُ ﷺ مِنَ الْجِهَادِ ، وَصِيَّتُهُ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : لَيْسَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ تَقَلَّدَ السَّيْفَ بَعْدَ دَاوُدَ ﷺ وَخَرَّتِ الْأُمَمُ تَحْتَهُ ، وَقُرِنَتْ شَرَائِعُهُ بِالْهَيْبَةِ - سِوَى نَبِيِّنَا ﷺ ؛ كَمَا قَالَ : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي » (٣) .

فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ

(١) سورة الصف ، الآيات : ١٠ - ١٣ .

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٤٢١) .

(٣) «صحيح البخاري» (٢٨١٥) .

(٤) «صحيح مسلم» (١٨٧٦) .

تَغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا ، وَلَكِنْ لَا أَجْدُ سِعَةً فَأَحْمِلُهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَ سِعَةً ،
وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ ، ثُمَّ أَغْزُوا فَأُقْتَلَ ، ثُمَّ أَغْزُوا فَأُقْتَلَ .

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْقَائِدُ الْأَعْلَى لِأَصْحَابِهِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْغَزَوَاتِ ، وَهِيَ (٢٨)
غَزْوَةٌ ، وَكَانَ عَدَدُ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ (٤٧) سَرِيَّةً ، وَقَدْ اسْتَعْرَقَ جِهَادُ النَّبِيِّ ﷺ
فِي قِيَادَاتِ الْغَزَوَاتِ وَبَعَثَ السَّرَايَا تِسْعَ سِنِينَ ، مِنْ سِنِي مَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ مِنَ السَّنَةِ
الْأُولَى الْهِجْرِيَّةِ إِلَى السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ الْهِجْرِيَّةِ .

هَذِهِ هِيَ حَيَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كُلُّهَا جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَعْنِي :

* أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ أَوْ يُرْسِلُ سَرِيَّةً فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ أَوْ أَقَلَّ .

* كَمَا يَظْهَرُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَاحِبَ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ،
وَاللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ ، وَالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى ، وَإِمَامَ الْمُرْسَلِينَ ، وَسَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ،
مَا كَانَ يَقْعُدُ خَلْفَ سَرَايَاهُ إِلَّا إِشْفَاقًا عَلَى أُمَّتِهِ بِأَنْ تُكَلِّفَ نَفْسَهَا الْخُرُوجَ فِي كُلِّ
سَرِيَّةٍ مِثْلَهُ ﷺ ، فَيَشُقُّ ذَلِكَ عَلَيْهَا .

* أَمَّا أُمِّيَّتُهُ ﷺ «أَنْ يُقْتَلَ ثُمَّ يُحْيَا ، ثُمَّ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فَحُبًّا فِي كَرَامَةِ
الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : «هَذَا الْحَدِيثُ أَجَلُ مَا جَاءَ
فِي فَضْلِ الشُّهَدَاءِ» .

* أَمَّا رِزْقُهُ ﷺ ، فَقَوْلُهُ : «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي» ^(١) .

* أَمَّا أَهْمُ وَصَايَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ فَكَانَتْ أَيْضاً الْجِهَادَ ؛
حَيْثُ عَقَدَ لَوَاءً لِأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ لِقِتَالِ الرُّومِ ، فَقَالَ ﷺ : «أَنْفِذُوا
بَعَثَ أُسَامَةَ» .

وَبَعْدَ انْتِقَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ وَقَصَدُوا
مُهَاجِمَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعْقِلِهِمْ - الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ - ، وَصَارَ الصَّحَابَةُ ﷺ كَمَا
وَصَفَهُمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ كَنَعَمٍ بِلَا رَاغٍ ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ كَمَا قَالَ عَمَّارُ
أَضْيَقَ عَلَى أَهْلِهَا مِنَ الْخَاتَمِ .

وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الصَّعْبَةِ وَالظُّرُوفِ الْعَسِيرَةِ جَاءَ أَمْرُ تَنْفِيزِ بَعَثِ أُسَامَةَ ﷺ
الَّذِي كَانَ قَدْ جَهَّزَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِقِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي دِيَارِهِمْ بَعِيداً
عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، لَكِنَّ الْجَيْشَ قَدْ تَوَقَّفَ نَظراً لِشِدَّةِ مَرَضِهِ ﷺ ، ثُمَّ انْتَقَالَ
إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ .

قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ بِتَنْفِيزِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْفَوْرِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذِهِ
الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ . عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ : «نَادَى مُنَادِي أَبِي بَكْرٍ مِنْ بَعْدِ الْغَدِ
مِنْ مُتَوَقِّئِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُسَمَّ بَعَثَ أُسَامَةَ : أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ
أُسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ بِالْجُرْفِ» ^(٢) . وَلَمَّا اسْتَأْذَنَ أُسَامَةَ الصِّدِّيقُ فِي

(١) «مسند أحمد» (٥٦٦٧) ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي ، «صحيح الجامع» ، (٢٨٣١) .

(٢) الْجُرْفُ : بِالضَّمِّ ثُمَّ السَّكُونِ . مَوْضِعٌ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ نَحْوِ الشَّامِ ، «معجم البلدان» (١٤٩/٢) ، (٣٠٥٣) .

(٣) «تاريخ الطبري» (٢٢٣/٣) .

الْبَقَاءِ مَعَ الْجَيْشِ بِالْمَدِينَةِ نَظَرًا لِقُلُوبِ الْأَحْوَالِ كَتَبَ إِلَيْهِ الصَّدِيقُ (ع) : « مَا كُنْتُ لِأَسْتَفْتِحَ بِشَيْءٍ أَوْلَى مِنْ إِنْفَازِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَلَآنَ تَخَطَّفَنِي الطَّيْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ » (١) .

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السَّبَاعَ تَخَطَّفَتْنِي لَأَنْفَذْتُ بَعَثَ أَسَامَةَ كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) ، وَلَوْ لَمْ يَتَّقَ فِي الْقُرَى غَيْرِي لَأَنْفَذْتُهُ » (٢) .

هَذِهِ هِيَ الْمَتَابَعَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ الشَّامِلَةُ لِلنَّبِيِّ (ص) ، الَّتِي أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِقْتِدَاءِ بِالرَّسُولِ (ص) فِي جِهَادِهِ ، وَأَقْوَالِهِ ، وَأَفْعَالِهِ ، وَأَحْوَالِهِ ، وَفِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ ، وَمُرَابَطَتِهِ ، وَفِي جَمِيعِ شُؤُونِهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٣) .

الْجِهَادُ أَفْضَلُ مِنْ عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَسِقَايَةِ الْحُجَّاجِ فِيهِ

فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٤) عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (ع) قَالَ : « كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أَبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ . وَقَالَ آخَرُ : مَا أَبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُعَمِّرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وَقَالَ آخَرُ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ . فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ :

(١) «تاريخ خليفة خياط» (ص ١٠٠) .

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٢٥) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٤) «صحيح مسلم» (١٨٧٩) .

لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِي مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١﴾ خَلِيدٌ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ ١) .

إِنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى فَضْلِ عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ - وَلَا سِيَّامَا الْبَيْتِ الْحَرَامِ - ، وَأَنَّهُ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَكِنَّهُ يَفْضُلُهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا عُمِرَتِ الْمَسَاجِدُ ؛ بَلْ تُهْدَمُ وَيُصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فِيهَا .
وَدَلَّتِ الْآيَةُ كَذَلِكَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ (الْجِهَادُ مَعَ الْإِيمَانِ) .

* يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَالْمَقَامُ بِالثُّغُورِ لِلْجِهَادِ أَفْضَلُ مِنْ سَكَنِ الْحَرَمَيْنِ . بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ» . فَطُوبَى لِمَنْ أَقَامَهُ اللَّهُ فِي مَقَامِ الْجِهَادِ (٢) .

* وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : «فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي عِنْدَ اللَّهِ عُمَارُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَهُمْ عُمَارُهُ بِالْإِعْتِكَافِ وَالطَّوَافِ وَالصَّلَاةِ ، هَذِهِ هِيَ عِمَارَةُ مَسَاجِدِهِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ ، وَأَهْلُ سِقَايَةِ الْحَاجِّ ..

(١) سورة التوبة، الآيات : ١٩ - ٢٢ .

(٢) ينظر : «مجموع الفتاوى» و «جامع الرسائل» .

لَا يَسْتَوُونَ هُمْ وَأَهْلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنَّ هُمْ أَهْلُ الْبَشَارَةِ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّضْوَانِ وَالْجَنَانِ . فَفَقِيَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ وَ عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ ، مَعَ ثَنَائِهِ عَلَى عَمَلِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

فَهَؤُلَاءِ هُمْ عُمَارُ الْمَسَاجِدِ ، وَمَعَ هَذَا فَأَهْلُ الْجِهَادِ أَفْضَلُ وَأَرْفَعُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمْ .

* وَأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ مِنْ عِبَادَةٍ تُحَقِّقُ لِصَاحِبِهَا الْجَنَاتِ وَالرَّضْوَانِ ، الَّذِي هُوَ غَايَةُ الْمُؤْمِنِ وَمَطْمَعُ بَصَرِهِ؟! وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ تُبَشِّرُ الْمُؤْمِنَ بِهَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فَإِنَّ آيَاتٍ أُخْرَى تُنَكِّرُ عَلَى الْمُؤْمِنِ طَلَبَ هَذَا الْفَضْلِ بِدُونِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

* وَالْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ تَقُولُ : «إِذَا تَعَيَّنَ الْجِهَادُ فَلَا شَيْءَ مِنَ الْعِبَادَاتِ أَفْضَلُ مِنْهُ» ؛ لِأَنَّ : «مَنْ أَوْجَبَ الْوَاجِبَاتِ دَفَعَ الْعَدُوَّ الصَّائِلَ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا» .

* حَتَّى الصَّلَاةُ قَدْ تَوَخَّرَ وَيَقْدَمُ عَلَيْهَا الْجِهَادُ ، حَتَّى الصَّيَامُ الْوَاجِبُ قَدْ تَفَطَّرَ لَكِنَّ الْجِهَادَ لَا يُؤَخَّرُ .

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٢ .

* وَالْجِهَادُ الْمُتَعَيَّنُ أَفْضَلُ مِنْ حَجِّ الْفَرِيضَةِ ، وَمُقَدَّمٌ عَلَيْهَا بِالْإِجْمَاعِ ؛ بَلْ حَتَّى اسْتِثْنَانُ الْوَالِدَيْنِ يَسْقُطُ فِي جِهَادِ الدَّفْعِ . كَمَا تُنْصُ الْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ الْمُجْمَعُ عَلَيْهَا : « لَا اسْتِثْنَانُ فِي فُرُوضِ الْأَعْيَانِ » .

* لَا يُوجَدُ بَعْدَ التَّوْحِيدِ أَعْظَمُ مِنْ عِبَادَةِ الْجِهَادِ أَجْرًا ، وَلَا يُوجَدُ أَفْضَلُ مِنَ الْمُجَاهِدِ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرًا . وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(١) .

* وَلَا يُوجَدُ أَفْضَلُ مِنْ حَيَاةِ الْمُجَاهِدِ . سُئِلَ ﷺ : مَنْ خَيْرُ مَعَاشِ النَّاسِ ؟ قَالَ : « رَجُلٌ أَخَذَ بِعَنْانِ فَرَسِهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً طَارَ إِلَيْهَا ، يَبْتَغِي الْمَوْتَ مَظَانَّهُ » ^(٢) .

* وَسُئِلَ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ ، قَالَ : « الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(٣) .

* تَأَمَّلْ أَخِي الْمُسْلِمُ ! أَفْضَلُ النَّاسِ هُمُ الْمُجَاهِدُونَ .. أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ هِيَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ حَتَّى الْعِلْمُ الَّذِي لَا يُوَافِقُهُ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ لَعِبٌ ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا لَعِلِمْتَ أَنَّكَ بِالْعِبَادَةِ تَلْعَبُ

بَلْ إِنَّ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ عِلْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَدْعُو إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . كَمَا وَضَّحْنَاهُ .

(١) «صحيح البخاري»، و«مسلم»، و«أحمد»، و«أبو داود» .

(٢) صحيح رواه أحمد في «المسند»، و«الترمذي»، و«النسائي»، وصحَّحه الألباني في «الصحيح» (٢٥٥) .

(٣) «صحيح البخاري» (٢٥١٨/٥)، «صحيح مسلم» (٨٤) .

إِمَّا الْجِهَادُ وَإِمَّا الذُّلُّ

تَرْكُ الْجِهَادِ سَبَبُ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ ، وَالذَّنْسِ وَالْعَارِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» ^(١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ» ^(٢) .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَنْ لَمْ يَغْزُ ، أَوْ يُجَهِّزَ غَازِيًا ، أَوْ يُخَلِّفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ ، أَصَابَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ^(٣) .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا تَرَكَ قَوْمُ الْجِهَادِ إِلَّا أَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ» ^(٤) .

وَالْوَاقِعُ يَشْهَدُ : مَا مِنْ أُمَّةٍ تَرَكَتِ الْجِهَادَ إِلَّا ضَرَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا الذُّلَّ ، فَدَفَعَتْ مُرْغَمَةً صَاحِرَةً أَوْ صَاحِرَةً أَضْعَافَ مَا كَانَ يَتَطَلَّبُهُ مِنْهَا جِهَادُ الْأَعْدَاءِ .

(١) صحيح رواه أبو داود ، وأحمد ، والطبراني في «الكبير» ، وصحَّحه الألباني في «الصحيح» (١١) ، و«صحيح الترغيب» (١٣٨٨) .

(٢) «صحيح مسلم» (١٥١٧/٣) ، (١٩١٠) ، «سنن أبي داود» (١٠/٣) ، (٢٥٠٥) .

(٣) حسن : رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» ، (١٣٩١) .

(٤) حسن : رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٥١) ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» ، (١٣٩٢) .

لَنْ يُرْفَعَ عَنَّا هَذَا الذُّلُّ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى دِينِنَا ، وَنَحْمِلَ رَايَةَ الْجِهَادِ ضِدَّ الْكُفَّارِ .

يَقُولُ الْأُسْتَاذُ سَيِّدُ قُطْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَالَّذِينَ يَخْشَوْنَ الْعَذَابَ ، وَالْأَلَمَ وَالْإِسْتِشْهَادَ ، وَخَسَارَةَ الْأَنْفُسِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ إِنْ هُمْ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَأَمَّلُوا مَاذَا تُكَلِّفُهُمُ الدَّيْنُونَةُ لِغَيْرِ اللَّهِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، وَفَوْقَهَا الْأَخْلَاقُ وَالْأَعْرَاضُ . إِنَّ تَكَالِيفَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي وَجْهِ طَوَاعِيَتِ الْأَرْضِ كُلِّهَا لَنْ تُكَلِّفَهُمْ مَا تُكَلِّفُهُمُ الدَّيْنُونَةُ لِغَيْرِ اللَّهِ . وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ الذُّلُّ وَالِدَّنْسُ وَالْعَارُ» (١) .

هَذِهِ هِيَ ضَرِيَّةُ الشُّكُوتِ ، هَذِهِ هِيَ ضَرِيَّةُ الذُّلِّ بِتَرْكِ الْجِهَادِ .

وَفِي تَرْكِ الْجِهَادِ فِتْنَةٌ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (٢) . قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «فَمَنْ تَرَكَ الْقِتَالَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ لِئَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَهُوَ فِي الْفِتْنَةِ سَاقِطٌ ؛ بِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ رَيْبٍ قَلْبِهِ ، وَمَرَضٍ قُوَادِهِ ، وَتَرْكِهِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْجِهَادِ . فَتَدَبَّرْ هَذَا ؛ فَإِنَّ هَذَا مَقَامٌ خَطِرٌ !

(١) «في ظلال القرآن» (٤ / ١٩٤١) .

(٢) سورة التوبة ، جزء من الآية : ٤٩ .

بَعْضُ الْأَحَادِيثِ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَأَهْلِهِ ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُجَاهِدِينَ ؛ فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا . وَالتَّأَمُّلُ فِي أَحَادِيثِ الْفَضَائِلِ يَجِدُ أَنَّ مَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ جَاءَ فِي فَضِيلَتِهِ ، وَالتَّرَغِيبِ فِيهِ وَالثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِهِ ، أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَمْ تَأْتِ لِغَيْرِهِ مِنَ الصَّالِحَاتِ كَمَا جَاءَ فِي شَعِيرَةِ الْجِهَادِ .

لَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالْإِقْتِدَاءِ بِالرَّسُولِ ﷺ فِي جِهَادِهِ ، وَفِي جَمِيعِ شُؤُونِهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) . قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلُ كَبِيرٍ فِي بِالتَّأْسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ ، وَأَفْعَالِهِ ، وَأَحْوَالِهِ . وَلِهَذَا أَمَرَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِالتَّأْسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ فِي صَبْرِهِ ، وَمُصَابَرَتِهِ ، وَمُرَابَطَتِهِ ، وَمُجَاهَدَتِهِ ، وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى لِلَّذِينَ تَقَلَّقُوا وَتَضَجَّرُوا وَتَزَلُّزُوا وَاضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ . أَي : هَلَّا إِقْتَدَيْتُمْ بِهِ ، وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَائِلِهِ ﷺ ؟! » (٢) .

وَهَذِهِ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا إِمَامُ الْمُجَاهِدِينَ ، الْقَائِدُ الْقُدْوَةُ ، رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَضْلَ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٣/ ٦٢٦) .

الْجِهَادُ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ :

ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ ، قَالَ : «لَا أَجِدُهُ» ، قَالَ : «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَتَقُومَ وَلَا تَقْرَأَ ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟» قَالَ : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَتِرُ ^(٢) فِي طُولِهِ ، فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٌ .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ ^(٣) : «وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَقْتَضِي أَنْ لَا يَعْدِلَ الْجِهَادُ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ ... قَالَ عِيَاضٌ : اشْتَمَلَ حَدِيثُ الْبَابِ عَلَى تَعْظِيمِ أَمْرِ الْجِهَادِ ؛ لِأَنَّ الصَّيَامَ وَغَيْرَهُ مِمَّا ذَكَرَ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ قَدْ عَدَلَهَا كُلُّهَا الْجِهَادَ ، حَتَّى صَارَتْ جَمِيعَ حَالَاتِ الْمُجَاهِدِ وَتَصَرُّفَاتِهِ الْمُبَاحَةَ مُعَادِلَةً لِأَجْرِ الْمَوَاطِبِ عَلَى الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا . وَلِهَذَا قَالَ ﷺ : «لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ» . وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مُطْلَقًا .

وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ : الْقِيَاسُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْجِهَادُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ وَسَائِلُ ؛ لِأَنَّ الْجِهَادَ وَسِيلَةً إِلَى إِعْلَانِ الدِّينِ وَنَشْرِهِ ، وَإِخْمَادِ الْكُفْرِ وَدَحْضِهِ ، فَفَضِيلَتُهُ بِحَسَبِ فَضِيلَةِ ذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٤) .

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٨٥) .

(٢) سَنَ الْفَرَسِ ، يَسْتَتِرُ اسْتِنَانًا ، أَي : عَدَا الْمَرْحَةَ وَنَشَاطَهُ شَوْطًا أَوْ شَوَاطِينَ ، وَلَا رَاكِبَ عَلَى ظَهْرِهِ .

(٣) «فتح الباري» (٧/٦) .

(٤) «فتح الباري» (٤/٦) .

الْجِهَادُ ذِرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ :

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ^(١) » .

الْجِهَادُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ :

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ^(٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه : عَنْ النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « أَفْضَلُ الْعَمَلِ : الْإِيمَانُ بِاللَّهِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ » . يَقُولُ ابْنُ حَبَرٍ فِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ الْجِهَادَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِيمَانِ » . قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رحمته الله : « الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَظِيفَةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، ثُمَّ يَتَّبِعُهُمَا عَمَلُ الْجَوَارِحِ ، وَأَفْضَلُهَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

الْمُجَاهِدُ أَفْضَلُ النَّاسِ :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلَةً؟ ، رَجُلٌ مُمِسِكٌ بَعَنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم قَالَ : « مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ : رَجُلٌ مُمِسِكٌ عَنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَتَّبِعِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَطَّانَةً .. » ^(٣) .

(١) صحيح رواه أحمد في «المسند»، والترمذي، والحاكم في «المستدرک»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٣٦) .

(٢) «صحيح البخاري» (٢٥١٨/٥) .

(٣) صحيح رواه أحمد في «المسند»، والترمذي، والنسائي، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٢٥٥) .

وفي «صحيح البخاري» ^(١) : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : «رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .

الْجِهَادُ وَسَبِيلُهُ أَمَانٌ مِنَ النَّارِ ، وَنَجَاةٌ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ :
رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ^(٢) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ» .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ ^(٣) : «وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْمَسَّ يَنْتَفِي بِوُجُودِ الْغُبَارِ الْمَذْكُورِ ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى عَظِيمِ قَدْرِ التَّصَرُّفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِذَا كَانَ مُجَرَّدُ مَسِّ الْغُبَارِ لِلْقَدَمِ يُحَرِّمُ عَلَيْهَا النَّارَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ سَعَى وَبَذَلَ جَهْدَهُ وَاسْتَنْفَدَ وَسْعَهُ ؟» .

الْغُبَارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُحَرِّمُ النَّارَ عَلَى الْمُجَاهِدِ ، فَمَا أَطْيَبَ هَذَا الْغُبَارُ إِنْ كَانَ يُحَرِّمُ عَلَيْنَا النَّارَ ! :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ فِي جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرِي مُسْلِمٍ أَبَدًا» ^(٤) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا ، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا» ^(٥) .

(١) «صحيح البخاري» : (٤/١٥/٢٧٨٦) ، و «صحيح مسلم» : (٣/١٥٠٣/١٨٨٨) ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي .

(٢) «صحيح البخاري» (٢٨١١) .

(٣) «فتح الباري» (٦/٣٦) .

(٤) صحيح رواه النسائي وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» ، (١٦٦/٢) ، و «صحيح الجامع» (٧٦١٧) .

(٥) صحيح رواه النسائي ، والحاكم في «مستدركه» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦/٦) ، و «تخريج المشكاة» (٣٨٢٨) .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ رَاحَ رَوْحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَصَابَ مِنَ الْغُبَارِ مِنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(١) . وَاللَّهُ إِنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ يَوْمٍ خَلَقَهَا اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا تُسَاوِي أَقْلَ ذَرَّةٍ مِنْ هَذَا الْمِسْكِ ، فِيهِ نَيْلُ هَذَا الْمِسْكِ نَافِسٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ .

حَرَامٌ عَلَى النَّارِ أَنْ تَمَسَّ عَيْنَ الْمُجَاهِدِ :

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ^(٢) .

قِيَامُ سَاعَةٍ فِي الصَّفِّ وَأَجْرُهَا الْعَظِيمُ :

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ» ^(٣) .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قِيَامُ سَاعَةٍ فِي الصَّفِّ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ سِتِّينَ سَنَةً» .

(١) حسن : رواه ابن ماجه في «السُّنَنِ» ، وحسنه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (٢٣٣٨) ، و«صحيح الجامع» (٦٢٦٠) .

(٢) صحيح : رواه أبو يعلى ، والضياء في «المختارة» ، وصحَّحه السيوطي ، والألباني في «تخريج المشكاة» (٣٨٢٩) ، و«صحيح الجامع» (٤١١٣) .

(٣) صحيح : رواه ابن حبان في «صحيحه» ، والبيهقي في «شعب الإيمان» ، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (١٠٦٨) ، و«الترغيب» (١٥٢ / ٢) .

الرَّمْيِ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَعْدِلُ إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ :

وَعَنْ عَمْرُو بْنِ عَبْسَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ رَمَى الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَلَغَ الْعَدُوَّ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ يَعْدِلُ رَقَبَةً» ^(١) .

الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَالصَّائِمِ الْقَانِتِ :

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا يَعْدِلُ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ» . وَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ : «مِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ الصَّائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى» . قَالَ النَّوَوِيُّ : «مَعْنَى الْقَانِتِ هُنَا : الْمُطِيعُ» .

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : عَظِيمُ فَضْلِ الْجِهَادِ ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْقِيَامَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، وَقَدْ جَعَلَ الْمُجَاهِدَ مِثْلَ مَنْ لَا يَفْتُرُ عَنْ ذَلِكَ لَحْظَةً مِنْ اللَّحْظَاتِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا لَا يَتَأْتِي لِأَحَدٍ ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ : «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ» . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الْجِهَادُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ :

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّهُ رُوحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ» ^(٣) .

(١) صحيح : رواه أحمد في «المسند» ، والنسائي ، وابن ماجه ، والطبراني في «الكبير» ، والحاكم في «المستدرک» ، وصحَّحه الألباني في «الترغيب» (١٧١ / ٢) ، و«صحيح الجامع» (٦٢٦٧) .

(٢) «صحيح مسلم» .

(٣) رواه أحمد في «المسند» ، وحسنه السيوطي ، والألباني في «الصحيحه» رقم (٥٥٥) ، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٣) .

الْجِهَادُ سِيَاحَةُ هَذِهِ الْأُمَّةُ :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ .
فَقَالَ رضي الله عنه : « إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(١) .

قَالَ الْمَنَائِي : « إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي لَيْسَتْ مُفَارَقَةُ الْوَطَنِ ، وَهَجْرَ الْمَأْلُوفَاتِ ، وَتَرْكُ
الذَّلَّةِ وَالْجُمُوعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَالذَّهَابَ فِي الْأَرْضِ ، وَالانْقِطَاعَ عَنِ النِّسَاءِ ، وَتَرْكُ
النِّكَاحِ لِلتَّخَلِّيِّ لِلْعِبَادَةِ ؛ بَلْ هِيَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَيْ : قِتَالِ الْكُفَّارِ بِقَصْدِ
إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْجَبَّارِ » .

الرَّوْحَةُ وَالْغُدُوَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَخَيْرٌ مِمَّا
طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ :

رَوَى الْبُخَارِيُّ ^(٢) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« الرَّوْحَةُ وَالْغُدُوَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وَرَوَى مُسْلِمٌ ^(٣) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « غُدُوَّةٌ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ » .

(١) صحيح : رواه أبو داود ، والحاكم ، وقال : صحيح ، وأقره الذهبي وصححه السيوطي ، والألباني في
«صحيح الجامع» ، (٢٠٩٣) ، و«تخريج المشكاة» (٧٢٤) .

(٢) «صحيح البخاري» : (٢٧٩٣) .

(٣) «صحيح مسلم» : (١٨٨٢) .

الْجِهَادُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ :
عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ» ^(١) .

الْجِهَادُ أَقْرَبُ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى :

عَنْ فَضَالَةَ رضي الله عنه قَالَ : أَقْبَلَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، مَا
أَقْرَبُ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ ؟ ، فَقَالَ ﷺ : «أَقْرَبُ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : الْجِهَادُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يُقَارِبُهُ شَيْءٌ ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَ هَذَا» وَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى
رَجُلٍ قَائِمٍ لَا يَفْتَرُ مِنْ قِيَامٍ وَصِيَامٍ ^(٢) .

الْمُجَاهِدُ يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَمَنْ ضَحِكَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ :
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ :
الرَّجُلُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا
لِلْقِتَالِ» ^(٣) . مَنْ ضَحِكَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ ، فَطُوبَى لِلْمُجَاهِدِينَ !!

الْمُجَاهِدُونَ فِي ضَمَانِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحَمَايَتِهِ :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ :
رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ،

(١) صحيح رواه الطبراني في «الأوسط» ، رواه أحمد في «المسند» ، والحاكم في «المستدرک» ، وأقره الذهبي ،
وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (١٩٤١) ، و«صحيح الجامع» (٤٠٦٣) .

(٢) إسناده حسن : رواه البخاري في «التاريخ الكبير» ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» ، رقم (٣٩٣٨) .

(٣) صحيح : رواه أحمد في «المسند» ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم ، وأقره الذهبي ، وصحَّحه السيوطي .

أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ . وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ ؛ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ . وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ ؛ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ» ^(١) .

الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ :

رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» ^(٢) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» . فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُوسَى أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ . ثُمَّ كَسَرَ جَنْفَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ ، فَضْرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ .

هَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته الله : «وَالْأَمْرُ بِالْجِهَادِ وَذِكْرُ فَضَائِلِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ مَا تَطَوَّعَ بِهِ الْإِنْسَانُ» .

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الَّتِي ذَكَرْنَا فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَأَهْلِهِ هِيَ حُجَّةٌ ، وَإِنْذَارٌ لِلْقَاعِدِينَ ، وَتَشْبِيهٌُ لِلْمُجَاهِدِينَ ، وَتَذَكِيرٌ لِلْغَافِلِينَ وَالْمَخْدُوعِينَ بِأَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِعَوْدَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى عِزِّهَا وَكَرَامَتِهَا وَمَجْدِهَا .

(١) صحيح : رواه أبو داود ، وابن حبان في «صحيحه» ، والحاكم في «المستدرک» ، وأقره الذهبي ، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٩) ، و«صحيح الجامع» (٣٠٥٣) .

(٢) «صحيح مسلم» ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والحاكم في «المستدرک» ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي .

المبحثُ الرابع

أهمُّ الوسائلِ الموجهةِ ضدَّ الجهادِ والمجاهدين
وَضِدَّ الإسلامِ والمُسلمينَ

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ فِي دِينِنَا الْعَظِيمِ لِلْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا الْكَمِّ الْكَبِيرِ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ فِي الشَّاءِ الْعَاطِرِ لِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْعَظِيمَةِ وَلِأَهْلِهَا ، إِلَّا أَنَّ هُنَالِكَ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّتِنَا نَرَاهُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَقَدْ سَخَّرُوا أَلْسِنَتَهُمْ وَأَقْلَامَهُمْ وَمَنَابِرَهُمْ لِتَشْوِيهِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ، وَالنَّبِيِّ ﷺ فِي سُنتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

لَقَدْ عَلِمَ أَعْدَاءُ الدِّينِ - يَقِينًا - أَنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هِيَ أَصْلُ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَهِيَ السِّيَاحُجُ الْمَتِينُ الْوَاقِي لِحِفْظِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ، فَعَمِدُوا إِلَى مُحَارَبَةِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ . يَقُولُ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدٌ قُطْبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : «إِنَّ أَشَدَّ مَا يُخْشَاهُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ هُوَ رُوحُ الْجِهَادِ الْكَامِنَةِ فِيهِ ، وَ(دَعْوَى الْإِنْسَانِيَّةِ) مِنْ أَسْلِحَةِ الْحَرْبِ الْمُوَجَّهَةِ ضِدَّ رُوحِ الْجِهَادِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ» (١) .

وَمِنْ أَهَمِّ الْأَسْلِحَةِ وَالْوَسَائِلِ الْمُوَجَّهَةِ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ضِدَّ رُوحِ الْجِهَادِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ هِيَ :

- ١ - إلْغَاءُ شَعِيرَةِ الْجِهَادِ . وَصَوَّرُوا الْجِهَادَ بـ «الْإِرْهَابِ» ، وَجَعَلُوهُ تُهْمَةً وَجَرِيمَةً ، وَلَمَزُوا الْمُجَاهِدِينَ بـ «الْإِرْهَابِيِّينَ» ، وَالْوَهَّابِيِّينَ ، وَالْخَوَارِجَ ، وَالتَّكْفِيرِيِّينَ .

(١) «مذاهب فكرية معاصرة» .

٢ - الدَّعْوَةُ إِلَى حِوَارِ الْأَدْيَانِ وَتَقَارُفِهَا وَوَحْدَتِهَا . وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ مِنْ أخطرِ الدَّعَوَاتِ ، وَمِنْ أَهمِّ المَعَاوِلِ الخَبِيثَةِ الَّتِي يَسْعَى إِلَيْهَا الكُفْرَةُ وَالْمُنَافِقُونَ فِي هَدْمِ عَقِيدَةِ رُوحِ الْجِهَادِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِي هَدْمِ عَقِيدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ الْقَائِمَةِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ وَلِهَذِهِ الدَّعْوَةُ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْصَارُهَا مِنَ الْيَهُودِ وَالصَّليبيينَ وَالْمُنَافِقِينَ .

٣ - الدَّعْوَةُ إِلَى التَّسَامُحِ الدِّينِيِّ وَنَبْذِ التَّعَصُّبِ ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى التَّعَايُشِ السَّلَامِيِّ ، وَالْإِحَاءِ بَيْنَ النَّاسِ . وَذَهَبَ أَصْحَابُ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُصْطَلَحُ الْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ ، وَيُسْتَبَدَّلَ بِمُصْطَلَحِ (غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ) ، أَوْ (الْآخَر) ؛ لِأَنَّهَا مُصْطَلَحَاتُ حَضَارِيَّةٌ !! ؛ لِأَنَّ مُصْطَلَحَ الْكُفَّارِ وَبُغْضِهِمُ وَالْبِرَاءِ مِنْهُمْ إِنَّمَا هِيَ عَلَامَةٌ عَلَى الْمُتَطَرِّفِينَ وَالْأُصُولِيِّينَ وَالْإِرْهَابِيِّينَ وَالْوَهَابِيِّينَ وَالسَّلَفِيِّينَ .

٤ - كَذَلِكَ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْهَدَامَةِ الَّتِي يُدْنِدُنْ حَوْلَهَا أَوْلِيكَ الْمُنَافِقُونَ : مِعْوَلُ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ ، وَالْوَطَنِيَّةِ ، وَالْقَوْمِيَّةِ ، وَالْعِلْمَانِيَّةِ . وَهَذِهِ كُلُّهَا مَعَاوِلُ هَدْمِ لِسِيَاكِ التَّوْحِيدِ وَالْجِهَادِ وَالْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ ، الَّتِي هِيَ أَصُولُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَسِيَاجُهُ الْمَتِينُ ؛ لِأَنَّ الْغَايَةَ الرَّئِيسَةَ مِنْ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ الْهَدَامَةِ : الْغَيَاءُ شَعِيرَةِ الْجِهَادِ ؛ لِأَنَّهَا بَرَعِمُهُمْ تَزْرَعُ الْكَرَاهِيَّةَ بَيْنَ بَنِي الْإِنْسَانِ .

٥ - وَكَذَلِكَ مِنَ هَذِهِ الْمَعَاوِلِ الْهَدَامَةِ : مُحَارَبَةُ التَّوَجُّهِ السَّلَفِيِّ ، وَمُحَارَبَةُ مَنَهِجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ الْمُتَأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَأَصْحَابِهِ الْكَرَامِ ﷺ ، لِأَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ

وعقيدتهم هي الأسلم والأعلم والأحكم، واستبداله بالمناهج التي تتبني العقائد الباطلة والطرق البدعية، وتشجيع ونشر الفكر الإرجائي الأنطاكي .

والإرجاء مذهب بدعي خطير، فتح باباً للزندقة والكفر أشد من بدعة الخوارج، وقد كان غير واحد من السلف يجعلون الإرجاء أخوف على الأمة من جميع الأهواء والبدع، ومنهم: النخعي، والزهرري، وقتادة، وسعيد بن جبير، ويحيى بن أبي كثير... وغيرهم .

ولذلك يجب التحقق من هذا المذهب والتحذير منه، فعقيدة أهله هي عقيدة الجهمية الإناث، وهي من أخطر البدع التي ابتلي بها المسلمون، وهي بدعة قديمة حديثة، تؤدي كما قال ابن تيمية إلى انتشار الفسق بين المسلمين .

* قال الإمام سعيد بن جبير رحمته الله: «مثل المرجئة مثل الصابئة، وسماهم يهود القبلة» ^(١) .

* قال النضر بن شميل رحمته الله: «الإرجاء دين الملوك، يصيبون من دنيائهم، ويُنقضون من دينهم» ^(٢) .

ومرجئة العصر أكثر شراً وضرراً وإضلالاً على الأمة من أسلافهم الأوائل .

* قال الإمام الزهرري رحمته الله: «ما ابتدعت في الإسلام بدعة أشد ضرراً على أهله من الإرجاء» ^(٣) .

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب «السنة»، وابن بطة في «الإبانة» .

(٢) «البداية والنهاية» (١٠ / ٢٦٧) .

(٣) ابن بطة في «الإبانة»، وأخرجه الأجري في الشريعة .

* قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رحمته الله : «كَانَ يَحْيَى وَقَتَادَةُ يَقُولَانِ : لَيْسَ مِنَ الْأَهْوَاءِ شَيْءٌ أَخَوْفُ عِنْدَهُمْ عَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْإِرْجَاءِ» ^(١) .

* قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ رحمته الله : «إِنَّا لِفِتْنَةِ الْمُرْجِئَةِ أَخَوْفُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِتْنَةِ الْأَزَارِقَةِ» ^(٢) .

* قَالَ شَرِيكُ رحمته الله : «الْمُرْجِئَةُ أَخْبَثُ قَوْمٍ . وَحَسْبُكَ بِالرَّافِضَةِ خُبْنًا ، وَلَكِنَّ الْمُرْجِئَةَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» ^(٣) .

أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنَ الْإِرْجَاءِ ؛ دِقُّهُ وَجُلَّةُ ، وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ . وَنَبْرًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَفْعَالِ مُرْجِئَةِ الْعَصْرِ الْمَشِينَةِ .

٦ - وَكَذَلِكَ مِنَ الْمَعَاوِلِ الْهَدَامَةِ الَّتِي يُدْنِدُنْ حَوْلَهَا هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ : إِعَادَةُ النَّظَرِ فِي مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ وَالْإِعْلَامِ فِي بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ ، الَّتِي هِيَ فِي الْأَصْلِ مَشَوَّهَةٌ وَمُلوَّثَةٌ . وَحَذَفُ كُلِّ مَا يُشِيرُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْجِهَادِ ، وَالْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

٧ - كَذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَاوِلِ السَّاقِطَةِ : دَعْوَةُ فَتْحِ الْمَجَالِ لِلتَّنْصِيرِ فِي بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ ؛ أَسْوَةٌ بِالْمَرَائِزِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي دِيَارِ الْكُفَّارِ .

٨ - وَكَذَلِكَ الْمُطَالَبَةُ بِفَتْحِ الْكَنَائِسِ وَالْمَعَابِدِ الْوُثْنِيَّةِ فِي بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا سِيَّامَا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

(١) ابن بطة في «الإبانة» ، وأخرجه الآجري في الشريعة .

(٢) أخرجه الخلال في كتاب «السنة» ، وابن بطة في «الإبانة» . والأزارقة هم : غلاة الخوارج .

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب «السنة» وغيره .

٩ - وَكَذَلِكَ الدَّعْوَةُ إِلَى تَطْيِيعِ الْعَلَاqَاتِ مَعَ الْيَهُودِ ، وَالاعْتِرَافُ بِدَوْلَتِهِمْ عَلَى تَرَابِ فِلَسْطِينَ .

وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَاوِلِ الْهَدَامَةُ ، وَالْأَفْكَارِ الْمَسْمُومَةُ الْخَبِيثَةُ ، وَأَكْثَرُهَا انْتِشَارًا فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ؛ هِيَ : الدِّيْمُقْرَاطِيَّةُ . الَّتِي أَصْبَحَتْ صَنْمًا ، وَدِينًا ، وَمَعْبُودًا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيُطْبَلُ لَهَا ، وَيُدْنَدُنْ حَوْلَهَا كَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمَهُ ، وَمِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمَهُ ^(١) .

وَبِاخْتِصَارٍ : الدِّيْمُقْرَاطِيَّةُ ؛ هِيَ : نِظَامٌ أَرْضِيٌّ يَعْنِي (حُكْمُ الشَّعْبِ لِلشَّعْبِ) ، وَهُوَ بِذَلِكَ مُخَالِفٌ لِلْإِسْلَامِ ؛ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ . وَلَا يُجُوزُ أَنْ يُعْطَى حَقُّ التَّشْرِيعِ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ كَانَتْ مَنْ كَانَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ^(٢) ، وَيَقُولُ أَيْضًا : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ^(٣) .

وَلَا شَكَّ أَنَّ النِّظْمَ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةَ أَحَدُ صُورِ الشَّرْكِ الْحَدِيثَةِ فِي الطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ ، أَوْ فِي التَّشْرِيعِ ؛ حَيْثُ تُلْغِي شَرْعِيَّةَ الْخَالِقِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، وَحَقَّهُ فِي التَّشْرِيعِ الْمَطْلُوقِ ، وَتَجْعَلُهُ مِنْ حَقُوقِ الْآخَرِينَ . وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ^(٤) ، وَيَقُولُ تَعَالَى أَيْضًا : ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ^(٥) .

(١) يُنْظَرُ كِتَابُ : «لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ» ، عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ نَاصِرِ الْجَلِيلِ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ، آيَةُ : ٥٧ .

(٣) سُورَةُ الشُّورَى ، آيَةُ : ٢١ .

(٤) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ، آيَةُ : ٥٧ .

(٥) سُورَةُ الْكَهْفِ ، آيَةُ : ٢٦ .

إِنَّ قِسْمَةَ الْحُكْمِ ثُنَائِيَّةٌ : إِمَّا حُكْمَ اللَّهِ ، وَإِمَّا حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) . أَي : إِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا الْجَاهِلِيَّةُ .

وَهَكَذَا فَإِنَّ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةَ وَالْبَرْلَمَانِيَّةَ وَالْقَوَانِينَ وَالِدَّسَاتِيرَ فِي زُمْرَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ شَاءُوا أَمْ أَبَوْا . بَلْ هُمْ أَسْوَأُ حَالًا وَأَكْذَبُ مِنْهُمْ فِعَالًا ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ لَا تَنَاقُضَ لَدَيْهِمْ فِي هَذَا الصَّدَدِ .

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « إِنَّ مِنَ الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ الْمُسْتَيْينَ : تَنْزِيلُ الْقَوَانِينِ مَنْزِلَةً مَا نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، فِي الْحُكْمِ بِهِ بَيْنَ الْعَالَمِينَ ، وَالرَّدُّ إِلَيْهِ عِنْدَ تَنَازُعِ الْمُتَنَازِعِينَ ، فِي مُنَاقَضَةٍ وَمُعَانَدَةٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٢) ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ التَّحَاكُمُ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَصْلًا ؛ بَلْ أَحَدُهُمَا يُنَافِي الْآخَرَ » (٣) .

وَأَكَّدَ هَذَا الْحُكْمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ : « وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ وَجُوبَ حُكْمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ؛ فَهُوَ كَافِرٌ » (٤) .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٣) « تحكيم القوانين » (ص ١ - ٧) .

(٤) « مجموع الفتاوى » (٧ / ٣٢٢) .

وَيَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَرَى ذَلِكَ أَحْسَنَ مِنْ شَرَعِ اللَّهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. وَهَكَذَا مَنْ يُحْكِمُ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ بَدَلًا مِنْ شَرَعِ اللَّهِ، وَيَرَى أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ. وَلَوْ قَالَ: إِنَّ تَحْكِيمَ الشَّرِيعَةِ أَفْضَلُ؛ فَهُوَ كَافِرٌ، لِكَوْنِهِ اسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» (١).

ذَكَرَ حَمْدُ بْنُ عَتِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢) الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَصِيرُ بِهَا الْمُسْلِمُ مُرْتَدًّا، وَمِنْهَا: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَإِظْهَارُ الطَّاعَةِ وَالْمُوَافَقَةُ لِلْمُشْرِكِينَ عَلَى دِينِهِمْ، وَمُؤَالَاهُ الْمُشْرِكِينَ، وَالْجُلُوسُ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ، وَالِاسْتِهْزَاءُ بِاللَّهِ أَوْ بَكِتَابِهِ أَوْ بِرَسُولِهِ، وَظُهُورُ الْكَرَاهَةِ وَالْغَضَبِ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَتِلَاوَةِ آيَاتِهِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَدَمُ الْإِقْرَارِ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْمُجَادَلَةُ فِي ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَ: «الْأَمْرُ الرَّابِعُ عَشَرَ: التَّحَاكُمُ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ». فَعَدَّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمُورَ رَدَّةً عَنِ الْإِسْلَامِ.

وَهُنَالِكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي تُوضِّحُ أَنَّ التَّحَاكُمَ إِلَى غَيْرِ شَرَعِ اللَّهِ، وَالْإِعْرَاضَ عَنْ حُكْمِهِ كُفْرٌ وَشِرْكٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).

وَأَخِيرًا؛ يَحِبُّ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ التَّحَاكُمَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ إِبَاءُ التَّحَاكُمِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَالزَّنْدَقَةِ.

(١) «فتاوى ابن باز» (٢٨ / ٦٣٥).

(٢) في كتابه: «سبل النجاة والفكاك» (ص ٧٢-٨٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ سَحْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « فَلَوْ اقْتَتَلَتِ الْبَادِيَّةُ وَالْحَاضِرَةُ حَتَّى يَتَفَانُوا ، كَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَنْ يُنْصَبُوا طَاغُوتًا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ » (١) .

أَمَّا أَدْعِيَاءُ الْوَطَنِيَّةِ فَنَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ شِعَارَ الْوَطَنِيَّةِ كَانَ شِعَارًا لِلْمُنَافِقِينَ فِي الْمَدِينَةِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ كَانَ شِعَارًا لَهُمْ يَوْمَ مَعْرَكَةِ (الْأَحْزَابِ) ، فَفَضَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (٢) ، لِنَتَأَمَّلَ هَذِهِ الْإِشَارَةَ اللَّطِيفَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، الَّتِي ذَكَرَهَا الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهِ ؛ إِذْ قَالَ : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ ﴾ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، بَعْدَمَا جَزَعُوا وَقَلَّ صَبْرُهُمْ صَارُوا أَيْضًا مِنَ الْمُخْذَلِينَ ؛ فَلَا صَبْرُوا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَلَا تَرَكُوا النَّاسَ مِنْ شَرِّهِمْ . فَقَالَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ : ﴿ يَتَأَهَّلُ يَثْرِبَ ﴾ ، يُرِيدُونَ (يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ) ، فَنَادَوْهُمْ بِاسْمِ الْوَطَنِ . فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الدِّينَ وَالْأُخُوَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ لَيْسَ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ قَدْرٌ ، وَأَنَّ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مُجَرَّدُ الْخَوَرِ الطَّبِيعِيِّ ... فَهَذِهِ الطَّائِفَةُ تُخْذَلُ عَنِ الْجِهَادِ ، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَا قُوَّةَ لَهُمْ بِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِتَرْكِ الْقِتَالِ . فَهَذِهِ الطَّائِفَةُ أَشَرُّ الطَّوَائِفِ وَأَضَرُّهَا » (٣) . انْتَهَى كَلَامُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

إِنَّ الْمُنَادَاةَ بِالْوَطَنِيَّةِ وَالتَّعَصُّبَ لَهَا وَتَرْكَ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَرَابِطَةَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، هِيَ بَلَاءٌ شَكٌّ مِنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ :

(١) «الدَّرَرُ السَّنِيَّةُ» : (١٠/٦٠٥) .

(٢) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، الْآيَةُ : ١٣ .

(٣) «تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ» (ص ٦٢٩) .

- فَلَوْ كَانَ الْوَلَاءُ لِلْوَطَنِ مَا تَرَكَ الرَّسُولُ ﷺ مَكَّةَ ، وَهِيَ أَحَبُّ الْبَقَاعِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .
- وَلَوْ كَانَ الْوَلَاءُ لِلْقَبِيلَةِ مَا قَاتَلَ الرَّسُولُ ﷺ قُرَيْشًا فِي حُرُوبٍ طَاحِنَةٍ أُرِيقَتْ فِيهَا دِمَاءٌ زَكِيَّةٌ نَفِيسَةٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ .
- وَلَوْ كَانَ الْوَلَاءُ لِلْعَائِلَةِ مَا تَبَرَّأَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ عَمِّهِ أَبِي هَبٍ .
- ولكنها العقيدة ، هي الفيصل في الولاء والبراء ؛ عقيدة الولاء والبراء هي أصل عظيم من أصول عقيدة المسلمين . وما تسلط الكفار علينا واحتلت أراضينا إلا بجهل المسلمين ، وتفریطهم بهذا الأصل العظيم .

١٠ - إِنَّ أخطرَ وأخبثَ هذه المعاول الهدامة التي تُهددُ أهلَ السُّنَّةِ والجماعة هو مُعسكرُ الرَّاڤضةِ ، هم العقبة الكؤودُ ، وعقربُ المكرِ الخبيثِ ، والسُّمُّ النَّاقِعُ ، وهما العدوُّ القريبُ المترصِّدُ لاقتلاعِ جذورِ أهلِ السُّنَّةِ في العالمِ الإسلاميِّ ، ضررُهم أعظمُ وأفتكُ وأخطرُ على الأمةِ من أيِّ عدوٍّ آخرَ ، حتَّى من اليهودِ والنصارى والعلمانيّين وغيرهم من أعداءِ الإسلامِ .

١ - لأنهم ينظرون إلى أهل السُّنَّةِ بالنظرةِ نفسِها ، على أنّهم أشدُّ خطراً عليهم من اليهودِ والنصارى ، وأنهم كفّارٌ مُرتدّون أشدُّ إثماً وخطراً من الكافرِ الأصلي .

٢ - الرَّاڤضةُ دائماً يستعينون بالكفارِ والفجّارِ على مطالبهم ، ويُعاونون الكفارِ والفجّارَ على مآربهم ، وهذا أمرٌ مشهودٌ في كلِّ مكانٍ وزمان .

٣ - الرَّاڤضةُ ومن انضوى إليهم أصلُ كلِّ فتنةٍ ، وكثيرٌ من السيوفِ التي سلّت في الإسلامِ إنّما كانت من جهتهم ، وعلم أنّ أصلهم مُنافقون .

٤ - الرَّافِضَةُ هُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ وَأَخْضَعُوهَا لِلْكَافِرِينَ ، وَمَكَّنُوا الْكَافِرَ الْمُحْتَلَّ مِنْ اسْتِلابِ الْأُمَّةِ حَضَارِيًّا واِقْتِصَادِيًّا وَالتَّحْكُمِ بِهَا سِياسِيًّا ، وَمَا جَرَى وَيَجْرِي فِي الْعِرَاقِ وَسُورِيَا وَأَفْغَانِسْتَانَ وَلُبْنَانَ وَالْيَمَنَ وَالْبَحْرَيْنِ وَدَوْلِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ لِأَكْبَرِ دَلِيلٍ عَلَى 'وَلَاءِ هَؤُلَاءِ الرَّوَافِضِ لِلصَّلَيبِيِّينَ وَالْيَهُودِ فِي احْتِلَالِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ .

٥ - إِنَّ الْمُتَّبَعَ لِلْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ لَيَشْعُرُ بِعَظَمِ هَذَا الْخَطَرِ الرَّافِضِيِّ الدَّاهِمِ خَاصَّةً بَعْدَ تَكْوِينِ دَوْلَةِ «وِلَايَةِ الْفَقِيهِ» فِي إِيْرَانٍ ، لِتَكُونَ إِيْرَانُ مَرْكَزَ انْطِلَاقٍ لِتَصْدِيرِ أَفْكَارِ الرَّافِضَةِ الْمَسْمُومَةِ بِاسْمِ «تَصْدِيرِ الثَّوْرَةِ» .

٦ - الرَّافِضَةُ تَارِيخُهُمُ الْأَسْوَدُ حَافِلٌ بِمُؤَالَاتِ الْكَافِرِينَ وَمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّامُرِ عَلَيْهِمْ ، فَالرَّافِضَةُ قُوًى وَأَفْرَادًا كَانُوا عَبْرَ عُصُورِ التَّارِيخِ خَنَاجِرَ مَسْمُومَةٍ فِي ظَهْرِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ تَعْمَلُ لِحِسَابِ الْغَرْبِ الصَّلَيبِيِّ وَالْيَهُودِيِّ ، وَهُمْ كَانُوا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ بِإِعَانَةِ التَّتَارِ وَخُرُوجِ جَنْكِيْزْ خَانَ مَلِكِ التَّتَارِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَفِي قُدُومِ هَؤُلَاءِ إِلَى بِلَادِ الْعِرَاقِ (٦٥٦هـ) ، وَفِي أَخْذِ حَلَبَ وَنَهَبِ الصَّالِحِيَّةِ . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ خُبَيْثِهِمْ وَمَكْرِهِمْ .

٧ - فَهُمْ دَائِمًا يُؤَالُونَ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمَّا كَانُوا مُلُوكَ الْقَاهِرَةِ ، كَانَ وَزِيرُهُمْ مَرَّةً يَهُودِيًّا ، وَمَرَّةً نَصْرَانِيًّا أَرْمَنِيًّا ، وَقَوِيَتْ النَّصَارَى بِسَبَبِ ذَلِكَ النَّصْرَانِيَّ الْأَرْمَنِيَّ ، وَبُنُوا كَنَائِسَ كَثِيرَةً بِأَرْضِ مِصْرَ فِي دَوْلَةِ أُولَئِكَ الرَّافِضَةِ الْمُنَافِقِينَ ، وَكَانُوا يُنَادُونَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ : مَنْ لَعَنَ وَسَبَّ الصَّحَابَةَ فَلَهُ دِينَارٌ أَوْ أَرْدَبٌ .

٨ - فالرَّافِضَةُ يَرَجُونَ فِي دَوْلَةِ الْكُفَّارِ ظُهُورَ كَلِمَتِهِمْ مَا لَا يَرَجُونَ فِي دَوْلَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الرَّافِضَةُ فِي الْعِرَاقِ مِنْ مُوَالَاةِ الْأَمْرِيكَانِ وَمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى احْتِلَالِ الْعِرَاقِ ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِهَذِهِ الْإِعَانَةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، بَلْ ذَهَبُوا إِلَى قَتْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعِرَاقِ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ الصَّلَيبِيِّينَ وَالْيَهُودِ وَإِيرَانَ ، فَتَعَرَّضَ أَهْلُ السُّنَّةِ إِلَى إِبَادَةٍ جَمَاعِيَّةٍ رَافِضِيَّةٍ صَفَوِيَّةٍ لَمْ يَشْهَدْ لَهَا التَّارِيخُ مَثِيلاً . بَلْ فَاقُوا مَا فَعَلَهُ التَّتَارُ بِالْمُسْلِمِينَ عِنْدَ سُقُوطِ بَغْدَادِ (٦٥٦هـ) ، وَفَاقُوا مَا فَعَلَهُ النَّصَارَى بِالْمُسْلِمِينَ عِنْدَ سُقُوطِ الْأَنْدَلُسِ ، وَفَاقَتْ الرَّافِضَةُ مَا فَعَلَهُ الصَّرْبُ بِالْمُسْلِمِينَ فِي الْبُوسْنَةِ ، وَكَانَتْ حُسْنِيَّاتِهِمْ مُحَاكِمَ التَّفْتِيشِ فِي تَغْرِيبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَتْلِهِمْ ، وَلَيْسَ هَذَا غَرِيباً عَلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَحْفَادُ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الْخَبِيثِ وَزَيْرِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْمُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ وَمُسْتَشَارِهِ .

فَقَدْ كَانَ هَذَا الْوَزِيرُ دَاعِياً إِلَى تَحْوِيلِ الْخِلَافَةِ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى الْبَاطِنِيَّةِ ، وَقَدْ اسْتَعْدَمَ وَاسْتَعَانَ لِرَفْعِ هَذِهِ الرَّأْيَةِ الْكُفَّارِ الصَّرْحَاءِ فَأَقْنَعَ مَلِكَ الدَّوْلَةِ الْوَثْنِيَّةِ التَّتَارِيَّةِ «هُولَاكُو» بِغَزْوِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَقَدْ قُتِلَ الْخَلِيفَةُ بِمَشُورَةِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ وَصَاحِبِهِ نَصِيرِ الطُّوسِيِّ ، وَاسْتُبِيحَتْ بَغْدَادُ عَاصِمَةُ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِحَمْسَةِ قُرُونٍ .

وَهَاجَمَ الْيَهُودُ أَحْفَادُ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ وَالطُّوسِيِّ فِي الْعِرَاقِ الَّذِينَ أَدْخَلُوا الْأَمْرِيكَانَ وَإِيرَانَ يَعْتَزُّونَ بِأَسْلَافِهِمْ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ وَالطُّوسِيِّ فَيَفْتَحُونَ جَامِعَاتٍ وَمَدَارِسَ فِي كُرْبَلَاءَ وَالتَّجَفِّ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الْخَوَنَةِ الْمُرتَدِّينَ .

٩ - الرَّافِضَةُ عُرِفُوا بِمُؤَالَاتِهِمْ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ ، وَمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَعْرِفُهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ، حَتَّى قِيلَ إِنَّ مَا اقْتَتَلَ يَهُودِيٌّ وَمُسْلِمٌ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ وَمُسْلِمٌ ، وَلَا مُشْرِكٌ وَمُسْلِمٌ ، إِلَّا كَانَ الرَّافِضِيُّ مَعَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَالْمُشْرِكِ ، وَالرَّافِضَةُ لَيْسَ لَهُمْ سَعْيٌ إِلَّا فِي هَدْمِ الْإِسْلَامِ وَنَقْضِ عُرَاهُ ، وَإِفْسَادِ قَوَاعِدِهِ ، فَأَيَّامُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ كُلِّهَا سُوءٌ ، وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، عَمَّروا الْمَشَاهِدَ وَخَرَّبُوا الْمَسَاجِدَ ، وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي أُمَّةِ الْفَقْهِ الَّذِينَ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ رَافِضِيٌّ ، وَلَا فِي أُمَّةِ الْحَدِيثِ ، وَلَا فِي أُمَّةِ الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ ، وَلَا فِي الْجُيُوشِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ جَيْشٍ رَافِضِيٍّ . وَلَا فِي الْمُلُوكِ الَّذِينَ نَصَرُوا الْإِسْلَامَ وَأَقَامُوهُ وَجَاهَدُوا عَدُوَّهُ مَنْ هُوَ رَافِضِيٌّ ، وَلَا فِي الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ سِيرَةٌ مَحْمُودَةٌ مَنْ هُوَ رَافِضِيٌّ .

وَأَكْثَرُ مَا تَجِدُ الرَّافِضَةَ ، إِمَّا فِي الزَّانِدَةِ الْمُنَافِقِينَ الْمُلْحِدِينَ ، وَإِمَّا فِي جُهَّالٍ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ بِالْمَنْقُولَاتِ وَلَا بِالْمَعْقُولَاتِ ، قَدْ نَشَأُوا بِالْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ أَوْ تَحَيَّرُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يُجَالِسُوا أَهْلَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ .

وَأَمَّا مَنْ هُوَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ فَلَيْسَ فِي هَؤُلَاءِ رَافِضِيٌّ لِيُظْهِرَ الْجَهْلَ وَالظُّلْمَ فِي قَوْلِهِمْ .

وَتَجِدُ ظُهُورَ الرَّفِضِ فِي شَرِّ الطَّوَائِفِ كَالنُّصَيْرِيَّةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالْمَلَاحِدَةِ الطَّرِيقَةِ ، وَفِيهِمْ مِنَ الْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ مَا يَدُلُّ عَلَى نِفَاقِهِمْ ، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » (١) .

(١) «صحيح البخاري» باب الإيمان (٣٣) ، «صحيح مسلم» باب الإيمان (٥٩) .

زَادَ مُسْلِمٌ : «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»

وَأَكْثَرُ مَا تُوجَدُ هَذِهِ الثَّلَاثُ فِي طَوَائِفِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ الرَّافِضَةِ

الرَّافِضَةُ مِنَ أَجْهَلِ النَّاسِ وَأَضَلُّهُمْ كَمَا أَنَّ النَّصَارَى مِنَ أَجْهَلِ النَّاسِ ،
وَالرَّافِضَةُ مِنَ أَخْبَثِ النَّاسِ ، كَمَا أَنَّ الْيَهُودَ مِنَ أَخْبَثِ النَّاسِ ، فَفِيهِمْ نَوْعٌ مِنْ
ضَلَالِ النَّصَارَى ، وَنَوْعٌ مِنْ خُبْثِ الْيَهُودِ .

«عَقِيدَةُ الشَّيْعَةِ»

إِنَّ عَقِيدَةَ الشَّيْعَةِ عَقِيدَةُ شَرَكِيَّةٍ ، أَبْعَدَتْهَا عَنِ الْإِيمَانِ الْحَقِّ وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، فَهُمْ يَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ يَنْفَعُ وَيُضُرُّ ، وَيَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَهُ التَّصَرُّفُ فِيَمَا لَا يَقْدِرُهُ إِلَّا اللَّهُ ، كَمَا قَالَ الْخَمِينِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْحُكُومَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ» (١) .

«إِنَّ لِأَثْمَتِنَا مَقَامًا لَا يَلْغُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ» ، وَيُضَيَّفُ فِي نَفْسِ الصَّفْحَةِ : «إِنَّ لِأَثْمَتِنَا مَقَامًا سَامِيًا وَخِلَافَةً تَكْوِينِيَّةً تَخْضَعُ لَهَا جَمِيعُ ذَرَاتِ الْكَوْنِ» . تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلوًّا كَبِيرًا .

* وَالشَّيْعَةُ يَعْتَقِدُونَ بَرْدَةَ الصَّحَابَةِ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ ، وَيَتَعَبَّدُونَ بِلَعْنِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الشَّيْعَةَ وَأَثْمَتَهُمْ هُمُ النَّاسُ ، وَمَا عَدَاهُمْ هَمَجٌ لِلنَّارِ وَإِلَى النَّارِ ، وَاللَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْ مُسْلِمٍ حَسَنَةً مَهْمَا بَلَغَ فِي الْإِحْسَانِ مَا لَمْ يَكُنْ شِيعِيًّا كَمَا فِي كِتَابِهِمْ «الْوَافِي» وَ«الكَافِي» أَحَدِ الْكُتُبِ الْمُوثُوقَةِ عِنْدَهُمْ ، مَا يُبَيِّنُ حَقْدَهُمُ الدَّافِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَنْ جَاءَ بِهِ ، وَمَنْ حَمَلَهُ وَاعْتَنَقَهُ .

* وَالشَّيْعَةُ يَعْتَقِدُونَ بِتَحْرِيفِ الْقُرْآنِ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لِشَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا : الثَّنَاءُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) وَمَدْحِهِ وَإِعْلَاءِ شَأْنِهِ وَذُرِّيَّتِهِ . وَالثَّانِي : ثَلْبُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَذِكْرُ مَعَايِبِهِمْ ، وَلِهَذَا قَالُوا : «إِنَّهُ ضَاعَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُلَاثُهُ أَوْ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ» .

* وَالشَّيْعَةُ يَعْتَمِدُونَ فِي دِينِهِمْ عَلَى الْكَذِبِ الَّذِي يُلْصِقُونَهُ بِأَثْمَتِهِمْ ، وَالادِّعَاءَاتِ الْكَاذِبَةِ ، فَصَارُوا مِنْ أَكْذَبِ النَّاسِ ، وَأَكْثَرِهِمْ تَصَدِيقًا لِلْكَذِبِ وَتَصَدِيقًا لِلْبَاطِلِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَرْمُونَ الصَّحَابَةَ بِالتَّفَاقِ .

وَنَبْتَهْلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَهُمْ غَيْظًا وَأَنْ يَكْتِبَهُمْ بِكَمَدِهِمْ وَكُلَّ مَنْ غَاظَهُ الْإِسْلَامُ وَأَنْ يَجْعَلَ كَيْدَهُمْ فِي نَحْرِهِمْ .

* شَيْعَةُ الْيَوْمِ هُمْ غُلَاةُ الرَّوَافِضِ كَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ الدُّكْتُورُ نَاصِرُ الْقِفَارِيِّ وَفَقَّهَ اللَّهُ تَعَالَى :

- هُمْ وَنَسِيتُونَ فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ ، وَمُشْرِكُونَ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ .
- وَجُسَّمَةٌ ثُمَّ جَهْمِيَّةٌ مُعْطَلَةٌ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ .
- وَمُرَجَّةٌ غُلَاةٌ فِي بَابِ الْإِيمَانِ .
- وَخَوَارِجٌ وَعَيْدِيَّةٌ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ .
- وَسَبِيَّةٌ رَافِضَةٌ غُلَاةٌ فِي بَابِ الْإِمَامَةِ وَالصَّحَابَةِ .
- وَهُمْ أَيْضًا إِرْهَابِيُّونَ عَدَائِيُّونَ فِي عِلَاقَاتِهِمْ مَعَ مُخَالِفِيهِمْ .
- وَخُرَافِيُّونَ فِي مُعْتَقَدَاتِهِمْ .
- وَهُمْ خَوَارِجٌ لَا يَرَوْنَ لَوَلِيٍّ الْأَمْرِ بَيْعَةً مَهْمَا كَانَ صَلَاحُهُ وَعَدْلُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ «الْوَلِيُّ الْفَقِيه» .
- وَتَكْفِيرِيُّونَ يُكْفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا .
- وَمَزْدَكِيَّةٌ إِبَاحِيَّةٌ فِي الْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِاسْمِ الْمُشْعَةِ .

- وَلُصُوصُ أَمْوَالٍ فِي الْاِسْتِيْلَاءِ عَلَى أَمْوَالِ أَتْبَاعِهِمْ بِاسْمِ «الْخُمْسِ» .
- فَمَذْهَبُهُمْ مُسْتَقَرٌّ لِكُلِّ شُذُوزَاتِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ ، وَانْحِرَافَاتِ الْأَدْيَانِ ،
وَضَلَالَاتِ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ .
- وَهُمْ الْاِمْتِدَادُ التَّارِيخِيُّ وَالْعَقْدِيُّ لِلْسَّبَيْيَةِ .
- وَعَلَيْهِ ﷺ وَأَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهُمْ بَرَاءٌ .

* يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ دَوْلَةٍ مِنْ دُولِ الْإِسْلَامِ سَقَطَتْ كَانَ لِلشَّيْعَةِ دَوْرٌ فِي التَّأْمُرِ
مَعَ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْمَغُولِ ثُمَّ الصَّلَيبِيِّينَ وَالْيَهُودِ فَالْصَّفَوِيِّينَ وَصُولاً إِلَى التَّارِيخِ
الْحَدِيثِ .

* وَمِنَ الْمُحْزَنِ وَالْمُؤْلِمِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا يَعُونُ وَلَا يَعْتَبِرُونَ الْوَاقِعَ
الَّذِي يُحِيطُ بِهِمْ ، وَلَا يَعُونُ دُرُوسَ تَارِيخِ الرَّافِضَةِ الطَّوِيلِ الْأَسْوَدِ الْمَلِيئِ
بِالتَّأْمُرِ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَمَا قَامُوا بِهِ مِنْ إِبَادَةٍ وَقَتْلِ وَتَهْجِيرٍ وَتَعْذِيبٍ
وَاعْتِقَالٍ وَاعْتِصَابٍ وَاضْطِّهَادٍ وَتَحْرِيبٍ وَظُلْمٍ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَمَا
جَرَى وَيَجْرِي فِي الْعِرَاقِ وَسُورِيَا لِأَكْبَرُ شَاهِدٍ عَلَى أَفْعَالِهِمُ الَّتِي لَمْ يَفْعَلْهَا لَا
الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى .

تَارِيخُهُمْ مُحْمَلٌ بِالنَّكَبَاتِ الَّتِي لَمْ يَغْفَلْهَا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَلَا تَجَاهَلَهَا الْأَجْيَالُ
عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ ، إِنَّهُ تَارِيخُ الْقَتْلِ وَالْإِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،
وَالْاِحْتِلَالِ لِبُلْدَانِهِمْ ، وَالْخِيَانَةِ لْخُلَفَائِهِمْ ، وَالتَّمْكِينِ لِأَعْدَائِهِمْ .

وَمَنْ تَتَبَعَ أَحْدَاثَ التَّارِيخِ وَمَلَأَ حُجْرَتَهُ يَجِدُ أَنَّ الشَّيْعَةَ أَعْظَمُ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي
جَمِيعِ الْعُصُورِ .

* وَمِسْكُ الْخِتَامِ كَلَامُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «سَعَى الْمُسْلِمِينَ فِي قَهْرِ
الرَّوَافِضِ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ» ^(١) .

* «وَالَّذِي ابْتَدَعَ دِينَ الرَّافِضَةِ «ابْنُ سَبَأٍ» كَانَ زَنْدِيقًا مُلْحِدًا عَدُوًّا لِلْإِسْلَامِ
وَأَهْلِهِ» ^(٢) .

(١) «جامع الرسائل» ، (٧/٤٣٢) .

(٢) «منهاج السنة» ، (٣/٣٧٨) .

* ومن أهم المؤلفات التي فضحت عقائد ومخططات أعداء الإسلام :

- ١ - «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» ، الإمام محمد بن عبد الوهاب ، شرح العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ .
- ٢ - «مختصر منهاج السُّنَّة» ، ابن تيمية ، اختصار الشيخ عبد الله بن محمد الغنيان .
- ٣ - «الولاء والبراء» ، الشيخ محمد بن سعيد القحطاني .
- ٤ - «في ظلال القرآن» ، سيد قطب .
- ٥ - «وجاء دور المجوس» ، عبد الله الغريب .
- ٦ - «بروتوكولات آيات قُم حول الحرمين المقدسين» ، دكتور ناصر عبد الله القفاري .
- ٧ - «بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة باليهود» ، عبد الله الجميلي .
- ٨ - «نقد القومية» ، الشيخ عبد العزيز بن باز .
- ٩ - «كلمة حق» ، الشيخ أحمد محمد شاكر .
- ١٠ - «تحكيم القوانين» ، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .
- ١١ - «العلمانية» ، الشيخ سفر الحوالي .
- ١٢ - «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي» ، الشيخ سفر الحوالي .
- ١٣ - «نواقض الإيمان القولية والعملية» ، عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف .
- ١٤ - «معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السُّنَّة والجماعة» ، محمد عبد الهادي المصري .
- ١٥ - «التحالفات الشيعية مع الغرب الصليبي ضد أهل السُّنَّة عبر التاريخ» ، د. علي بن محمد عودة .
- ١٦ - «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» ، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود .
- ١٧ - «موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية» ، الدكتور أحمد بناني .
- ١٨ - «ولو شاء ربك ما فعلوه» ، عبد العزيز بن ناصر الجليل .
- ١٩ - «الطائفة المنصورة وواقعنا المعاصر» ، عبد العزيز بن ناصر الجليل .
- ٢٠ - «واقعنا المعاصر» ، محمد قطب .

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث :

(١) كَانَ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ ، كَانَ أَشْجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشَدَّ فِي الْحَقِّ مِنَ الشَّدَّةِ ، كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ كُلُّهَا جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، بَلْ كَانَتْ أُمْنِيَّتُهُ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَعَ أَنَّ مَنَزِلَتَهُ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، كَانَ الْجِهَادُ سِمَةً دَائِمَةً ، وَجِبَلَةً مُلَازِمَةً لِإِمَامِ الْمُجَاهِدِينَ ﷺ ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ ، وَلَأَصْحَابِهِ الشُّجْعَانِ الْأَفْذَاذِ الْأَبْطَالِ ، فَكَانُوا ﷺ مُقْتَدِينَ بِإِمَامِ الْمُجَاهِدِينَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ ، وَأَعْظَمِهَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ حُبُّ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَخْصَصِ خَصَائِصِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَلْ كَانَ دِيدَنًا وَمَنْهَجًا ثَابِتًا فِي حَيَاتِهِمْ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِمْ .

(٢) تَمَتَّعَ الصَّحَابَةُ الْأَبْطَالُ بِالشَّجَاعَةِ الْفَائِقَةِ النَّادِرَةِ ، فَالصَّحَابَةُ ﷺ كُلُّهُمْ كَانُوا مُجَاهِدِينَ ، وَشُّجْعَانُ أَفْذَاذُ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، تَرَبُّوْا عَلَى عَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ ، وَأَشْجَعَ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَأَشْجَعَ فِي الْحَقِّ مِنَ الشَّدَّةِ ، كَانَتْ حَيَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ صَلِيلِ السُّيُوفِ ، وَصَهِيلِ الْخُيُولِ ، وَخَفَقِ الْبُنُودِ ، وَصِيَاكِ الْفُرْسَانِ ، وَدَوِيِّ التَّكْبِيرِ ، مَا عَرَفُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا ذَرَوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ ، فَنَالُوا بِسَنَامِ الْإِسْلَامِ حَيَاةَ الشُّهَدَاءِ .

(٣) حِرْصُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى طَلَبِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ أَعَزِّ أَمَانِيهِمْ نَيْلُ الشَّهَادَةِ ، لَا يُيَالُونَ أَوْ قَعُوا عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِمْ ، مَا دَامَ جِهَادُهُمْ خَالِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمِنْ أَجْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ . كَانَتْ كُلُّ أَمَانِيهِمْ أَنْ يَمُوتُوا شُهَدَاءَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوْقَ أَرْضِ مَعْرَكَةٍ مُجِيدَةٍ مِنْ مَعَارِكِ الْإِسْلَامِ ، شَوْقًا لِلشَّهَادَةِ .

(٤) صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ جِيلٍ ، وَأَكْرَمُ رَعِيلٍ ، وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، شِعَارُهُمُ الْجِهَادُ ، وَحِصْنُهُمُ التَّوْحِيدُ ، وَخُلُقُهُمُ الْقُرْآنُ ، وَقُدُوتُهُمْ سَيِّدُ الْأَنَامِ ﷺ ، وَأُمْنِيَّتُهُمُ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَرْضَاةُ اللَّهِ ، وَمَنْ اسْتَقْرَأَ الْعَالَمَ فِي جَمِيعِ الْفِرَقِ ، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ طَائِفَةً أَعْظَمَ اتِّفَاقًا عَلَى الْهُدَى وَأَبْعَدَ عَنِ الْفِتْنَةِ وَالتَّفَرُّقِ وَالْاِخْتِلَافِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ بِذَلِكَ ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(١) .

(٥) تَمَيَّزَ جِيلُ الصَّحَابَةِ بِالْإِيمَانِ الْعَمِيقِ وَالْعَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ ، فَالصَّحَابَةُ الْكِرَامُ عَاشُوا مَوْحِدِينَ مِنْ أَجْلِ الْجِهَادِ وَمُجَاهِدِينَ مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ كَانُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْجِهَادِ وَالِاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ لِلْبُطُولَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْوَفَاءِ لِدِينِهِمْ كَمَا قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَمَا مِنَّا إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ الشَّهَادَةَ ... » .

(٦) عَدَالَةُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ثَابِتَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ ،
فَهُمُ الْجَيْلُ الْمُبَارَكُ الْمَرْكَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ .

وَعَدَالَةُ الصَّحَابَةِ ﷺ مِنْ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ الْقَطْعِيَّةِ ، وَلَمْ يُخَالَفْ فِي
ذَلِكَ إِلَّا شَذُوذٌ مِنَ الزَّانِقَةِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْبَاطِنِيِّينَ .

وَمَنْ ثَبَتَ لَهُ شَرَفُ الصُّحْبَةِ لَا يَتَطَلَّبُ شَرَطَ التَّعْدِيلِ ، بَلْ يُكْتَفَى بِشَرِطِ
الصُّحْبَةِ تَعْدِيلًا .

(٧) صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ عُذُولٌ ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَهُمْ أَفْضَلُ
النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَالشَّهَادَةُ لَهُمْ بِالْإِيمَانِ أَصْلٌ قَطْعِيٌّ
مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ ، وَالصَّحَابَةُ خَيْرُ الْقُرُونِ ، لِأَنَّ اللَّهَ زَكَّاهُمْ
وكَذَلِكَ رَسُولُهُ ﷺ .

(٨) صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمُ الْجَيْلُ الْقُرْآنِيُّ الْفَرِيدُ الَّذِي لَا يَجُودُ الزَّمَانُ
بِمِثْلِهِ أَبَدًا ، فَهُمْ الَّذِينَ حَفِظُوا لَنَا الْوَحْيَيْنِ (الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ) وَبَلَّغُوهُمَا
بَأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ لِمَنْ بَعَدَهُمْ ، فَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَأَفْضَلُ تَابِعٍ لَخَيْرِ
مَتَّبِعٍ ، وَهُمْ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ بِالسِّنَانِ وَالْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ .

(٩) وَالصَّحَابَةُ هُمْ خَيْرُ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا ، وَإِنَّمَا ظَهَرَتْ الْبِدْعُ
وَالْفِتْنُ لَمَّا خَفِيَ أَثَارُهُمْ ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِدُونِ
أَنْ يَقْتَدِيَ بِالصَّحَابَةِ وَيَتَّبِعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ .

(١٠) إِنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَشْهَدْ رَجَالاً عَقَدُوا عَزْمَهُمْ وَنَوَايَاهُمْ عَلَى غَايَةِ تَنَاهَتْ فِي الْعَظَمَةِ وَالسُّمُوِّ وَالْبَذْلِ ، ثُمَّ نَذَرُوا حَيَاتَهُمْ عَلَى نَسَقٍ تَنَاهَى فِي الْجَسَارَةِ وَالتَّضَحِّيَةِ وَالْبَذْلِ ، كَمَا شَهِدَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَلِمَ الصَّحَابَةُ أَنَّ لِلْجِهَادِ فَضْلاً لَا يُضَاهَى وَلَا يَتَنَاهَى ، وَأَيَقِنُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، وَأَنَّ الرَّيَّ الْأَعْظَمَ فِي شُرْبِ كُؤُوسِ الْحُتُوفِ ، فَشَمَّرُوا لِلْجِهَادِ عَنْ سَاقِ الْجِتِّهِادِ ، وَبَاعُوا الْحَيَاةَ الْفَانِيَّةَ بِالْعَيْشِ الْبَاقِي ، وَنَشَرُوا أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ فِي الْآفَاقِ ، لَقَدْ أَقَامَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ قَادَةً وَفُرْسَاناً قَاتَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ الْبَشَرِيُّ تَارِيخاً مِثْلَ تَارِيخِهِمْ ، وَلَا رَجَالاً دُونَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلَ مِنْهُمْ وَلَا أَشْجَعَ .

(١١) صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمُ أَفْضَلُ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَهُمْ حَلَقَةُ الْوَصْلِ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا ﷺ وَإِنَّ قَطَعَ هَذِهِ الْحَلَقَةَ يَعْنِي قَطَعَ صِلَةَ الْأُمَّةِ بِنَبِيِّهَا ﷺ ، فَلَا يُنْتَصَرُ لِشَخْصٍ انْتِصَاراً مُطْلَقاً عَامّاً ، إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا لِلطَّائِفَةِ انْتِصَاراً مُطْلَقاً إِلَّا لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . فَإِنَّ الْهَدْيَ يَدُورُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ دَارَ وَمَعَ أَصْحَابِهِ دُونَ أَصْحَابِ غَيْرِهِ .

(١٢) الصَّحَابَةُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِيمَاناً بِالنُّصُوصِ وَأَكْثَرُهُمْ فَهَمّاً لِلنُّصُوصِ وَأَكْثَرُهُمْ عَمَلاً بِالنُّصُوصِ وَكُلُّ فَهْمٍ مُخَالِفٍ لِفَهْمِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ رَدٌّ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَأَصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَاماً يُقْتَدَى بِهِ ، وَمَنَاراً يُسْتَضَاءُ بِأَثَارِهِ ، فَكَانُوا بِحَقِّ هُدَاةٍ مُهْتَدِينَ هَمَّتْهُمْ رِفْعَةُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ فِي

أَبْعَدَ بِقَاعِ الْأَرْضِ ، وَفَاتَحُوا الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ ، لَوْلَا جُهُودُهُمْ وَجِهَادُهُمْ
لَمَّا كُنَّا قَاطِنِينَ فِي أَطْلَالِ نِعَمِهِمْ ، بِغَمِّهِمْ فِيهَا وَهَمِّهِمْ ، وَلَمَّا عَشْنَا آمِنِينَ
فِي ظِلَالِ هِمَمِهِمْ ، بِجُودِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَكَرَمِهِمْ !! .

(١٣) لَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ لِلْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ ، وَالْهَدْيِ الْمَتَّبُوعِ فَهُمْ أَحَقُّ الْأُمَّةِ
فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَأَجْدَرُ الْخَلْقِ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ ، لِذَلِكَ
كَانَتْ عِنَايَةُ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) الْفَائِقَةِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَلَقَّيَا
وَحِفْظًا وَتَبْلِيغًا .

(١٤) وَعَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ
هُوَ بَدْعٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا خَصْلَةً مِنْ
خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا .

(١٥) إِنَّ الصَّحَابَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذَا الدِّينَ كَامِلًا صَحِيحًا ،
وَحَافِظُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَعَلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، وَنَشَرُوا الدِّينَ بَيْنَ
أَرْجَاءِ الْأَرْضِ مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَى مَغْرِبِهَا ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، وَالْإِسْلَامُ ، وَالْقُرْآنُ ، وَالْعِلْمُ ، وَالْمَعَارِفُ ، وَالْعِبَادَاتُ ، وَدُخُولُ
الْجَنَّةِ ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالْإِنْتِصَارُ عَلَى الْكُفَّارِ ، وَعُلُوُّ كَلِمَةِ اللَّهِ فَإِنَّمَا
هُوَ بَرَكَةٌ مَا فَعَلَهُ الصَّحَابَةُ ، الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَكُلُّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللَّهِ فَلِلصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) الْفَضْلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(١٦) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَكَّى الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم ظَاهِرَهُمْ وَبَاطِنَهُمْ ، وَأَمَرَنَا بِمَحَبَّتِهِمْ
وَالِاسْتِغْفَارِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ وَحِفْظِ حُقُوقِهِمْ ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ،
وَبِسَبَبِ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ لِأَعْظَمِ خِلَالِ الْخَيْرِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا أَخْبَرَنَا
تَعَالَى أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ وَتَابَ عَلَيْهِمْ ، وَوَعَدَهُمُ الْحُسْنَى ، وَهِيَ الْجَنَّةُ .

(١٧) وَمِنْ أَوْجِبِ واجِبَاتِنَا نَحْوَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أَنْ نَشْهَدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ مِنْ أَوَّلِهِمْ
إِلَى آخِرِهِمْ كَمَا أَخْبَرَنَا تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ^(١) فَحُبُّهُمْ
فَرِيضَةٌ ، وَالِدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِثَأْرِهِمْ فَضِيلَةٌ .

(١٨) كَذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا نَشْرُ فُضَائِلَهُمْ وَجِهَادِهِمْ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ
وَجَعْلِهِمْ أَسْوَةً لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ ، وَدَعَا لَهُمْ ، وَرَعَى
حَقَّهُمْ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُمْ ، فَازَ فِي الْفَائِزِينَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ ، فَقَدْ
هَلَكَ فِي الْهَالِكِينَ ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

(١٩) كَذَلِكَ مِنْ حَقِّ الصَّحَابَةِ عَلَيْنَا الذَّبُّ عَنْهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ فَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ وَهُوَ
يَسْمَعُ مَنْ يَنْتَقِصُ مِنْهُمْ أَنْ يَقِفَ بَارِدَ الْقَلْبِ سَاكِتَ اللِّسَانِ بَلْ يَنْبَغِي مُعَاقَبَةُ
مَنْ يَطْعَنُ فِيهِمْ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ وَعَلَيْنَا أَنْ نَغَارَ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم لِأَنَّهُمْ
هُمْ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذَا الدِّينَ ، فَالطَّعْنُ فِيهِمْ طَعْنٌ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ
كَمَا تَقُولُ الْقَاعِدَةُ الطَّعْنُ فِي النَّاقِلِ طَعْنٌ فِي الْمَنْقُولِ .

(٢٠) كَذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا دِرَاسَةً وَقِرَاءَةً سِيرِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَاتِّخَاذِهِمْ

أُسْوَةٌ وَقُدُورَةٌ وَنَتَشَبَّهُ فِيهِمْ وَكُلَّمَا اِزْدَدْنَا تَشَبُّهًا بِالصَّحَابَةِ عَقِيدَةً
وَجِهَادًا وَسُلُوكًا وَمَنْهَجًا كُنَّا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ ، وَكُنَّا مِنَ الْفِرْقَةِ
النَّاجِيَةِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » .

(٢١) كَذَلِكَ وَجُوبُ الْكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْخِلَافِ ، وَالْمَنْهَجُ
السَّلِيمُ هُوَ مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ : « تِلْكَ فِتْنَةٌ طَهَّرَ اللَّهُ مِنْهَا سَيُوفَنَا
فَلَنُطَهِّرَ أَلْسِنَتَنَا » كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢٢) وَمِنْ حَقِّهِمْ عَلَيْنَا كَذَلِكَ الدُّعَاءُ لَهُمْ وَسَلَامَةُ قُلُوبِنَا وَأَلْسِنَتِنَا كَمَا أَمَرَنَا
اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

(٢٣) كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مِنْ وَاجِبِنَا نَحْوَ الصَّحَابَةِ : أَنْ نَعْرِفَ التَّفَاضُلَ
الَّذِي بَيْنَهُمْ لِنُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .

فَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ : الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
شَهِدُوا بَدْرًا ، وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ الْعَشْرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ ،
وَأَفْضَلُ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةُ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ ، وَأَفْضَلُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَبُو
بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
صِدِّيقُ الْأُمَّةِ ، الْإِمَامُ الْأَكْبَرُ وَالْخَلِيفَةُ الْأَعْظَمُ .

(٢٤) إِنَّ جِيلَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم خَيْرُ جِيلٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ ، وَاقْتِدَاءُ الْأُمَّةِ بِهِمْ وَاجِبٌ ؛ بَلْ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ إِلَى الْجَنَّةِ ، كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ بِالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ .

(٢٥) إِنَّ نَشْرَ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ وَجِهَادِهِمْ وَمَرْوِيَّاتِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ طَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صلی اللہ علیہ وسلم ، وَفِيهِ أَبْلَغُ رَدٍّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَوَرِّينَ الَّذِينَ بَاعُوا دِينَهُمْ وَوَهَبُوا حَيَاتَهُمْ لِلطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ، وَقَدْ بَيَّنَّا بِدَلِيلِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ يَبْغِضُ الصَّحَابَةَ ، فَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ .

(٢٦) ثَبَتَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الْمُتَوَاتِرِ الْقَطْعِيُّ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ عَلَى كُفْرِ سَابِّ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ، فَكُلُّ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم ، فَهُوَ كَافِرٌ لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى كُفْرِ سَابِّ الصَّحَابَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ .

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا الْكِتَابِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
وَأَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَأَنْ يَعْفُو عَنِّي عَمَّا حَصَلَ فِيهِ مِنْ زَلَلٍ
وَتَقْصِيرٍ ، وَيَرْزُقَنِي التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ الْمُخْلِصِينَ الْمُجَاهِدِينَ أَجْمَعِينَ .

قائمة المصادر والمراجع

- * ابن الأثير، مجد الدين المبارك الجزري، (ت ٦٠٦هـ) :
(١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ»، تحقيق عبد القادر الأرنبوط، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٨٩هـ).
- * ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) :
(٢) «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٥ ج، بلاط).
(٣) «الكامل في التاريخ»، (بيروت، دار الكتاب العربي، ٩ ج، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م).
- * ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ت ١٤١٩هـ) .
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» جمع وترتيب وإشراف : محمد بن سعد الشويعر، (الرياض، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ).
- * الألبشيهي، أبو الفتح، شهاب الدين، محمد بن أحمد بن منصور، (ت ٨٥٢هـ) .
(٥) «المستطرف من كل فن مستظرف»، (بيروت، دار صادر، ط ١، ١٩٩٩م).
- * ابن بطة، عبد الله بن محمد بن حمدان العكبري، (ت ٣٨٩هـ) .
(٦) «الإبانة الكبرى»، (بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٩٩٤م).
- * أحمد، مهدي رزق الله .
(٧) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٩٩٢م).
- * الأصبهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) .
(٨) «حلية الأولياء»، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٠ ج، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م).
(٩) «معرفة الصحابة»، (الرياض، مدينة الحرمين، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ٣ ج).

* الأصبهاني ، أبو القاسم الملقب بقوام السُّنَّة ، إسماعيل بن محمد القرشي الأصبهاني ، (ت ٥٣٥هـ) .

(١٠) «الحُجَّة في بيان المحجَّة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة» ، (الرياض ، دار الراجعية ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

* الألباني ، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ) .

(١١) «إرواء الغليل» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» ، بيروت ، المكتب الإسلامي . ط ٣ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٣) «صحيح الترغيب والترهيب» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٤) «صحيح الجامع» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٥) «صحيح السيرة النبوية» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

(١٦) «مشكاة المصابيح» ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

* البخاري ، أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل ، (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) .

(١٧) «صحيح البخاري» ، تحقيق : د. مصطفى أديب البغا ، (بيروت ، دار ابن كثير ، اليمامة ، ط ٣ ، ٨ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

(١٨) «التاريخ الكبير» ، (بيروت ، دار الفكر ، ٨ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م) .

* البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد ، (ت ٦٨٥هـ) .

(١٩) «تفسير البيضاوي» ، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ، (بيروت ، دار الفكر ، بلا ت) .

* البيهقي ، أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن علي ، (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) .

(٢٠) «سنن البيهقي الكبرى» ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، (مكة المكرمة ، مكتبة دار الباز ، ١٠ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

(٢١) «دلائل النبوة» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ) .

(٢٢) «الجامع لشعب الإيمان» ، (السعودية ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) .

* التبانى المغربي ، محمد العربي بن التبانى المغربي السطيفي ، (ت ١٣٩٠هـ) .
(٢٣) «إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة» ، (مكة المكرمة ،
المكتبة المكية ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ) .

* الترمذي ، أبو عيسى ، محمد بن عيسى ، (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .
(٢٤) «سنن الترمذي» ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، (بيروت ، دار إحياء
التراث العربي ، ج ٥ ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) .

* التميمي ، محمد بن عبد الوهاب ، (ت ١٢٠٥هـ) .
(٢٥) «رسالة في الرد على الرافضة» ، (صنعاء ، دار الآثار ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) .

* ابن تيمية ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) .
(٢٦) «جامع الرسائل والمسائل» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .
(٢٧) «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ،
ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .

(٢٨) «الصارم المسلول» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .
(٢٩) «العبودية» ، (الإسكندرية ، دار الإبيان للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م) .
(٣٠) «العقيدة الواسطية» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .
(٣١) «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ،
١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .

(٣٢) «مجموع الفتاوى» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .
(٣٣) «مختصر الفتاوى المصرية» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .
(٣٤) «منهاج السنة النبوية» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .

* ابن الجوزي ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي ، (ت ٥٧٩هـ / ١٢٠٠م) .
(٣٥) «زاد المسير» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج ٦ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .
(٣٦) «صفة الصفوة» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج ٦ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .
(٣٧) «التبصرة» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .
(٣٨) «مناقب عمر بن الخطاب» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

* **الحاكم**، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري، (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م).
(٣٩) «المستدرک علی الصحیحین»، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، (بیروت، دار
الکتب العلمیة، ط ١، ٤ ج، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م).

* **ابن حبان**، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد البستي، (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م).
(٤٠) «الثقات»، (بیروت، دار الفكر، ١٢ ج، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).
(٤١) «صحیح ابن حبان»، تحقیق شعيب الأرناؤوط، (بیروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢).
(٤٢) «مشاهیر علماء الأمصار»، (بیروت، دار الکتب العلمیة، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م).

* **ابن حزم**، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد، (ت ٤٥٦ هـ / ٦٣ م).
(٤٣) «جمهرة أنساب العرب»، تحقیق: عبدالسلام محمد هارون، (القاهرة، دار
المعارف، ط ٤، بلا ت).

(٤٤) «جوامع السيرة وملحق الصحابة الرواة»، تحقیق: إحسان عباس، د.ناصر
الدين أسد، ومراجعة أحمد محمد شاكر، (مصر، دار المعارف، بلا ت).
(٤٥) «الفصل في الملل والنحل»، (بیروت، دار الفكر، ٤ ج، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م).
(٤٦) «المحلی»، (بیروت، دار الجیل، ١٠ ج، بلا ت).

* **الحلي**، علي بن إبراهيم، (ت ١٤٠٤ هـ).
(٤٧) «إنسان العيون في سيرة الأئمة المأمون» المعروفة بـ«السيرة الحلبية»، (مصر،
١٣٤٩ هـ).

* **ابن حميد**، عبد بن حميد الكشي، (ت ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م).
(٤٨) «مسند بن حميد»، تحقیق: صبحي السامرائي وآخرون، (القاهرة، مكتبة السنة،
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).

* **الحموي**، ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله، (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م).
(٤٩) «معجم البلدان»، (بیروت، دار صادر، ٥ ج، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م).

- * الحميدي ، أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي ، (ت ٢١٩هـ) .
(٥٠) «مسند الحميدي» ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، (بيروت ، عالم الكتب ، ١٣٨٤هـ) .
- * الحنفي ، أبو العز ، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ، (ت ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م) .
(٥١) «شرح العقيدة الطحاوية» ، تحقيق : جماعة من العلماء ، (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٦ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م) .
- * خطاب ، محمود شيت .
(٥٢) «جيش النبي ﷺ» ، (بغداد ، مكتبة النهضة ، ط ٣ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
(٥٣) «الرسول القائد ﷺ» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
(٥٤) «الفاروق القائد ﷺ» ، (بغداد ، مكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
(٥٥) «القادة الراشدون ﷺ» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
(٥٦) «قادة النبي ﷺ» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
(٥٧) «قادة فتح العراق والجزيرة» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
(٥٨) «قادة فتح مصر وبلاد المغرب» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
(٥٩) «خالد بن الوليد ﷺ» ، (بغداد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) .
- * الخطيب البغدادي ، أبو بكر ، أحمد بن علي ، (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) .
(٦٠) «تاريخ بغداد» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج ١٤ ، بلا ت) .
(٦١) «الجامع لأخلاق الراوي» ، تحقيق : د.محمود الطحان ، (الرياض ، مكتبة المعارف ، ج ٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) .
(٦٢) «شرف أصحاب الحديث» (تركيا ، دار إحياء السنة النبوية ، بلا ت) .
(٦٣) «الفقيه والمتفقه» ، (الرياض ، مكتبة المعارف ، ج ٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) .
(٦٤) «الكفاية» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، بلا ت) .

- * **الخلال** ، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد ، (ت ٣١١هـ) .
(٦٥) «السُّنَّة» ، (القاهرة ، دار العلوم ، ط ٢ ، ٢٠٠٥م) .
- * **ابن خياط** ، أبو عمرو ، خليفة بن خياط الليثي العصفري ، (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) .
(٦٦) «طبقات ابن خياط» ، (الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) .
(٦٧) «تاريخ خليفة بن خياط» ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، (النجف الأشرف ، مطبعة الآداب ، ط ١ ، بلا ت) .
- * **الدارقطني** ، أبو علي ، حسن بن عمر البغدادي ، (ت ٣٨٥هـ) .
(٦٨) «سُنَن الدارقطني» ، تحقيق عبد الله هاشم ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٦٦م) .
- * **أبو داود** ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) .
(٦٩) «سنن أبي داود» ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار الفكر ، ج ٤ ، بلا ت) .
- * **الذهبي** ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان ، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .
(٧٠) «تاريخ الإسلام» ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٥٢ مجلد ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .
(٧١) «تجريد أسماء الصحابة» ، (بيروت ، دار المعرفة ، ج ٢ ، بلا ت) .
(٧٢) «تذكرة الحفاظ» ، (الهند ، دار إحياء التراث العربي ، ج ٤ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م) .
(٧٣) «سير أعلام النبلاء» ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ج ٢٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .
(٧٤) «الكبائر» ، (الإمارات ، مكتبة الفرقان ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) .
(٧٥) «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ، (بيروت ، دار المعرفة ، ط ١ ، ج ٤ ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م) .
- * **الرازي** ، فخر الدين ، محمد بن عمر ، (ت ٦٠٦هـ) .
(٧٦) «التفسير الكبير» ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٣ ، ٢٠٠٥م) .

- * الزمخشري ، جار الله ، محمود بن عمر الخوارزمي ، (ت ٥٣٨هـ) .
- (٧٧) «الكشاف عن حقائق التنزيل» ، (بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ) .
- * السبكي ، أبو الحسن ، تقي الدين علي بن عبد الكافي ، (ت ٧٥٦هـ) .
- (٧٨) «فتاوى السبكي» ، (بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠١٢م) .
- * السرخسي ، أبو بكر ، محمد بن أحمد بن أبي سهل ، (ت ٩٢٦هـ) .
- (٧٩) «أصول السرخسي» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٤هـ) .
- * ابن سعد ، أبو عبد الله ، محمد بن سع بن منيع البصري ، (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) .
- (٨٠) «الطبقات الكبرى» ، (المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، ج ٨ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .
- * ابن سعدي ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ ، (ت ١٣٧٦هـ) .
- (٨١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَانِ» ، (مكة المكرمة ، دار طيبة الخضراء ، ١٤١٦هـ) .
- * سعيد بن منصور ، أبو عثمان ، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني ، (ت ٢٢٧هـ) .
- (٨٢) «سُنَنُ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ» ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، (الهند ، الدار السلفية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) .
- * السفاريني ، شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، (ت ١١٨٨هـ) .
- (٨٣) «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقيدة الفرقة المرضية» ، (دمشق ، مؤسسة الخافقين ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .
- * السمرقندي ، أبو الليث ، نصر بن محمد بن أحمد ، (ت ٣٦٧هـ) .
- (٨٤) «تفسير السمرقندي» المسمى «بحر العلوم» ، (بيروت ، دار الفكر ، ٢٠١٠م) .

- * السيوطي ، جلال الدين بن أبي بكر ، (ت ٩١١هـ) .
- (٨٥) «تاريخ الخلفاء» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ) .
- (٨٦) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ) .
- * الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس ، (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م) .
- (٨٧) «الرسالة» ، (مصر ، دار النهضة العربية ، بلا ت) .
- * أبو شامه ، أبو القاسم ، شهاب الدين ، عبد الرحمن بن إسماعيل ، (ت ٦٦٥هـ) .
- (٨٨) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ، (مكة المكرمة ، مطبعة النهضة الحديثة ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .
- * ابن شبة ، عمرو بن شبة النمري البصري ، (ت ٢٦٢هـ) .
- (٨٩) «تاريخ المدينة المنورة» ، تحقيق فهد محمد شلتوت (ط ٢ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٠هـ) .
- * ابن أبي شيبة ، محمد بن عبد الله ، (ت ٢٣٥هـ) .
- (٩٠) «المصنف» ، تحقيق كمال يوسف الحوت (ط ١ ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٠٥هـ) .
- * الشيباني ، أبو عبد الله ، أحمد بن حنبل ، (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) .
- (٩١) «الزهد» ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١م) .
- (٩٢) «فضائل الصحابة رضي الله عنهم» ، (مصر ، مؤسسة قرطبة ، ٦ ج ، بلا ت) .
- (٩٣) «مسند الإمام أحمد» ، (مصر ، مؤسسة قرطبة ، ٦ ج ، بلا ت) .
- * ابن الصلاح ، تقي الدين أبو عمر ، عثمان ابن المفتي الشافعي الشهرزدي (ت ٦٤٣هـ) .
- (٩٤) «مقدمة ابن الصلاح» ، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد ، (ت ٣١١هـ) .

- * **الصنعاني**، عبد الرزاق بن همام، (ت ٢١١هـ).
- (٩٥) «مصنف عبد الرزاق»، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ).
- * **الطبراني**، أبو القاسم، سلمان بن أحمد، (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م).
- (٩٦) «معجم الطبراني الكبير»، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠ ج، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م).
- * **الطبري**، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م).
- (٩٧) «جامع البيان في تأويل القرآن»، (بيروت، دار الفكر، ١٥ ج، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م).
- (٩٨) «تاريخ الرسل والملوك»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ط ٤، ١٠ ج، تواريخ مختلفة).
- * **الطيالسي**، أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، البصري، (ت ٢٠٤هـ).
- (٩٩) «مسند الطيالسي»، (مصر، دار الهجرة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- * **ابن أبي عاصم**، محمد بن أبي عاصم الضحاك، (ت ٢٨٧هـ).
- (١٠٠) «السُّنَّة»، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).
- * **ابن عبد البر**، أبو عمر، يوسف بن عبد البر النمري، (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- (١٠١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، (مصر، مطبعة النهضة، ٤ ج، بلا ت).
- (١٠٢) «بيان فضل العلم»، (الدمام، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- * **عبد الرحمن بن محمد بن قاسم**، (ت ١٣٩٢هـ).
- (١٠٣) «الدَّرر السَّنِّيَّة في الأجوبة النجدية»، مجموعة رسائل ومساءل علماء نجد الأعلام، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٦٥م).

- * ابن عثيمين ، محمد بن صالح ، (ت ١٤٢٠هـ) .
- (١٠٤) «مجموع فتاوى ابن عثيمين» ، جمع وترتيب : ناصر السليمان ، (الرياض ، دار الثريا ، ٢٠٠١م) .
- * ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله ، (ت ٥٤٣هـ) .
- (١٠٥) «أحكام القرآن الكريم» ، تحقيق محمد علي البجاوي (ط ١ ، بيروت ، دار إحياء التراث ، ١٩٨٥م) .
- (١٠٦) «العواصم من القواصم» ، (القاهرة ، مكتبة الشُّنَّة ، ط ٦ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .
- * ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله ، (ت ٥٧١هـ) .
- (١٠٧) «تاريخ مدينة دمشق» ، تحقيق عمر غرامة العمروي (ط ١ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥م) .
- * العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) .
- (١٠٨) «الإصابة في تمييز الصحابة» ، (القاهرة ، دار العلوم الحديثة ، ط ١ ، ج ٤ ، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م) .
- (١٠٩) «تقريب التهذيب» ، (حلب ، دار الرشيد ، بلا ت) .
- (١١٠) «تهذيب التهذيب» ، (بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، ج ١٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
- (١١١) «فتح الباري» ، (مصر ، مطبعة مصطفى الحلبي ، ج ١٧ ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) .
- (١١٢) «معرفة الخصال المكفرة» ، (الكويت ، مكتبة الصحوة الإسلامية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
- * العظم ، يوسف .
- (١١٣) «في رحاب الأقصى» ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، بلا ت) .
- * العيني ، أبو محمد ، محمود بن أحمد العيني ، (ت ٨٥٥هـ) .
- (١١٤) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» ، (بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ) .

- * ابن قانع ، أبو الحسين ، عبد الباقي ابن قانع ، (ت ٣٥١هـ / ٩٦٢م) .
(١١٥) «معجم الصحابة» ، (المدينة المنورة ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ٣ ج ، بلا ت) .
- * القحطاني ، أبو عبد الله ، محمد بن صالح المعافري ، (ت ٣٨٣هـ) .
(١١٦) «نونية القحطاني» ، (القاهرة ، دار الحرمين ، ١٤١٨هـ) .
- * ابن قدامة ، محمد بن عبد الله المقدسي ، (ت ٦٢٠هـ) .
(١١٧) «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» ، (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٣٩٥هـ) .
- * القرطبي ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد الأنصاري ، (ت ٦٧١هـ / ١٢٧١م) .
(١١٨) «الجامع لأحكام القرآن» ، (مصر ، دار النهضة ، ٢٠ ج ، بلا ت) .
- * القرني ، الشيخ علي .
(١١٩) «إيماض البرق في شجاعة سيد الخلق ﷺ» ، (مكة المكرمة ، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية ، ط ١ ، ١٤٣٥هـ) .
(١٢٠) «قطرات الينابيع» ، «حروف تجر الختوف» ، (مكة المكرمة ، دار طيبة الخضراء ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ) .
- * قطب ، سيد إبراهيم .
(١٢١) «معالم في الطريق» ، (القاهرة ، دار الشروق ، بلا ت) .
- * ابن القيم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م) .
(١٢٢) «إعلام الموقعين» ، (بيروت ، المكتبة القيمة الأولى ، ١٤٠٤هـ) .
(١٢٣) «الفوائد» ، (بيروت ، المكتبة القيمة الأولى ، ١٤٠٤هـ) .
(١٢٤) «زاد المعاد في هدي خير العباد» ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٠ ، ٥ ج ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .
(١٢٥) «طريق المهجرتين وباب السعادتين» (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٠ ، ٥ ج ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .

- * ابن كثير ، أبو الفداء ، عماد الدين ، إسماعيل بن عمر ، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .
- (١٢٦) «تفسير القرآن العظيم» ، (بيروت ، دار المعرفة ، ٤ ج ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) .
- (١٢٧) «البداية والنهاية» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤ جن ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
- * اللالكائي ، أبو القاسم ، هبة الله ، حسين بن منصور ، (ت ٤١٦هـ) .
- (١٢٨) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ، تحقيق أحمد بن سعد حمدان الغامدي ، (الرياض ، دار طيبة) .
- * ابن ماجة ، أبو عبد الله ، محمد بن يزيد ، (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) .
- (١٢٩) «سنن ابن ماجة» ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ٢ ج ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .
- * ابن المبارك ، عبد الله بن المبارك ، (ت ١٨٢هـ) .
- (١٣٠) «الجهاد» ، (بيروت ، دار المعرفة ، د . ت) .
- * المباركفوري ، صفى الرحمن ، (معاصر) .
- (١٣١) «الرحيق المختوم» ، (بيروت ، دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .
- * المباركفوري ، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، (ت ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) .
- (١٣٢) «تحفة الأحوذى» (بيروت ، دار الفكر ، ١٠ ج ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) .
- * المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين المكي ، (ت ٩٧٥هـ) .
- (١٣٣) «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» ، تحقيق صفوة السقا ، (بيروت ، دار الرسالة ، ١٩٨٩م) .
- * محب الدين الطبري ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الله ، (ت ٦٩٤هـ) .
- (١٣٤) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ٢٠١٠م) .

* محمد حميد الله .

(١٣٥) «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»، (بيروت، دار النفائس، ط ٦، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

* مسلم أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م).

(١٣٦) «صحيح مسلم»، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٥، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م).

* المعافى، أبو الفرج بن زكريا بن يحيى الحريري النهرواني، (ت ٣٩٠هـ).

(١٣٧) «الجلس الصالح الكافي والأنيس الناصع الشافي»، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

* ابن النحاس، أبو زكريا، أحمد بن إبراهيم الدمشقي ثم الدمياطي، (ت ٨١٤هـ).
(١٣٨) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام»، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

* النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م).

(١٣٩) «سنن النسائي»، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط ٢، ٨، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

* النووي، أبو زكريا، محي الدين يحيى بن شرف الشافعي، (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م).

(١٤٠) «شرح صحيح مسلم»، (بيروت، دار القلم، ج ١٨، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

* ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م).

(١٤١) «السيرة النبوية»، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (مصر، دار الكنوز الأدبية، ج ٢، بلا ت).

- * اهتيمي ، أحمد بن محمد بن حجر ، (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) .
(١٤٢) «الصواعق المحرقة» ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) .
* أبو يعلى ، أحمد بن علي الموصلي التميمي ، (ت ٣٠٧هـ / ٩١٩م) .
(١٤٣) «مسند أبي يعلى» ، تحقيق : حسين سليم أسد ، (دمشق ، دار المأمون للتراث ، ط ١ ، ١٣ ، ج ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .

كُتُبُ أُخْرَى

- (١) «كلمة حق» ، الشيخ أحمد محمد شاكر .
- (٢) «سبل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الشرك» ، الشيخ حمد بن عتيق .
- (٣) «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي» ، الشيخ الدكتور سفر الحوالي .
- (٤) «الطائفة المنصورة وواقعنا المعاصر» ، عبد العزيز بن ناصر الجليل .
- (٥) «فقه النوازل في ضوء الكتاب والسنة» ، عبد العزيز بن ناصر الجليل .
- (٦) «بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة باليهود» ، عبد الله الجميلي .
- (٧) «وجاء دور المجوس» ، عبد الله الغريب .
- (٨) «مختصر منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة القدرية» ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، اختصار الشيخ عبد الله الغنيان .
- (٩) «مفاهيم يجب أن تُصحح» ، الشيخ محمد قطب .
- (١٠) «بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين» ، ناصر بن عبد الله القفاري .

الفهرس

٥	الإهداء
٧	المقدمة
٢١	الفصل الأول : شِجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَشِجَاعَةُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
٢٣	تمهيد :
٢٩	المَبْحَثُ الأوَّل : شِجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ
٤١	المَبْحَثُ الثَّانِي : شِجَاعَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٤٩	المَبْحَثُ الثَّالِث : شِجَاعَةُ الْفَارُوقِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٧٣	المَبْحَثُ الرَّابِع : شِجَاعَةُ ذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٨١	المَبْحَثُ الْخَامِس : شِجَاعَةُ فَارِسِ الْفَرَسَانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٨٥	الفصل الثاني :
٨٧	المَبْحَثُ الأوَّل : أَمْثَلَةٌ مِنْ شِجَاعَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
٨٩	(١) شِجَاعَةُ أَسَدِ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٠٣	(٢) شِجَاعَةُ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٢٠	(٣) شِجَاعَةُ حَبِّ النَّبِيِّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٣٧	(٤) شِجَاعَةُ الْمُقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٤٣	(٥) شِجَاعَةُ أَبِي قَتَادَةَ رَبِيعِيِّ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٤٨	(٦) شِجَاعَةُ أَبِي بَصِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٥١	(٧) شِجَاعَةُ سَالِمِ بْنِ عُمَيْرِ الْعُوفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٥٤	(٨) شِجَاعَةُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- (٩) شَجَاعَةُ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ الضُّمَرِيِّ رضي الله عنه ١٦٠
- (١٠) شَجَاعَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه ١٦٢
- (١١) شَجَاعَةُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه ١٦٤
- (١٢) شَجَاعَةُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ١٧٢
- (١٣) شَجَاعَةُ أَبِي الْغَادِيَةِ رضي الله عنه ١٧٧
- (١٤) شَجَاعَةُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه ١٧٩
- (١٥) شَجَاعَةُ سَيِّدِ الْأَنْصَارِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه ١٨٥
- (١٦) شَجَاعَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه ١٨٩
- (١٧) شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ رضي الله عنه ١٩٥
- (١٨) شَجَاعَةُ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه ١٩٩

- المَبْحَثُ الثَّانِي : الشَّهَادَةُ وَالْإِسْتِشْهَادُ فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ٢٠٧
- أولاً : فَضْلُ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٢٠٩
- فَضْلُ الشُّهَدَاءِ ٢٢٣
- ثانياً : أَمْثَلُهُ مِنْ شَجَاعَةِ شُهَدَاءِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ٢٤١
- (١) شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ عُمَيْرِ بْنِ مُحَامٍ رضي الله عنه ٢٤٦
- (٢) شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ رضي الله عنه ٢٤٧
- (٣) شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ عُمَيْرِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ٢٤٨
- (٤) شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ حَنْظَلَةَ الشَّهِيدِ رضي الله عنه ٢٤٩
- (٥) شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه ٢٥٠
- (٦) شَجَاعَةُ الشَّهِيدِ الصَّحَابِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ رضي الله عنه ٢٥٣
- (٧) شَجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ حِرَامٍ رضي الله عنه ٢٥٧
- (٨) عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رضي الله عنه ٢٥٩

- (٩) أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضي الله عنه ٢٦٣
- (١٠) حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ رضي الله عنه ٢٦٥
- (١١) شِجَاعَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ رضي الله عنه ٢٦٧
- (١٢) شِجَاعَةُ شُهَدَاءِ يَوْمِ الرَّجِيعِ رضي الله عنه ٢٦٨
- (١٣) شِجَاعَةُ الْبَطْلِ الْفِدَائِيِّ الْأَنْعَمَاسِيِّ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ٢٧٠
- (١٤) شِجَاعَةُ الشَّهِيدِ الْبَطْلِ أَبِي عَقِيلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه ٢٧٤
- (١٥) شِجَاعَةُ حَامِلِ الْقُرْآنِ ، سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ رضي الله عنه ٢٧٦
- (١٦) شِجَاعَةُ الْبَطْلِ الشَّهِيدِ عَامِرِ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه ٢٨٠
- (١٧) «نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ» رضي الله عنه ٢٨٥
- (١٨) شِجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه ٢٨٦
- (١٩) شِجَاعَةُ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ رضي الله عنه ٢٨٨
- (٢٠) شِجَاعَةُ شَيْخِ الْمُجَاهِدِينَ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه ٢٩٠
- (٢١) شِجَاعَةُ أَبِي دُجَانَةَ رضي الله عنه ٢٩٥
- (٢٢) شِجَاعَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ الْخَزْرَجِيِّ رضي الله عنه ٣٠٠
- (٢٣) شِجَاعَةُ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه ٣٠٨

- المَبْحَثُ الثَّالِثُ : أَهْمُ الْحَقَائِقِ وَالتَّائِجِ مِنْ جِهَادِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ٣١١
- المَبْحَثُ الرَّابِعُ : أَهْمُ الْوَسَائِلِ الْمَوْجَّهَةِ ضِدَّ الْجِهَادِ وَالْمُجَاهِدِينَ ،
وَضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ٣٧٧

- الخاتمة ٣٩٧
- قائمة المصادر والمراجع ٤٠٥
- الفهرس ٤١٩

السيرة الذاتية للمؤلف

- * من مواليد بغداد ، باب الشيخ (١٣٧٤هـ - ١٩٥١م) ، أستاذ مساعد (بمادة السيرة النبوية) في كلية الآداب بالجامعة الإسلامية (العراقية حالياً) ببغداد .
- * نال شهادة الماجستير في (تفسير وعلوم القرآن) ، والدكتوراة في (التاريخ الإسلامي - السيرة النبوية) .

* حصل على شهادات وإجازات علمية كثيرة ، منها :

- إجازات علمية في : التفسير ، والحديث ، والفقه .
- بكالوريوس لغة إنجليزية ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٥ م .
- دبلوم لغة ألمانية ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٥ م .
- بكالوريوس شريعة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم الإسلامية ، ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م .
- ماجستير في التاريخ الإسلامي ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ٢٠٠٢ م .
- دكتوراة في التاريخ الإسلامي ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ٢٠٠٥ م .
- ماجستير في تفسير القرآن ، كلية الإمام الأعظم (أبو حنيفة النعمان) . بغداد ٢٠١٠ م .

* ومن مؤلفاته :

- ١- «أساليب المنافقين في محاربة المسلمين في القرآن الكريم» . (رسالة ماجستير)
- ٢- «هدي النبي عليه الصلاة والسلام في جهاد المنافقين» . (رسالة دكتوراة)
- ٣- «البراء بن عازب رضي الله عنه : سيرته ومروياته التاريخية في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد» .
- ٤- «نماذج تطبيقية للرفق واللين من السيرة النبوية» .
- ٥- «موالاة الكافرين والمنافقين ، أحوالها وأحكامها» .
- ٦- «الاستهزاء بالدين ، أحواله وأحكامه» .
- ٧- «فقه الواقع ، أهميته وأدلته» .
- ٨- «أهم الأحكام والآداب التي تؤخذ من حادثة الإفك» .
- ٩- «مواقف دعوية من السيرة النبوية» .
- ١٠- «أولئك أصحاب محمد ﷺ خير هذه الأمة» .

- ١١- «الصحابة جيل فريد لا يتكرر» .
- ١٢- «أهم أصول عقيدة أهل السنة والجماعة» .
- ١٣- «صفات أهل السنة والجماعة وخصائصهم» .
- ١٤- «نواقض الإيمان وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة» .
- ١٥- «الحكم بغير ما أنزل الله عند أهل السنة والجماعة والرد على شبه المرجئة» .
- ١٦- «عليكم بالسنة والاتباع ، وإياكم والهوى والابتداع» .
- ١٧- «لا إله إلا الله ، معناها - فضلها - شروطها - أركانها - نواقضها» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التجهيز والإخراج

٥٥ (050 457 4270)
hamzawi999@hotmail.com